
Bibliotheca Alexandrina
0607923



جامعة المنوفية
كلية الآداب
قسم اللغات الشرقية وآدابها

# رواية "بازيچه/الدمية" للكاتبة الإيرانية المعاصرة نسرين ثامني
# دراسة تحليلية نقدية مع الترجمة

أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم اللغات الشرقية
(الفرع الإسلامي)

إعداد
دينا نبيل عبدالله حسام الدين
المعيدة بقسم اللغات الشرقية وآدابها

إشراف

د. هويدا عزت محمد
أستاذ اللغات الشرقية وآدابها المساعد
كلية الآداب – جامعة المنوفية
د/ هويدا عزت

د. مصطفى موسى شرف
مدرس اللغات الشرقية وآدابها
كلية الآداب – جامعة المنوفية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك

أنت العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

(البقرة: ٣٢)

# لجنة الحكم والمناقشة

أ.د/أحمد عبدالقادر الشاذلي

أستاذ اللغة الفارسية بآداب المنوفية رئيســـــاً

أ.د/أحمد فتحي يوسف شتا

أستاذ اللغة الفارسية بآداب المنصورة منـــاقشـــا

د./ هويـــــدا عـــزت محمد

أستاذ اللغة الفارسية المساعد بآداب المنوفية مشرفـــــا

# شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

وبعد...،

فإنني أتوجه بالشكر لله أولاً على ما وفقه ويسره لي لإكمال مسيرة التعلم والدراسة وإخراج هذا البحث إلى حيز الوجود.

كما أتقدم بوافر الشكر لكل من تفضل بمساعدتي في إتمام هذا البحث، وهنا أجد لزاماً عليّ أن أسجل شكري وتقديري مصحوبين بخالص الدعاء لكل من الدكتورة/ هويدا عزت محمد أستاذ اللغات الشرقية وآدابها المساعد بكلية الآداب – جامعة المنوفية، والدكتور/ مصطفى موسى شرف المدرس بقسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب – جامعة المنوفية، لتفضلهما بالإشراف عليّ ومساعدتهما لي بتشجيعهما الدائم، وتوجيهاتهما السديدة، ورعايتهما العلمية الواسعة فأرجو من الله أن يجزيهما عني خير الجزاء.

وكذلك أتوجه بالشكر إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول المناقشة وأرجو أن ينال بحثي هذا القبول والتقدير.

وأخيراً... كل الشكر لأسرتي: والدتي الحبيبة وإخوتي الأعزاء، وأخص بالشكر زوجي وابنتي اللذين وفرا لي ظروف العمل المناسبة لإتمام البحث.

وحيث إنني لا أملك أن أوفي الجميع حقهم من الشكر، إلا أنني أمتثل توجيه الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – بالدعاء لهم بأن يجزيهم الله خير الجزاء، وأن يجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد...

**فهرس الرسالة**

الموضوع رقم الصفحة

**القسم الثاني: الترجمة**

# القسم الأول
# الدراسة

# المقدمة

## المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وبعد...،

فقد حفلت الحياة الثقافية في إيران بالعديد من الشخصيات البارزة، التي تركت بصمات واضحة في الأدب الفارسي المعاصر، وأثرت في الثقافة الفارسية. ومن هذه الشخصيات الكاتبة الروائية المعاصرة "تسرين ثامني"، التي أدركت قدرة الرواية على التكيف والتطوع لمعالجة أي موضوع، وأنها أكثر الفنون الأدبية قدرة على التعبير عن أزمات الإنسان وقضايا الواقع، من خلال حساسية خاصة تجيد طرح الأسئلة وإثارة الانتباه.

وتتنوع الرواية عامة ما بين العاطفية، والتاريخية، والنفسية، والاجتماعية، والأخيرة هي التي يمكنها أن تصور المجتمع في مكان محدد وزمن محدد، عادة ما يكون المكان هو وطن الكاتب، وعادة ما يكون الزمان هو الحاضر، ويركز فيها الكاتب على إبراز العلاقات الاجتماعية وتحليلها، ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بالمجتمع الكبير الذي يعيش فيه.

وتحت هذا الإطار يمكننا أن نضع رواية "بازيچه / الدمية"، فهي رواية اجتماعية تقع في ثلاثمائة وسبع وعشرين صفحة، مقسمة إلى عشرة فصول لا تحمل عناوين، وجاءت الفصول متناسبة من حيث الحجم.

وهذا البحث أتناول فيه بالترجمة والدراسة التحليلية النقدية رواية "بازيچه" للكاتبة المعاصرة "تسرين ثامني". ويرجع اختياري على هذا العمل الأدبي إلى الأسباب الآتية:-

١)- عدم تناول أي من الباحثين لهذه الكاتبة أو لأي من أعمالها بالدراسة أو البحث، فرأيت أن دراستي لأحد أعمالها قد تكون بداية لعمل دراسات متكاملة عن هذه الكاتبة وإنتاجها الوفير في جامعاتنا المصرية.

٢)- لغة الحوار في هذه الرواية كانت من أشد العوامل التي جذبتني إليها منذ بدأت في تصفحها، فهي مكتوبة باللهجة العامية الطهرانية التي تنقل القارئ معها ليعيش في قلب المجتمع الإيراني، فالكاتبة

تنطق أشخاصها في الرواية باللغة التي يتحدثون بها في الحياة اليومية، مما يشعر القارئ أن الشخصيات يمكن استخراجها من الرواية ليجلسوا ويتحدثوا معه.

٣)- القضايا التي تعرضها الكاتبة في الرواية هي قضايا اجتماعية تمس واقع المجتمع الإيراني، فهي تعني بنقد المجتمع من أجل الإصلاح والنهضة والتقدم.

٤)- إن النقد النظري في مجال الرواية الفارسية قليل إلى حد ما إذا ما قيس بنقد الشعر.

وبناءً على الأسباب السابقة شرعت في دراسة رواية "بازيچه"، واعتمدت في إتمام هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، مستهدفة منه تحليل الملامح العامة لعناصر العمل.

وتم تناول البحث في قسمين كالتالي:-

<u>القسم الأول</u> : الدراسة.

<u>القسم الثاني</u> : الترجمة العربية كاملة للرواية.

وجاءت الدراسة في بابين يحتويان على أربعة فصول، بالإضافة إلى الخاتمة، وتقسيمها على النحو التالي:-

<u>الباب الأول</u> : وعنوانه " عصر نسرين ثامني وسيرتها "، وقد تناول بالدراسة كل ما من شأنه أن يعرف بالكاتبة، وينقسم إلى فصلين:-

<u>الفصل الأول</u> : وعنوانه " عصر نسرين ثامني "، وقدمت فيه الباحثة مجملاً للأحداث السياسية والاجتماعية خلال الحقبة التاريخية منذ ميلاد الكاتبة وحتى زمن كتابة الرواية.

<u>الفصل الثاني</u> : وعنوانه " سيرة نسرين ثامني "، واحتوى هذا الفصل على عرض لحياة الكاتبة، مبتدئة إياه -كما هو معتاد- بالاسم ومكان ووقت الميلاد، ثم التدرج في مدارج حياة الكاتبة وتأثرها بالسابقين عليها، وكذلك عرضاً لإنتاجها الأدبي ونشاطها الثقافي.

<u>الباب الثاني</u> : وعنوانه " الدراسة التحليلية النقدية "، وعرضت فيه الباحثة دراسة شاملة للرواية، من خلال فصلين:-

<u>الفصل الأول</u> : وعنوانه " دراسة في الشكل "، وقد تناول بالدراسة عناصر البناء الفني الروائي وتطبيق ذلك على رواية "بازيچه" لإبراز مدى توافقها أو اختلافها مع الأسس المعروفة للرواية.

**الفصل الثاني** : وعنوانه " دراسة في المضمون "، وفيه تم عرض بعض القضايا الاجتماعية التي عرضتها الكاتبة في الرواية من خلال منظورها الروائي الخاص.

**الخاتمة** : تضمنت أهم النتائج التي رصدتها الباحثة وتوصلت إليها.

وأخيراً، أرجو من الله العلّي القدير أن أكون قد وفقت في إتمام هذا البحث، وإذا كان قد فاتني شيء فإنني أعتذر عنه مقدماً، وعذري هو أني بذلت كل ما أستطيع من جهد، ولا يبقى إلا أن أقول: أبى الله ألا يصح إلا كتابه الكريم، ولكن هذا جهد المقل، وبذل الاستطاعة، وما يكلف الإنسان إلا ما تصل إليه قدرته، وفوق كل ذي علم عليم.

والله من وراء القصد...

الباحثة

# الباب الأول

# عصر نسرين ثامني وسيرتها

# الفصل الأول

# عصر نسرين ثامنيى

## الفصل الأول

## «عصر نسرين ثامني»

لكي نتفهم المنظور الروائي للكاتبة، والذي أرادت أن تطرحه من خلال الرواية لابد وأن نلقي نظرة على الخلفية العامة لطبيعة البيئة التي عاشت فيها الكاتبة[1]، والتي سبقت زمن كتابة الرواية، وبالتالي ظهر تأثيرها في "بازيچه".

### أولاً: أوضاع المجتمع الإيراني فيما بين انقلاب مصدق وحتى قيام الثورة الإسلامية (١٩٥٣-١٩٧٩م)

لقد كانت فترة ما قبل الثورة التي امتدت من ١٩ أغسطس ١٩٥٣م – أي بعد الانقلاب على مصدق – إلى أوائل فبراير ١٩٧٩م بعد وصول الخميني إلى إيران ونجاح الثورة الإسلامية، حافلة بجميع التحولات على الساحة الإيرانية، فقد شهدت هذه الفترة تغيرات عدة فيما يتعلق بشأن الشعب الإيراني بدءاً من حياته المعيشية اليومية والتعبير عن رأيه وانتهاءً بممارسة الضغوط وأساليب الكبت الموجهة إليه، ومحاولة القيام ببعض الإصلاحات الاجتماعية في المناطق الريفية والقروية في شتى المجالات، إلى جانب ما شهدته الساحة الإيرانية من قيام بعض الأنظمة الأمنية وما أثارته ممارساتها من زرع الخوف والتوجس في الشعب الإيراني، أدى إلى تنامي موجة السخط والكراهية من هذه الأنظمة إلى أن شملت الحكومة والنظام بأكمله، الأمر الذي ساعد على استيقاظ مارد المعارضة بشتى فئاتها، لتشهد الثورة الشعبية تحولاً آخر بتغيير النظام من ملكي إلى جمهوري؛ وشهدت هذه الفترة من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ما يلي:-

**١- أوضاع المجتمع خلال فترة رئاسة اللواء زاهدي:**

بدأت هذه الفترة بتولي اللواء زاهدي – منفذ الانقلاب – رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٥٣م، وأصدر بياناً تضمن وعوداً بالقيام ببعض الإصلاحات في مجالي الصحة والتعليم، حيث تضمن البيان "الإشارة إلى إنشاء ٢٠٠ مركز علاجي وتخصيص ميزانية كبيرة للمدارس في الريف، بينما عاملت الحكومة الطلاب في طهران والمدن الرئيسة الأخرى بقسوة لاشتراكهم في المظاهرات والأحداث السابقة لرئاسة زاهدي"[2].

---

[1] - ولدت الكاتبة عام ١٩٥٧م = ١٣٣٦هـ.ش.

[2] - پيتر آورى، تاريخ معاصر ايران، ترجمه: محمد رفيعى مهر آبادى، جلد دوم، انتشارات عطائى، چاپ سوم، تهران، ١٣٧٧هـ.ش، جـ٣، ص٣٤.

ومن الإجراءات الأولية التي اتخذتها حكومة زاهدي لدعم سيطرتها، أن قضت على الحركة الوطنية الإيرانية بكل أبعادها، فقامت بفرض رقابة عسكرية شديدة، وانتهجت أسلوب القمع والتعذيب وفي بعض الأحيان الاغتيال والإعدام، كما قامت بإغلاق الصحف والأحزاب التابعة للجبهة الوطنية.[1]

بعد ذلك مضت الحكومة في تنفيذ الإصلاحات التي أعطت وعوداً بتنفيذها، وأول هذه الإصلاحات وأهمها يكمن في المجال الصحي حيث كانت إيران تعاني من انتشار مرض الملاريا، فتم إنشاء مستشفيات في عدة مناطق ريفية خاصة في الشمال، وكانت تبذل جهوداً في ذلك المجال لكنها كانت تصطدم ببعض العوائق مثل عدم إعطائها الاهتمام الإعلامي اللائق، وما كان يصاحب تلك الفترة من ثورة المجتمع ضد بريطانيا حيث كان البريطانيون يشرفون على تدريب الممرضين الإيرانيين وإرسالهم إلى بريطانيا لمواصلة التدريب في المستشفيات البريطانية، وما رافق ذلك من رفض رجال الدين لإرسال الممرضات الإيرانيات للتدريب في بريطانيا.[2]

إلى جانب المشكلة الصحية كانت هناك مشكلة أخرى تواجه الحكومة تتمثل في هجرة القرويين للمدن والتي كانت تعاني منها إيران منذ عام ١٩٤١م عندما تم إلغاء الإجراءات المتعلقة بالتنقل داخل البلاد، حيث بلغ ازدياد السكان ذروته في فترة رئاسة مصدق الذي أثر تأثيراً بالغاً في الوضع الاجتماعي وأصبح خطراً يهدد الكيان الاجتماعي في إيران، فقد ارتفع عدد الفئة العمرية من سن الشباب التي تأثرت اجتماعياً بنزوح القرويين وسكان الأرياف إلى المدن الكبرى، وعلى سبيل المثال مدينة طهران التي تأثرت تأثراً سلبياً أكثر من مثيلاتها من المدن الإيرانية بسبب هذا التحول، حيث ازداد عدد سكانها في أقل من عشرين سنة من ٥٠٠ ألف نسمة إلى مليون نسمة ثم بلغ في السنوات العشر التالية من مليون إلى مليوني نسمة، وعلى هذا فقد لعبت هذه الزيادة دوراً كبيراً في اضطرابات عامي ١٩٥٢م – ١٩٥٣م.[3]

ولكي تكمل حكومة زاهدي مشوار الإصلاح تقدمت بطلب معونة مالية من الولايات المتحدة الأمريكية، فانهالت المعونات الأمريكية عليها وطلب الرئيس الأمريكي آنذاك الجنرال ايزنهاور الإسراع في تقديم المساعدات المالية للحكومة الإيرانية، كما بادرت الحكومة الجديدة بإعادة العلاقات

---

[1] – غلام رضا نجاتي: تاريخ سياسي بيست وپنج ساله ايران (از كودتا تا انقلاب)، تهران، خدمات فرهنگی رسا، چاپ چهارم، ١٣٧٣هـ.ش، جـ١، ص٧٤.

[2] – پيتر آورى، تاريخ معاصر ايران، جـ٣، مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

[3] – المصدر السابق، جـ٣، ص٣٨-٣٩.

مع بريطانيا، وقد أعلن المتحدث باسم الحكومة الإيرانية في ٥ سبتمبر ١٩٥٣م (الموافق ١٤ آذر ١٣٣٢هـ.ش) عن استئناف العلاقات بين الدولتين.[١]

**٢- إنشاء هيئة الأمن والمعلومات (ساواك[٢]):**

عندما تحدث محمد رضا عن الساواك ذكر أن السبب الرئيس في إنشائه هو محاربة المخربين والشيوعيين، وفي هذا الشأن يقول ما ترجمته: "لقد تم تأسيس الساواك من أجل القضاء على الأنشطة التخريبية التي كانت تحاك في الداخل والخارج وكانت مصدر تهديد وإزعاج لإيران، وفي عام ١٩٥٣م تم إسناد مهام هذا الجهاز إلى اللواء بختيار، فقام بطلب الاستشارات من هيئة الاستخبارات الأمريكية، وعليه تم ابتعاث كثير من الضباط إلى (لانجلي) للتدريب على أنظمة المخابرات الأمريكية، والبعض الآخر إلى البلدان الأوروبية الأخرى للاطلاع على الأنظمة المتبعة هناك".[٣]

لكن هناك من يرد على ما ذكره محمد رضا ويعتبر أن فكرة تأسيس جهاز الساواك جاءت كرد فعل تجاه ما حدث عام ١٩٥٣م عندما كاد شاه إيران أن يفقد فيها عرشه، عندها فكر الشاه في تأسيس جهاز أمني لحماية نظامه، وأراد أن ينشئ جهازاً خاصاً به يخضع لسلطة رئيس الوزراء مباشرة، ولذلك تم إنشاء هذا الجهاز للقضاء على الأخطار التي تهدد إيران.[٤]

وهناك من يذكر أن "جهاز الساواك قد تأسس عام ١٩٥٧م وأنه عبارة عن جهاز شرطة سياسي عين تيمور بختيار رئيساً له، والذي اشتهر بالغلظة والقسوة وأضفى صفة البوليسية على النظام بشكل أكثر من ذي قبل، ويرتبط مسئولو الساواك الذين تم تدريبهم على يد خبراء إسرائيليين وأمريكيين مباشرة مع رئيس الوزراء، لكنهم على أرض الواقع لم يكونوا يأتمرون إلا بأمر الملك، وعندما كانوا يعاقبون المعارضين، لم يكن يوقفهم أي نظام.[٥]

---

[١] - گروهی جامي: گذشته چراغ راه آینده است، تاریخ ایران در فاصله دو کودتا، انتشارات نیلوفر، چاپ سوم، تهران، ١٣٨١هـ.ش، ص٧٩٧.

[٢] - اختصاراً لمسمى "سازمان اطلاعات وامنیت کشور".

[٣] - محمد رضا پهلوى: پاسخ به تاریخ، ترجمه: حسین ابو ترابیان، تهران، نشر زریاب، چاپ هفتم، ١٣٧٩هـ.ش، ص٣٣٧-٣٣٨.

[٤] - فريدون هويدا: سقوط الشاه، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد الشاذلي، مكتبة مدبولي، ص٤٥-٤٦.

[٥] - ژان پیر دیگار، وبرنارهور کاد ویان ریشار: ایران در قرن بیستم، بر گردان عبد الرضا مهدوى، نشر البرز، چاپ سوم، تهران، ١٣٧٨هـ.ش، ص١٥١.

وكان فساد الساواك من أهم الأسباب التي ساهمت بشكل مباشر في سقوط الشاه ونظامه، فقد تمادى في استعمال الوسائل اللاإنسانية من أجل تحقيق الغاية، وأسهمت هذه السلوكيات في إثارة كوامن الغضب لدى الشعب الإيراني، واستعمل الساواك ألوان عذاب أشد وأنكى من القتل، ألوان عذاب جسدية ومعنوية، وتحطيم للذات، وتدمير للإنسان من داخله.[1]

ويمكن القول إن الشاه قد أساء اختيار رؤساء وأفراد جهاز الساواك، ولم يكن الهدف من إنشائه له إلا بث الرعب والفزع في قلب الشعب الإيراني لإجباره على الخضوع والاستسلام للنظام الشاهنشاهي، وبذلك لم يكن الساواك يوماً في صالح النظام، بل كان بمثابة المعول الذي حفر تحت جدار النظام.

### ٣- تأسيس الأحزاب السياسية وإعادة تكوين حركة المقاومة الوطنية

بدأت الحكومة تأسيس أول حزب أطلق عليه (حزب مردم[2]) في شهر مايو ١٩٥٧م ليكون حزب أقلية برلمانية في المجلس النيابي، وكان مؤسس هذا الحزب هو (أسد الله علم) الذي كان من المقربين للملك وأصدقائه الحميمين، وتلا ذلك تأسيس حزب آخر باسم (حزب مليون[3]) بزعامة الدكتور (منوچهر اقبال) رئيس الوزراء آنذاك، وكان هذا الحزب بمثابة الحزب الحاكم.[4]

أما بالنسبة للجبهة الوطنية فقد أعادت نشاطها من جديد بعد سبع سنوات من سقوط زعيمها الأول الدكتور مصدق، وهي التي سميت بالجبهة الوطنية الثانية، إذ قام بعض أنصار مصدق القدامى بتكوينها من جديد في ٢١ يوليو ١٩٦٠م، وتم إعلان مبادئ الجبهة في الاجتماع الأول لزعمائها في نهاية ديسمبر عام ١٩٦٢م، والذي تضمن المطالبة بإعادة النظام الدستوري للبلاد، وعدم تدخل الملك في شئون الحكومة، والمطالبة بحل جهاز الساواك، وكذلك ضمان الحريات العامة والشخصية.[5]

ولقد لقي إعادة تأسيس الجبهة الوطنية ترحيباً كبيراً من الطلاب؛ لأنهم رأو فيها التيار الوحيد المعترف به المعارض للنظام[6]، وكانت العناصر الأساسية المشكلة للجبهة الوطنية الثانية عبارة عن

---

[1] - فريدون هويدا، سقوط الشاه، مصدر سابق، ص٥٩.

[2] - أي حزب الشعب.

[3] - أي حزب الوطنيين.

[4] - پيتر آورى، تاريخ معاصر ايران، مصدر سابق، جـ٣، ص٧٩.

[5] - أحمد وصفي أبو مغلي: الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ١٩٠٥- ١٩٨١م، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص٣٤، ٣٥.

[6] - ژان پير ديگار وبرنارهور كاد ويان ريشار، ايران در قرن بيستم، مصدر سابق، ص١٦٠.

ثلاثة أحزاب هي: حزب ايران، وحزب مردم ايران وحزب ملت ايران، حيث كونت هذه الأحزاب الثلاثة المجلس الأعلى للجبهة، وكان هناك حزبان لم ينضما للجبهة وهما: حزب التجمع الاشتراكي لحركة المقاومة الإيرانية (حزب جامعه سوسياليستهاى نهضت ملى ايران)، وحركة تحرير إيران (نهضت آزادى ايران).[1]

٤- مرحلة الثورة البيضاء

تعتبر هذه المرحلة من المراحل التي شهدت تحولات اجتماعية، حيث تم التوجه لإيجاد نوع من الإصلاح بدأ بمحاربة الفساد، ثم تطور إلى الإصلاح الزراعي ثم إلى ما سمي بالثورة البيضاء – انقلاب سفيد – والتي أطلق عليها فيما بعد (ثورة الملك والشعب).

كان ينبغي إحداث نقلة في المجتمع الإيراني وتغيير العلاقات والروابط الاجتماعية بدءاً من مستوى القرية وانتهاءً بالمدينة ليصبح معيار التوظيف على أساس كفاءة الأشخاص لا على الارتباط العائلي والنفوذ الطبقي، ولو لم تتحقق هذه الحاجة لألقت بالمجتمع الإيراني إلى الهلاك. ولقد أدرك محمد رضا وجود خلل اجتماعي كبير في البلاد، وشرع في طرح هذه النقلة وتنفيذها، وحول ضرورة القيام بثورة صرح قائلاً: "بعد دراسة وافية بالمجتمع الإيراني وتشخيص نقاط الضعف وتحديد احتياجاتنا وإمكانياتنا وبالإطلاع على القوانين والتنظيمات، توصلت إلى أن وطننا بحاجة إلى ثورة شاملة وجذرية تقضي على جميع التناقضات الاجتماعية وعلى جميع العناصر المتسببة في الظلم وعلى جميع ألوان الرجعية التي هي أساس عرقلة التقدم والمساعدة على التخلف، وذلك لبناء مجتمع جديد بأسلوب يتواءم مع رغباتنا أي بمعنويات وأخلاق إيرانية ووفق المتطلبات الإقليمية والجغرافية لهذا الوطن، وبميزات وتقاليد روحية وتاريخية لهذا الشعب".[2]

وشرع محمد رضا في ثورته البيضاء بتوزيع الأراضي على الفلاحين كتمهيد لتقبل الشعب هذه الثورة، وأعلن عن أول ستة مبادئ لثورته (والتي زيدت فيما بعد حتى وصلت ١٩ بنداً) في التاسع من يناير ١٩٦٣م أمام أول مؤتمر للشركات التعاونية الزراعية الذي كان قد عقد في مدينة طهران، وهي كما يلي:

١- الإصلاح الزراعي: بتوزيع الأراضي بين الأشخاص الذين يعملون بها.

٢- تأميم الغابات والمراعي.

---

[1] - غلام رضا نجاتى، تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ايران، جـ١، مصدر سابق، ص١٤٧.

[2] - منوچهر ثقفى: پديده هاى انقلاب، انتشارات دانشگاه ملى ايران، ٢٥٣٥ شاهنشاهى، ص١٢-١٣.

٣- تحويل المصانع الحكومية إلى شركات مساهمة، وبيع أسهمها دعماً للإصلاح الزراعي.
٤- إشراك العمال في أرباح المصانع.
٥- تعديل قانون الانتخابات، وإفساح المجال للجميع في الانتخابات خاصة النساء.
٦- إنشاء كتائب التعليم من أفراد الخدمة العسكرية الخريجين ليقوموا بالتدريس في المناطق الريفية.[١]

لقد كانت هناك إنجازات في الظاهر من أجل تحديث المجالين الاقتصادي والزراعي، وكان الملك يبشر بأن مظاهر الحياة لدى الشعب الإيراني سوف تتفوق على ما تتمتع به مظاهر الحياة لدى الشعوب الأوروبية، وأن إيران ستصبح في مصاف إحدى الدول الخمس الصناعية المتقدمة مع نهاية القرن العشرين، لكن هذه الوعود الرنانة كان بينها وبين ما تم إنجازه فرق كبير، وكان هذا الاختلاف يبث اليأس تدريجياً لدى شعب كان يترقب بعين الأمل نتائج ما كان يسمى ثورة الملك والشعب.[٢]

فمع تطبيق الشاه لثورته، أصبح الفلاح مالكاً لأرضه، وملّك العمال نسبة من أرباح المصانع التي يعملون بها، وأحدث توسعاً كبيراً في مجال التعليم والصناعة. على الرغم من ذلك، كان هناك ثمة سلبيات تضمنتها الثورة البيضاء، فقد قضى الشاه بالفعل على طبقة الإقطاعيين، لكنه أحل محلها طبقة من السماسرة الذين قاموا بتحويل اقتصاد إيران من زراعي مستقر إلى طفيلي استهلاكي، وقامت الحكومة بتأسيس بعض المزارع التعاونية وإتاحة الفرص على نطاق واسع لرأس المال الأجنبي لتقديم الميكنة الزراعية الحديثة، وقامت بتدمير وسائل الزراعة التقليدية التي تعتمد على نظام القنوات المغطاة، كما تم تدمير العديد من القرى لإقامة مراكز زراعية متطورة، إلا أنها كانت كالنقش على الماء.[٣]

**٥- البعد الأمني**

كانت بداية التحولات الأمنية عندما أراد محمد رضا زيارة مدينة قم في ٢٤ يناير ١٩٦٢م (الموافق الرابع من شهر بهمن ١٣٤١هـ.ش)، أي قبل يومين فقط من انطلاق الاستفتاء العام على مبادئ الثورة البيضاء، وذلك ليتخذ الإجراءات المناسبة تجاه مدينة قم وعلماء الدين فيها، فإما أن يواجههم بتهميش دور بعضهم أو بمنعهم من إبداء آرائهم عن طريق القوة، فقد سبق ذلك قيام آية الله

---

١ - محمد رضا پهلوى، پاسخ به تاريخ، مصدر سابق، ص١٦٩.
٢ - غلام رضا نجاتي: تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ايران، جـ١، مصدر سابق، ص٣٤٥.
٣ - أبو الحسن بني صدر: إيران غربة السياسة والثورة، الترجمة العربية لدار الكلمة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٢٦.

الخميني بتحريم المشاركة في الاستفتاء، وفي ظل استجابة سكان مدينة قم لهذه الفتوى انطلقت مجموعة من المواطنين في مظاهرة ترفع الهتافات رافضة الاستفتاء، وما هي إلا لحظات ثم حضرت ناقلات الجنود لتلافي الموقف وهاجمت مدرسة الفيضية الدينية، والمحلات التجارية المغلقة، وطالبوا أصحاب المحلات المغلقة بإعادة فتحها ومزاولة نشاطها، فاستجاب أصحابها لهذه التهديدات واستعدت المدينة للقاء الملك.[1]

وفي اليوم المحدد زار الملك المدينة، وألقى كلمة تضمنت هجوماً قوياً على علماء الدين المعارضين، وخص منهم آية الله الخميني، ولعل هذه أول مرة يهاجم الملك المؤسسة الدينية خلال فترة حكمه، إذ كان فيما مضى ينسب إلى شخصيته سمة التدين ويشارك في المناسبات الدينية.[2]

أقيم الاستفتاء في السادس من بهمن مع ما واجهه من إظهار معارضة وإقامة مظاهرات وإضرابات في بعض المدن وخاصة المراكز الدينية، وكان علماء الدين يحاولون صد الناس عن الاشتراك فيه فاتخذوا المساجد مراكز إعلامية لهم لمعارضة الاستفتاء فتعرض كثير منه للاعتقال.[3]

وبعد إقامة الاستفتاء كما هو مقرر له في السادس من بهمن وإعلان نتائجه، أعلن الخميني رداً على الثورة البيضاء ومع اقتراب حلول السنة الإيرانية الجديدة بأن عيد النوروز لهذا العام سوف يكون حداداً عاماً، وفي الثاني من شهر فروردين الذي كان يصادف ذكرى وفاة الإمام الصادق، أقيمت مراسم العزاء في منزل الخميني بقم، وبعد عصر هذا اليوم هاجمت قوات الأمن المدرسة الفيضية، وتم قتل الكثيرين وتعرض آخرون للإصابة بجروح والقبض على البعض، كما وقعت حوادث مشابهة في تبريز، وفي هذه الأثناء أصدر الخميني بياناً بعنوان "الولاء للملك يعني التسلط"، هاجم فيه الحكم البهلوي واعتبره رمز التخلف والفقر للشعب الإيراني.[4]

ومع اقتراب شهر محرم أخذت الأزمة تتصاعد، وخشيت الحكومة وقوع بعض الاضطرابات خلال أيام الحداد، فبادرت شرطة طهران بإعلان تحذير للمواطنين بمنع المظاهرات وإقامة مراسم

---

[1] – سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران، دفتر انتشارات اسلامى، چاپ هفتم، ١٣٧٥هـ.ش، جـ٢، ص١٧.

[2] – غلام رضا نجاتى، تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ايران، جـ١، مصدر سابق، ص٢٢٥.

[3] – سيد جلال الدين مدنى، تاريخ سياسى معاصر ايران، جـ٢، مصدر سابق، ص١٩.

[4] – موسى نجفى وموسى حقانى: تاريخ تحولات سياسى ايران، بررسى مؤلفه هاى دين حاكميت – مدنيت وتكوين دولت– ملت در گستره هويت ملى ايران، مؤسسه مطالعات تاريخ معاصر ايران، چاپ نخست، تهران، ١٣٨١هـ.ش، ص٥٠٨.

العزاء الشرعي المتوافق مع الآداب الإسلامية، لكن آية الله الخميني بعث بخطاب للوعاظ والخطباء يحثهم فيه بعدم الخوف من التهديد والقيام بواجبهم الديني بتوعية المجتمع بخطر إسرائيل وعملائها.[1]

وفي عصر يوم العاشر من شهر محرم ١٣٨٢هـ (الموافق ١٣ خرداد ١٣٤٢هـ.ش)، توجه الخميني يرافقه بعض كبار العلماء إلى مقر المدرسة الفيضية، لإلقاء كلمة بهذه المناسبة، تضمنت هجوماً على الملك وأمريكا وإسرائيل، وفي منتصف ليلة الخامس عشر من خرداد تم إلقاء القبض على الخميني، وتم نقله إلى سجن القصر في مساء اليوم التالي وبعد ١٩ يوماً نقل إلى زنزانة في حامية عشرت آباد.[2]

ثم قامت الحكومة بإخلاء سبيله في بداية عام١٣٤٣هـ.ش/١٩٦٣م بعد اعتقال دام حوالي عشرة أشهر، وحاولت خلال تلك الفترة الاتصال به عن طريق رئيس جهاز الساواك، لإثنائه عن التحدث في الأمور السياسية، إلا أن الخميني رفض جميع المحاولات الرامية لخلق مصالحة مع النظام البهلوي، وقرر الخميني المضي قدماً ومواصلة الطريق الذي سلكه في معارضة النظام البهلوي وانتقاده علانية.[3]

ومما صعد الأمور وزاد حدتها بين آية الله الخميني والحكومة هو موضوع عرض نظام القضاء القنصلي للأمريكان (كاپيتولاسيون) على المجلس النيابي من قبل رئيس الوزراء حسن علي منصور، إذ اعتبر الخميني هذا النظام يعارض استقلال البلاد، فعاود شن الهجوم على الحكومة والنظام البهلوي بعقد الاجتماعات المختلفة مع العلماء في قم وإرسال المبعوثين للمناطق الإيرانية الأخرى وتهيئة الشعب للاحتجاج ضد هذا المشروع، وبالتالي توجه المواطنون من بعض المدن الإيرانية الأخرى إلى قم للاستماع إلى خطب الخميني، ومن ذلك الخطبة التاريخية التي ألقاها الخميني وتضمنت تصريحه بانتقاده للنظام البهلوي وما وصفه بتسلط الأجانب، كما تضمنت خطبته تفصيلاً لأبعاد قانون الحصانة المختلفة وتأثيرها على مصير الشعب الإيراني، وهاجم ما وصفه الاستعمار في قالب أمريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وإسرائيل، وعلى إثر ذلك قامت السلطات الأمنية باعتقاله ليلة ٤ نوفمبر ١٩٦٤م (الموافق ١٣ آبان ١٣٤٣هـ.ش) ونفيه إلى تركيا[4]، ثم ترك الخميني تركيا متوجهاً إلى العراق حيث أقام فيها حتى عام ١٩٧٨م.

---

[1] - غلام رضا نجاتی، تاریخ سیاسی بیست وپنج ساله ایران، جـ١، مصدر سابق، ص٢٢٦.

[2] - سيد جلال الدين مدنی، تاريخ سياسی معاصر ايران، جـ٢، مصدر سابق، ص٥٢.

[3] - المصدر السابق، جـ٢، ص٨٦.

[4] - موسى نجفی وموسى حقانی، تاريخ تحولات سياسی ايران، مصدر سابق، ص٥١٠.

وطيلة كل تلك الفترة لم ينصرف الخميني من منفاه عن هدفه وهو إسقاط النظام البهلوي وتحرير إيران منه، فالصلة بينه وبين مؤيديه في الداخل لم تنقطع بل توطدت وقويت، واستمر توجيه المعارضة الداخلية بطريقة لم تشهدها الثورات السابقة، فلم يكن هناك وسائل إعلام متخصصة تابعة للخميني تنقل توجهاته وبيناته، وإنما هناك الأشرطة التي يتم تسجيل الكلمات والبيانات وكل ما يريده الخميني ثم تسليمها إلى الداخل لتنتشر انتشار النار في الهشيم، حيث كانت هذه الأشرطة تصل من مكان إقامته في العراق إلى مدينة قم موطنه قبل الإبعاد عن طريق شبكة المساجد، ثم تنتقل الأشرطة من قم إلى المدن أخرى، ويقوم تجار السوق بدعم نسخ الأشرطة مالياً وتوزيعها.[1]

ثم تتابع الأحداث منذرة بأفول نجم الأسرة البهلوية، فقد أخطأ الشاه عندما أصدر أوامره بتوحيد الأحزاب في حزب واحد هو حزب (رستاخيز ايران[2])، حيث كان يضيق تماماً من أي رأي أو انتقاد يصدر من الأحزاب القائمة، ولكن هذا لم يكن يعني مشاركة الأحزاب السياسية المختلفة في النشاط السياسي للحزب الجديد بقدر ما كان يعني وقف نشاط الأحزاب المعادية للنظام ودمج الأحزاب الموالية له معاً في حزب واحد.[3]

ويعترف محمد رضا بفداحة الخطأ في إنشاء حزب البعث وصهر جميع الأحزاب في بوتقته وانتقاده لنظام الحزب الواحد، بقوله ما ترجمته: "كنت آمل أن يساعدنا حزب النهضة في سبيل تحقيق أغلب الأهداف التي أسندتها إليه القنوات الحكومية، لكن مع بالغ الأسف فقد ثبت فعلياً خطأ فكرة تشكيل هذا الحزب".[4]

ومن أخطاء محمد رضا أيضاً إلغائه التقويم الإسلامي الهجري وإبداله بالتقويم الملكي الجديد، وبالتالي قفز بين يوم وليلة من العام ١٣٩٥هـ إلى العام ٢٥٣٥ شاهنشاهي[5]، فعارضه الخميني ورجال الدين واعتبره الخميني بمثابة العودة إلى المجوسية.

وفي يوم ١٧ ديماه ١٣٥٦هـ.ش (الموافق السابع من يناير ١٩٧٧م)، نشرت صحيفة اطلاعات مقالاً بعنوان (إيران والاستعمار الأحمر والأسود) بقلم أحمد رشيدي مطلق، تضمن تركيز الإهانة

---

[1] – جان دی استمپل، درون انقلاب ایران، ترحمه: دكتر منوچهر شجاعی، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا، چاپ دوم، ١٣٧٨هـ.ش، ص٦٩.

[2] – حزب النهضة الإيراني.

[3] – محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": مسألة الثورة الإيرانية، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص٣٩.

[4] – محمد رضا بهلوى، پاسخ به تاريخ، مصدر سابق، ص٣٠٦.

[5] – محمد على همايون كاتوزيان: تضاد دولت وملت – نظريه تاريخ وسياست در ايران، ترجمه: علي رضا طيب، نشر نى، تهران، چاپ دوم، ١٣٨١هـ.ش، ص١١١.

إلى آية الله الخميني بوصفه بالسيد الهندي "الذي لم يوضح ارتباطه ببلاد الهند حتى للمقربين منه مع ذكره أنه عاش في الهند مدة من الزمن كانت له فيها علاقة مع الإنجليز، ولذلك أطلق عليه (السيد الهندي)"، واستطرد المقال في كيل التهم للخميني بأنه عميل للاستعمار الأحمر والأسود (كناية عن الشيوعيين وعلماء الدين) لمعارضته لثورة الملك، وقد نسبت الأوساط السياسية والإعلامية في إيران وخارجها إعداد هذا المقال إلى وزير الإعلام في حكومة آموزگار داريوش همايون الذي اعترف فيما بعد بإعداد هذا المقال الذي قال عنه بأنه أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط النظام البهلوي".[١]

وأدى نشر هذا المقال إلى اشتعال الثورة، حيث قام المواطنون في مدينة قم بإقامة المظاهرات في التاسع عشر من الشهر نفسه احتجاجاً على نشر المقال، وهاجمتهم قوات الشرطة وقتلت عدداً منهم، أعقبه إعلان العلماء في طهران الحداد العام لمدة أسبوع، ثم وقعت أحداث دامية في مدينة تبريز في مراسم الأربعين لقتلى قم في ٢٩ بهمن ١٣٥٦هـ.ش (الموافق ١٨ فبراير ١٩٧٨م)، ثم استمرت الأحداث في ذكرى مرور أسبوع وكذلك أربعين يوماً على قتلى تبريز، وشملت أحداث العنف كذلك مدناً أخرى من إيران.[٢]

استمرت المظاهرات وتزايد عدد المشاركين وأصبحت المناسبات الدينية والأعياد بمثابة حشد لقوى المعارضة؛ ففي اليوم الثاني من شهريور ١٣٥٧هـ.ش (الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٧٨م) والمصادف لمناسبة استشهاد الإمام علي – رضي الله عنه – عمت البلاد مظاهرات صاخبة ومسيرات حاشدة خاصة مدن طهران وتبريز ورشت ومشهد، ورافق هذه المظاهرات عنف ومصادمات وخاصة في مدينة قم في المظاهرات التي أقيمت في الخامس من الشهر نفسه وأصيب وقتل على إثرها بعض المتظاهرين، وكذلك في اليوم التاسع ظهرت مسيرات في عشر مدن رئيسية وقتل على إثرها عشرات القتلى وأصيب آخرون، وقد أذهلت هذه المظاهرات مراسلي الصحف الأجنبية من جهة التنظيم والتخطيط، وأقلقت الحكومة لما أبرزته من تناسق قوى المعارضة فما كان منها إلا أن أعلنت فرض الأحكام العرفية لمواجهة الأزمة بالعنف والقمع.[٣]

أعلنت الحكومة الإيرانية عن عزمها فرض الأحكام العرفية بدءاً من يوم الجمعة ١٧ شهريور في مدينة طهران وتوابعها، وحذرت الحكومة أفراد الشعب من مغبة عدم الاكتراث بتعليمات القيادة العسكرية، ولكن حوالي ٢٠ الف من المواطنين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن تطبيق الأحكام العرفية، فخرجوا للشوارع للقيام بالمسيرات والمظاهرات السياسية، واجتمعوا في ميدان (ژاله) للاستماع إلى

---

[١] – غلام رضا نجاتي، تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ايران، مصدر سابق، جـ٢، ص٦١-٦٣.

[٢] – موسى نجفى وموسى فقيه حقانى، تاريخ تحولات سياسى ايران، مصدر سابق، ص٥٢١-٥٢٢.

[٣] – غلام رضا نجاتي، تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ايران، جـ٢، مصدر سابق، ص٨٥-٨٦.

خطب الزعماء الدينيين، فبدأ توافد القوات الأمنية وعندما لم يتمكنوا من فض هذا الجمع وجهوا إليهم نيران الرشاشات، وقد أعلن المسئولون العسكريون حصيلة الإصابات بأنها كانت ٨٧ قتيلاً و٢٠٥ جريحاً، لكن المعارضة أعلنت بأن عدد الضحايا كان أكثر من ٤ آلاف شخص قتل منهم حوالي ٥٠٠ في ميدان ژاله فقط، ولذلك تم إطلاق مسمى (الجمعة السوداء) على هذا اليوم، ودون في تاريخ إيران على أنه يوم مفزع، وقد ضاعف من كراهية وحقد الشعب الإيراني واستيائه من النظام البهلوي.[١]

بعد هذه الأحداث غلب على الجو العام في إيران القيام بالإضرابات التي بدأت في ٢٨ شهريور عندما أضرب موظفو الفرع الرئيس للبنك الوطني عن العمل، وتبع ذلك إضراب موظفي صناعات النفط، كما أضرب موظفو الاتصالات وموظفو مصلحة المياه والسكك الحديدية، وبعد ذلك بفترة وجيزة ازدادت الإضرابات عن طريق المعلمين والعاملين في الموانئ والملاحة، كما قامت الصحف بإعلان الإضراب مطالبة بحرية الكتابة والنشر ورفع الرقابة، وعلى هذا المنوال ازدادت الإضرابات في المصانع الحكومية والخاصة لتكسب المعارضة جانباً من القوة مقابل الحكومة والمطالبة بعزل محمد رضا بهلوي وإقامة جمهورية إسلامية.[٢]

وفي ٢٦ ديماه ١٣٥٧هـ.ش (الموافق ١٦ يناير ١٩٧٩م)، شهد مطار مهر آباد الدولي في طهران آخر ملوك الأسرة البهلوية وآخر ملوك إيران، التي لم يحكمها سوى ملوك منذ فجر تاريخها، يغادر إيران.[٣]

**٦- البعد الاقتصادي والاجتماعي**

برزت على الساحة الإيرانية تحولات اجتماعية في السبعينيات اقترنت بالتحولات الاقتصادية الناتجة عن ارتفاع الدخل الإيراني، تمثلت هذه التحولات في ظهور طبقة جديدة عرفت بطبقة الأثرياء وخاصة في المدن الكبرى بسبب التوجه للإنتاج الرأسمالي المتمثل في الصناعة والتعمير وقطاع الخدمات، وهناك من يشبه هذه التحولات بالتحولات التي حدثت في زمن رضا شاه في الثلاثينيات الميلادية، إلا أنها تختلف في اعتمادها على التصنيع في هذه الفترة، ففي الستينيات

---

[١] - المصدر السابق، جـ٢، ص٩١-٩٢.

[٢] - المصدر السابق، جـ٢، ص٩٦-٩٧.

[٣] - إبراهيم الدسوقي شتا "دكتور": الثورة الإيرانية (الصراع - الملحمة - النصر)، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٣٢٦.

الميلادية انتهجت الحكومة الإيرانية هذه السياسة بهدف الاستغناء عن الاستيراد وإحلال التصنيع محل الواردات.[1]

كما انتشرت الطبقة المتوسطة انتشاراً ملفتاً في الفترة ما بين ١٩٦٣-١٩٧٨م (١٣٤٢-١٣٥٧هـ.ش) أي في فترة ما بعد الثورة البيضاء إلى قيام الجمهورية الإسلامية، وكانت هذه الطبقة منبثقة من الانفتاح الرأسمالي الذي اجتاح إيران، فبجانب وجود مشاريع الرأسمالية الجديدة التي أفرزت تأسيس شركات كبرى واندماج بين الإيرانيين والأجانب، ظهرت رأسمالية أصغر عن طريق الطبقة المتوسطة بممارستها مشاريع جديدة، وذلك عندما أخذت الشركات الكبرى تستحوذ على السوق المحلية والمشاريع والمناقصات، وحتى الأسواق التجارية ومحلات المواد الغذائية الكبرى، كما أدى ظهور صناعات التجميع وشركات التوريد والصناعات الكبرى التي غالباً ما كان أصحاب البلاط شركاء فيها، إلى انقسام التجار إلى قسمين الأول وهو الأغلبية وقد تعرض للإفلاس وعملوا في السمسرة والتوزيع، والقسم الثاني هم الذين كانوا أكثر فطنة وعملوا وكلاء للمصانع الكبيرة وتسببوا في ظهور سوق سوداء في جميع المعاملات الاقتصادية، كما أدت الطفرة الاقتصادية إلى وجود نشاطات جديدة مرتبطة بظهور الطبقة المتوسطة الجديدة مثل محلات المغاسل وبيع المواد الكهربائية والإلكترونية، والأسواق المركزية والمطاعم، فكل هذه كان وجودها في إيران نادراً لكنها انتشرت بسرعة مذهلة بعد عام١٩٧١م/١٣٥٠هـ.ش الذي تعرضت فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لتغيرات مفاجئة بسبب ارتفاع أسعار البترول وظهور هذه الطبقة.[2]

وكان في مقابل الطبقة المتوسطة الجديدة الطبقات الريفية والزراعية التي توجهت مباشرة إلى المدن بسبب اندثار الزراعة ونظام الري القديم عن طريق القنوات وخاصة طبقة أصحاب صغار الأراضي التي كانت تعتمد عليهم الزراعة في إيران، والآن لا يمكنهم توفير حاجاتهم بامتلاك بعض الهكتارات، ومن جهة أخرى كانت تستهويهم الحياة المرفهة في المدينة، وكان أبناؤهم يمضون فترة من خدمة تجنيدهم فيها ولم يكونوا على استعداد للرجوع إلى قراهم التي لم يكن يتوفر فيها أدنى متطلبات الحياة، فاستقروا في المدينة وكانوا يقومون بإحضار أسرهم إليها مع أن هذه الأسر لم يكن لديها من المعرفة ما يمكن به التكيف مع ثقافة المدينة، ولذلك ازدادت كثافة العاطلين والمشردين

---

[1] - جان فوران، تاريخ تحولات اجتماعى ايران: مقاومت شكننده - تاريخ تحولات اجتماعى ايران از صفويه تا سالهاى پس از انقلاب، ترجمه: احمد تدين، مؤسسه خدمات فرهنگى رسا، چاپ چهارم، ١٣٨٢هـ.ش، ص٤٨٢.

[2] - محمود نكوروح: در جستجوى هويتى تازه، انتشارات چاپخش، تهران، چاپ اول، ١٣٧٨هـ.ش، ص١٥١-١٥٥.

التي تسببت في تصاعد الأزمات والمشاكل في البلاد والتي حدثت في الفترة ما بين ١٩٦١-١٩٧٨م.[١]

في خضم هذه التحولات حظيت المرأة الإيرانية بنصيب وافر من الاهتمام على إثر الإجراءات الملكية التحديثية التي من بينها قانون الأسرة الصادر في ١٩٦٧م المتعلق بما يهم المرأة في مسائل الزواج والعمل، ولذلك فقد ارتفع عدد الفتيات اللاتي أكملن دراستهن العليا من ٥٠٠٠ فتاة عام ١٩٦٦م إلى ٧٤٠٠٠ فتاة عام ١٩٧٧م، وتم الاكتفاء الذاتي من معلمات روضة الأطفال والمدرسات لجميع المراحل، لكن مشاركتهن السياسية كانت محدودة وقد تم دمج جميع الجمعيات النسائية في منظمة نساء إيران برئاسة الأميرة أشرف، وفي عام ١٩٧٤م شاركت ثلاث نساء في الحكومة وأربع في مجلس الشيوخ وسبع عشرة في المجلس النيابي، وازداد عددهن في اليد العاملة فتحسن دخل الأسرة واستحدثت أعمال جديدة فازدادت مشاركتهن في المجالات الاقتصادية.[٢]

**ثانياً: التطورات السياسية والاجتماعية بعد نجاح الثورة الإيرانية (١٩٧٩-١٩٨٩م)**

نجحت الثورة في التحول إلى دولة أطلق عليها مسمى (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، على يد قائد الثورة ومرشدها آية الله الخميني في الحادي عشر من فبراير ١٩٧٩م (الموافق ٢٢ بهمن ١٣٥٨هـ.ش)، "فقد تمكن الخميني من إسقاط نظام الشاهنشاهي، وبدأ في إعادة صياغة البلاد، وإقامة نظام إسلامي مذهبي، ولم يكد ينتهي شتاء ١٩٧٩م حتى صارت البلاد كلها في قبضته، وكانت الحياة السياسية تنتظر ما تسفر عنه الأحداث".[٣]

وهناك من يصنف الثورة الإسلامية منذ قيامها وحتى الآن إلى ثلاث فترات: الفترة الأولى أي فترة اللاستقرار والقلاقل في السنوات الأولى للثورة تليها سنوات الحرب مع العراق (١٩٧٩-١٩٨٩م)؛ الفترة الثانية فترة ما بعد الحرب والتي سميت بفترة البناء والإعمار في إيران (١٩٨٩-١٩٩٧) أي إعادة بناء ما دمر في حرب الثماني سنوات. الفترة الثالثة وهي الفترة التي بدأت بالانتخابات في ٢٣ مايو ١٩٩٧م، برئاسة محمد خاتمي وقد وصفها البعض بفترة الجمهورية الثالثة

---

[١] - المصدر السابق، ص١٥٧-١٥٨، ص١٦٥.

[٢] - جان فوران، تاريخ تحولات اجتماعي ايران، مصدر سابق، ص٥٠٢.

[٣] - أحمد الشاذلي "دكتور": اليسار السياسي في إيران بين المد والجزر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص١٧٩.

أي استمرار للجمهورية الأولى في الفترة الأولى والجمهورية الثانية التي كان يرأسها رفسنجاني لدورتين لمدة ثماني سنوات.[1]

ولقد شهدت الفترة التي تلت نجاح الثورة (أي فترة اللاستقرار والقلاقل) كثيراً من التحولات على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، نذكر منها:

**١- تكوين مؤسسات الثورة**

أول ما يلاحظ في التحولات الأمنية في تلك الفترة هي التغيرات التي حدثت في الكيان السياسي للدولة والتي تمثلت في المؤسسات الثورية التي سيطرت على الساحة الإيرانية، ويمكن تصنيف هذه المؤسسات على النحو التالي:

أ- مجلس قيادة الثورة: تم التفكير في تشكيل مجلس قيادة للثورة عندما كان آية الله الخميني في فرنسا، وفي شهر آذر ١٣٥٧هـ.ش تم اختيار أعضائه بأمر من الخميني، وكان هذا المجلس يناقش مسيرة الثورة وبعض القضايا من خلال اتصال منتظم مع الخميني وبالتنسيق معه ثم يتم تنفيذ قرارات المجلس بعد تأييده لها، وكان من الإنجازات الهامة التي قام بها مجلس قيادة الثورة التفاوض مع القادة العسكريين والقوات المسلحة والزيارات الدبلوماسية وترشيح رئيس للحكومة المؤقتة.[2]

ب- مؤسسة الزعامة: وهي من أهم مؤسسات الثورة فقد صاغها الخميني وتولى من خلالها منصب المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، وأصبحت سلطته كفقيه وتوجيهاته قوانين نافذة أكثر مما منحه الدستور للجمهورية الإسلامية حيث تنص الفقرة ١١٠ منه على منح الفقيه سلطات واسعة لتعيين كبار المسئولين والموافقة على المرشحين لمنصب الرئاسة، وتولي القيادة العامة للقوات المسلحة، وتنظيم مجلس الدفاع الأعلى الذي يعتبر أعلى هيئة لصنع القرار في القوات المسلحة الإيرانية.[3]

ج- اللجان الثورية: ظهرت هذه اللجان إلى الوجود بعد انهيار الأجهزة الأمنية للنظام البهلوي، ولقد اعتمدت الثورة عليها بشكل كبير في أيامها الأولى للمحافظة على الأمن ولملء الفراغ الأمني الناتج من تغير النظام، بالرغم من أن هذه اللجان لم تشكل بنص دستوري أو يخطط لإنشائها أي أنها نشأت

---

[1] - يوسف عزيزي: إيران الحائرة بين الشمولية والديموقراطية، دار الكنوز العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص١٥٤.

[2] - غلام رضا نجاتي، تاريخ سياسي بيست وپنج ساله ايران، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٠٢.

[3] - كينيث كاتزمان: الحرس الثوري الإيراني، ترجمة وطبع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٦٠.

تلقائياً من نفسها واستجابة للضرورة الملحة لاستتباب الأمن والنظام بعد نجاح الثورة وقبل أن يتم إقرار الدستور الرسمي للحكم الجمهوري الإسلامي الجديد.[1]

د- الحرس الثوري: يعتبر الحرس الثوري أحد أهم المؤسسات الثورية التي أفرزتها الثورة الإسلامية ضماناً لبقائها واحتواءً للقوى الاجتماعية المختلفة التي ساهمت في إسقاط النظام البهلوي السابق جنباً إلى جنب مع علماء الدين والمنتمين إلى التيار الديني، ولقد كان للحرس الثوري حضور فعال وقوي بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية، وتحول من قوة مدافعة عن الثورة إلى قوة تساهم في الدفاع عن الوطن، حيث تعززت مكانته لقيامه بدور المقاومة ضد القوات العراقية وتحقيقه انتصارات مهمة جعلته يساهم في السيطرة والتحكم بالشئون الداخلية في إيران.[2]

**٢- اقتحام السفارة الأمريكية وقضية الرهائن**

كان أول هجوم تعرضت له السفارة الأمريكية في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨م على أيدي المتظاهرين ولم يتدخل حرس السفارة لمنعهم، لكن قوات المشاة الأمريكية التي كانت متمركزة داخل فناء السفارة تمكنت من إبعاد المتظاهرين بإطلاق الغاز المسيل للدموع.[3]

وهناك من يذكر أن محاولات الاعتداء على السفارة الأمريكية بدأت بعد عودة آية الله الخميني وازدياد أعمال العنف قبل إعلان قيام الجمهورية الإسلامية، وقبل انهيار الأجهزة الأمنية للنظام البهلوي، حيث كانت قوة من الشرطة العسكرية تتولى حماية السفارة الأمريكية، ومع تزايد العنف بدأ الثوار مناوشات مع كتيبة الشرطة العسكرية التي انتقلت من خارج أسوار السفارة إلى داخلها، وفي ١٢ فبراير صدرت الأوامر من السلطات الإيرانية بانسحاب تلك القوات ومغادرة مبنى السفارة، مما أوحى للسفير الأمريكي بأن مبنى السفارة بات مهدداً لأي هجوم طارئ، وفي يوم ١٤ فبراير تعرض مبنى السفارة لوابل من الرصاص قادم من أسطح البنايات المحيطة بالسفارة وفي ظل ذلك كان حوالي ٧٠ مسلحاً استطاعوا الوصول إلى داخل السفارة ومحاصرة مشاة البحرية الأمريكية التي

---

[1] - أحمد مهابة: إيران بين التاج والعمامة، كتاب الحرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص٣٨٧.

[2] - أحمد الكاتب: أوامره من الحكومة أم من الاستخبارات؟ الحرس الثوري الإيراني ورقة خامنئي الأخيرة، موقع الكاتب على شبكة الإنترنت على العنوان (www.alkatib.co.uk/.htm) ، ص١

[3] - غلام رضا نجاتي، تاريخ سياسي بيست وپنج ساله ايران، مصدر سابق، جـ٢، ص١٨٥-١٨٦.

كانت تحرس السفارة خارج المبنى بعد انسحاب الكتيبة الإيرانية، وكانت قد صدرت الأوامر لقوة المشاة بعدم استخدام السلاح والاستسلام للمهاجمين.[1]

ومما يذكر من أسباب الهجوم الأول على السفارة الأمريكية هو سوء ظن اليساريين بأمريكا وانتشار بعض الشائعات حول اختفاء بعض مؤيدي الملك والعاملين في جهاز الساواك في مبنى السفارة الأمريكية، ومن الأسباب أيضاً هو منع حدوث انقلاب مشابه للذي قام به الأمريكان والإنجليز ضد مصدق عام ١٩٥٣م، وبعد فترة من المفاوضات اقتنع الثوار بمغادرة الموقع وإطلاق سراح المعتقلين جميعاً.[2]

الاقتحام الثاني للسفارة الأمريكية حدث في الرابع من شهر نوفمبر ١٩٧٩م أي بعد ما يقارب سبعة أشهر من الحادث الأول، حيث قرر مجموعة من الطلاب والشبان الثوريين أطلقوا على أنفسهم اسم (السائرين على نهج الإمام) احتلال السفارة الأمريكية مصممين على قطع العلاقات مع أمريكا وإعلان الحرب عليها ورفع شعارات (الموت لأمريكا)، وكان السائرون على نهج الإمام يهدفون إلى رسم مسلك سياسي جديد يصاغ على أساس مفهوم إسلامي[3]، وكان من نتيجة الاقتحام أسر حوالي ٦٠ شخصاً من الدبلوماسيين الأمريكيين والمترددين على السفارة، وأيد الخميني ما فعله الطلاب والشبان الثوريين ووصف فعلهم بأنه (ثاني ثورة إسلامية).[4]

وفي الثالث عشر من نوفمبر أعلن مجلس الثورة أهم مطالبه مقابل إطلاق سراح الرهائن، والتي كانت تتمحور حول الاعتراف بأن الملك السابق مذنب ولابد من تسليمه لإيران، وإرجاع جميع الأموال التي استولى عليها من الشعب الإيراني، وعدم التدخل في الشئون الإيرانية من قبل أمريكا، لكن محتجزو الرهائن رفضوا شروط مجلس الثورة وأكدوا على أنه إن لم يتم تسليم الملك السابق فإنهم سوف يقدمون الرهائن للمحاكمة، ووافقهم الخميني على ذلك.[5]

وبعد العديد من المساعي بدأت الأزمة تنفرج بوفاة الملك محمد رضا في ٢٧ يوليو ١٩٨٠م الأمر الذي ساعد في عدم جدوى اقتراح تسليمه مقابل إطلاق الرهائن، لكنه لم يحدث تغييراً جذرياً في الوضع المتأزم إلى أن اتخذت الأوضاع الإيرانية الداخلية بعداً جديداً باجتياح القوات العراقية

---

[1] – وليم ساليفان: أمريكا وإيران، ترجمة: نجدة الشواف، دار الملتقى للنشر، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٢٤٤-٢٥٠.

[2] – جان دى استمپل، درون انقلاب ايران، مصدر سابق، ص٢٦١.

[3] – ژان پير ديگار وبرنارهور كاد ويان ريشار، ايران در قرن بيستم، مصدر سابق، ص٢٣٥.

[4] – مهندس مهدى بازرگان: انقلاب ايران در دو حركت، چاپ سوم، ١٣٦٣هـ.ش، جـ١، ص٩٥.

[5] – جان دى استمپل، درون انقلاب ايران، مصدر سابق، ص٣٢٢.

منطقة خوزستان، فغلب مبدأ الدفاع القومي على النضال الموجه لأمريكا، وقرر الخميني إنهاء موضوع الرهائن في ظل المباحثات التي عقدت في الثالث من نوفمبر ١٩٨٠م، ومارس ضغوطاً على الطلاب الذين كانوا يحتجزون الرهائن لتسليمهم إلى حكومة بلادهم.[١]

### ٣- الحرب العراقية الإيرانية

لم يكن اشتعال الحرب بين إيران والعراق في عام ١٩٨٠م أمراً مستبعداً أو غريباً في ظل المعطيات التي أفرزتها ظروف البلدين في ذلك الوقت وظروف المنطقة والمجتمع الدولي أيضاً، إنطلاقاً من تاريخ مشحون بالصراع والأزمات بين البلدين، وتعددت أسباب الخلاف بين العراق وإيران في الفترة السابقة على الحرب، فمنها ما يمتد بجذوره في تاريخ الصراع بين البلدين، ومنها ما استجد بعد قيام الثورة الإسلامية، غير أن أهم هذه الأسباب هي مشكلة الحدود بين البلدين، وهي مشكلة قديمة كانت سبباً في اشتباكات مسلحة عديدة بين إيران والعراق[٢]، وازداد التوتر بعد قيام الثورة الإسلامية وإلغاء العراق لاتفاقية الجزائر ١٩٧٥م وهو ما رفضته إيران، وهناك مشكلات أخرى كمشكلة الأقليات التي استخدمها كل طرف في زعزعة الاستقرار الداخلي للطرف الآخر ومشكلة الخلاف العقائدي بين العراق السني الذي يحكمه حزب البعث القومي العلماني وإيران الشيعية التي تحكمها جمهورية إسلامية، وتسعى إلى تصدير الثورة إلى الدول الأخرى.[٣]

لم يكن الوضع الإيراني بعد الثورة يسمح بخوض حرب شاملة مع دولة كالعراق، فلم تكن الأمور قد استقرت في ظل نظام الحكم الجديد، وهو ما يستند إليه كثير من الباحثين في القول بأن إيران لم تعمل على إشعال هذه الحرب. فقد اضطربت أوضاع إيران السياسية على المستويين الداخلي والخارجي، إذ لم تكن الأوضاع قد استقرت بسبب تضارب المصالح والغايات بين الجماعات والفصائل السياسية والعرقية المختلفة[٤]، أما الجيش فقد انهار بسبب سياسة التطهير التي اتبعتها الثورة للقضاء على أنصار الشاه السابق، كما حدث تضارب في السلطات بين الليبراليين ورجال الدين الذين سيطروا على الأمور في البلاد، وقامت المحاكم الثورية بإعدام الكثيرين من رجال العهد

---

[١] – ژان پير ديگار وبرنارهور كاد ويان ريشار، ايران در قرن بيستم، مصدر سابق، ص٢٣٩.

[٢] – عباس عبود عباس: أزمة شط العرب، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣م، ص٣١.

[٣] – محمد درودیان: سيرى در جنگ ايران وعراق، چاپ پنجم، تهران، مركز مطالعات وتحقيقات جنگ سپاه پاسداران انقلاب اسلامى، ١٣٧٨هـ.ش، ص١٠٢.

[٤] – اكبر خليلى: گام به گام با انقلاب، چاپ اول، جـ٢، حوزهء هنرى، تهران، ١٣٧٧هـ.ش، ص٢٩-٣٩.

السابق، وعلى الجانب الآخر كان العراق أكثر استقراراً، وكانت كل الشواهد تدل على أن النظام العراقي يستعد على جميع المستويات لحرب كبيرة، فقد وطد صدام حسين علاقته بالدول المجاورة وبالدول الغربية، وسعى لزعامة المنطقة في ظل غياب مصر وسقوط حكم الشاه، ودعم الجيش بالسلاح والخبراء الأجانب، وأعد الشعب لحرب طويلة، فوفر السلع والمتطلبات الضرورية، وشن حرباً إعلامية كبيرة لتبرير ما هو مقبل عليه[1].

تدهورت العلاقات الإيرانية العراقية بعد نجاح الثورة الإسلامية، وأصيبت بالفتور الذي سرعان ما تحول إلى توتر شديد فعداء فصراع مسلح بدأ باشتباكات عند الحدود، وأخذ كل طرف في اتهام الطرف الآخر بالتورط في سلسلة من العمليات العدائية الموجهة ضد مصالح الطرف الآخر.[2]

استمر التوتر على الحدود بين العراق وإيران خلال الأشهر السابقة على الهجوم العراقي الشامل، وتساقط عدد كبير من الضحايا بين البلدين في الاشتباكات التي كانت تزداد شدتها يوماً بعد يوم، فقد أعلنت المصادر الإيرانية بأن اشتباكات محدودة قد وقعت بين القوات الإيرانية والقوات العراقية، وأن القوات العراقية قامت بقصف القوات الإيرانية في يونيو ١٩٧٩م، وأن العراق أعلن أن هذا القصف كان نتيجة خطأ في التقديرات، ولهذا اجتمعت لجنة عسكرية من البلدين لبحث آثار هذا القصف في أكتوبر ١٩٧٩م، ورغم هذا لم تتوقف الاشتباكات حتى قامت إيران باستدعاء سفيرها من بغداد في أبريل ١٩٨٠م[3]. ووصلت هذه الاشتباكات إلى ذروتها في بداية شهر سبتمبر ١٩٨٠م، فقد أعلن الرئيس العراقي قبلها بأيام أن بلاده تعتبر اتفاقية الجزائر ١٩٧٥م صارت حبراً على ورق، وأن على إيران أن تعيد الجزر الثلاثة إلى السيادة العربية، وأن يحصل عرب إيران على الحكم الذاتي، وكان رد إيران هو اجتماع مجلس الشورى الإسلامي الذي قرر قطع العلاقات مع العراق وأعلن حالة الطوارئ.[4]

هذا ويُعد يوم ٤ سبتمبر ١٩٨٠م يوماً فاصلاً في عمليات الاشتباكات بين الطرفين، فقد اعتقد الإيرانيون أن العمليات العراقية على الحدود عمليات شاملة فاستخدمت المدفعية الثقيلة في قصف

---

[1] – محمد عبد الحليم أبو غزالة: الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨م، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٦٠-٦١.

[2] – حسن محمد طوالبة: مناقشة في النزاع العراقي الإيراني، الطبعة الأولى، بيروت، الوطن العربي، ١٩٨٤م، ص٧٧.

- The Iraq – Iran Conflict. Institute of Studies and Research "Editions du Monde Arabe" Paris, 1981. P. 106 - 107.

[4] – محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": العمامة والعباءة في السياسة والحكم، الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء لإعلام العربي، ١٩٩٥م، ص١٥١-١٥٢.

المدن العراقية، وبعدها بأيام قام العراق في ٧ سبتمبر بالرد على إيران، وقصف المدن الحدودية الإيرانية.[١]

استمرت هذه الاشتباكات إلى أن تحولت إلى حرب شاملة بين البلدين لمدة ثمان سنوات، انقسمت خلالها أحداث الحرب إلى ثلاث مراحل رئيسة، تفوق العراق في أولاها إلى أن انتقلت المبادأة إلى الإيرانيين الذين استردوا معظم ما فقدوه من الأرض، ودخل البلدان في حرب شهدت أشكالاً كثيرة من أشكال العمليات العسكرية، كحرب المدن التي قصفت فيها كل دولة مدن الأخرى، وحرب الناقلات حيث تعرضت فيها كل دولة لناقلات البترول، وأخيراً الحرب الكيماوية حيث اتهمت إيران العراق باستخدام الكيماويات لوقف تقدمها في الحرب، كما اتهم العراق إيران باستخدام نفس الأسلحة.[٢]

ظل الحال كذلك حتى جاءت الظروف المناسبة لانتهاء الحرب، فبعد ثماني سنوات من الحرب المتواصلة لم يستطع كل من العراق وإيران الوصول إلى نصر حاسم، وزادت الخسائر والصعوبات التي يعانيها الشعب في البلدين، وتصاعد التدخل الدولي في تلك الحرب حتى وصل إلى ذروته في عام ١٩٨٨م، وأصبحت إيران في مواجهة أمريكا والغرب، وفي النهاية قبل الإيرانيون قرار وقف إطلاق النار[٣]. لكن هذا القرار لم يكن هو نهاية الحرب بين العراق وإيران، واستمرت الاشتباكات على الحدود بين البلدين، فقد تقدمت القوات العراقية داخل الحدود الإيرانية، وشنت مجموعة من الضربات الجوية ضد المدن والأهداف الإيرانية[٤]، كما ردت إيران بغارات على عدة أهداف عراقية، وظلت الاشتباكات حتى تمكنت الأمم المتحدة من عقد أول اجتماع للمفاوضات في أغسطس ١٩٨٨م.[٥]

1- The Iraq – Iran Conflict. P 107- 108

٢ – عبد الفتاح الصبروتي: الحقائق الخافية في الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٣٤.

٣ – محسن ميلاني: سياسة إيران في الخليج من المثالية والمجابهة إلى البرجماتية والاعتدال، ضمن كتاب: إيران والبحث عن الاستقرار، إعداد: جمال سند السويدي، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٦م، ص١٢٦.

٤ – محمد درودیان، سیری در جنگ ایران وعراق، مصدر سابق، ص١٨٣.

٥ – محمد عبد الحليم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية، مصدر سابق، ص٢٥٢-٢٥٣.

**٤- التحولات الاجتماعية والاقتصادية**

كان الوضع المعيشي في هذه الفترة امتداداً لما كان عليه الحال أثناء قيام الثورة وخاصة فترة الإضرابات، التي وصفها وليم ساليفان بتعطل مناحي الحياة في المدينة وأرجائها، بقوله: "الإضرابات مستمرة في حقول النفط والإنتاج يكاد يكون متوقفاً كلياً، ومعامل إنتاج الطاقة تعمل بتعثر كبير وفي أدنى حدود الإنتاج والقطاع الصناعي العام والخاص انخفض إنتاجهما إلى الحد الأدنى، والنقص في البنزين ومشتقاته يزداد سوءاً يوماً بعد يوم"[١]، كما وصفه هاشمي رفسنجاني أيضاً بقوله ما ترجمته: "مع إضراب شركات النفط في فصل الشتاء اختل تأمين الوقود الداخلي مما وضع الناس تحت ضغط شديد، وكان أحد أسباب هذا الاختلال تلك المشكلات التي تعرضت لها معامل التكرير، كما تكدست المخازن بالمازوت بسبب عدم تصديره، وكانت الصفوف الطويلة للجماهير على محطات الوقود تصل أحياناً إلى كيلو متر".[٢]

واستمرت الأوضاع على هذا الحال وازدادت سوءاً بعد نجاح الثورة إلى أن تفشت البطالة ووصل عدد العاطلين إلى خمسة ملايين شخصاً مما أدى إلى حالة من الشلل والركود، وأدى تدهور العمل في الموانئ والمطارات إلى نقص المواد الغذائية الذي ساهمت فيه الحكومة بحصر استيرادها بحجة عدم الحاجة إليها، كما حدث نقص في اللحوم المستوردة بسبب تدقيق الحكومة في طريقة الذبح الإسلامي، وتفشى إلى جانب البطالة الغلاء والفقر والجوع والتشرد.[٣]

ومن أهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي واجهها المجتمع الإيراني تلك التحولات التي نشأت متزامنة مع قيام الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠م، "فقد انخفض المعدل الاقتصادي إلى أقل مستوياته، وتعطلت الصناعات، واجتاحت البلاد حالة من البطالة، وبدا ملاحظاً نقص المواد الغذائية وخاصة في السلع الرئيسية من قبيل السكر والأرز فتم تطبيق التموين بالبطاقات لتأزم الوضع المعيشي من جراء الحرب، وتسبب سوء الأحوال إلى أن يخرج فئات من الشعب الإيراني في مظاهرات في كل من طهران وقم ومشهد وتبريز تندد بمرشد الثورة وقائدها آية الله الخميني.[٤]

---

[١] – وليم ساليفان، أمريكا وإيران، مصدر سابق، ص٢٠٢، ٢٠٣.

[٢] – هاشمي رفسنجاني: عهد الكفاح (مذكرات هاشمي رفسنجاني)، ترجمة: الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن، زهدي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٢٠٩-٢١٠.

[٣] – أحمد مهابة، إيران بين التاج والعمامة، مصدر سابق، ص٤٥٩، ص٤٦٢.

[٤] – جان دى استمبل، درون انقلاب ايران، مصدر سابق، ص٣٦١.

وعلى مدى الثماني سنوات للحرب فقد أثرت الحرب وما أفرزته من جرحى وقتلى في المدن والقرى على معنويات الشعب الإيراني، وفي هذه الأثناء كانت البلاد تعاني من تكتل عشرات الآلاف من المعاقين في المجتمع وتكفلت برعايتهم طوال عدة سنوات مما استنفذ كامل طاقاتها.[١]

وهناك من يصف التحولات الاجتماعية بعد الثورة عموماً بأن مدينة طهران لم تكن تلك المدينة التي كانت تعرف في الخمسينيات والستينيات بعد ما تغيرت مظاهرها وعاداتها، وتغيرت مظاهر الناس وبالخصوص المظهر العام للمرأة الإيرانية فأصبحت تلف حولها ما يسمى بالچادر (أي العباءة: وهو شبيه بالعباءة النسائية في بعض البلدان العربية) وتلتزم بالحجاب الإسلامي الذي فرض عليها بعد قيام الثورة، أما مظهر المدينة التجاري فقد تبدل أيضاً بإغلاق المحلات الفاخرة كما أن أسماء شوارعها الشهيرة قد غيرت ووضع مكانها أسماء أئمة المذهب أو قادة الثورة، وأقفلت المطاعم أو تغير نظامها عما كانت عليه قبل الثورة فباتت ملتزمة بأنظمة الثورة وامتنعت عما كانت تقوم به من مخالفات بتقديم الخمور، وأصبحت المدينة مستجيبة لما تمليه متطلبات التغيير الذي فرضته قواعد مجتمع ملتزم بأيديولوجية إسلامية.[٢]

## ثالثاً: مجتمع الجمهورية الإسلامية في مرحلة البناء (١٩٨٩-١٩٩٧م)

بدأت هذه المرحلة بعد توقف الحرب بين الجارتين العراق وإيران ووفاة آية الله الخميني، وكان من أهم مميزات هذه المرحلة "الانتقال من مرحلة التركيز على الثورة إلى الالتفات لشئون الدولة والذي تمثل في دمج بعض المؤسسات الثورية في مؤسسات الدولة كما حدث مع اللجان الثورية ووزارة الحرس الوطني، كما ميز هذه المرحلة أيضاً تزامنها مع غزو الكويت وتحريرها مما هيأ لإيران فرصة ذهبية لتحسين علاقاتها مع المجتمع الإقليمي والدولي".[٣]

ولقد شهدت إيران تحولاً رئيساً مع انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بإعادة النظر في السياسات الاقتصادية والاتجاه للإعمار والتنمية الاقتصادية من خلال الخطة الخمسية الأولى في الفترة ما بين ١٩٨٩-١٩٩٤م فقد أجرت الحكومة الإيرانية مشروع خصخصة التجارة وتحريرها في الداخل والخارج وإعادة تعمير المناطق المتضررة من الحرب وتطوير الإنتاج الاستثماري المحلي في قطاعات التعدين والبناء والصناعات الخفيفة والبترول والماء والكهرباء مع تشجيع رؤوس الأموال

---

[١] - ژان پير ديگار وبرنارهور كاد ويان ريشار، ايران در قرن بيستم، مصدر سابق، ص٢٥٩.

[٢] - زهير مارديني، الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة، دار إقرأ، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٨٦م، ص١٦٥.

[٣] - نيفين عبد المنعم مسعد "دكتورة": صنع القرار في إيران والعلاقات العربية الإيرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٢٠٠-٢٠١.

الأجنبية للاستثمار المشترك داخل إيران والتبادل التجاري، كما قامت الحكومة الإيرانية بإجراء إصلاحات على الوضع المالي للدولة وزيادة الإنتاج والعمالة عن طريق تغيير في هيكلة بورصة الأوراق المالية، وخصخصة مؤسسات صناعية حكومية، وتسهيل إجراءات الاستثمار الأجنبي ودخول رؤوس أموال الإيرانيين المقيمين بالخارج وتأسيس مناطق تجارية وصناعية حرة.[١]

وبتغيير السياسة الاقتصادية بمحاولة الانفتاح على الخارج طرأ على الاقتصاد الإيراني تحسن خفيف كان من أسباب عودة عدد كبير من المؤسسات الأجنبية، وسيطرت على إيران مشاعر من السعادة المزيفة في الفترة ما بين ١٩٨٩-١٩٩٣م نتيجة الانفتاح شبه الكامل للاستيراد، فبعد القرارات التي كان يفرضها الاقتصاد الحربي تغيرت السوق الحرة إلى سوق متعلقة بالأشخاص، فكان بالإمكان شراء جميع السلع بالسعر الدولي أي بسعر السوق السوداء سابقاً، وقامت إيران عام ١٩٩١م باستيراد سلع بقيمة ٢٥ مليار دولار في مقابل صادرات بقيمة ١٨ مليار دولار مما أدى إلى مضاعفة سعر صرف الدولار خلال عامين، إلا أنه حدث تضخم لا يمكن التغلب عليه في عام ١٩٩٣م الذي لم تتمكن الحكومة فيه من سداد ديونها، وفي مقابل ذلك أقدمت الحكومة في ٢٨ مارس ١٩٩٣م على تعويم العملة بدل التحكم الدقيق فيها، لكن هذه السياسة لم تستمر طويلاً بسبب هروب رؤوس الأموال بشكل كبير فاضطرت الحكومة إلى أن تفرض رقابة صارمة على التعاملات النقدية وعقوبات على المخالفات الاقتصادية، وعلى مدى ثلاث سنوات تسبب التهريب وسياسة الانفتاح الاقتصادي في أن يصل مستوى ديون إيران إلى ٥٠ مليار دولار، وكانت هذه الديون في مقابل عائدات البترول السنوية التي كانت تصل من ١٥ إلى ١٨ مليار دولار، وكان مستقبل البلاد يبدو مريباً جداً بعد الثلاث سنوات من الانفتاح الاقتصادي الجامح، بينما كانت إيران دائماً تسدد ديونها في الوقت المحدد وكانت تتجنب الاقتراض على مدى سنوات الحرب الثمان، ولم يتم الانتهاء من المصانع التي كانت تحت التشييد بسبب عدم وجود اعتمادات مالية لها، في حين أن الحكومة كانت تواصل استيراد المنتجات التي كان من المقرر أن تنتجها تلك المصانع من أجل التخفيف من الارتباط بالخارج.[٢]

وهناك من يرى الوضع الداخلي بأنه كان يعاني من الاقتصاد المنهار نتيجة لتزايد الاستيراد العشوائي للمنتجات الاستهلاكية والمعدات العسكرية وعدم كفاية الاستثمارات الوطنية والأجنبية لانعدام ثقة المستثمرين، إضافة إلى عجز البنى التحتية ونقص الخدمات العامة وتخلف الزراعة

---

[١]– محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": إيران وآفاق المستقبل، مطبوعات كلية الآداب بجامعة عين شمس، ١٩٩٦م، ص١٢٢-١٢٥.

[٢]– ژان پير ديگار وبرنارهور كاد ويان ريشار، ايران در قرن بيستم، مصدر سابق، ص٢٧٦-٢٧٨.

باستثناء المحاصيل مثل الفستق الأخضر والأرز، بالإضافة إلى انتشار الفوضى العامة بسبب نقص الكوادر ذات الخبرة التي هربت إلى الخارج، فكان من نتائج هذا التدهور وتبعاته أن طرأ تضخم وغلاء مع انهيار مستمر للعملة الوطنية، وهيمنة التسعيرة بالدولار على كافة أشكال الاقتصاد مما أفرز تفاقم الفقر حيث ازداد بين الناس واتسعت الهوة بين كافة شرائح المجتمع، وعلى إثر الأزمة الاقتصادية نشبت أزمة اجتماعية إلى جانب ازدياد مطرد للسكان وخاصة في المدن الكبرى مثل مدينة طهران بسبب انعدام التخطيط العائلي وارتفاع نسبة المواليد وتدهور الوضع المعيشي والتعليمي والتربوي والصحي، وكذلك تفاقم الرشوة والفساد وتفشيهما في جميع القطاعات وفي جميع المجالات، مما أحدث ضيقاً واستياءً تحول إلى تظاهرات واضطرابات عنيفة ضد الحومة في مدن كبرى مثل طهران ومشهد وقزوين عام ١٩٩٥م. وبذلك أصبح الثمن الاجتماعي للسياسة الاقتصادية باهظاً، فالركود الاقتصادي أدى إلى ظهور بطالة متفشية مع نقص في الدخل في ظل إلغاء تدريجي لبطاقات المعونة الحكومية التموينية التي تقدمها الدولة لشراء المواد الغذائية ذات الضرورات الأساسية بأسعار مدعومة.[١]

ولقد أبرزت العديد من الصحف المشاكل الاجتماعية والمعاناة الشعبية للإيرانيين، مثال على ذلك ما طالبت به صحيفة "اطلاعات" في تقرير لها برفع المستوى المعيشي لسكان الريف باعتباره من مستلزمات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات وخاصة المجتمع الإيراني، وقد أشارت الصحيفة إلى مشكلة هجرة القرويين في الآونة الأخيرة والتي حدثت إلى حد كبير بسبب عدم توفر الإمكانات الضرورية للحياة في الكثير من المناطق الريفية مثل المراكز التعليمية والصحية، حيث يتمتع حوالي ٤٢% فقط من القرويين في إيران بشبكة المياه والكهرباء في مساكنهم، والإشارة إلى مشاكل أخرى في المناطق الريفية مثل نقص دخل القرويين وتدني مستواهم المعيشي وانخفاض معدل مزاولة العمل في تلك المناطق.[٢]

من ناحية أخرى فقد ساهمت حكومة الجمهورية الثانية في استمرار الثورة الثقافية من خلال الخطة الخمسية التي كانت تسير جنباً إلى جنب مع التغيرات التي حدثت في مجال التربية والتعليم والإرشاد، وذلك بزيادة عدد الصحف والمطبوعات التي كانت تعتبر من العوامل المؤثرة في النمو الثقافي للمجتمع الإيراني حيث ارتفع توزيع هذه الصحف والمطبوعات بنسبة ٦٠% مما كان عليه قبل تنفيذ الخطة الخمسية، وفي مجال التعليم فقد تم ربط الجامعات بالحوزات العلمية الدينية، وكل

---

[١]- مهدى شحاده "دكتور"، وجواد بشارة "دكتور": ايران: تحديات العقيدة والثورة، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٤١ – ٤٣.

[٢]- صحيفة اطلاعات، العدد (٢٠٣٢٠)، في ١٧ أكتوبر ١٩٩٤م.

هذه الجهود أدت إلى تطور المجتمع الإيراني شكلاً وموضوعاً بمعدل أسرع من المعدلات المتعارف عليها في الدول النامية.[1]

أما بالنسبة لتطور حركة التنوير الديني - التي نشأت بعد الثورة الإيرانية - في هذه المرحلة فإنها خرجت من الأسلوب الانفعالي ونجحت في طرح مفاهيم ونظريات جديدة مقابل النظريات الإسلامية الثورية والفقهية، وأصبحت تدافع عن نشر الفهم الديني من جهة وتهيئ من جهة أخرى مكانة ودوراً جاداً لمعطيات العقل البشري (العلم والفلسفة) في الفهم الديني.[2]

وفيما يخص المرأة الإيرانية فقد تطور وضعها في هذه المرحلة تطوراً أفضل مما كان عليه في المرحلة التي تلت قيام الثورة ونجاحها، وحصلت فيها على العديد من حقوقها الاجتماعية وفي مقدمتها حق العمل والتملك والاكتساب، وحق تأسيس التنظيمات الأهلية المجتمعية حيث بلغ عددها أكثر من ٤٦ منظمة تتنوع أنشطتها ما بين سياسية وثقافية واجتماعية، كما وافق مجلس الشورى الإيراني عام ١٩٩٤م على قانون يسمح للمرأة أن تتقلد مناصب استشارية قضائية، كما أنشأ رفسنجانى المجلس الثقافي الاجتماعي النسائي أول التسعينات، وهو مجلس يهدف إلى رسم السياسات الخاصة بالقضايا الثقافية والاجتماعية المتعلقة بالمرأة الإيرانية.[3]

---

[1] - محمد السعيد عبد المومن، إيران وآفاق المستقبل، مصدر سابق، ص١٥٧-١٥٨.

[2] - حميد رضا جلائي پور: پس از دوم خرداد- نگاهى جامعه شناختى به جنبش مدنى ايران ١٣٧٦-١٣٧٨، انتشارات كوير، تهران، چاپ دوم، ١٣٧٨هـ.ش، ص٣١.

[3] - بدر حسن شافعي: الدور السياسي والاجتماعي للمرأة في إيران، ملف السياسة الدولية (إيران: تحولات السياسة والثقافة والمجتمع)، السياسة الدولية، العدد ١٣٠، أكتوبر ١٩٩٧م، ص٧٣.

# الفصل الثاني

# سيرة نسرين ثامني

## الفصل الثاني

## "سيرة نسرين ثامني"

### ١- مولدها ونشأتها

ولدت "نسرين علي أكبر ثامني"[١] في ٢٠ من شهر خرداد عام ١٣٣٦ هـ.ش = ١٩٥٧م، في مدينة رشت إحدى مدن محافظة جيلان شمال إيران. تلقت تعليمها الإبتدائي والمتوسط في رشت، ثم انتقلت عام ١٩٧٤م = ١٣٥٣هـ.ش مع أسرتها إلى طهران، بعد أن تم نقل والدها للعمل في إحدى شركات البترول هناك، وبعد حصولها على شهادة الثانوية العامة، لم تستكمل دراستها بناء على رغبة والدها الذي اتسم بقسوة الطبع. وتزوجت في فترة شبابها من محامي وأنجبت منه ثلاثة أبناء، وبعد زواجها حرصت على تعلم بعض اللغات فأتقنت اللغة الفرنسية إتقاناً تاماً وسعت إلى الإلمام باللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى لغتها الأم الفارسية.

### ٢- نشاطها الأدبي والثقافي

شغفت نسرين ثامني منذ الطفولة بالأدب والشعر، وكانت تقضي معظم أوقاتها في القراءة، وبدأت في كتابة القصة وهي في سن الخامسة عشرة، وكان ينشر لها بعض القصص القصيرة في المجلات المدرسية خلال فترة دراستها، وعندما بلغت الثامنة عشرة وعدها أحد أقاربها - الذي كان يعمل في إحدى دور النشر - بمساعدتها على نشر أعمالها، لكنه لم يف بوعده مما أثر في نفسيتها، فأغرقت همومها وأحلامها في الكتابة وهي يائسة ومحبطة وأخذت تكتب فقط لإشباع رغبتها، ورغم عدم تأييد عائلتها لها على الكتابة؛ إلا أن ذلك لم يقلل من شغفها بالأدب وكتابة الروايات.

وواصلت اطلاعاتها الأدبية وقرأت لكل من صادق هدايت[٢]،

---

[١] - موقع نسرين ثامني الإلكتروني: http://nasrinsamcni.pcrsianblog.co

[٢]- صادق هدايت: رائد الفن القصصي المعاصر في إيران وصاحب مدرسة لا تزال تؤتي ثمارها، له روايتان وعدة مجموعات قصصية منها: سه قطره خون، زنده بگور، سايه روشن، وكتب في الأدب الشعبي أشهرها: نير نگستان. وكذلك بعض الترجمات عن البهلوية. توفي في باريس سنة ١٣٣٠هـ.ش./١٩٥١م.

للمزيد انظر: محمد استعلامي، بررسى ادبيات امروز، چاپ سوم، تهران ١٩٧٢م، ص١١٧ وبه بعد.

وجمال زاده[1]، وبزرگ علوي[2]؛ كما قرأت كثيراً من الأعمال الأدبية المترجمة وخاصة للكاتب الفرنسي البير كامى.[3]

وواصلت الكتابة وقامت بعرض إنتاجها على إحدى دور النشر التي رحبت بالفعل بنشر أول عمل لها وهي في التاسعة عشرة من عمرها، تحت عنوان "بازى سرنوشت = لعبة القدر"، وذلك عام ١٩٧٦م = ١٣٥٥هـ.ش وكان له أصداء طيبة، وبعد الاستقبال الحار لأولى تجاربها الأدبية، تم نشر العمل الثاني لها في العام التالي تحت عنوان "گلى در شوره زار = وردة في أرض بور"، ونال استقبالاً منقطع النظير خاصة من قبل الشباب.

ثم توالت أعمالها في الصدور، ورافقها النجاح والتوفيق، وتتميز كتاباتها بمعالجة أهم المشاكل الاجتماعية في المجتمع الإيراني خاصة فيما يتعلق بالشباب، وكذلك اهتمامها بالحديث عن الأصالة والقيم التقليدية في المجتمع.

عملت في الفترة من ١٩٩٣-١٩٩٥م (١٣٧٢-١٣٧٤هـ.ش) معدة برامج في برنامج "آينده سازان = صناع المستقبل" في إذاعة طهران، وفي عام ١٩٩٦م = ١٣٧٥هـ.ش عملت لمدة عام في تحرير صفحة الأدب والفن في جريدة "كيهان"، وأيضاً تولت الإشراف على صفحة الأدب في مجلة "جوان" عام ١٩٩٩م = ١٣٧٨هـ.ش.

---

[1] - سيد محمد علي جمال زاده: ولد في أصفهان عام ١٣٠٩هـ.ق./١٨٩١م. تلقى دراسته الأولى في إحدى المدارس الكاثوليكية في بيروت ثم درس الحقوق في فرنسا، التحق بالعمل في السفارة الإيرانية "ببرلين" ثم التحق بالعمل في منظمة العمل الدولية عام ١٩٥٦م. هذا إلى جانب عمله في كتابة بعض القصص التي تأثر في الكثير منها بـ "تشيكوف" و"موباسان" وكانت الواقعية والمطالبة بالإصلاح سمة واضحة في أسلوبه القصصي. ومن أشهر أعماله المجموعة القصصية "يكى بود يكى نبود" التي لاقت رواجاً وانتشاراً.

للمزيد انظر: سعيد نفيسى، شاهكارهاى نثر فارسى معاصر، چاپ دوم، تهران ١٣٣٦هـ.ش، ص ٨٢٧.

[2] - بزرگ علوى: قصاص إيراني معاصر، من مؤسسي حزب توده، هاجر من إيران ويقيم في ألمانيا الشرقية. من أعماله: چمدان، نامه ها، پنجاه وپنج نفر، وهي عن ذكرياته في السجن في عهد رضا شاه، ورواية چشمايش.

انظر: إبراهيم الدسوقي شتا، فرهنگ بزرگ، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩١٥.

[3] - البير كامى: كاتب فرنسي ولد عام ١٩١٣م لأم أسبانية وأب فرنسي في كوخ ريفي بمندر بالجزائر، كان والده فلاحاً فقيراً، وبعد وفاته درس في علوم مختلفة، إلا أنه بعد فترة وعلى إثر الابتلاء بمرض السل توقف عن الدراسة في قسم الفلسفة، وفي عام ١٩٣٧م عمل بالكتابة في المجلات والصحف الثانوية، ثم حاز شهرة فائقة وحصل على جائزة نوبل. وتوفي كامى عام ١٩٦٠م إثر حادث سيارة.

انظر: فرهنگ معين، الجزء السادس، ص ١٥٣٩.

### ٣- آراؤها وأفكارها

من آرائها ما نشر في حوار معها في جريدة إيران امروز:-

"إن الحدود السياسية لم تستطع أن تمنع - برغم سياجها الشائكة - انتقال الفكر والفن والأدب لأنهم من جنس النور، ولا يمكن لأية حدود أن تغلق الطريق في وجه النور."[1]

وتقول في مقال نشر لها في مجلة "جوان":-

"ليس المهم في الفن ما يقال، وإنما المهم هو كيف يقال في إطار تقليد قالب فني معين، وفي سياق مجموعة من العلاقات الفنية التي يخلقها الكاتب، ومعنى هذا أن أية مشكلة اجتماعية أو أخلاقية - مهما كانت مهمة- تفقد قيمتها داخل العمل الفني إذا لم تعالج علاجاً فنياً جيداً."[2]

### ٤- آراء بعض النقاد والمثقفين عنها

من الأقوال التي نشرت عنها ما قاله الكاتب والناقد "رحمان ترابى" في صحيفة ايران:

"تستحق نسرين ثامني أن تتبوأ مكانة خاصة بين جيل الشباب من الكتاب الإيرانيين، وذلك لاتساع أفقها ولأسلوبها المتميز، وبتيار الإقناع العميق الذي يسري في كل أعمالها".[3]

وأيضاً يقول عنها الدكتور "مجتبى كياني" دكتور الأدب الفارسي بجامعة تربيت مدرس في حوار معه نشر في نشرية "ايران مهر":

"عند قراءة أعمال نسرين ثامني نجد أن كتاباتها تنتهي إلى غاية واحدة، هي الأخذ بيد المجتمع نحو القيم الرفيعة والسلوكيات النبيلة التي تخلق مجتمعاً، لا أقول مجتمعاً فاضلاً، بل مجتمعاً في طريقه إلى الفضيلة".[4]

وتقول عنها الكاتبة المعاصرة "نسرين قديري":

"إن نسرين ثامني من أهم الروائيات في العصر الحديث، فنثرها يقترب من لغة الحوار، بالشكل الذي يجعلك عندما تقرأ قصصها تتخيل أن شخصاً ما قد جلس أمامك يحدثك".[5]

---

[1] - جريدة إيران اليوم، السنة الخامسة، العدد ١٣٨٠، صفحة هفت وهنر، ٢٣ آبان ماه ١٣٧٨هـ.ش، ص١٦.

[2] - مجلة جوان، السنة السادسة، العدد (١٩٣٠)، ١٥ دى ماه ١٣٧٨هـ.ش، ص٨.

[3] - صحيفة "ايران"، صفحة هنر (ادبيات)، العدد ٢٣٦٧، ٢ بهمن ١٣٨١هـ.ش، ص١٢.

[4] - نشرية "ايران مهر"، العدد الثالث، آذر ١٣٨٠هـ.ش. ص٦.

[5] - نسرين قديرى فى حوار معها نشر على الموقع الإلكتروني:
( http://www.iranmehr.com/directory/moreinfo/html)

٥- أعمالها الأدبية

بلغ إنتاج نسرين ثامني الأدبي إحدى وستين رواية تنوعت ما بين الفصحى والعامية، ومنها:

- بازى سرنوشت "لعبة القدر" ١٩٧٦م = ١٣٥٥هـ.ش
- گلى در شوره زار "وردة في أرض بور" ١٩٧٧م = ١٣٥٦هـ.ش
- عروس سياه پوش "عروس في حداد" ١٩٧٨م = ١٣٥٧هـ.ش
- شيفتگان محبت "عشاق المحبة"١٩٨٠م = ١٣٥٩هـ.ش
- تلخ وشيرين "عذب وحلو" & دل سپرده "وديعة القلب" ١٩٨١م = ١٣٦٠هـ.ش
- دنياى پر اميد "دنيا مليئة بالأمل" ١٩٨٤م = ١٣٦٣هـ.ش
- شب تنهايى "وحدة الليل"& تنديس عشق "تمثال العشق" ١٩٨٥م = ١٣٦٤هـ.ش
- افسانه زندگى "خرافة الحياة" & لحظه هاى انتظار"لحظات الانتظار" ١٩٨٦م = ١٣٦٥هـ.ش
- شب هاى خاكسترى "ليال رمادية" & سال هاى پنهان "سنوات سرية" ١٩٨٧م = ١٣٦٦هـ.ش
- راز ايرج "سر الشمس" & عنكبوت سياه "العنكبوت الأسود" ١٩٨٨م = ١٣٦٧هـ.ش
- پرستوى بى آشيان "عصفور الجنة بلا مأوى" & دختر گم شده "فتاة مفقودة" & چشم انتظار "عين الانتظار" ١٩٨٩م = ١٣٦٨هـ.ش
- آخرين ديدار "آخر لقاء" ١٩٩٠م = ١٣٦٩هـ.ش
- اسير غم "أسير الحزن" & صبح پشيمانى "صباح التوبة" & آهنگ جدايى "لحن الفراق" ١٩٩٢م = ١٣٧١هـ.ش
- حجله در خون "مخدع العروس الدامي" ١٩٩٣م = ١٣٧٢هـ.ش
- خلوت دل "خلوة قلب" & قلب گنه كار "قلب عاصي" ١٩٩٤م = ١٣٧٣هـ.ش
- پيمان شكن "رسالة مطوية" & پيوند قلبها "وصال القلوب" ١٩٩٥م = ١٣٧٤هـ.ش
- با من بمان "ابق معي" & هميشه در قلب منى "دائما في قلبي"١٩٩٧م = ١٣٧٦هـ.ش
- از ياد رفته "المنسي" ١٩٩٨م = ١٣٧٧هـ.ش
- بازيچه "اللعبة" & در آتش عشق "في نار العشق" ١٩٩٩م = ١٣٧٨هـ.ش
- ارمغان عشق "طائر العشق" & بى تو هرگز "بدونك للأبد" ٢٠٠٠م = ١٣٧٩هـ.ش
- در آغوش باران "في أحضان المطر" & يك سبد گل ياس "سلة الياسمين" ٢٠٠١م = ١٣٨٠هـ.ش

- اشك ها وآرزوها "دموع وآمال" & انتظار كهنه "انتظار قديم" & نيلوفر مرداب "لبلاب المستقع" ٢٠٠٢م = ١٣٨١هـ.ش

- داغ شقايق "وسم الشقئق" & زخم انتظار "جرح الانتظار" ٢٠٠٣م = ١٣٨٢هـ.ش

- غروب آرزو "غروب أمل" & روزها وسوزها "أيام وآلام" ٢٠٠٤م = ١٣٨٣ هـ.ش

بالإضافة إلى ثلاث مجموعات قصصية قصيرة، هي:

- ديدار اخير "اللقاء الأخير" ١٣٨٠م = ١٣٥٩هـ.ش

- دريا آرام نيست "البحر الهائج" ١٩٩٥م = ١٣٧٤هـ.ش

- دورى از عزيزان "البعد عن الأعزاء" ٢٠٠٤م = ١٣٨٣هـ.ش

# الباب الثاني

# الدراسة التحليلية النقدية

# الفصل الأول

# دراسة في الشكل

## الفصل الأول

## "دراسة في الشكل"

الرواية هي تجربة أدبية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات، تتفاعل مجتمعة لتؤلف إطار عالم متخيل، غير أن هذا العالم المتخيل الذي شكله الكاتب ينبغي أن يكون قريباً مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه؛ أي أن حياة الشخصيات في الرواية يجب أن تكون ممكنة الحدوث في واقع الكاتب.[1]

ويمكن القول إن كل عمل أدبي له طبيعته الخاصة ووحدته المميزة التي تكتشفها من داخل العمل ذاته، فكل رواية نطمح لفهمها يجب أن نرصد دلالاتها بهدي من بناء النص نفسه .. الذي ينظم جميع عناصر عملية الإبداع، وعلى هذا نجد أن هناك مجموعة من العناصر التي تشكل أهم معالم التحليل الفني للرواية وهي:

**١)_ الشخصية.**

**٢)_ الحبكة الفنية.**

**٣)_ الزمان والمكان.**

**٤)_ اللغة.**

وسيتم تناول هذه العناصر بالتحليل والتقييم الفني، من أجل إدراك مدى توافق هذا العمل مع أسس الرواية وعناصرها.

### الشخصية

الشخصية هي المحور الذي تدور حوله القصة كلها، كما أن كل العناصر الأخرى تستمد وجودها من عنصر الشخصية[2]، وأديب القصة بقدر ما يصور أشخاص قصصه تصويراً يكشف عن أبعادها كلها، يكون توفيقه في عمله الفني.[1]

---

[1] – طه وادي "دكتور": دراسات في نقد الرواية، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص١٧.

[2] – رضا براهنى: قصه نويسى، چـاپ سوم، تهران، نشر نو، ١٣٦٢هـ.ش، ص٢٤٢.

من هنا يتضح أن الشخصية تعد بمثابة العمود الفقري للقصة، أو هي المشجب الذي يعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، وتنقسم شخصيات رواية "بازيچه" إلى شخصيات رئيسة مثل فرهاد وشهريار، وأخرى ثانوية تلعب دورها في إبراز دور الشخصيات الرئيسة كسائر الشخصيات الأخرى، ويمكن تحليل بناء الشخصية من خلال العناصر التالية:

**١ – الاسم:**

نستطيع أن نعلم أهمية الاسم بالنسبة للشخصية إذا علمنا أن الاسم هو الذي ينقل الشخصية من النكرة إلى المعرفة، ولهذا "فإن الروائي يتحمل المسئولية إذا لم يقتنع القارئ بواقعية شخصياته واعتبرها من عالم الأدب وليست من عالم الواقع"[٢]، وأولى خطوات خلق الشخصية هي إطلاق الاسم عليها، ويلاحظ في عملية التسمية ما يلي:

١– قامت المؤلفة في الرواية بإطلاق أسماء على الشخصيات سواء أكانت أساسية أو ثانوية فنجد: فرهاد، شهريار، إسماعيل، حميدة، كامران...وغيرهم.

٢– لم تتعد المؤلفة حدود الاسم الأول للشخصيات سواء رئيسية أم ثانوية.

٣– نجد بعض الأسماء المنتمية إلى التاريخ والثقافة الإيرانية القديمة مثل فرهاد وشهريار، وبعض الأسماء المنتمية إلى الثقافة الإسلامية والمذهبية ومنها: إسماعيل، زهرا، زهرة، رسول، وسبحاني.

**٢ – تصوير الشخصية:**

لم تلتزم المؤلفة برسم صورة كاملة للملامح الجسمانية للشخصية، فأول الملامح وهو تحديد العمر الزمني للشخصية نجده لا يتحقق مع شخصيات الرواية واكتفت الروائية بتحديد تقريبي من خلال كلمة شاب، فتاة، رجل، شيخ، وعجوز.

كذلك لم تعن الراوية بتحديد الملامح الشكلية لشخصياتها سواء عن طريق السرد، أو على لسان شخصية أخرى في الرواية، سوى في شخصية ثانوية واحدة فقط هي شخصية المقاول:

"كان رجلاً في الخمسين من عمره، عيناه رمادية اللون وجسده قصير نسبياً وله بنية ضخمة، وجهه مستدير وشفاهه ممتلئة، شاربه في لون الحناء وكان قد غطى شفتيه حتى أن فتحة فمه لا تُرى على الإطلاق".[٣]

---

[١] – زكي نجيب محمود "دكتور": في فلسفة النقد، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص١٠.

[٢] – ناصر ايرانى: هنر رمان، چـاپ اول، تهران، نشر آبانگاه، ١٣٨٠هــش، ص٤٨٥.

[٣] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٤٨.

كما أشارت إشارة بسيطة إلى صاحب المحل الذي تعرض لكسر زجاجه من قبل فرهاد:
"كان صاحب المحل رجلاً ضخماً قوي البنية وكان يبدو أكثر طولاً من فرهاد".[1]

ويمكن القول إن الكاتبة أجادت في هذه النقطة، لأنها بذلك تجعل القارئ يكتشف ملامح الشخصية بنفسه، من خلال تفاعل الشخصية مع الإطار الذي تتحرك داخله في الرواية. فقد علمنا أن فرهاد يمتلك جسداً رياضياً، وذلك في غير موقف، على سبيل المثال عندما تعرض فرهاد وشهريار للسرقة من قبل بهروز واقترض شهريار بعض الملابس من جارتهما، ورد هذا الحوار بينهما:

ف: دي صغيرة عليّ، هتتفزر على جسمي!

ش: ده مش جسم، ده خيال مآتة! هو ده الجسم اللّي عندك؟ ده عديم الملامح!

ف: ده جسم رياضي.[2]

ومن هنا أيضا علمنا أن شهريار أقل من فرهاد من ناحية البنية الجسدية

موقف آخر نتعرف منه على الملامح الجسدية العامة لفرهاد، عندما أراد العمل كحارس ليلي، دار هذا الحوار بينه وبين شهريار:

ش: يا بني إنت كده هتشتغل شغلانة مش محسوب لها، والنوع ده من الشغل خطر!

ف: لا يا عم مفيهوش أي خطر، بقدرة ربنا عندي جسم يخلّيني لو كان حتى رستم هيموت من الخوف! ولمّا بازعل شمر ما يقفش قدامي.[3]

أما البعد النفسي للشخصيات – كمكمل للبعد الجسماني – فإنه ظهر واضحاً في الشخصيات الرئيسة، وكان يأتي إما على لسان الشخصية نفسها أو من خلال الراوية، فنرى مشاعر فرهاد حيث إحساسه الدائم بالفشل، والتشاؤم، وملازمة سوء الحظ له، وتبريره لإخفاقاته المتوالية معتمداً على ذلك، مما يدل على اهتزاز شخصيته وقلة ثقافته، وورد ذلك على لسانه في:

"النهاردة أصلاً ماكنتش محظوظ".[4]

"أنا إنسان سيئ الحظ، وعارف إن الحظ بعد عني ومش هاقدر أتخلص بأيّ شكل من المصير المحتوم ده".[5]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٦٣.

[2] – المتن الفارسي، ص١١٧.

[3] – المتن الفارسي، ص١٤٦.

[4] – المتن الفارسي، ص١٢.

[5] – المتن الفارسي، ص٣٥.

"أنا ماعرفش الحظ الندل ده إمتى ناوي يخبط على باب بيتي؟".[1]

ومن الملامح الأخلاقية الأخرى التي اتسمت بها شخصية فرهاد أنه كان متمرداً منذ البداية على الفقر، دائم السخط على ما حوله، وأتى ذلك على لسانه في غير موقف، نذكر منها:

الموت أفضل من الحياة دي والله!".[2]

"والله تعبت من العيشة دي، الموت أحسن منها".[3]

"تروح في داهية الحياة دي".[4]

ونراه ساخطاً على حياته في القرية، رافضاً لوجوده هناك، وراغباً في انسلاخه عن أصله. ونشهد ذلك في قوله لأبيه:-

" أنا مش عايز أضيع عمري وشبابي هنا وأخرتها أتشلّ ومراتي وعيالي يفضلوا جعانين. الأرض دي مش هييجي لنا منها حاجة".[5]

ملمح آخر من ملامح شخصية فرهاد نلمسه في إضفاء الكاتبة عليه نموذج الشاب البرجوازي، الذي هجر قريته وأهله إلى المدينة بحثاً عن حياة أفضل، فوجد نفسه في واقع مضطرب، وبدأت ضربات القدر تقضي على أوهامه وترده بقوة إلى كل ما حاول الهرب – بالوهم- منه؛ ونشهد ذلك من خلال حديثه لشهريار بعد فشله المتوالي وقراره العودة إلى القرية:

"أنا كده وصلت لآخر الخط. يوم ما دخلت طهران فكرت في نفسي إني خلال سنة ولا اتنين هاقدر بالسعي والجهد إني أغتني على الآخر وأوصل لكل آمالي العريضة، لكن للأسف محصلش، ووصلت للسراب بدل المية... وإن شاء الله أموت لو كنت فضلت في البلد كان حالي أحسن دلوقتي. كنت اشتغلت في أرض أبويا وعملت فلوس ياما، لكن دلوقتي مضطر من الفقر إني أجمع أعقاب السجاير من الشارع."[6]

**وهكذا أكدت الكاتبة من خلال البعد النفسي لشخصية فرهاد في الرواية أن رفض الإيمان بقيم المجتمع عبث وسخف، ما لم نكن قادرين على وضع بديل أكثر إنسانية وسلامة؛ كما أكدت أن استسلام المرء لأوهامه الذاتية يسبب اغتراب الإنسان وتأزمه نفسياً واجتماعياً.**

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٣٠.

[2] – المتن الفارسي، ص١٧

[3] – المتن الفارسي، ص٧١.

[4] – المتن الفارسي، ص٥٣.

[5] – المتن الفارسي، ص١٨٣.

[6] – المتن الفارسي، ص٢٢٠.

ومن الشخصيات التي ظهر فيها البعد الأخلاقي واضحاً، شخصية شهريار، حيث تقدمه الراوية منذ البداية موازياً لشخصية فرهاد ومسايراً لها، ليبدو كل منهما نقيضاً للآخر، فقد كان شهريار بمثابة صوت الضمير لفرهاد، وكان يشد من أزره ويقف بجانبه دائماً، وكثيراً ما كان يرشده إلى ما فيه الصواب، ونلمس ذلك من خلال كثير من المواقف سواء في السرد أو الحوار، ففي أحد الحوارات التي دارت بينه وبين فرهاد – عندما طرد فرهاد من المصنع وجلس دون عمل– ورد الآتي:

ف: بعد كام يوم هييجي أول الشهر وميعاد أجرة البيت، وإنت مش هتقدر تتكفل بكل المصاريف لوحدك.

ش: سيبك مني، في النهاية إحنا عايشين مع بعض سواء كان قليل أو كتير، وأنا وإنت مش المفروض يكون فيه بينّا حساب.

ف: إنت بتقول لكن أنا ماقدرش أحط إيد على إيد وأقعد مرتاح.

ش: إنت اللّي عليك إنك تسعى، يعني أنا هالومك بسبب مسألة مادية؟

ف: لحد دلوقتي ماقلتش، وممكن ماتلومنيش في أي وقت برضه لكن أنا مش عايز يكون فيه ضغط عليك.

ش: ماتقولش كلام فارغ يا فرهاد، أنا مش عايز أعايرك لكن أقسم بشرفي إن من دلوقتي ولحد عشر سنين جايين إنك لو ماقدرتش تلاقي شغل أنا برضه خدامك، أمّال الصداقة بتنفع في إيه؟[1]

وعندما ترك فرهاد العمل بالمتجر وجلس دون عمل، نجد الراوية تخبرنا عن موقف شهريار كالآتي:

"وعلى الرغم من مخالفة شهريار الشديدة لفرهاد، إلا أنه تكفل بنفقاته كالمعتاد. وكان ينفق كل ما يحصل عليه عن طيب خاطر من منطلق الإخلاص، وكان كل منهما ينتفع من هذا الدخل القليل".[2]

وكذلك عندما مرض فرهاد ولزم الفراش، تصف الكاتبة موقف شهريار كالآتي:

"وطوال الفترة التي كان مريضاً فيها كان شهريار كالصديق الوفي، وعمل على خدمته وتابعه بإخلاص".[3]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣٣، ٣٤.

[2] – المتن الفارسي، ص١٢٤.

[3] – المتن الفارسي، ص١٢٤.

وكثيراً ما رأينا فرهاد يحكم على الأمور بظواهرها دون تأمل عميق لأسبابها، بينما تؤكد شخصية شهريار صفات مغايرة لما يمكن أن يوصف به فرهاد، والحوار التالي بين فرهاد وشهريار يؤكد الطابع الإنساني والأخلاقي الذي تريد الكاتبة ان تميز به كلاً من هاتين الشخصيتين المتقابلتين:

ف: إيه اللّي بتقراه ده؟

ش: مش شايف؟ ده كتاب!

ف: ما أنا عارف إنه كتاب، إيه اللّي مكتوب فيه؟

ش: قانون الحياة، خده واقرأه علشان تتعلم حاجة.

ف: يا عم روح استمتع إنت، مين عنده صبر للقراءة!

ش: قول أنا مابعرفش أقرا كويس.

ف: إنت عارف بنفسك إن أنا مابحبش الكتب والحاجات دي. قول لي هي الفلوس بتيجي منين علشان أروح ألمّها. وقانون الحياة ده هينفعني بإيه؟

ش: لو كنت من أهل القراءة ماكنتش فكرت بالأسلوب ده.

ف: أمّال حضرتك بتفكر إزاي؟

ش: وفايدتها إيه وإنت مش هتفهم حاجة.[1]

وبالرغم من أن شهريار كان يعاني من الفقر والاغتراب ووقع في هوى نفس الفتاة التي أحبها فرهاد، إلا أن قناعته بقدره وتحكمه في عواطفه ساعداه على أن يسلم من التمزق وينجو من الأزمة، وكذلك ساعده الإيمان بقيم الجماعة والرغبة في الثقافة على أن يدرك حقيقة واقعه، فلم يرفضه أو يتجاوزه.

**٣- النمو والتسطيح:**

الشخصية النامية هي الشخصية التي "تنمو بنمو الأحداث، وتقدم على مراحل أثناء تطور الرواية، وهي في حالة صراع مستمر مع الآخرين، أو في حالة صراع نفسي مع الذات"،[2] ومن الشخصيات التي تندرج تحت هذا المسمى شخصية فرهاد، وتتمثل مظاهر نمو هذه الشخصية في عملية التحول التي تحدث لها، فبداية فرهاد بداية مستهترة، وقدمته الراوية في هذه الصورة على مدار الرواية، إلى أن حدث له التحول.

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٨٤.

[2] - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٢٧.

وكانت البداية حين تم طرده من المصنع لأنه ترك آلته في أثناء وقت العمل وخرج لتدخين السجائر، ومن بعدها استهانته برئيسه في العمل وتشاجره معه، فكان هذا الموقف تمهيداً لما سوف تؤكده الرواية عن شخصيته المستهينة، حيث بدأ الخط البياني للشخصية ينمو في اطراد منطقي، ليدعم الدور الذي تقوم به في الرواية.

فنجد مشاهده التالية جاءت لتساعد على نمو شخصيته، وذلك من خلال رحلته للبحث عن عمل وطرقه لكافة السبل، حتى التحق بالعمل في البناء وهناك أيضاً تم طرده، لأنه ترك عمله في غير الوقت المخصص للراحة ليستريح، وأعاد نفس المشهد السابق حيث تطاول على رئيسه في العمل عندما عاتبه على ذلك وتشاجر معه وتم طرده أيضاً.

ثم يأتي أكثر المشاهد الدالة على استهتاره وعدم تقديره للأمور، حين التحق بالعمل في متجر لبيع الملابس، ولكنه أخطأ يوماً في جمع فاتورة حساب أحد المشترين مما تسبب له في أزمة مالية حيث تم دفع مبلغ العجز الكبير من راتبه.

**وهكذا رأينا فرهاد في غير مشهد وقد انهزم أمام نفسه مرات عديدة، وجعلته الكاتبة قادراً على تعقيد المواقف، والبلوغ بها درجة التأزم الشديد، لكنه غير قادر على مواجهة هذة المواقف في حالتها المعقدة المتأزمة، لذا فإن آماله التي يبنيها داخل نفسه كانت تخفق دائماً.**

كل هذه المواقف وغيرها الكثير تؤكد أن الكاتبة قدمت الشخصية على مشاهد متعددة، بحيث يفضي كل مشهد إلى تنمية الصورة التي بدأ بها، إلى أن تبدأ عملية التحول عندما يحدث لهذه الشخصية حدث يتسبب في صدمة تحتاج بعدها لوقفة مع النفس، ويحدث صراع داخلي مع النفس أو خارجي مع الآخرين، أو كلاهما معاً، حيث يتعرض فرهاد لصدمة خيانة الفتاة التي أحبها وصديقه له، واللذين كانا سبباً لدخوله السجن مدة عامين، فتجتمع هذه الظروف لتخلق التحول في فكر فرهاد وتصرفاته، وتجعله يراجع نفسه ويفكر فيما كان عليه من غفلة. ثم تأتي اللحظة الفاصلة في التحول حين يقرر العودة إلى القرية، والعمل في الزراعة بأرض والده، والزواج من سكينة الحدباء، لتنتهي شخصيته على عكس ما بدأت عليه.

**وهكذا تنمو صورة فرهاد في الرواية، وتصبح شخصية نامية حية، مقنعة بصدقها الفني؛ لأنها بالدرجة الأولى صادقة في استيحاء النموذج الإنساني الذي ترصده من الواقع، ومحافظة على المنطق المحدد لها في الرواية.**

أما الشخصية المسطحة فهي "الشخصية البسيطة التي تمضي على حال ولا تكاد تتبدل ولا تتغير في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة"[1]، ومن نماذج هذه الشخصية، شخصية شهريار، فقد كان شهريار منذ البداية يتسم بالسلوك الرزين وكان شخصية مثالية، عفيف النفس، مثقف، يحب القراءة، يبحث عن القيم في عالم مضطرب، وتحيط به كثير من السلبيات ولكنه يظل متكيفاً مع واقعه، وكانت شخصيته ثابتة منذ بداية القصة وحتى نهايتها دون تغيير من الناحية الفكرية أو السلوكية، كما كانت أحلامه بسيطة تتناسب مع ظروفه الاجتماعية ووضعه المادي، ووردت إشارة لذلك على لسانه في أحد حواراته مع فرهاد:

"على كل حال يا فرهاد أنا واحد عايز من كل الدنيا دي نصيب صغير. شبر واحد من أرض ربنا بيتعاش فيه. ولو امتلكت الدنيا دي كلها هتمشي من هنا بكام متر قماش. كل ما فلوسك هتكتر، غمك وهمك هيكتر كمان".[2]

وبالرغم من أن شهريار كان يعاني من الفقر والاغتراب ووقع في هوى نفس الفتاة التي أحبها فرهاد، إلا أن قناعته بقدره وتحكمه في عواطفه ساعداه على أن يسلم من التمزق وينجو من الأزمة، وكذلك ساعده الإيمان بقيم الجماعة والرغبة في الثقافة على أن يدرك حقيقة واقعه، فلم يرفضه او يتجاوزه.

**وبذلك كانت شخصية شهريار شخصية إيجابية واعية، وإن كانت الكاتبة لم تتعمق في رسم خطوط شخصيته.**

وهناك من الشخصيات ما يمكن إدراجها في مرحلة وسطى بين النمو والتسطيح، ومنها شخصية كامران، إذ حدث لها نمو وتطور قبل بداية الحدث الروائي، ونرى ذلك من خلال الاسترجاع والتذكر، لنعرف ماضي الشخصية المغاير لحاضرها، ومثال ذلك ما ذكره فرهاد عنه إذ يقول:

"أد إيه سحنته اتغيرت! في الأول ماعرفتوش، وساعة ما عرفَني بنفسه ماكنتش مصدق إن ده نفسه سيف الله ريقوي بتاعنا! لأن هو نفسه بقى حاجة تانية خالص".[3]

لقد جاءت أحداث الرواية على كامران في صورته الأخيرة، ويستمر عليها إلى نهاية الرواية، ولهذا فشخصية كهذه تنتمي إلى الشخصيات المسطحة من ناحية وإلى الشخصيات النامية من ناحية أخرى.

---

[1] – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٤٠، االكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م، ص٥١.

[2] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٨٩.

[3] – المتن الفارسي، ص١٩٥.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك شخصيات أخرى أجادت الكاتبة في رسم دورها لتوحيد اتجاه الرواية إلى ما ترنو إليه وتدعم فكرتها الأساسية، وكان لكل شخصية دور محدد تؤديه وفقاً لرؤية الكاتبة، وسيتم تناول هذه الشخصيات من حيث دورها الفني ومدى تأثيرها في بناء الرواية.

**حميدة**

كان لشخصية حميدة دور مؤثر في الرواية، وأدى ظهور تلك الفتاة إلى تغيير مجرى الأحداث، فبعد أن قرر فرهاد العودة إلى قريته وأسرته بعد الصدمات المتوالية التي تعرض لها؛ إلا أنه عندما رأى تلك الفتاة أحبها من الوهلة الأولى، فقرر البقاء من أجلها.

لكن هذه الفتاة على قدر ما كانت جميلة من الظاهر كانت سيئة من الباطن، فقد كان كل ما يعنيها هو الثروة والمال بغض النظر عن مصدرهما أو كونهما من طريق حلال أو حرام، ونلمس ذلك من خلال ردها على شهريار، عندما ذهب إليها لكي يعاتبها لموافقتها على الارتباط بفرهاد، وأراد أن يوضح لها أن فرهاد سيسلك أعمالاً مخالفة كي يستطيع أن يوفر لها شروطها:

"إنت ليك إنك تحقق معايا؟! أنا مش مجبرة إني أرد عليك. أنا حطيت شروط للجواز وعمري ماقلت للي بيخطبني روح واعمل حاجات مخالفة وغير مشروعة، فإذا كنت تقدر تحقق الشروط دي فمن ناحيتي بسم الله، وغير كده مالكش شأن بتفاصيلها. الحياة الخاصة بكل شخص تتعلق به هو شخصيا".[1]

وإن حاولت المؤلفة أن تثير عطف القارئ تجاهها، حيث أخبرتنا أنها عانت الحرمان والفقر طوال حياتها، ولا تريد تكرار تلك المأساة – من وجهة نظرها – مع أولادها، ونلمس ذلك من خلال حديثها لفرهاد:

"سامحني إني هاتكلم بصراحة كده. أنا اتحسّرت سنين في بيت أبويا واتحرمت من كل حاجة. ونفسي أتجوز برجل يأمّني من جميع النواحي. مش عايزة أعاني سوء الحظ في بيت جوزي زيّ بيت أبويا وأربي أولادي على الفقر والحرمان".[2]

**ولكن لا يجب أن يكون ذلك مبرراً لطموحها وتطلعاتها غير المعقولة.**

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٨٠.

[2] – المتن الفارسي، ص٢٤٨.

وظهرت أهمية دورها في إظهار الفارق بين فرهاد وشهريار بوضوح. فقد أحبها الاثنان وبينما انساق فرهاد خلف طلباتها بكافه السبل غير المشروعة، ظهر نقيض ذلك في شهريار الذي حاول أن يحافظ على أمانته، بل إنه عندما أدرك طبيعة تلك الفتاة احتقرها في داخله، وكرهها بشدة فهي **"فتاة سفيهة لأنها كانت تذعن لأي شئ من أجل المال، وباعت نفسها بثمن بخس من أجل المظاهر والمال والجواهر."**[1]

<u>كامران (سيف الله)</u>

كان لكامران دور رئيس – بالرغم من قصره – في أحداث الرواية، فهو يمثل الفئة المنحرفة في المجتمع والتي تسلك الطرق الملتوية من أجل تحقيق حلم الثراء السريع، فقد كان كامران من نفس قرية فرهاد لكنه استطاع أن يجني المال عن طريق التزوير، وهكذا اغتنى في وقت قصير.

وعندما أحب فرهاد حميدة لجأ إلى كامران ليساعده، إلا أن ذلك الأخير قاده إلى الضياع عندما نسج له الحيل كي يعمل معه بالتزوير، وأوهمه أنه سوف يحقق كل أحلامه من خلال هذا الطريق.

وكان نفس كامران هذا الذي أبلغ الشرطة عن فرهاد، وسلب منه الفتاة التي ورط فرهاد نفسه من أجلها في الأعمال المخالفة، وكانت سبباً لدخوله السجن.

وعلى هذا نلحظ تشابهاً بين حميدة وكامران من حيث الخسة والنذالة، ولكن كل منهما لعب دوره بجدارة أثرت في مجرى الأحداث ... ونجد أن الكاتبة لم تذكر لنا نهايتهما وجعلتها تنتهي فقط عند ارتباطاهما وزواجهما، وهذا ما يعرف بالنهاية المفتوحة، وهي "نهاية غير محددة تجعل القارىء يشارك المؤلف في تخيلها"[2]، فالمؤلفة لم تذكر لنا مصيرهما بعد ذلك وإن كان متوقعاً، وبذلك جعلت القارىء يشاركها في تخيل هذا المصير.

بالإضافة إلى ذلك ثمة شخصيات ثانوية اقتصر دورها على تكملة الإطار الذي تدور فيه الأحداث، ويمكن أن يقال إنها تلعب دورها في "خلفية" الأحداث، ومن هذه الشخصيات:

<u>نقاش والسيد فتحي</u>

كل منهما يمثل الطبقة العليا في المجتمع، فكلاهما لا يشعر بآلام غيره من البشر، وشيء عادي بالنسبة لهما أن يطردا عاملاً بسيطاً، دون الاهتمام بمصير هذا العامل بعد ذلك.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٩٠.

[2] – طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٣١.

السيد اسماعيل

كان تاجراً على خلق ودين، وقف بجانب فرهاد قدر استطاعته، وساعده كثيراً سواء عن طريق إيجاد عمل له، أو إعطائه نقوداً في الأزمات المختلفة.

**ولكن يؤخذ على الكاتبة هنا أنها لم توضح العلاقة التي تربط بين سير حياة فرهاد والسيد إسماعيل.**

حكمت

صديق قديم لفرهاد، كان قد تعرف عليه عندما كان يعمل في سوبر ماركت، ثم باعدت ظروف الحياة بينهما، وساعده في إيجاد عمل له في البناء، وكان يعمل ليتولى علاج والده المريض.

المقاول "السيد عباسيان"

وهو أيضاً من الطبقه العليا التي تنظر إلى غيرها من أعلى، ولا تعني بالشفقة أوالرحمة تجاه الآخرين.

السيد جمال

وكانت شخصية تتمتع بقدر كبير من الاحترام، وقد ساعد فرهاد كثيراً في أثناء عمله بمتجر الملابس.

بهروز

لص يجيد الاحتيال، تتبع فرهاد، وأوهمه أنه يستطيع مساعدته، حتى وثق به فرهاد واصطحبه معه إلى المنزل، وفي النهاية وفي أثناء الليل؛ قام بهروز بسرقة كل متعلقات فرهاد وشهريار وترك لهما الحسرة.

مرتضى وعباس

وقد عمل فرهاد لديهما حارساً ليلياً لحراسة ممتلكاتهما في أثناء الليل.

السيد سبحاني

صاحب المحل الذي يعمل به شهريار، وكان رجلاً فاضلاً وعلى خلق، لمس في شهريار الأخلاق الحميدة وتمسكه بالقيم فوقف بجانبه، وساعده، وزوجه من ابنته.

**ويمكن القول إن الكاتبة نجحت بوجه عام في رسم كل شخصية وفقاً للدور المرسوم لها في الرواية، وبما يتناسب وطبيعتها، وتكلل نجاحها بالتغلغل في أعماق الشخصية لعرض ما يعتمل في صدرها ويدور في عقلها. كما نجحت في إعطاء نماذج روايتها سمة الصدق والمنطق والمعقولية، التي تربط بين الواقع الحقيقي والواقع المتخيل.**

## الحبكة الفنية

نعني بالحبكة "تسلسل حوادث القصة الذي يؤدي إلى نتيجة، ويتم ذلك إما عن طريق الصراع بين الشخصيات، وإما بتأثير الأحداث الخارجية"[1]، فالعالم القصصي المتخيل ليس إلا موازاة رمزية لعالم حقيقي نعيشه، وإذا ما تأملنا الحبكة الفنية لرواية "بازيچه" نجد أن المؤلفة أجادت في توظيف عنصرين مهمين هما: **الحدث & الصراع.**

### ١ – الحدث:

الحدث هو "الفعل القصصي أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات، لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، أو هو الحكاية التي تصنعها الشخصيات، وتكون منها عالماً مستقلاً له خصوصيته المميزة"[2]. وأهم شيء لبناء الحدث هي **لحظة البداية**، ويمكن القول إن الكاتبة أحسنت في اختيار اللحظة التي بدأت فيها تحرك الأحداث:

"كان صوت حركة عجلات آلات النسج يصك الآذان بشدة، وكان العمال الدءوبون المجدون بوجوه نحيلة متصببة عرقاً منهمكين في عملهم في جو العنبر الكبير المعبأ بالأبخرة، لا يعيرون انتباهاً لما حولهم. طلب فرهاد بإشارة من يده أن يتولى زميله المجاور مراقبة آلته ومتابعتها لبعض الوقت، وتحرك صوب باب الخروج من العنبر، ولج ممراً طويلاً وعريضاً ووقف في زاوية مستنداً بظهره إلى الحائط بجوار سلة المهملات، أخرج علبة السجائر والكبريت من جيب سرواله، وبعد أن أشعل واحدة انهمك في تدخينها وهو يتثاءب".[3]

فهنا نجد أن البداية **ساخرة، مثيرة**، تقوم بعملية جذب للقارئ، فقد أوردت الكاتبة في لحظة البداية مفارقة بين الجد والهزل، بين موقف فرهاد المستهتر وموقف بقية العمال الجادين في المصنع، وتطور ذلك إلى شجار نشب بين فرهاد ونقاش المشرف على المصنع، وينتهي مشهد البداية بطرد فرهاد، ويصبح السؤال الذي تطرحه البداية: ما مصير فرهاد بعد ذلك؟

---

[1] – مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م، ص٨١.

[2] – طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٢٨.

[3] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١.

وبالرغم من أنها أوردت مشهد البداية بخبر يسرد بشكل تقريري إلا أنها جعلت منها بداية سريعة، توظف منذ الوهلة الأولى اللوحات الفنية المتتابعة لتقدم الجو الذي ستتحرك فيه الشخصيات والأحداث دون إبطاء، ووضعت قراءها مباشرة داخل الأحداث، حتى يندمجوا فيها دون وعي منهم.

ثم بدأ الحدث ينمو بعد لحظة البدء تدريجياً لتتطور الحكاية – باطراد– إلى ما هو أعمق وهي القضية الفكرية التي أرادت الكاتبة أن توصلها إلينا بشكل فني. والقضية الفكرية هنا هي حال الشباب المغترب بحثاً عن عمل حتى لو كان هذا الاغتراب داخلياً أي داخل نفس البلد كهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من أجل إيجاد سبل أفضل للحياة .. فبطلنا هنا فرهاد الذي ترك قريته "على آباد" وذهب إلى "طهران" العاصمة الإيرانية بحثاً عن حياة أفضل، معتقداً أن كل شيء يسير، وأنه يستطيع أن يحقق أحلام الثراء في وقت قصير.

إلا أننا نجده وقد واجهته كثير من المشاكل منها وقوعه تحت سيطرة الطبقة الرأسمالية المتمثلة في نقاش، فتحي والمقاول وأتى ذلك على لسانه في حديث له مع شهريار، حين التحق بالعمل في البناء تحت رئاسة المقاول وكان عملاً متعباً وشاقاً:

"أنا بختي وحش لأني لازم آخد الأوامر من إنسان أحمق بيقولوا عليه المقاول. أنا اللّي كنت باحتقر غرور النوعية دي من البشر، دلوقتي مضطر أتعرض للذل والإهانة من أمثالهم. يا ريتك كنت موجود وشفته كان بيكلمني بعجرفة إزاي وكان في منتهى الغطرسة".[1]

كما تفاجئنا الكاتبة في أثناء مسيرة الحدث على الدوام، **فتطوير الحدث هو الدافع الملح الذي يحمل القارئ على تقليب صفحات الرواية بلذة ونهم حتى يكتشف النهاية.**[2] فتجعل فرهاد يفشل في كل عمل يلتحق به، ويكون الحدث معه مفعم بالمصائب، كأنما قد كتب القدر عليه اللعنة، لذلك تتحرك مسيرة الحدث من كارثة إلى أخرى، فقد فشل في أن يكون عاملاً في سوبر ماركت، أو عاملاً في مصنع، أو عامل بناء، أو بائع ملابس، أو حتى عاملاً في إحدى الورش. وعندما سار في طريق آثم؛ كانت النتيجة أن ضاع عامان من عمره خلف قضبان السجن.

**وهنا يؤخذ على الكاتبة أنها استفاضت في تلوين الحوادث التي تعرض لها فرهاد وجعلت الصدفة القدرية العارضة مبالغ فيها في بعض الأحيان.**

ولأنه على الكاتب أن يخترع من الأساليب والحيل الفنية ما يجعل الحدث ساخناً ومثيراً لفضول القارئ؛ نجد الأحداث في الرواية تصل إلى الذروة التي يحتكم معها الصراع ... فحين اتخذ فرهاد

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٥٤.

[2] – محمد يوسف نجم "دكتور": فن القصة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٦م، ص٣١.

قرار العودة واقتنع بعدم جدوى الحياة في المدينة، يحدث له تحول حين تجعله الصدفة القدرية يقابل فتاة يقع في حبها من النظرة الأولى، وقرر من أجلها البقاء ثانية والعدول عن العودة إلى قريته، بل الأخطر من ذلك أنه قرر أن يحقق حلم الثراء السريع بغض النظر عن الوسيلة. ونلمس ذلك في حواره مع كامران:

"مش هتفرق عندي لقمة العيش أجيبها منين، عايز أبقى غني وبس".[1]

وفي حوار آخر له مع شهريار يقول:

"بالنسبة لي مش مهم إيه اللّي يحصل لي. أكن لحد دلوقتي عانيت شوية؟ وصادفت قليل من سوء الحظ؟ لمّا حبيت آكل عيش من عرق جبيني وما أمشيش في طريق غلط قابلت سوء الحظ وفشلت. أنا ماقدرش أعيش بالشكل ده لآخر عمري".[2]

ولهذا تكون نهايته هي النهاية الحتمية لكل شخص مخطئ وهي وقوعه تحت طائلة القانون.

حتى يأتي مشهد النهاية ليكتمل معه الحدث الروائي، فالنهاية تعني "حل الغموض الذي يكتنف الحبكة، حيث يكشف الكاتب تدريجياً عن هذا الغموض – الذي يعتبر من المستلزمات الفنية للحبكة – وبالطريقة التي يراها مؤثرة أكثر من غيرها، على أن يتوصل أخيراً إلى نهاية منطقية مقبولة وطبيعية غير مصطنعة للأحداث"[3]، فمشهد النهاية هو أخطر مشهد في مسيرة الحدث، لأنه يترك الانطباع الأخير في ذاكرة القارئ. ولذا يمكن القول إن الكاتبة كانت بارعة في جعل لحظة النهاية هي **"لحظة التنوير"** وهي "لحظة يكتمل بها معنى الحدث، وتتجمع إليها كافة الأحداث لتعطي في النهاية المعنى المحدد الذي يريد الكاتب الإفصاح عنه، فهي لحظة قادرة على إكمال المعنى وإعطاء القصة مغزاها النهائي، وإبراز كل ما سبقها في القصة"[4]، ففي النهاية أوردت على لسان شهريار ملخص فكرتها كلها، وهي أن الجزاء من جنس العمل، ولابد للإنسان قبل أن يشكل حاضره أن ينظر إلى ماضيه ويصلح ما فيه كي يبدأ حياته بداية صحيحة، ونلمس ذلك من خلال حديث شهريار لفرهاد:

"أنا مؤمن بحاجة واحدة إن الإنسان دايماً بياخد جزاءه. شوف إنت أذيت قلب مين في الماضي؟ يمكن كنت عاق بأبوك وأمك؟ يمكن عملت حاجة تغضب ربنا وبتدفع التمن؟ الدنيا هي مكان تسديد الدين، في الدنيا البعض بيوصلوا لعقاب أعمالهم اللّي فاتت والبعض بتبقى الدنيا ليهم يا جنة يا نار.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي ص٢٤٠.

[2] – المتن الفارسي، ص٢٤٧.

[3] – محمد مندور "دكتور": في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٨٦.

[4] – محمد حسن عبد الله "دكتور": مقدمة في النقد الأدبي، دار البحوث العلمية، ص٢١٧، ٢١٨.

فلو بتظلم حد، لو بتخوف حد، لو بتاخد حق مش حقك لازم في النهاية هتكفر عنها بأي شكل لحد آخر عمرك".[1]

**فالأهم من أي شيء أن يلجأ الإنسان إلى الله، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه خالقه.**

بقي عنصر هام بالنسبة لبناء الحدث في "بازيچه" وهو عنصر التشويق، والتشويق هو "إثارة الاهتمام عن طريق تحريك شيء من القلق الممزوج بالمتعة في داخله"[2]، ويعد التشويق لازمة من لوازم الفن القصصي، وهنا نجد الكاتبة أجادت في ذلك حيث إنها كانت تنهي كل فصل عند لحظة مقلقة ومثيرة للفضول حول مصير فرهاد.

## ٢- الصراع:

الصراع الذي يطرح في الرواية إما أنه صراع بين شخصين أو بين الإنسان ونفسه أو بين الإنسان والمصير[3]، وفي روايتنا نجد أن الصراع هنا تمثل في الصراع بين الشخصيات فقد كان يحدث بين البطل وصديقه تارة، وبين البطل وبعض الشخصيات الأخرى تارة أخرى. ففرهاد كان معارضاً دوماً لفكر صديقه وأسلوب مواجهته للأحداث، وكانت معظم لقاءاتهما معاً تعبر دوماً عن اختلاف وجهات النظر بينهما، ويوضح الحوار التالي بينهما مدى هذا الاختلاف:

ف: كنت أتمنى أوي أكون زيك، لكن أخلاقك وطبعك مختلف عن صاحبك اختلاف السما والأرض. إنت إنسان بارد، ولو الدنيا غرقت ميأثرش فيك، لكن أنا من اللّي قلبك يحبه، دمي حامي. ماقدرش أشوف حد بيفتري على حد أو بياخد حق مش حقه، بافقد أعصابي بسرعة. نفسي كل حاجة تكون زيّ ما أنا عايز، أنا إنسان متسرع ما باتحملش، لكن إنت مهما تقول ولا على بالك وما بيهمكش.

ش: لا يا حبيبي إنت غلطت، أنا مش إنسان مستهتر لكن باحاول أخلص أموري بالمنطق. إحنا أصحاب من بيجي سنة. إحنا الاتنين جينا جداد للمدينة دي، إحنا الاتنين كنا مشردين وحاسين بالوحدة ومفلسين، اتعودنا على بعض بسرعة جداً. إنت رحت اشتغلت في سوبر ماركت، وأنا بقيت صبي في محل تصليح الآلات الصوتية. إنت يا دوب لسه ماشقّتش الجلد، واتخانقت وطردوك من المحل. وبعدين رحت المصنع وهناك برضه ماقدرتش تستمر.[4]

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣٢٣.

[2] - إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص٧١.

[3] - سيروس شميسا: انواع ادبى، انتشارات فردوس، چاپ هفتم، تهران، ١٣٧٩هـ.ش، ص١٦٠.

[4] - المتن الفارسي، ص٢٤.

أما بالنسبة لصراع فرهاد مع بعض الشخصيات، فقد كانت البداية مع نقاش حين ترك فرهاد آلته، وخرج لتدخين السجائر، وعاتبه نقاش على ذلك، ولكن فرهاد تطاول عليه في الحديث. فنشب صراع حاد بينهما:

"دارت يد نقاش في الهواء وهوت على وجنة فرهاد. كانت الضربة قوية ومفاجئة حتى أنها خطفت النور من عين فرهاد، ولكمه فرهاد بقبضته واستقرت الضربة المحكمة في مكان حساس، وفي لمح البصر هجم كل منهما على الآخر ونشب شجار حاد".[1]

وكذلك صراع فرهاد مع المقاول، عندما ترك فرهاد العمل في البناء، وجلس ليستريح في غير الوقت المخصص للراحة، وعاتبه المقاول على ذلك، لكن فرهاد أيضاً تطاول عليه مما أدى إلى نشوب الصراع:

"وفجأة صفع المقاول وجه فرهاد بإحكام، واشتبك فرهاد معه أيضاً".[2]

**ومن التحليل السابق للحبكة الفنية للرواية؛ يتضح أن الخطوط الفكرية لمضمون الرواية تتضافر داخل فصولها في تلاحم بنائي قوي، بحيث لا نشعر أن فصلاً من فصول الرواية قد استقل بالحديث عن فكرة معينة.**

## الزمان والمكان

كل قصة يجب أن تدور في زمان ومكان محددين تحديداً واضحاً، أي تدور طولاً في إطار تاريخ محدد ... وعرضاً في حدود بيئة معينة[3]، فالزمن يتمثل في الأحداث التي تقع في الرواية وتطورها، أما المكان فيتمثل في الخلفية التي تقع فيها هذه الأحداث.

### أولاً: الزمان

الزمن في العمل السردي على ضروب شتى، سُمي بعضها بالأزمنة الخارجية، وبعضها الآخر بالأزمنة الداخلية[4]، ومن النوع الأول زمن الكتابة، ومن النوع الثاني زمن الحكي أو السرد.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٧.

[2] – المتن الفارسي، ص٥٩.

[3] – طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٣٢.

[4] – محمد السيد محمد إبراهيم: بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ: دراسة في الزمان والمكان، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ص٧١.

## الزمن الخارجي:

المقصود بالزمن الخارجي هنا هو زمن كتابة المؤلف للرواية، وترجع أهمية الزمن الخارجي في تأصيل واقعية الرواية، حيث يجد القارئ نفسه في مقارنة بين الرواية وأحداثها والواقع الذي يعيش فيه، ومن الممكن ألا تؤثر فيه محاولات الإيهام بالواقعية التي تبتغيها الراوية إذا وجد الرواية تتناول الأحداث تناولاً لا يمت للواقع بصلة.

لقد تم طبع رواية "بازيچه" عام ١٩٩٩م = ١٣٧٨هـ.ش، ورغم أن تاريخ النشر لا يشترط أن يكون هو نفسه تاريخ الانتهاء من كتابة الرواية، إلا أننا نستطيع أن نستنتج من خلال أحداثها أنها كتبت في فترة زمنية مماثلة أو قريبة للفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث الرواية، حيث إن الرواية تناقش قضايا اجتماعية معاصرة لهذا التاريخ.

## الزمن الداخلي:

المقصود بالزمن الداخلي للرواية هو الفترة الزمنية التي تدور فيه أحداثها. وفي رواية "بازيچه" نجد أن الزمن قد استغرق فترة قصيرة نسبياً، حوالي أربع سنوات، وهي الفترة الزمنية التي قضاها فرهاد في العاصمة طهران بكل تفاصيلها.

## اتجاه الزمن القصصي:

استخدمت المؤلفة في روايتها الزمن النفسي المستدير، وهو الزمن الذي يتحرك فيه الحدث القصصي في الرواية، ويأتي ذلك من خلال كسر سياق الزمن التاريخي الممتد طولاً في اتجاه واحد، فالرواية تبدأ من لحظة معينة، ثم تستمر في الاتجاه إلى الأمام لنعرف ماذا حدث بعد يوم أو شهر أو أكثر، وتحافظ الكاتبة على المسار الطبيعي للزمن بواسطة إشارات زمنية، غير أنها تقطع هذا الامتداد بالاسترجاع أو الاستباق.

### أ- الإشارات الزمنية

استخدمت المؤلفة إشارات زمنية لتحديد الاتجاه الذي يسير فيه الزمن في الرواية، وتأتي هذه الإشارات في بدايات الفصول، كما تأتي هذه الإشارات في بداية الفقرات داخل الفصول، وفي الفقرات نفسها، وهي من جنس الظواهر الطبيعية، كالشروق والغروب، والصباح والمساء، وتغير الفصول، كما تستخدم فيها التحديد الزمني الدقيق بتوقيت الساعة واليوم وغير ذلك مما نراه في الأمثلة التالية:

"مع بداية الصباح.../ الساعة السادسة مساءً.../ كان فصل الخريف قد انتهى.../ صباح اليوم التالي.../ ذهب الشتاء وحل الربيع...".[1]

**ب)- الاسترجاع**

تستدعي إحدى الشخصيات في موقف معين أو تسترجع حادثة سابقة، لها علاقة ما بطبيعة الموقف الذي تعيشه داخل الرواية[2]. وتأتي أهمية الاسترجاع من كيفية توظيف الموقف القديم في اللحظة الراهنة وما يترتب على ذلك من توليد المعنى المراد نقله إلى القارئ.

ومن الممكن أن نلحظ في عملنا نوعين من الاسترجاع، هما الخارجي والداخلي، أما الاسترجاع الخارجي فقد استخدم في الاسترجاعات التي تتناول شخصية لتعريفها أو لذكر شيء ما يخصها، فعلى سبيل المثال نجد أن أحداث الرواية بدأت بوجود فرهاد فعلياً في طهران، ولكننا لم نتعرف على أسباب مجيئه إليها من بلدته إلا عن طريق هذه الوسيلة الفنية. حيث أخذ فرهاد يسترجع حياته السابقة ونتعرف نحن عليها في أثناء عشاء له مع شهريار:

"أد إيه كان لينا أيام جميلة في بلدنا، لمّا كنت صغير...إلخ".[3]

ومن خلال عرضه قدمت لنا الكاتبة خلفية عن حياته منذ صغره وقصته مع سكينة الحدباء وملاحقتها له للزواج بها وهروبه منها لقضاء الخدمة العسكرية، وأخيراً خروجه من قريته إلى العاصمة واستقراره بها.

وعن طريق هذه الوسيلة الفنية الهامة نتعرف على حياة شهريار قبل مجيئه إلى طهران، وذلك أيضاً عن طريق استرجاعه لحياته السابقة، عندما سأله فرهاد ألا يفكر في العودة يوماً إلى قريته "خرّمشهر" بعد أن انتهت الحرب. فأجاب شهريار:

"الإنسان في أي مكان في الدنيا حتى في محل ميلاده، لمّا يكون من غير أهل أو أقارب له هناك يبعاني من الغربة. كنا متهنيين بحياتنا في خرّمشهر...إلخ".[4]

ومن خلال استرجاعه علمنا أن شهريار كانت له حياة طيبة في قريته، ولكن عائلته عانت من ويلات الحرب مثلها مثل كثير من السكان الأبرياء الذين تعرضوا للقصف في الحرب العراقية –

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص ٢٧، ٥١، ١٢٣، ١٣٤، ١٩٧ على الترتيب.

[2] – طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٤٣.

[3] – المتن الفارسي، ص١٨.

[4] – المتن الفارسي، ص٧٥.

الإيرانية ففقد بذلك كل من كان له في هذه الدنيا، ولم يبق له شيء سوى البكاء على الأطلال، فجاء إلى المدينة؛ كي يحيا بعيداً عن تلك الذكريات المؤلمة.

كما استخدمت الكاتبة هذه الوسيلة أيضاً في إلقاء الضوء على حياة كامران السابقة، فعندما قابله فرهاد مصادفة، وانبهر بما وصل إليه، أخذ فرهاد يحكي لشهريار في نفس الليلة عنه وعن ماضيه: "أبوه مات في طفولته...إلخ".[1]

أما الاسترجاع الداخلي فإنه وسيلة لمعالجة الأحداث المتزامنة، حيث يستلزم تتابع النص أن يترك الراوي الشخصية الأولى ويعود للوراء ليصاحب الشخصية الثانية[2]. ومن أمثلة ذلك استرجاع والدة فرهاد للأحداث التي مرت بعائلة عمه ووفاة ابنة عمه، وهنا نجد أن الحدث الأصلي للرواية قد توقف لاسترجاع هذه الأحداث.

**ويمكن القول إن الكاتبة لجأت إلى الاسترجاع لملء فراغات زمنية ساعدت على فهم مسار الأحداث، ولا شك أن بناء العمل القصصي بهذا الزمن النفسي المتجدد، يجعله أكثر حيوية وقوة وتماسكاً.**

**ج)- الاستباق**

مثلما يسير الزمن إلى الخلف مستجلياً الماضي بواسطة الذاكرة، فإنه يركب اللغة ويتجاوز لحظته الآنية؛ ليستجلي الممكن التخييلي تنبؤاً واستباقاً[3]، ونجد أمثلة هذا الاستباق في تطلعات شخصيات الرواية وآمالها التي هي مجرد شكل من أشكال الانتظار، وليس هناك يقين في تحقيقها، وهذه التقنية قليلة الاستخدام في الرواية الواقعية لتنافيها مع فكرة التشويق، ولهذا فالأمثلة قليلة لها في العمل موضع الدراسة، وكلها أمثلة لا تتعدى ملامسة المستقبل في صورة توقعات قد تحدث أو لا تحدث. مثال ذلك عندما عزم فرهاد على أن يبيع السجائر معتقداً أنه مشروع مربح، نوى أن يأخذ بيد عائلته عند تحسن ظروفه، فنجده يقول لشهريار:

"لو شغلي مشي عايز أروح آخد بايد أبويا وأمي وأجيبهم معايا... هأجر لهم بيت وأجيبهم هنا".[4]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٩٦.

[2] – سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص٤١.

[3] – محمد السيد إبراهيم: بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، دراسة في الزمان والمكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ص١١٠.

[4] – المتن الفارسي، ص١٨٨.

فلقد استبق فرهاد الحدث، وظن أنه قادر على مساعدة نفسه، وعائلته مادياً، ثم جاءت أحداث الرواية بعد ذلك عكس ما توقع.

تسريع الحدث أو إبطاؤه

تختلف طبيعة النص الروائي من حيث العلاقة بين الزمن الروائي والمقاطع النصية التي تغطي هذه الفترة، وهذه العلاقة هي "سرعة النص"، حيث إن السرعة هي النسبة بين طول النص وزمن الحدث[١]، ويتراوح إيقاع النص السردي بين سرعة لا نهائية تتمثل في "**الثغرة الزمنية**"، وتوقف زمني كامل يتمثل في "**الوقفة**".

**أ)- الثغرة**

هي تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث[٢]. ولقد استخدمت الراوية الثغرة في مواضع كثيرة، أشارت إليها بعبارات موجزة، مثال ذلك:

"مضت ثلاثة أشهر.../ بعد أسبوعين من البحث.../ بعد عشرة أيام.../ انقضت أشهر على هذا المنوال.../ مر شهران على بداية خطوبة فرهاد.../ انقضى عامان من مدة حبسه".[٣]

فهذه الأمثلة تذكر لنا فترات زمنية أسقطتها الراوية تماماً ولم تتطرق لما وقع فيها من أحداث.

**ب)- الوقفة**

المقصود بالوقفة هو توقف سير الزمن تماماً، وذلك عند المقاطع الوصفية البحتة، حيث يترك الراوي الزمن، ويأخذ على عاتقه أن يصف المنظر لإخبار القارئ[٤]. ويمكن أن نلحظ هذه التقنية في بعض المشاهد الوصفية، على سبيل المثال المشهد الخاص بوصف المقاول:

---

١ – سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص٧٧.

٢ – محمد السيد إبراهيم، بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، مصدر سابق، ص١٦١.

٣ – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٨٦، ١٢٣، ١٧٢، ٢٤٤، ٢٨٢، ٣١٥ على الترتيب.

٤ – سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص٩٢.

"كان رجلاً في الخمسين من عمره، عيناه رمادية اللون وجسده قصير نسبياً وله بنية ضخمة. وجهه مستدير وشفاهه ممتلئة، شاربه في لون الحناء وكان قد غطى شفتيه حتى أن فتحة فمه لا تُرى على الإطلاق".[1]

وهنا نجد الراوية قد توقفت عن الحوار الذي كان يدور بين حكمت وبين المقاول بخصوص استلام فرهاد عمله في البناء لتصف المقاول لنا، وبعد أن انتهت من الوصف الذي توقف معه الزمن تماماً استكملت الحوار مرة أخرى.

ومن المشاهد الوصفية كذلك وصف شقة كامران عند زيارة فرهاد له كالآتي:

"ترك كامران فرهاد بمفرده بضع دقائق وفي أثناء غيابه تأمل فرهاد ما حوله بدقة، كانت شقة صغيرة وأنيقة وتبدو جديدة، كان فرهاد مشغولاً بالتأمل على هذا النحو عندما عاد كامران بصينية شاي وفاكهة".[2]

وهنا نجد الراوية توقف الزمن لحظات بعد ذهاب كامران إلى المطبخ لتصف لنا شقته باختصار، ثم أكملت الحدث بعودته واستئناف الحوار بينهما.

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك وقفات زمنية قائمة على التعليقات التي تتدخل بها المؤلفة للتعليق على جزئية من الحدث الذي يتوقف تماماً في تلك اللحظة، ومن الأمثلة على ذلك:

في إحدى المرات التي خرج فيها فرهاد للبحث عن عمل ووجد إعلاناً يطلب شاباً للعمل في بيع الملابس، تقطع الراوية الحدث للتعليق كالآتي:

" وبالرغم من أنه لا يملك خبرة في هذا المجال، إلا أنه كان يأمل لو يستطع أن يقبلوه في هذه الوظيفة، فقرر أن يقول أنه يملك الخبرة اللازمة في هذا المجال".[3]

ثم تكمل الحدث بعدها بدخول فرهاد المحل والاستفسار عن الإعلان...إلخ.

وفي موقف آخر عندما اصطحب فرهاد بهروز إلى المنزل، وقدمه لشهريار، وأخذ فرهاد يتحدث معه بحميمية ويحكي له عن ضائقته المالية، نجد الراوية توقف الحدث للتعليق على إحساس شهريار حيال بهروز كالآتي:

" كان شهريار يستمع لحديثهما في صمت، وقلما كان يتدخل في حديثهما. كان لديه شعور غريب، وكان يجد بداخله نوعاً من الاحساس بعدم الثقة وسوء النية تجاه تصرفات بهروز وسلوكه. كان

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٤٨.

[2] – المتن الفارسي، ص١٩٩.

[3] – المتن الفارسي، ص٣٠.

يشعر أن خلف هذا المظهر الخادع وجه آخر خفي، وجه ينطوي على الشك والغموض، ولكن لم تسنح له الفرصة للتأمل بعمق فيما جرى".[1]

ثم تشتكمل الحدث بعد ذلك بتناولهم العشاء وذهابهم للنوم...إلخ.

وأيضاً عندما ذهب شهريار مع سبحاني لخطبة زهرة، وأخذ سبحاني يسأل الفتاة عن أحوالها ووجدها شهريار فرصة للنظر إليها، تقطع الراوية الحدث كالآتي:

" **كانت الفتاة على حظ وافر من الجمال والحسن، وكانت نظرة واحدة كافية لكي يستحسنها شهريار".**[2]

ثم تستكمله بعد ذلك بخروج الجميع من الحجرة وجلوس شهريار وزهرة معاً...إلخ.

وكذلك عندما خرج فرهاد في إحدى المرات للبحث عن عمل وتذكر حكمت عامل البناء فقرر أن يلجأ إليه، تقطع الراوية الحدث لتخبرنا عن طبيعة العلاقة بين حكمت وفرهاد وظروف عمل حكمت كالآتي:

" حاول في أثناء سيره أن يتذكر أسماء الأشخاص الذين كان على معرفة بهم، ومع هذا لم يرد على ذهنه شخص محدد. قبل ذلك بفترة عندما كان يعمل في سوبر ماركت، كان يعرف شاباً اسمه حكمت، كان عامل بناء، ومضت فترة طويلة ولم يره، فقرر أن يذهب إليه، ومشكلة هذا الأمر فقط أنه كان ينبغي أن ينتظر حتى حلول الليل، حيث كان حكمت يخدم في محل عمله من الصباح وحتى العصر مباشرة".[3]

ثم تكمل الحدث باستمرار فرهاد في البحث حتى عودة حكمت وذهابه إليه...إلخ.

<u>مناسبة الزمن للحدث</u>

يتحتم الاهتمام بمناسبة الزمن للحدث في الرواية، ونلاحظ حرص الراوية على ذلك حيث إنها جعلت بعض الأحداث تقع نهاراً وبعضها الآخر ليلاً، لأن بعض ما يقع في النهار أو الليل يكون له – في الغالب – دلالة رمزية خاصة.

ويمكن أن نلحظ الفارق الفني بين استخدام كل من النهار والليل خلفية للحدث القصصي من خلال بعض المواقف، فمثلاً عندما ذهب فرهاد للعمل بالمتجر، كان وصف الزمان نهاراً يوحي بانفراج المشكلة وتوفيقه في الحصول على العمل. فتقول الكاتبة:-

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٠٩.

[2] – المتن الفارسي، ص٣٠٨.

[3] – المتن الفارسي، ص٣٧.

"كانت السماء صافية وخالية من أية غيوم، وكانت الشمس تتألق وسط السماء الزرقاء فبدا لفرهاد أنه يوم محمود".[1]

وعلى النقيض عندما بدأ فرهاد عمله حارساً ليلياً، كان وصف أول ليلة بدأ فيها العمل يوحي بمدى صعوبته، وأن العاقبة قد لا تكون خيراً:

"كانت ليلة شديدة البرودة، وكانت بقع السحاب ترى في جميع نواحي السماء، ولا يوجد أثر للقمر أو نجومها".[2]

وكذلك في تلك الليلة التي قابل فيها فرهاد بهروز وتعرف عليه واصطحبه معه، وانتهى المشهد بقيام بهروز بسرقة منزل فرهاد وشهريار وتجريدهما من كل متعلقاتهما في أثناء الليل، نجد الكاتبة تصف تلك الليلة كالآتي:

"كان الجو مظلماً تماماً والسماء ملبدة بالغيوم".[3]

فالموقف الأول يناسب أحداثه أن يكون الوقت نهاراً مشمساً يوحي بالتفاؤل والنجاح. والموقفين الثاني والثالث ينبغي أن تدور أحداثهما في الليل الدامس والذي أحياناً ما يكون مرتعاً للصوص مما يوحي بالوحشة والعاقبة السيئة للأمور.

وهكذا نجد أن كل موقف من مواقف الحياة – أو القصص – يرتبط بلحظة معينة من لحظات النهار المشرق أو الليل المظلم.

**وأخيراً يمكن القول إن الكاتبة قد أجادت في توظيف عنصر الزمن، ولكن يؤخذ عليها أنها استعاضت بتطويل المرحلة الزمنية المتخيلة إلى تطويل عرض القصة التي تصورها الرواية، فهي تصف الحدث الواحد نفسه من أكثر من زاوية، وترصد تأثيره النفسي والفكري والعاطفي في أكثر من موقف. فنجد أن الرواية منذ الفصل الأول وحتى الفصل السابع دارت حول موقف واحد، وهو فشل فرهاد المتواصل في كل عمل يلتحق به، حتى قابل حميدة، وهنا بدأ تغير في مجرى الأحداث، والذي استغرق الثلاثة فصول الأخيرة.**

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٧٩.

[2] – المتن الفارسي، ص١٥١.

[3] – المتن الفارسي، ص١٠٢.

## ثانياً: المكان

المكان هو البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والتي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية. فالمكان هو مسرح الأحداث، أو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، أو تقيم فيه، فتنشأ بذلك علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان، وهي علاقة ضرورية، لتمنح العمل الروائي خصوصيته، وطابعه، ومن ثم ليكتسب المكان صفاته ومعناه ودلالته.[1] ويمكن القول إن الاهتمام بتحديد المكان يعطي للحدث القصصي قدراً من المنطق والمعقولية.

وأهم ما يميز المكان في "بازيچه" نجد الآتي:

**١- تنوع البيئة المكانية**

بالنظر إلى البيئة المكانية نجد أن الراوية لم تنغلق في مكان واحد بل تحركت في أماكن عدة، يمكن تقسيمها كالتالي:-

**أماكن رئيسة:** تعتبر مدينة طهران – العاصمة الإيرانية وتقع شمال إيران – هي المكان العام الذي اختارته الكاتبة لوقوع أحداث روايتها، فقد جعلت المدينة بمحيطها الإنساني هي الوحدة المكانية الرئيسية لوقوع الأحداث، ولم يخرج أبطال الرواية منها سوى في مشهد واحد عند ذهاب فرهاد لزيارة أسرته في "على آباد". كما يعد المنزل الذي يقطنه فرهاد وشهريار من الأماكن الرئيسية، حيث كانت معظم المشاهد تنحصر فيه ولم يمر فصل من فصول الرواية دون أن تقع به العديد من الأحداث.

**أماكن فرعية:** بالإضافة إلى الأماكن الرئيسة نجد الكاتبة قد حددت موضعاً خاصاً في كل فصل لتدور فيه الأحداث، وعلى سبيل المثال فقد دارت بعض أحداث الفصل الأول في المصنع ومحل إسماعيل، وفي الفصل الثاني جاءت بعض المشاهد في المحال التي طرقها فرهاد بحثاً عن عمل وكذلك منزل حكمت والبناية التي يعمل بها، أما متجر الملابس فقد كان موضعاً لأحداث الفصل الرابع، وخرجت بنا الكاتبة في الفصل السادس في رحلة قصيرة إلى منزل أسرة فرهاد في "على آباد"، ودارت أحداث الفصل التاسع في المطبعة وسجن القصر.

هذا بالإضافة إلى العديد من الأماكن الفرعية التي ذكرتها الراوية كلمحات عابرة وذلك لتكملة الإطار الذي تقع فيه الأحداث، ومنها:

---

[1] – سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص١٠٦.

منزل كامران، منزل حميدة، بعض الشوارع والميادين، حديقة لاله، محل عباس ومرتضى، المحل الذي يعمل به شهريار..وغير ذلك الكثير.

وفي بعض الأحيان نجد أن الكاتبة مرت في بعض الأماكن، ومررت بها أناساً غير الشخصيات الروائية، لا وظيفة لهم في القص إلا تعيين المدينة كساحة اجتماعية يملؤها المارة العاديون، مثل:

"كان المارة يعبرون بعجل، ولا يعني أحد بالآخر".[1]

مثال آخر:

"مر الأتوبيس الذي كان مكتظاً بالركاب من جانب فرهاد".[2]

ثمة رؤية أخرى لتنوع البيئة المكانية تتمثل في كون المكان مفتوحاً أو مغلقاً، وهنا نلاحظ أن كل الأماكن التي سبق ذكرها هي أماكن مفتوحة، وحتى الذي يمكن إدراجه كمكان مغلق مثل منزل فرهاد وشهريار نجد أنه يحوي من الأدوات ما يساعد على فتح هذا الانغلاق، وتجسدت في الكتب التي كان يقرأها شهريار والجرائد التي كان يشتريها فرهاد، وكذلك في جهاز الراديو الذي كان يملكه فرهاد قبل سرقته، فكل هذه الأدوات تنقلهم إلى خارج حدود المكان المغلق.

**ويمكن القول إن تنوع البيئة المكانية أكد على قدرة الشخصيات على التفاعل مع العالم الخارجي، وقدرة الراوية نفسها على تشكيل عالم من المحسوسات تطابق عالم الواقع.**

**٢ – وصف المكان**

المكان ليس حقيقة مجردة وإنما هو يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز، ويقترن وصف المكان بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها كما هي في العالم الخارجي وتقديمها في صور أمينة تعكس المشهد وتحرص كل الحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل[3]. وورد وصف المكان في رواية "بازيچه" من خلال المحاور التالية:

**أ)– اللوحة الوصفية**

يعتبر الوصف عند نسرين ثامني هيكلي حيث إنها تكتفي بتسمية الأشياء دون تجزئتها إلى مقوماتها وسماتها، وتُذكر الأشياء في أغلب الأحيان دون أن توصف أو يكون الوصف عاماً في غير

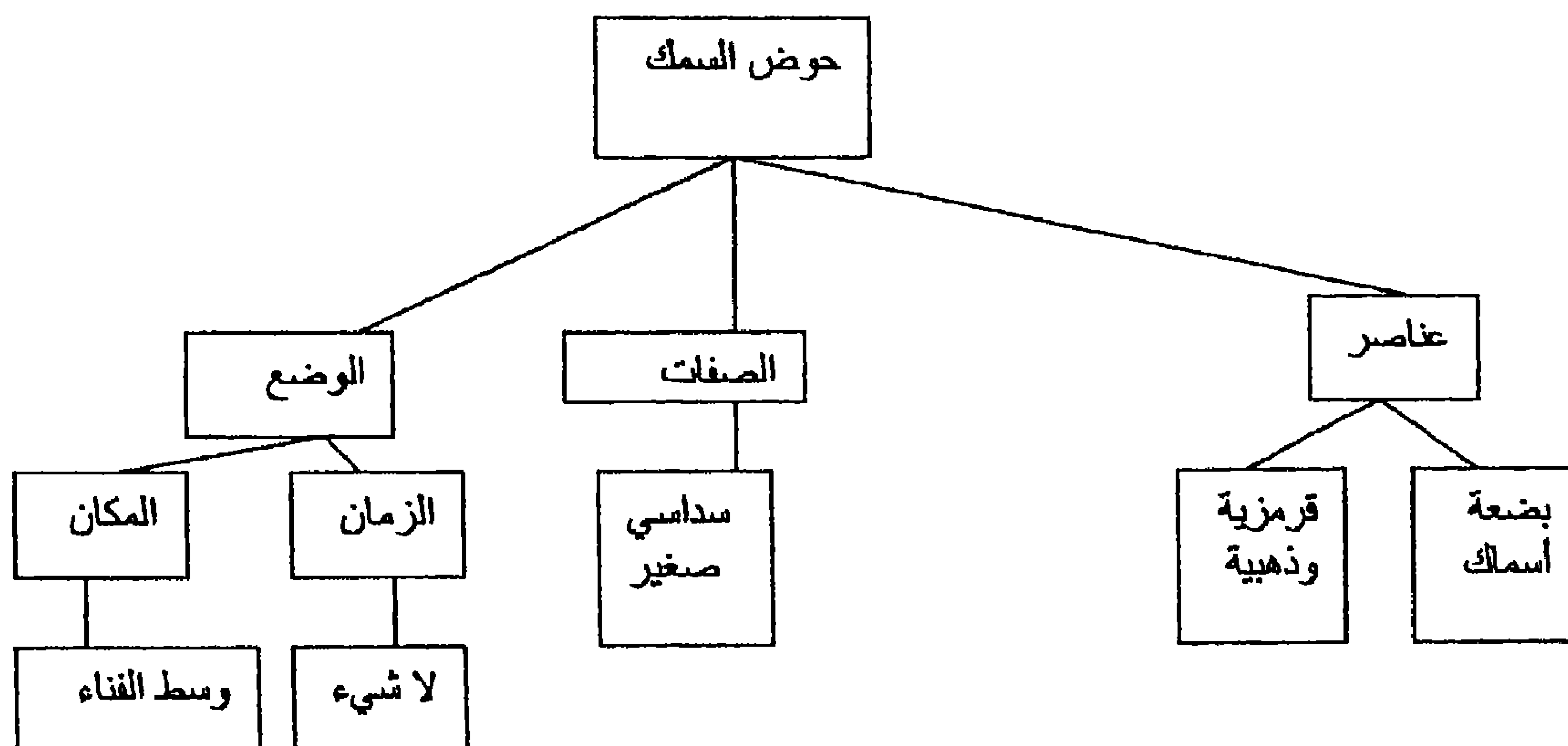
---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٩.

[2] – المتن الفارسي، ص٦١.

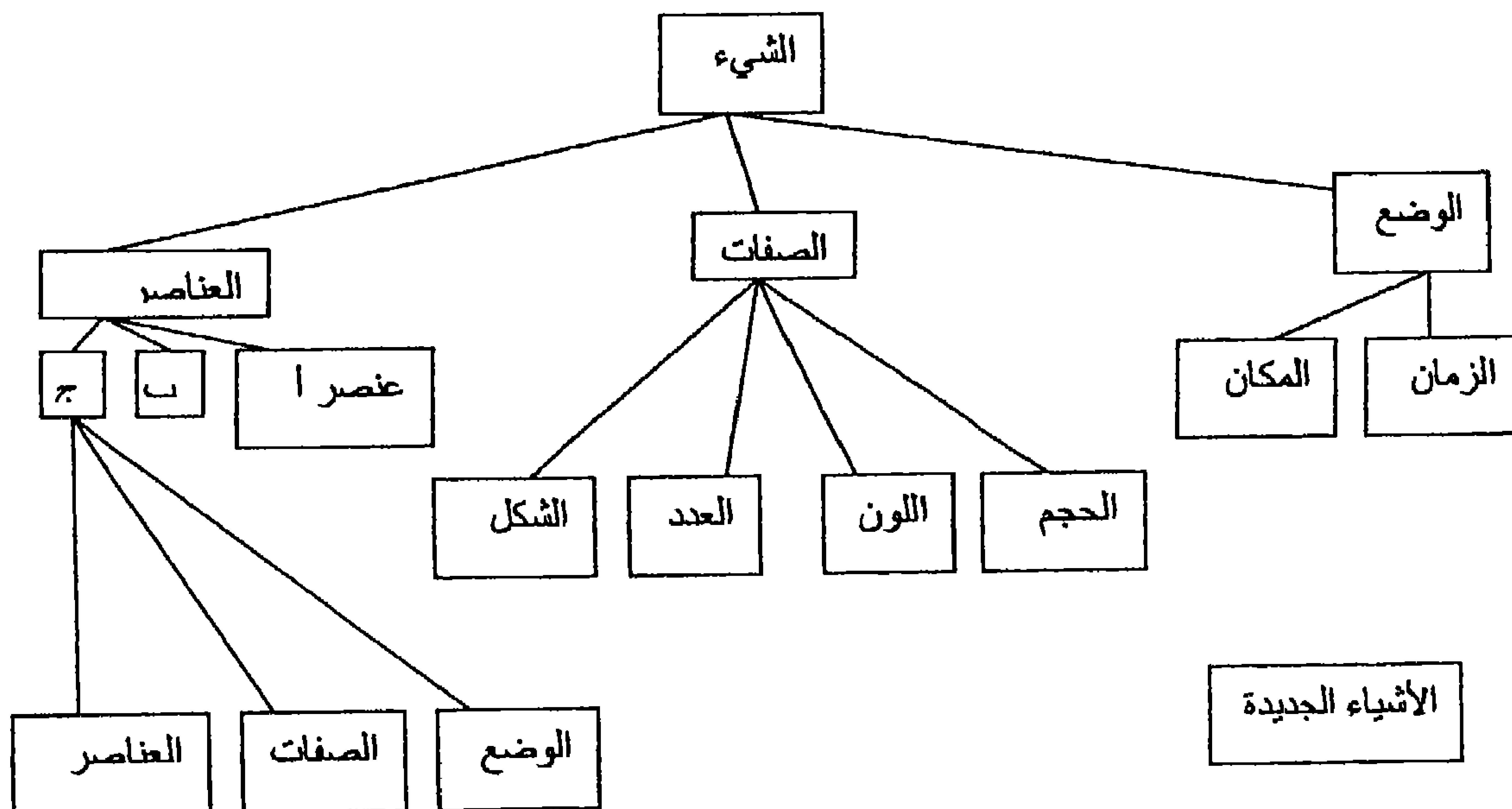
[3] – سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص١١١.

تفصيل، وشجرة الوصف عندها لا تتجاوز غالباً المستوى الأول طبقاً لشجرة الوصف التي رسمها " جان ريكاردو"، وعلى سبيل المثال إذا ما حللنا وصف حوض السمك في منزل فرهاد وهو من الأشياء التي فصلت فيها الراوية نجده على الوجه التالي:-




---

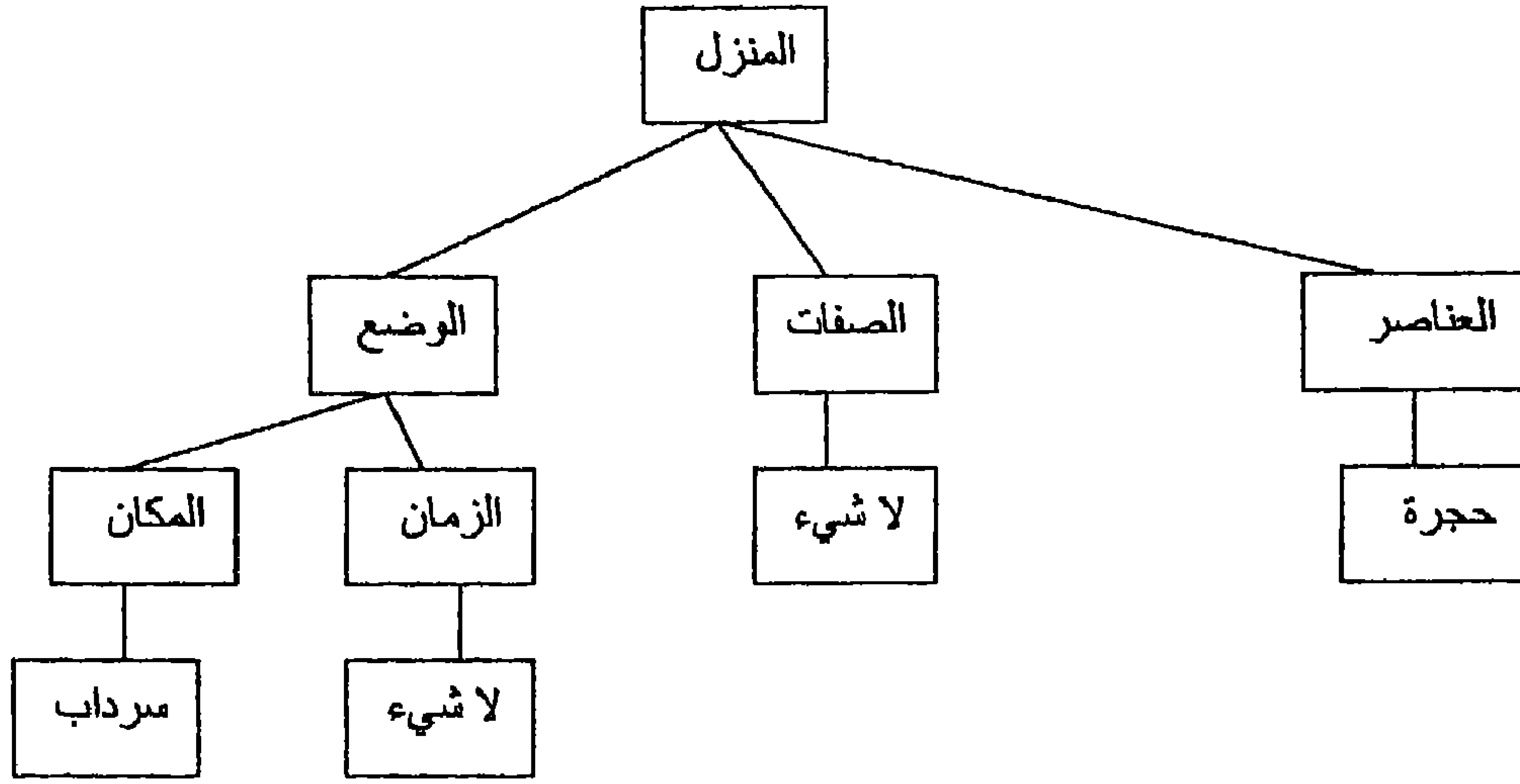
١- تأتي شجرة الوصف عند ريكاردو في الشكل التالي:




انظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص١٢٥.

٢- رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٩

وعند وصف منزل فرهاد وشهريار[1]:




يتضح مما سبق أن الراوية اكتفت بالخطوط العريضة والملامح العامة دون الوقوف عند التفاصيل، مما يفقد المكان – إلى حد ما – مدلوله الإنساني المفسر على أنه مرآة لساكنه يشكل على شاكلته ويعكس شخصيته ومزاجه، بل يكتسب إلى حد بعيد مدلولاً أقرب أن يكون إلى المدلول الاجتماعي منه إلى المدلول النفسي، ويمكن تفسير ذلك بفقر البيئة الاجتماعية وعوز الشخصيات وخلو بيئتهم من الأشياء التي يمكن للراوية أن تتناولها بالوصف.

ومما يلاحظ في اللوحة الوصفية أيضاً أن الأشياء بها غائبة إلى حد بعيد، والأماكن خالية من الأشياء عدا الأساسيات وليس فيها ما يذكر بأصحابها فليس في المنازل أو المحال أشياء تربطها بأصحابها، وعندما كانت الراوية تذكر الأشياء كانت تذكرها إما في جمل عابرة ملتحمة بالسرد، على سبيل المثال:

"ملأ الغلاية الإستانليس حتى نصفها بالماء ووضعها على شعلة الغاز"& " رفع واحداً من كتب شهريار التي كانت مصطفّة فوق رف على الجدار" & " بسط فراشه على الأرض وتمدّد عليه" & " كان الراديو يبدو فوق المدفأة" & " رفع فرهاد الأكواب وذهب إلى الحمام وغسلهم أسفل الصنبور".[2]

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٢٣.

[2] – المتن الفارسي، ص١٥، ١٦، ٢٥، ١٠١، ١٥٩ على الترتيب.

أو يأتي ذكرها على لسان الشخصيات، فنحن لم نعلم بوجود بعض الأشياء في منزل فرهاد وشهريار إلا بعد تعرضهما للسرقة وأخذ شهريار يعد قائمة بالمسروقات، فنجده يقول لفرهاد:

" أقول لك دلوقتي هو أخد إيه؛ راديو ساعدتك، المنبّه، ساعة إيدي اللّي كانت على الدفاية، شنطة حضرتك، الهدوم وجزمة سيادتك الجديدة، والبطانية اللّي كنت اشتريتها للشتا، وساب لقلبك الحسرة! البدلة وهدومي اللّي كان كل مرتبي فيهم، وبالجملة مفتاح البيت والمحل. حتى جزمنا وشباشبنا أخدهم."[1]

ومن الأمثلة السابقة يتضح أن المنزل لم يكن يحوي سوى أشياء عامة لا توحي بخصوصية المكان، كما أن تلك الأشياء لم تكشف عن حياة الشخصية النفسية ولم تؤثر في تطور الحدث.

وأيضاً عند وصف منزل أسرة فرهاد جاء الوصف في نطاق العموميات والإشارات العابرة كالاتي:

" تطلع فرهاد حوله؛ نفس الحجرة الحقيرة، نفس الأسّرة، وضع فرهاد يده المتجمدة فوق نار المدفأة وجلس في نفس المكان على الأرض".[2]

وفي وصف شقة كامران في إحدى زيارات فرهاد له:

"دخل فرهاد، ونظر حوله. كانت الحجرة مزدحمة ومبعثرة، وثمة أطعمة باقية فوق المنضدة من الليل، وأطباق مستعملة قد احتشدت".[3]

كما نلاحظ أن العمومية في وصف الأشياء انطبقت أيضاً على وصف الشخصيات، مثال على ذلك عند وصف صاحب المحل الذي تعرض زجاجه للكسر كالآتي:

" كان صاحب المحل رجلاً ضخماً قوي البنية، وكان يبدو أكثر طولاً من فرهاد".[4]

وعند وصف نقاش:

" وبالرغم مما كان يتمتع به نقاش من ضخامة البنية، إلا أنه لم يكن ليباري فرهاد في قوة ساعده".[5]

ويمكن القول إنه كانت هناك عمومية في الوصف أضفت على اللوحات الوصفية صبغة تجريدية، كما كانت الأشياء بصفة عامة سلبية وأقرب إلى الديكور العام الصامت.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١١١.

[2] – المتن الفارسي، ص١٧٦.

[3] – المتن الفارسي، ص٢٣٩.

[4] – المتن الفارسي، ص٦٣.

[5] – المتن الفارسي، ص٧.

**ب)- الصورة الوصفية والصورة السردية:**

الصورة الوصفية هي التي تعرض الأشياء متحركة وتتناول الأحداث وسريان الزمن أما الصورة الوصفية فهي التي تعرض الأشياء في سكونها،[1] ونستطيع أن نتصور مقاطع وصفية خالية تماماً من عنصر الزمن مثل:

" كان رجلاً في الخمسين من عمره، عيناه رمادية اللون وجسده قصير نسبياً وله بنية ضخمة. وجهه مستدير وشفاهه ممتلئة. شاربه في لون الحناء وكان قد غطى شفتيه حتى أن فتحة فمه لا ترى على الإطلاق"[2]، فهذه صورة وصفية ساكنة تماماً وتخلو كذلك من الأفعال، بينما في الصورة الآتية:

" دخلت فتاة جميلة حسنة القوام وقد توشحت بوشاح الصلاة الأبيض وتحمل صينية الشاي، وبصوت جميل ألقت التحية بهدوء وتقدمت. قدمت الصينية للحاج ثم لشهريار، رفع شهريار الكوب من الصينية دون أن يرفع رأسه أو ينظر إليها وشكرها وبعد أن قدمت الفتاة الشاي لجميع الضيوف جلست إلى جوار الحاجة، وخفضت رأسها"[3]، نجد أن جميع الكلمات الواردة في الجملة السابقة موحية بصورة معينة وحتى الأفعال نفسها توحي بصورة. وعلى مدار العمل موضع الدراسة نلمس تفضيل الراوية للشخصية المتحركة على الشيء الساكن حيث تمثل الصورة السردية جزءاً كبيراً من الرواية – على حساب الصورة الوصفية – وتلعب دوراً هاماً في نسيجها، فالوصف السردي لا يتناول وصف أشخاص أو أشياء ساكنة وإنما يتناول الحياة أي الحركة كما يركز على تصوير الشخصيات في حياتهم اليومية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة نورد منها:

" ارتدى فرهاد ملابسه، ومشط رأسه أمام المرآه ومرر يده على شعره، وأطفأ عقب سيجارته وخرج من المنزل".[4]

مثال آخر:

"استيقظ فرهاد من النوم في تمام الساعة السادسة صباحاً على رنين جرس الساعة، ونهض من الفراش علي عجل، وتناول إفطاره مسرعاً دون أن يوقظ شهريار، وبعد أن ارتدى ملابسه خرج من المنزل".[5]

---

[1] – سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص١١٦.

[2] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٤٨.

[3] – المتن الفارسي، ص٣٠٧.

[4] – المتن الفارسي، ص٢٢٩.

[5] – المتن الفارسي، ص٤٤.

مثال آخر:

"كان الصبي بائع الذرة قد وقف أمام الموقد ويقلب الذرة بمروحته العشبية، وكان مشترون كثيرون قد تجمهروا حوله. انتهز فرهاد الفرصة وهجم على الذرة، وبعد ما تحسسه واختبر بعضاً منه بظافره، اختار واحداً في النهاية وأعطاه للصبي".[1]

وأيضاً:

"عند منعطف أول الحارة، كانت سيارة نصف نقل محملة بأثاث منزل قد توقفت. وثمة رجل مسن وعجوز يبدو أنهما أصحاب الحمولة، كانا يعانيان بشدة وصعوبة في أثناء حمل ونقل الأثاث من داخل الشاحنة إلى فناء المنزل الذي كان بابه مفتوحاً. كان الرجل المسن والعجوز يذهبان متعبين لاهثين إلى داخل الفناء، وبعد وضع أثاثهما في ركن، يستأنفان الحمل والنقل مرة ثانية".[2]

يتضح من الأمثلة السابقة أن بناء الديكور في الرواية لا يقوم على الأشياء التي تملأ المكان، وإنما على حياة الشخصيات اليومية، والتفاصيل التي تقف عندها الكاتبة ليست تفاصيل الأشياء الساكنة ولكنها تفاصيل الحركات الدقيقة، كما أن البيئة ليست مجسدة في الماديات المحيطة بالشخصية فلا نجد من مظاهر الحياة المادية سوى ظلال بعيدة متناثرة وقد نقرأ صفحات من الرواية دون العثور على مقطع وصفي واحد.

### ج)- الصورة البيانية

حرصت الكاتبة على إدراج بعض الصور البيانية التي تساهم في إظهار رؤيتها الخاصة تجاه حدث معين أو لتوضيح الحالة النفسية لشخصية بعينها، ومن ضمن الصور البلاغية التي استخدمتها التشبيه، ويتضح في الأمثلة الآتية:

عندما تشاجر فرهاد ونقاش وأحاط العمال بفرهاد وقيدوه، تشبه الراوية حال فرهاد كالعصفور الذي وقع في الأسر كالتالي:

"كان فرهاد مقيداً في أيديهما القوية كالعصفور".[3]

وعندما كان فرهاد يحكي عن ملاحقة سكينة له في أي مكان يذهب إليه، شبهت الراوية بقاءه في القرية كالوقوع في مصيدة الفئران، وأوردت ذلك على لسان فرهاد:

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٩٢.

[2] – المتن الفارسي، ص٢٢٢.

[3] – المتن الفارسي، ص٨.

"ولقيت إن القعاد في البلد زيّ الوقوع في مصيدة الفيران".[1]

وتمثل التشبيه أيضاً في بائع الصحف عندما ذهب لإحضار الشرطي في حادث كسر الزجاج، شبهت الكاتبة ذهابه السريع كالآتي:

"انطلق بائع الصحف كالبرق والرياح لإنجاز مهمته".[2]

وأحياناً كانت الكاتبة تستخدم الكناية في الجملة للدلالة على معنى خاص، مثل ما قاله شهريار وهو يحكي عن معاناته في الحرب:

"منطقتنا اتساوت بالأرض"[3]، وهنا كناية عن مدى الدمار الذي لحق بهم من جراء الحرب.

وأثناء ما كان يحكي فرهاد عن شجاره مع رشيد شقيق كامران:

"استلفت رجلين على رجلي وهربت!"[4]، وهنا كناية عن خوفه الشديد وهروبه من المعركة.

وأخيراً ينبغي أن أشير إلى ما يمكن أن نطلق عليه تصوير الجو العام المحيط بالشخصية، وهذا الجانب في العمل القصصي يحتاج إلى عبارات خاصة ووصف دقيق يستخدم فيه الكاتب خياله الذهني أكثر من أي شيء آخر، وقد أجادت الكاتبة في استخدام هذه الحاسة لديها حيث حرصت في بعض المواقف على تصوير المناخ العام المحيط بالشخصية، فعلى سبيل المثال عندما خرج فرهاد مطروداً من عمله في البناء، وذهب لكي يستقل الأتوبيس، وصفت الكاتبة الحالة العامة كالآتي:-

"مضت دقائق ولكن ما من خبر عن الأتوبيس. كان طابور طويل قد اصطف في المحطة، وكان تأخر الأتوبيس سبباً لتضرر واعتراض بعض المسافرين الذين كانوا قد وقفوا في الصف. كان فرهاد يخطو خطوة هنا وخطوة هناك باضطراب ويتطلع إلى نهاية الطريق باستمرار".[5]

وهنا دلالة على المحيط العام بفرهاد، والذي زاد من التوتر الذي كان يشعر به.

**٣- واقعية المكان وتأثيره في الشخصية**

بالنسبة لواقعية المكان نجد الكاتبة قد اختارت أسماءً حقيقية للمدن والميادين والشوارع مثل:

"مدينة طهران & مدينة على آباد & ميدان آزادى & حديقة لاله & محطة استانبول & شارع دكتر شريعتى & ميدان انقلاب "، مما يعطي إحساساً للقارئ بأنه يستطيع أن يتحقق من وجود تلك

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٣.

[2] - المتن الفارسي، ص٦٤.

[3] - المتن الفارسي، ص٧٦.

[4] - المتن الفارسي، ص١٩٦.

[5] - المتن الفارسي، ص٦١.

الأماكن وأن يذهب إلى زيارتها، فميدان آزادى ميدان كبير بطهران، وحديقة لاله حديقة عامة مشهورة هناك.

كما أجادت الكاتبة في الربط بين طبيعة المكان وتأثيرة في الشخصية، حيث يلعب المكان دوراً هاماً في تكوين الخطوط العامة للشخصية وتحديد اتجاهاتها، فطبيعة فرهاد المتمردة ناتجة عن رفضه الواقع الريفي الذي نشأ فيه، ورغبته الملحة لعيش حياة الأغنياء، ونشهد ذلك خلال رده على شهريار عندما نصحه بأنه كان من الأفضل أن يظل في القرية بجانب والده:

"وحياةِ حبايبك مايحصل، ووحياتي أنا مش بتاع الكلام ده. أفضل أموت من الجوع هنا ولا أهوبش البلد. دلوقتي اندمجت مع الناس، أصلاً ييجي للعيل المدلع ده إنه يتعفن في البلد ويموت؟! شايف أنا حتى ما باتكلمش بلهجة القرويين!"[1]

كما نلاحظ تأثير المكان في الشخصية من خلال بعض الإشارات الضمنية إلى متانة بنية فرهاد، نجد أن ذلك أيضاً استمده من بيئته التي نشأ بها، وورد ذلك على لسانه عندما حذره شهريار من العمل كحارس ليلي:

"من الآخر بالتجربة هتبان قيمتها و ١٠٠٠ طومان في الليلة مش قليل، يعني إحنا برضه مش هنسعى من غير فايدة، ولاّ يعني مش هنقدر نواجه شوية ناس أندال. أنا إنسان قروي اتربيت على العسل والقشطة وسمنة الخرفان، مش السمن النباتي يا عزيزي!"[2]

ولكن يؤخذ على الكاتبة أنها عند توظيفها لعنصر المكان اهتمت بالحضور الواضح للمدينة والغياب شبه التام للريف أو المناظر الطبيعية، وأظهرت المدينة كمكان للعبور ولا يتوقف أحد عند رموزها الجمالية، وجعلتها توحي بالسعادة، لكنها في نفس الوقت تؤكد التعاسة الحقة للبشر المحاطين بالشعور بالفشل وزيف الحياة الاجتماعية.

## اللغة

لا تنهض اللغة في القصة بعبء التعبير والتصوير فقط، لكنها ذات دور مهم في إضفاء الحرارة والحيوية على النص الأدبي، كما أنها تلقي بظلالها وتأثيرها على بقية العناصر، فالبناء أساسه لغوي، والتصوير المكثف للشخصية والحدث يتكيء على اللغة.[3]

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٨٧.

[2] - المتن الفارسي، ص١٤٧.

[3] - فؤاد قنديل: فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ص١٣١.

١- **العنوان:**

إن أول ما يواجهنا من الرواية هو العنوان، فهو الخطوة الأولى التي تقدم بها الرواية نفسها للقارئ، ويمكن النظر إلى العنوان بوصفه مفتاح النص، ووظيفته شبيهة بمفتاح البيت، بمعنى أنه لا يمكن الدخول إلى البيت إلا بعد إعمال المفتاح، فكما أن المفتاح يتيح لحامله فتح الباب وولوج البيت، كذلك العنوان، يتيح للقارئ الدخول إلى عالم النص دخولاً شرعياً.[١] ومن هنا تأتي أهمية العنوان وهو "بازيچه = الدمية"، وللعنوان مستويان، الأول مستوى دلالي مباشر، والآخر غير مباشر. يقف المستوى الأول عند الدلالة المباشرة، والتي تأتي من المعنى الحرفي للكلمة، فالدمية هي اللعبة أي كل ما يلعب به.

وإذا ما انتقلنا إلى المستوى غير المباشر، والذي يعتمد على الرمزية في الدلالة، فإن الدمية هنا ترمز إلى نموذج الإنسان الذي يترك نفسه ليكون لعبة في الحياة فينتهي به المطاف إلى الفشل، ولا أعني بذلك من يخضع لمؤثرات قدرية، تملك ناصيته ثم تلقي به في هاوية الفشل، بل أعني ذلك الذي أسهمت إرادته بقسط كبير في صنع مصيره، بمعنى أن مقوماته أدت إلى نتائجه.

فبطلنا فرهاد كان خير مثال على ذلك بأفعاله العشوائية التي جعلته يفشل في كل عمل يلتحق به، ويصبح لعبة في يد نفسه، ولعبة في يد غيره، فأصبح لعبة في الحياة.

**ويمكن القول إن الكاتبة قد وفقت في اختيار العنوان المناسب لقصتها، فقد أجمع النقاد على أن يكون العنوان مثيراً للفكر، جاذباً للانتباه، قصيراً قدر المستطاع، يتماشى وموضوع القصة على ألا يوضح كل شئ فيها[٢]. فكان عنوان عملنا متوافقاً إلى حد كبير مع هذه المواصفات الفنية.**

٢- **السرد:**

تأتي أهمية عنصر السرد من كونه "الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب جزءاً من الحدث أو جانباً من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحاً من الملامح الخارجية للشخصية، أو قد يتوغل إلى الأعماق فيصف عالمها الداخلي وما يدور فيه من خواطر نفسية أو حديث خاص مع الذات" [٣]، وقد جاء السرد في الرواية باللغة الفصحى، وهناك عدة ملاحظات على لغة السرد نذكرها في النقاط التالية:-

---

[١] - محمد عبد المطلب: بلاغة السرد، سلسلة كتابات نقدية رقم ١١٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠١م، ص١٨.

[٢] - ابراهيم نويس: هنر داستان نويسى، تهران، ٢٥٣٥شاهنشاهي، ص٩٩.

[٣] - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٤٠.

١- يعد عنصر الراوي/ السارد من أهم عناصر الرواية، وذلك لكون الراوي هو نائب المؤلف، وعن طريقه يتم تقديم كل عناصر القصة من شخصيات وحدث وزمان ومكان ولغة، ولهذا فإن "طرف الخيط لكل المسائل المعقدة في صناعة القصة يرتبط بشيء واحد وهو مسألة زاوية الرؤية، أي مسألة الرابطة التي تربط بين الراوي والقصة"[١]، وقد جاء السرد في رواية "بازيچه" بضمير الغائب "هو" واستخدمت الكاتبة "الراوية العليمة بكل شيء"، واختارت معها "صيغة الزمن الماضي"، ويمكن القول إن هذا يؤكد قدرتها المتجددة على التعبير القصصي. والقرآن الكريم نفسه يستخدم هذه الطريقة الجذابة حين صور قصة "أصحاب الكهف" أوردها – في البداية – هكذا:-

"نحن نقص عليك نبأهم بالحق، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم".[٢] والأمثلة على ذلك كثيرة، على سبيل المثال لا الحصر:

"كان يفكر طوال الطريق في الحصول على عمل. فقد انقضى يوم من عمره عبثاً وبلا فائدة، إنه لم يكن يعني بهذه المسألة كثيراً. فالوقت الضائع في عمره كان كثيراً. والشيء الذي كان يقلقه فقط هو أن نقوده كانت في طريقها إلى النفاذ. ولم يكن يرغب في أن يمد يده لشهريار، ويصبح عبئاً عليه".[٣]

وهنا أنابت الكاتبة عن فرهاد في سرد أفكاره ومصدر قلقه.

نموذج آخر:

"خرجت من شهريار – الذي كان يعاني اليأس والحرمان من استعادة الذكريات القديمة– آهة عميقة من صدره".[٤]

وهنا أنابت الكاتبة عن شهريار في وصف حاله عندما كان يستعيد ذكريات استشهاد أسرته خلال حديث له مع فرهاد.

مثال آخر:

"شعر شهريار أنه قد وجد زوجته المثالية، وكانت محبة زهرة قد استقرت في قلبه وكان يتمنى لو لم يكن فقيرا بهذه الدرجة، واستطاع أن يقيم عرساً مشرقاً، وأن يشرف زهرة بين الأصدقاء والمعارف، وأمضى طوال الليل مع أحلامه وأفكاره الجميلة".[٥]

---

[١] – آلوت ميريام: رمان به روايت رمان نويسان، ترجمه: علي محمد حق شناس، چـاپ اول، تهران، نشر مركز، ١٣٦٨هـ.ش.، ص٣٩٦.

[٢] – سورة الكهف، الآيات (١٣ – ١٤).

[٣] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣١.

[٤] – المتن الفارسي، ص٧٥.

[٥] – المتن الفارسي، ص٣٠٩.

وهنا وصفت الكاتبة إحساس شهريار وآماله عندما رأى زهره ابنة الحاج سبحاني.

**ويمكن القول إن هذا الأسلوب أعطى للكاتبة الفرصة للتوغل في أعماق الشخصية لتصف عالمها الداخلي بما يدور فيه من خواطر نفسية، وقد عمدت الكاتبة إلى ذلك؛ كي تتمكن من تحليل شخصيات القصة وتحليل تصرفاتها وردود أفعالها، وما يجري بينها من صراع بحرية تامة. كما تميز أسلوب السرد لديها بأنه كان موازياً بدقة لمستوى حركة الحدث ومستوى الوعي الفكري للشخصية.**

٢- تمثل الجمل الطويلة والجمل الاعتراضية ملمحاً أساسياً من ملامح أسلوب السرد لدى "تسرين ثامني" في كتابة العمل موضع الدراسة، والأمثلة على ذلك:

"تنها اشكال كار در اين بود كه مى بايست تا فرارسيدن شب انتظار بكشد، حكمت از صبح الى عصر يكسره در محل كارش خدمت مى كرد وفرهاد آدرس جديد وى را اختيارنداشت وبايد شب به منزل وى مراجعه مى كرد تا با خود او ملاقاتى داشته باشد".[١]

مثال آخر على استخدام الجمل الطويلة نشهده في:

"وقتى به حاشيه پياده رو رسيد از سر خشم لگد محكم ترى حواله قوطى كمپوت كرد اما اين بار به طور اتفاقى ضربه اش بر تكه سنگى كه در كنار قوطى قرار داشت فرود آمد وقبل از اين كه او به خود آيد صداى وحشتناك شكستن وفرو ريختن شيشه مغازه اى در خيابان پيچيد".[٢]

ومثال آخر:

" حميده را ديد كه شانه به شانه فرهاد از كوچه عبور كرده و وارد خيابان شدند وهر دو يكسره به طرف اتومبيل پيكانى كه در حاشيه خيابان پارك بود رفته وسوار شدند، سپس راننده كه جوان ناشناسى بود اتومبيل را به حركت درآورد واز انجا دور شد".[٣]

كما يدل المثل التالي على كثرة إدماج الجمل الإعتراضية، الأمر الذي يصيب الأسلوب بالتداخل والاضطراب:

---

[١] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣٧.

[٢] – المتن الفارسي، ص٦٢.

[٣] – المتن الفارسي، ص٢٦٧.

"نقاش که طی ماههای اخیر چند بار با فرهاد مشاجره لفظی کرده بود ودل پری از وی داشت، با مشاهده این وضع، فرصت را جهت انتقام جویی وتسویه حسابهای شخصی مغتنم شمرد ودر حالی که قیافه کاملا جدی ورییس مابانه ای به خود گرفته بود با چند گام بلند خود را به او رساند وبا لحن آمرانه ای فریاد زد".[1]

نموذج آخر:

"گاه اتفاق می افتاد که دو دوست با شکم گرسنه، در سرمای سخت زیرزمین که از در وديوارش سوز وسرما می بارید سر به بالش می نهادند وبرای گرم کردن بدن خود، از کیسه آب گرم استفاده می کردند یا یك دیگر را در آغوش می گرفتند تا از حرارت یکدیگر گرما بگیرند".[2]

نموذج آخر:

"شهریار لباسش را پوشیده وآماده خروج از منزل بود که یکباره در گشوده شد ودو مرد غریبه در حالی که بازوان فرهاد را از دو سو گرفته بودند او را که سر وصورتش باند پیچی شده بود به داخل منزل آوردند".[3]

**وبصفة عامة فقد كان حضور الراوية في عملها حضوراً كاملاً، وأعطت نفسها في أكثر من مكان حرية التخفيف من سرعة الحدث لتتيح لنفسها الفرصة للتصوير السردي.**

## ٣- الحوار

اعتمدت الكاتبة على الحوار بصورة رئيسة في تقديمها لأحداث الرواية، وكان لذلك أثره في الحيوية التي يتميز بها أسلوب عرضها الذي يبعد عن التقرير إلا نادراً.. ولقد برزت بعض الجوانب التي ميزت الحوار لديها ويمكن إيرادها في ما يلي:

١- استخدمت الكاتبة اللهجة العامية الطهرانية في الحوار، وذلك لكي تقترب من الواقعية، فهي تنطق أشخاصها في الرواية باللغة التي يتحدثون بها في الحياة اليومية. والحوار باللغة العامية "يتيح للشخصيات مزيداً من الصدق في التعبير عن ذواتها، وهي كفيلة بأن تضفي على أشخاص الرواية المتحدثين بها طابعاً قد يظل عالقاً بذهن القارىء سنين طويلة".[4]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٦.

[2] – المتن الفارسي، ص١٢٣.

[3] – المتن الفارسي، ص١٦٧.

[4] – ادوار منسي: اللغة العامية في الحوار القصصي، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١٣.

٢- لجأت الكاتبة في بعض الأحيان إلى المنولوج الداخلي، أو الحوار مع النفس: وهو "حديث بلا صوت يدور في إطار العالم الداخلي للشخصية، وفيه تتكلم الشخصية بنفسها بحديث خاص جداً قد لا تقدر أو لا تستطيع البوح به".[١]

وفي روايتنا نجد نوعين من الحوار مع النفس:-

أ)- **حوار مباشر مع الذات**: وفيه تركت الكاتبة لشخصياتها الحرية لتحدث نفسها مباشرة، مثال على ذلك عندما ركل فرهاد علبة الكومبوت الخالية في أثناء سيره قال في نفسه:

"أهي مشكلات الحياة بتلعب بينا، وكأننا زي العلبة دي".[٢]

وأيضاً عندما فشل فرهاد في بيع جهاز الراديو، نجده يحدث نفسه أثناء سيره مزمجراً:

"يا حظ يا خسيس ياللّي مابتجيبش إلا السوء".[٣]

**وكذلك عندما تعرض فرهاد وشهريار للسرقة من قبل بهروز، وخرج شهريار لاستعارة بعض** الملابس من جارهما، وترك فرهاد وحيداً ليحدث نفسه بغضب:

" يا ندل يا حقير، بقى تاخد كل اللّي ليّ؟ إلهي يسحقك وما تتهنّاش به. وجهاز الراديو الغالي بتاعي. طب قول هدومي، إنما جزمتي اللّي ماكنتش لسه حطتها في رجلي. إلهي ما تشوف الخير **يا بهروز يا كداب! فين ما تقع في إيدي هاقطعك بالسكينة، يا حقير يا ندل! وشهريار ده كمان اللّي** مجاش، ومش معروف هو بيعمل إيه".[٤]

ب)- **حوار غير مباشر مع النفس**: حيث كانت الكاتبة تقوم بذلك نيابة عن الشخصية، مثال على ذلك عندما رأى شهريار حميدة تستقل سيارة مع فرهاد وكامران، قامت الكاتبة بتوجيه بعض الأسئلة نيابة عن شهريار في السرد:

"كان يفكر في نفسه، أي خطة هي في رأس فرهاد؟ ولماذا اصطحب حميدة معه لهذا المنزل المريب؟ ولماذا كان يجب أن ترافقه حميدة؟ وأي علاقة نشأت بين حميدة وفرهاد؟ وذلك الشخص الثالث، الشاب الذي تولى القيادة، ماذا كان ينفذ في الخطة في تلك الأثناء؟".[٥]

---

١ - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، مصدر سابق، ص٤٦.

٢ - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٦٢.

٣ - المتن الفارسي، ص١٠٢.

٤ - المتن الفارسي، ص١١٦.

٥ - المتن الفارسي، ص٢٧٣.

وفي موقف آخر عندما سجن فرهاد، وكان يشك في كل شيء حتى في شهريار بأنه هو الذي وشى به كي يفوز بحميدة، فنجد أن الكاتبة جعلت فرهاد يحاور نفسه من خلالها:

"ألا يكون شهريار هو الشخص الذي وشى به لدي الشرطة؟ وأي شخص سيستفيد من القبض عليه سوى شهريار؟ كيف وجد شهريار – الذي حتى وقت قريب كان لديه إمكانيات بسيطة- الفتاة موضع اهتمامه بهذه السرعة وتزوجها؟ وأية عائلة تصاهر شابا في مثل ظروفه؟ وكيف استطاع شهريار الذي ليس لديه آهة لكي يتاجر بالنواح أن يتحمل نفقات الزواج؟".[1]

**وهنا نجد أن الكاتبة جعلت الشخصية تحدث نفسها متأملة حولها، فيزول حينئذ ما بين الوعي واللاوعي من حجب وأستار، وبذلك تكشف الشخصية عن نفسها لقارئها وتوضح له خفاياها وأسرارها.**

٣- أجادت الكاتبة في استخدام الحوار بما يساهم في بناء الشخصية وكشف جوانبها، وجعلت الحوار يتناسب ووضع الشخصية الثقافي والاجتماعي والفكري، فحين تتحدث الأم نلمح صورة الأم في أسمى أشكالها، فهي الملجأ والملاذ في الأوقات العصيبة، وهي الحنون العطوف على أبنائها، ويتجلى ذلك في العتاب الرقيق لابنها الذي غاب عنهم فترة طويلة دون سؤال:

"أخيراً جيت بعد سنتين؟ ماكنتش بتيجيي لنا ليه في المدة دي؟ وليه ماكنتش بتقول لنا أخبارك؟ عيني ابيضت على الباب، كنت باستنى بالليل والنهار إن الباب ده يتفتح وإنت تدخل منه".[2]

وكذلك في فزعها عندما رأت الحال الذي عليه ابنها، وسؤالها له:

"أد ليه خسيت يا فرهاد تكونش تعبان؟".[3]

وفي حزنها لقلة حيلتها وعجزها عن مساعدة ابنها:

"وشي إسود يا بني، ربنا يعلم إني مش محوشة ولا حتى نكلة واحدة وإلا ماكنتش خلّيتك تمشي من هنا بايد فاضية".[4]

وفي إلحاحها على زوجها لكي يساعد ابنه:

"بابا مراد عايز تمشي ابنك بايد فاضية؟ يعني بالله عليك ماينبسطش؟".[5]

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣١٤.
[2] - المتن الفارسي، ص١٧٦.
[3] - المتن الفارسي، ص١٧٧.
[4] - المتن الفارسي، ص١٨٤.
[5] - المتن الفارسي، ص١٨٤.

وحين يتحدث كامران نلمح الشخصية الماكرة الناسجة للحيل، فبعد أن ذهب إليه فرهاد للعمل معه، أشار عليه ببعض الشروط التى لا تتجلي إلا على أصحاب العقول الصغيرة، فمثلاً نجده يقول: "اسمع كويس يا فرهاد. لو ضعفت وبلغت عن أصحابك هتكون حفرت قبرك بإيدك، لكن لو بقك بقى محكوم ومقفول أولاً هم هيبعتولك فلوس من بره السجن علشان تعيش مرتاح وكمان يقدروا يخرجوك ويخلصوك منه".[1]

وكذلك حينما أراد أن يوقع بين الصديقين فرهاد وشهريار مستغلاً حبهما لنفس الفتاة: "مفيش قدامك أكتر من طريقين، يا إما تسيبك من الارتباط بالبنت دي وتصرف نظر عن الجواز منها وتخلّي صاحبك يفوز، يا إما تقف وتاخد حقك".[2]

٤- لجأت الكاتبه أحياناً إلى الحوار المكثف، حتى أن كلمة واحدة فيه قد تنوب عن الجملة، ومثال على ذلك عندما سمع فرهاد بالمصادفة الحوار الذي كان يدور بين عباس ومرتضى حول البحث عن شخص لحراسة المنطقة في أثناء الليل، وعرض فرهاد عليهما أن يقوم بهذه المهمة، فينظر إليه مرتضى متحيراً ويسأله:

- إنت؟!![3]

فهذه الجملة المكثفة بدلاً من "هل تستطيع أنت أن تقوم بهذه المهمة الشاقة؟!" استطاعت الراوية من خلالها أن تنقل الإحساس بالتعجب والحيرة اللذين شعر بهما مرتضى حيال طلب فرهاد، فهو لم يكن يتوقع أن يتحقق ما كان يتباحث هو وصديقه بشأنه بهذه السرعة الغير متوقعة.

ومثال آخر عندما أراد كامران شراء سجائر وذهب إلى البائع الذي كان يفترش الرصيف ليشتري منه، وفي أثناء ما كان يخرج له البائع – الذي لم يكن سوى فرهاد – علبة السجائر ليعطيه إياها، يسأله كامران فجأة:

- آه يا بني، إنت؟![4]

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٤٣.

[2] - المتن الفارسي، ص٢٥٦.

[3] - المتن الفارسي، ص١٣٩.

[4] - المتن الفارسي، ص١٩١.

وهنا استخدمت الكاتبة اللغة بإيجاز وتركيز شديدين، فهذه الجملة المختصرة بدلاً من "آه يا بني، معقولة أقابلك هنا في طهران بعد كل هذه المدة؟!" استطاعت تجسيد مشاعر كامران التي كانت مزيجاً من الاشتياق وعدم التصديق نتيجة رؤية فرهاد غير المتوقعة في طهران.

وأيضاً عندما ذهب فرهاد لزيارة كامران بعد تلك الحادثة التي تم خلالها القبض عليهما معاً نتيجة الاشتباه في كامران، وكان نتيجتها أن تعرض فرهاد للحبس والتحقيق معه على مدار عشرة أيام قبل الإفراج عنه لعدم ثبوت تورطه في شيء، فنجد كامران يسأله عند فتح الباب له:

– إنت؟![1]

فهذا السؤال المكثف من قبل كامران ينقل الإحساس بالدهشة والاستغراب وعدم التصديق من عودة فرهاد إليه مرة أخرى بعد كل ما عاناه بعد زيارته الأولى له.

٥– جعلت الكاتبة شخصياتها تؤدي الحوار بأكثر من لحن حسب رؤيتها، ووفقاً للموقف الذي يؤدى فيه. فقد يؤدى اللحن بنبرة سخرية واستهزاء، مثال على ذلك ما ورد على لسان فرهاد عندما كان يعمل بالمصنع وخرج لتدخين السجائر، فأخبره نقاش – مدير المصنع – أن هذا يخالف اللوائح:–

" لوايح! لوايح إيه؟! أصلاً لوايحكم المتلفقة دي بتقول إيه ،هه؟ ".[2]

وعندما تعرض فرهاد للضرب من قبل اللصوص أثناء عمله كحارس ليلي، وأخذ يشكو ما أصابه لشهريار – الذي كان يعارض التحاقه بهذا العمل – فيسخر منه شهريار قائلاً:

"هاتقول تاني سوء الحظ!".[3]

وأحياناً يؤدى اللحن بصورة رسمية، ومثال على ذلك ما قاله جمال لفرهاد عند رؤيته معتقداً أنه زبون:

"تحت أمرك، أي خدمة أقدر أقوم بيها؟".[4]

وكذلك في سؤال فرهاد له في نفس الحوار:

"السيد جمال جه من فضلك؟".[5]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٣٩.

[2] – المتن الفارسي، ص٦.

[3] – المتن الفارسي، ص١٧٢.

[4] – المتن الفارسي، ص٨٠

[5] – المتن الفارسي، ص٨٠

أو يؤدى بصيغة يغلب عليها العتاب، مثل عتاب الأب لابنه:

"مشيت وما سبتلناش خبر عنك، ما قلتش همّ ميتين ولاّ عايشين؟ ابني الكبير اللّي يكون سندي في الدنيا انحنى ضهري من فراقه".[1]

وكذلك في عتاب شهريار لفرهاد بعد أن ضربه اللصوص أثناء عمله بالحراسة:

"شفت البلوة اللّي جبتها لنفسك؟ مبقاش فاضل حتة سليمة في جسمك، حتى المغسّل مش هيرضى يبص لك، قلت لك ١٠٠ مرة خلّيك عاقل وسيبك من الشغلانة دي، لكن أكنّه ما أثرش فيك".[2]

أو يؤدى بلهجة دعاء مثل دعاء والد حميدة لفرهاد وشهريار بعد مساعدتهما له أثناء نقله لأثاث منزله:

"ربنا يقويكم، إلهي يديكم طول العمر لأنكم ساعدتوني، إلهي ما تعجزوا أبداً".[3]

وأيضاً في دعاء شهريار لسبحاني وزوجه أثناء زيارته لهما على العشاء:

"ربنا يخلّيكم لأولادكم، ربنا يحفظكم".[4]

٦- تحدثت الكاتبة على لسان أبطال حظهم ضئيل من الثقافة، مما زاد إلى حد كبير من عمق النزعة الواقعية في الرواية، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

- اتكوم ونام آل عامل لي راجل![5]

وردت هذه الجملة على لسان شهريار في أحد حواراته مع فرهاد، عندما قال له فرهاد أنه لن يتطفل عليه ثانية حتى لو مات من الجوع.

- لأ لازم أمشي. إدهن لي شوية جبنة على لقمة عيش علشان أضربها في العرق وأنا في الطريق.[6]

قالها فرهاد عندما استيقظ ذات مرة متأخراً ولم يكن لديه وقت لتناول الإفطار.

- كلام فارغ! يا روح أبوك! إنت فاكر بتتخانق مع عيل؟![7]

قالها فرهاد للمقاول أثناء شجاره معه.

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٨٢.

[2] - المتن الفارسي، ص١٦٨.

[3] - المتن الفارسي، ص٢٢٣.

[4] - المتن الفارسي، ص٣٠٤.

[5] - المتن الفارسي، ص٢٦.

[6] - المتن الفارسي، ص٥٦.

[7] - المتن الفارسي، ص٥٩.

– هتخلع إيدي، بترفس ليه زيّ الحمار الطايح كده؟![1]

قالها فرهاد لشهريار عندما كان يوقظه شهريار بعنف وجذبه من يده ليخرجه من الفراش.

**ويمكن القول إن لغة الحوار كانت مناسبة تماماً للشخصيات التي جرى على لسانها، وساهمت بشكل كبير في تصوير المشاهد على النحو الذي يكشف للقارئ عن الصراع الدائر بين الشخصيات الممثلة لطرفي هذا الصراع، أو في تصوير الجو العام للموقف.**

## ٤– التضمين

تكمن أهمية التضمين في توثيق العلاقة بين الشخصيات والمخزون الثقافي للبيئة، ومن نماذج التضمين في الرواية:

أ– ضمنت الكاتبة في روايتها بعض الجمل من الموروث الديني والمذهبي على لسان الشخصيات في الحوار مثل التوسل بعلي والقسم بالحسين والعباس، ومن ذلك ما يلي:

"مدد يا علي[2]... / قسماً بالحسين[3]... / وحياة العباس[4]...".

ب– كما ضمنت كثيراً من الأمثال الشعبية التي تم توظيفها بشكل سليم فخدمت المواقف التي ذكرت من خلالها، مثل:

* "دسته گل به آب دادن"[5]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١١٠.

[2] – يا علي: تقال عند التصميم على أمر والشروع فيه، ويقصد بها طلب العون من الإمام علي بن أبي طالب.

رضا انزابى نژاد ومنصور ثروت: فرهنگ معاصر، ص٩٦٦.

[3] – المقصود هو الحسين بن علي بن أبي طالب، ثالث الأئمة لدى الشيعة الجعفرية، قال عنه الرسول – ص –:

"الحسين مني وأنا من الحسين، اللهم أحب من يحب الحسين، الحسين سبط من الأسباط".

انظر: البداية والنهاية، ط٣، بيروت ١٩٨١م، ص١٤٩. وقد أورده الترمذي في كتاب المناقب (ص٦١٧) وقال عنه أنه حديث حسن.

وأيضاً: لهوف بن طاووس، سوگنامه كربلا، چـ١، بهار ١٣٧٨ش. ص٣٥.

[4] – المقصود هو أبو الفضل العباس بن علي، رابع أبناء الإمام علي بن أبي طالب وأكبر أبناء السيدة فاطمة، وعرف بلقب "قمر بني هاشم" واستشهد في واقعة كربلاء وله بقعة في كربلاء.

للمزيد انظر: رضا عبد الفتاح بدوي، النزعة المذهبية في الشعر الإيراني في عهد محمد رضا شاه ١٩٧٩:١٩٤٢م، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب المنوفية،٢٠٠١م، ص٣٤٤ وما بعدها.

[5] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٠.

المعنى = وضع باقة من الورد في الماء.

الدلالة = كناية عن الإيذاء في غير محله.[1]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما عاد فرهاد للمنزل بعد شجاره مع نقاش والذي تسبب له في كدمات وزرقة وتورم بوجهه.

* "آبشون از يك جوى نمى رود".[2]

المعنى = مياههم لا تجري في نهر واحد.

الدلالة = يطلق المثل في حق الأشخاص الذين لا يتفقون ولا يتوافقون بأي حال من الأحوال.[3]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد ذات مرة عندما سأله إسماعيل هل يتوسط له للعمل بالمتجر مرة أخرى أم لا؟

* "با يك گل بهار نمى شود"[4]

المعنى = ليس مع كل وردة ربيع.

الدلالة = كناية عن أن النادر كالمعدوم.[5]

الموقف= ذكر هذا المثل على لسان شهريار في أحد حواراته مع فرهاد والذي كان ينصحه فيه بعدم التدخل في شئون الآخرين حتى لا يحدث له ما لا يحمد عقباه.

* "همسايه ها يارى كنين تا من شوهردارى كنم"[6]

المعنى = يا جيران ساعدوا كي أتزوج.

الدلالة = ويقال في حق الكسالى والعاطلون.[7]

---

[1] – إبراهيم الدسوقي شتا "دكتور": المعجم الفارسي الكبير، المجلد الأول، ص ١٢٠٢.

[2] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٢٦.

[3] – امير قلى امينى، فرهنگ عوام يا تفسير واصطلاحات زبان پارسى، انتشارات دانشگاه اصفهان، ١٣٥٠هـ.ش، جلد اول، ص٢١.

[4] – المتن الفارسي، ص٢٥.

[5] – فرهنگ عوام، جـ١، ص ١٣٢.

[6] – المتن الفارسي، ص٢٥.

[7] – فرهنگ عوام، جـ٣، ص٨٥٥.

الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما وجد فرهاد يذهب إلى إسماعيل في كل مرة يفقد فيها عمله ويطلب منه إيجاد عمل آخر له.

* "گليم خود را از آب بيرون كشيدن"[1]
المعنى = إخراج غطاءه من الماء.
الدلالة = كناية عن تخليص النفس من خطر عظيم.[2]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار في أحد المشاهد التي كان ينصح فيها فرهاد بأن يحافظ على الوظيفة التي يلتحق بها.

* "جوينده يا بنده است"[3]
المعنى =باحث أو عابد.
الدلالة = كناية على أن من جد وجد.[4]
الموقف= قال شهريار هذا المثل ذات مرة وهو ينصح فرهاد بمواصلة البحث عن عمل وألا يجلس في انتظار أن يساعده الآخرون.

* " زير آبرو وردارم به جاش جفت چشامو از دست بدم"[5]
المعنى = بدلاً من تقليم الحاجب فقدت عينيّ الاثنين.
الدلالة = ويقال في حق من يريد أن يصلح الأمر فيفسده، ويقابل المثل العربي "جيت أكحلها عميتها".
الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما طلب من فرهاد – الذي كان يخشى العودة للقرية نتيجة ملاحقة سكينة له– بأن يذهب ويطلب مالاً من أبيه، فيرد فرهاد عليه بأنه لكي يفعل ذلك فعلى شهريار أن يذهب أولاً للزواج من سكينة ويخلصه منها، فيجيبه شهريار بأن من الأفضل أن ينسى موضوع المال ثم يقول هذا المثل.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٦.
[2] – فرهنگ عوام، جـ٣، ص٦٦٧.
[3] – المتن الفارسي، ص٣٢.
[4] – فرهنگ عوام، جـ١، ص٢٦٦.
[5] – المتن الفارسي، ص٤٣.

* "ایراد بنی اسراییلی می گیره"[1]
المعنى = إشارة إلى الاعتراضات في أمر مائدة قوم بني اسرائيل لسيدنا موسى ومن بعدها لسيدنا عيسى عليهما السلام.
الدلاله = كناية عن الجدل الشديد.[2]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان حكمت حينما كان يشرح لفرهاد طبيعة شخصية المقاول بأنه رجل جاف وروتيني ويعامل من يتقن عمله معاملة حسنة وإلا يتجادل معه بشدة ويضطهده.

* "مو از ماست کشیدن"[3]
المعنى = سحب الشعرة من الزبادي.
الدلالة = كناية عن القيام بأمر ما بمهارة.[4]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان حكمت عندما أخذ يوضح لفرهاد مدى مهارة المقاول واتقانه لعمله بالرغم من تشدده.

* "انگار که از دماغ فیل افتاده"[5]
المعنى = كمن سقط من خرطوم فيل.
الدلالة = ويقال في حق المغرورين الذين ينفذون ما يرغبون بالقوة.[6]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد عندما كان يحكي لشهريار عن مقابلته مع المقاول وكيف كان يحدثه بغطرسة وتعالي.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٤٥.
[2] – على اكبر دهخدا: لغت نامه، تهران، ١٣٤١هـ.ش، جـ١، ص٣٢٣.
[3] – المتن الفارسي، ص٤٩.
[4] – المعجم الفارسي الكبير، جـ٣، ص٢٨٠٩.
[5] – المتن الفارسي، ص٥٤.
[6] – فرهنگ معاصر، ص٥١.

* "برگ سبزى تحفهء درويشه"[1]

المعنى = الورقة الخضراء هدية الدرويش.

الدلالة = كناية عن أن الهدايا على مقدار مهديها.[2]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد حينما اصطحب بهروز معه للمنزل.

* "نمك خوردن ونمكدان شكستن"[3]

المعنى = أكل الملح وكسر الملاحة.

الدلالة = يقال في من يقابل الإحسان بالإساءة.[4]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد بعد سرقة بهروز لهما.

* "پشه را نعل در هوا بستن"[5]

المعنى = ضرب البعوضة بالنعل.

الدلالة = كناية عن المهارة الشديدة.[6]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عند رده على فرهاد الذي تعجب من عدم شعورهما بشيء أثناء سرقة بهروز لهما بالرغم من وجودهما في المنزل في تلك الأثناء.

* "تير به سنگ خوردن"[7]

المعنى = مصادفة السهم حجر.

الدلالة = كناية عن عدم إصابة الهدف.[8]

---

[1] - رواية بازيچه،المتن الفارسي، ص١٠٧.

[2] - لغت نامه، جـ١، ص٤٢٦.

[3] - المتن الفارسي، ص١١٤.

[4] - فرهنگ عوام، جـ٣، ص٧٩٣.

[5] - المتن الفارسي، ص١١٣.

[6] - فرهنگ عوام، جـ١، ص٢٠٠.

[7] - المتن الفارسي، ص١٢٧.

[8] - فرهنگ عوام، جـ١، ص٢٤٧.

الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد عندما عاد إلى المنزل ذات مرة بعد بحثه عن عمل دون جدوى وسأله شهريار هل وفق أم لا.

* "آب پاکی را به دست کسی ریختن"[1]
المعنى = صب الماء الطاهر بيد أحد.
الدلالة = كناية عن الإيئاس تماماً.[2]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد بعد أن رفض صاحب الورشة أن يعيده للعمل بها.

* "قمر در عقرب شدن"[3]
المعنى = كون القمر في مدار العقرب.
الدلالة = كناية عن تغير الأحوال للأسوأ.[4]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد في أحد حواراته مع شهريار حيث كان يوضح له أن أحواله لم تتحسن بل على العكس من ذلك تسير معه الأمور من سيء إلى أسوأ.

* "هنوز غوره نشده می خوای مویز بشی"[5]
المعنى = لم يعد حصرماً ويريد أن يكون زبيباً.
الدلالة = يقال في حق من يطلب النهاية وهو لم يبدأ بعد.[6]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما كان يوضح لفرهاد خطأ تفكيره في تحقيق الثراء السريع دون بذل أي مجهود.

---

[1] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٢٨.
[2] - لغت نامه، جـ١، ص٥.
[3] - المتن الفارسي، ص١٣٠.
[4] - فرهنگ بزرگ، جـ٢، ص٢١١٣.
[5] - المتن الفارسي، ص١٣٢.
[6] - فرهنگ عوام، جـ٣، ص٨٦٤.

* "هيزم تر بكسى فروختن"[1]
المعنى = بيع الحطب مبلول لأحد.
الدلالة = كناية عن الاحتيال على أحد.[2]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما غضب منه فرهاد ذات مرة وأراد أن يبتعد عنه.

* "بزك نمير بهار مى ياد كمبزه با خيار مى ياد"[3]
المعنى = لن يموت الحمل وسيأتي الربيع ويأتي الشمام والخيار.
الدلالة = ويضرب في مجال الوعد البعيد المنال، ويقابل المثل العربي "مثل مواعيد عرقوب".[4]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان شهريار عندما أخبره فرهاد أنه سوف يأخذ بيد أهله ويحضرهم للعيش معه في المدينة بعد ما تتحسن أحواله.

* "پا در كفش كسى كردن"[5]
المعنى = وضع القدم في حذاء شخص.
الدلالة = كناية عن التدخل في شأن الآخرين.[6]
الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد عندما نصحه شهريار بعدم العمل مع كامران حتى لا يتعرض للأذى.

* "حق كسى را كف دستش گذاشتن"[7]
المعنى = وضع حق الشخص في كف يده.
الدلالة = كناية عن إيقاف شخصاً ما عند حده.[1]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٣٥.
[2] – فرهنگ عوام، جـ٣، ص٨٦٨.
[3] – المتن الفارسي، ص١٨٩.
[4] – فرهنگ عوام، جـ١، ص١٥٤.
[5] – المتن الفارسي، ص٢٦٣.
[6] – لغت نامه، جـ١، ص٤٩٤.
[7] – المتن الفارسي، ص٢٦٨.

الموقف= ورد هذا المثل على لسان سائق السيارة الأجرة التى استقلها شهريار لملاحقة فرهاد وحميدة وأخبر السائق أن فرهاد خطف خطيبته.

* "آش نخورده ودهان سوخته"[2]

المعنى = لم يشرب الحساء ولُسع فمه.

الدلالة = يضرب في حق الشخص الذي لم يفعل الشيء ويتحمل وزره.[3]

الموقف= ورد هذا المثل على لسان كامران عندما أخبر شهريار بأنه قد تم القبض على فرهاد وطلب منه ألا يذكر اسمه كي لا يتعرض للمساءلة.

"سيب تا فرود آمدن هزار چرخ مى زند"[4]

المعنى = حتى سقوط التفاحة تدور آلاف الأفلاك.

الدلالة = ويقابل المثل العربي "ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال".[5]

**الموقف= ورد هذا المثل على لسان فرهاد عندما قرر البقاء في طهران والبحث عن عمل بعد لقائه بحميدة.**

بعد هذا التحليل الفني للرواية، يمكن القول إن نجاح الرواية اكتمل بتآزر مكوناتها التي خضعت لنوع من التناغم ووحدة الرؤية والهدف، وأجادت الكاتبة حين اتخذت منظوراً قصصياً صورت من خلاله إطار عالم بكل عناصره، وجعلت هذا المنظور من خلال شخصية (الراوي) العليم ببواطن الأمور، والذي يرقب الأحداث من بعيد.

**فأتت الشخصيات في مستوى ما تقوم به من أعمال، وما تلقى من أفكار، وأتى الوصف أو التمهيد للمشاهد متناسباً مع نفسيات الأشخاص، ومؤدياً إلى الإحساس بالمضمون العام، وهذا يعني أن الكاتبة أحسنت في اختيار الشخصيات والأماكن والأفكار، وحافظت على قدرة الاستطراد والتشويق من بداية الرواية إلى نهايتها.**

---

[1] – فرهنگ عوام، جــ١، ص٣٠٥.

[2] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٢٨٩.

[3] – فرهنگ عوام، جــ١، ص٤٢.

[4] – المتن الفارسي، ص٢٧٨.

[5] – فرهنگ بزرگ، جــ٢، ص١٦٥٢.

# الفصل الثاني
# دراسة في المضمون

## الفصل الثاني
## "دراسة في المضمون"

ليست الرواية حكاية للأحداث وسرداً للوقائع فقط، وإنما هي فقه لحياة الناس وما يحيط بها من ظروف وما يتتابع فيها من أحداث. " فالمبدع أو الأديب – على وجه التحديد – يعتبر قائداً فكرياً في مجتمعه، وهذه القيادة الفكرية تجعله لا يستطيع أن يتجاهل القضايا الجوهرية التي تواجه المجتمع في صراعاته الداخلية".[1]

ورواية "بازيچه" تندرج تحت مسمى القصص الاجتماعي، وهذا النوع "يقوم بعرض زوايا من الحياة المعاصرة بعيوبها ومفاسدها".[2] فهي ليست رواية مدينة أو رواية أسرة ولكنها رواية حياة، والمشاكل التي تواجه شخصياتها ليست مشاكل فردية، لكنها مشاكل مجتمع عبرت عنها الكاتبة بقوة ناشئة عن التأمل الشخصي. فهي تصور الواقع برؤية شمولية، دون مبالغة أو تضخيم، وتهدف إلى إصلاح المجتمع وتغيير الواقع، ومن هنا ترتبط واقعية الرواية بموقف ملتزم، حيث يكون انعكاسها صادقاً للواقع الذي تعبر عنه.

والسبيل الذي سوف أسلكه في هذه الدراسة هو البحث عن المنظور الروائي للكاتبة، أو وجهة النظر التي اعتنقتها وتريد أن تطرحها من خلال الرواية.

### الفكرة:

يمكن تلخيص الفكرة الرئيسة لمضمون الرواية في بضعة سطور قليلة؛ وهي أن الخير والشر في الإنسان نسبي، وأن كل إنسان يعيش داخل نفسه في صراع مستمر بين مجموعة من القيم والميول، وأن انتصار قيمة من القيم في هذا الصراع يرد إلى أسباب ترجع إلى طبيعة الشخص نفسه وإلى ظروفه، سواء أكانت ظروفاً فردية أم اجتماعية.

---

[1] – صلاح فضل "دكتور": منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص١٢٧.

[2] – يحى آرين پور: از صبا تا نيما، جـ٢، شركت سهامى كتابهاى جيبى، تهران، ١٣٥٧هـ.ش، ص٢٥٨.

أحوال المجتمع:

رصدت رواية "بازيچه" على مدار أحداثها صوراً حية من المجتمع الإيراني ظهرت في غير مشهد، ويمكن القول إن الكاتبة بنت روايتها على مواقف حياتية، وجعلت القضية الاجتماعية الممثلة في البطالة والبحث عن لقمة العيش هي المحور الرئيس في هذه الرواية، والعامل الاقتصادي هو المحرك الأول للشخصيات، ففي تحليل للمستوى المعيشي للشعب الإيراني خلال فترة التسعينيات وجد أن إيران تعاني من أن ٣٠% من جملة السكان يعيشون تحت خط الفقر المدقع، في حين يعيش ٥٠% منهم تحت خط الفقر النسبي[١]، ومع ازدياد الصعوبات المعيشية وقلة الإمكانيات يظهر اللصوص والنصابون، إذ ليس بهروز الحرامي وكامران النصاب إلا رموزاً حية تعكس سوء الوضع القائم.

ولقد صورت الكاتبة سوء الأوضاع الاجتماعية على لسان كثير من الشخصيات، يبدو ذلك في الشواهد التالية:

على لسان فرهاد حينما ذهب إلى السيد إسماعيل يشكو له أحواله بعد طرده من المصنع:

"بقى زمن سئ يا سيد اسمال، مبقاش فيه حد قلبه على حد، أو حد يزيح المشاكل عن حد. الكل بيفكر في نفسه، الكل عايش علشان نفسه، الحياة بقت صعبة، جاحدة، وظالمة".[٢]

وعلى لسان فرهاد أيضاً في أحد حواراته مع شهريار بعد طرده من الورشة دون ذنب جناه سوى أنه مرض وانقطع عن العمل أسبوعاً دون أن يخبر جهة عمله:

"في الزمن ده علشان تتكلم مع حد هيبقوا عايزين يستغلوك ويبيعوك بلَوشي".[٣]

وعلى لسان شهريار عندما كان ينصح فرهاد بأن يحاول الحفاظ على عمله بالمتجر:

"الزمن ده بقى مهبب وملعون أبوه، حمل على الواحد اللّى مايقدرش يخلص نفسه من الخطر".[٤]

وعلى لسان إسماعيل عندما ذهب إليه فرهاد كي يطلب منه أن يعمل معه في محل بيع السجاجيد خاصته:

" تجارتي مش ماشية أوي ... السوق نايم، والطلبات قليلة أوي الأيام دي بسبب غلو الأسعار، والناس مش قادرين يشتروا".[١]

---

[١] – د. على رشيدى "باحث بهيئة الإدارة والتخطيط الإيرانية": تحليل حول ضرورة خلق المنافسة الاقتصادية كمفتاح لازم لمكافحة الفقر، نشر في صحيفة "همشهرى"، العدد (١٦٣٣)، ١٢ آبان ١٣٧٧هـ.ش.

[٢] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص١٤.

[٣] – المتن الفارسي، ص١٣١.

[٤] – المتن الفارسي، ص٢٦.

وعلى لسان حكمت صديق فرهاد عندما أخذ يوضح له سبب تمسكه بعمله في البناء بالرغم من صعوبته:

"أنا لو مكانش مرض أبويا ماكنتش رحت اشتغلت بالثانوية العامة، أعمل ايه ما هو كل شهر لازم أحط الفلوس كلها في حساب المستشفى، علشان يحافظوا على أبويا حي".[2]

كما أوضحت المؤلفة المعاناة الشعبية بمواصلة العمل في بعض المهن طوال ساعات النهار أو أغلبه من أجل الحصول على لقمة العيش أو المأوى، ويتضح ذلك عندما أخذ المقاول يلقي تعليماته على فرهاد عند استلامه العمل في البناء:

**" لازم تشتغل متواصل من الساعة ٨ صباحاً لحد الساعة ٦ بعد الظهر وعندك ساعة واحدة بس** علشان الغدا".[3]

وأيضاً عندما أوضحت ظروف عمل فرهاد في الورشة ذكرت الآتي:

" كان يعمل من الساعة السابعة صباحاً وحتى الخامسة بعد الظهر دون انقطاع، ومؤخراً أخذ يعمل ساعتين أو ثلاث إضافياً كي يحصل على أجر أعلى".[4]

ومن الآثار السلبية في المجتمع انتشار الرشوة كوسيلة يمكن بها الوصول للمراد، وأشارت الكاتبة إلى ذلك على لسان كامران وهو يقول لفرهاد حينما صادر رجال البلدية بضاعته:

"إنت ماكنتش تعرف ديّها، كنت لازم ترشيهم كويس علشان يتجاهلوا سجايرك".[5]

ومن واقع المجتمع أيضاً نجد المؤلفة قد غاصت في واقع المجتمع الريفي من خلال بعض المشاهد التي قد تبدو بسيطة، غير أنها تقدم صورة واضحة عن معاناة هذا العالم، وتمثل ذلك في الحديث عن الشائعات ومدى تأثيرها على الناس، فقد كانت الشائعات من ضمن الأسباب الرئيسة التي جعلت فرهاد يهجر قريته ويذهب إلى العاصمة، حين نصحته أمه بذلك تجنباً لألسنة الناس وكلامهم حول تعلق سكينة به. وكانت الشائعات أيضاً السبب في أن يهجر عم فرهاد وأسرته بيته إلى مكان لا يعلم به أحد، فنجد فرهاد يقول:

"قدر عجيب! يعني بسبب الشائعات دي عمي المسكين ساب داره!".[6]

---

[1]- رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣٦.

[2] - المتن الفارسي، ص٤٤.

[3]- المتن الفارسي، ص٤٩.

[4] - المتن الفارسي، ص١٢٤.

[5] - المتن الفارسي، ص٢٠٧.

[6] - المتن الفارسي، ص١٨٠.

ومن واقع المجتمع الريفي أيضاً أظهرت لنا الكاتبة العادات المرتبطة بالناس هناك، ومنها ما فعلته بنفشه أخت فرهاد حين كان مسافراً، حيث أمسكت بالقرآن فوق رأسه ثم أفرغت كأس الماء خلفه على الأرض. وكذلك ذكر بعض الأكلات الشعبية الإيرانية مثل الو مسما، واشكنه، ودميختكى.

ونجد محاولة من الكاتبة لإبراز بعض الأزمات الاجتماعية من خلال المشهد التالي لفرهاد:

"مضت دقائق ولكن ما من خبر عن الأتوبيس، كان طابور طويل قد اصطف في المحطة... طوى مسافة سائراً وفي نفس اللحظة التي نظر فيها وراءه رأى الأتوبيس، فوقف وأشار بتحريك يديه للسائق بهدف الركوب، لكن الأتوبيس الذي كان مكتظاً بالركاب مر من جانب فرهاد، فجرى فرهاد خلفه وضرب بضع قبضات على جداره لكن الأتوبيس لم يتوقف".[1]

ففي هذه الصورة العابرة تتضافر الأزمات المختلفة للمجتمع الإيراني مثل أزمة المواصلات.

كما ركزت على الاهتمام بالطبقات الشعبية الكادحة، وقد جعلها ذلك تعرض نماذج بشرية تنتمي إلى هذا المستوى الشعبي مثل عمال الأنفار، كما جعلها تختار مسرح عملها القصصي في بعض المشاهد من بيئة تلك الطبقات.

وتطرقت الكاتبة أيضاً إلى بعض القوانين الخاصة بالدولة مثل كوبونات الطعام التي تضطر الحكومة إلى استخدامها لتوزيع الأغذية، وكذلك صدور عفو عن المساجين الذين أمضوا معظم مدة حبسهم في عيد النوروز.

**<u>الحرب والمجتمع الإيراني:</u>**

كانت الحرب مع العراق من أبرز الأحداث في إيران بعد الثورة الإسلامية، فقد أحدثت هزّه شديدة في المجتمع الإيراني لا تقل أثراً عما أحدثته الثورة إن لم تزد بحكم سنواتها الثمانية، وتتأثر الأسرة في أي مجتمع يعيش حالة الحرب، ويتجلى الأثر الخطير للحرب فيما تتعرض له الأسرة من تشتت ودمار وفقد للأبناء. واهتمت الراوية بإبراز ما يحدث للأسرة من انهيار جراء الحرب، ويظهر هذا الاهتمام بوضوح حين اختارت إحدى الشخصيتين الرئيسيتين من منكوبي الحرب وهو "شهريار"، ليس هذا فقط بل جعلته من سكان "خرّمشهر"، تلك المدينة التي تحتل موقعاً هاماً في تاريخ الحرب العراقية الإيرانية، فقد دارت فيها أشرس المعارك في بداية الحرب إلى أن سقطت في يد العراقيين.

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٦١.

وتصور الكاتبة حالة خاصة من معاناة التشرد عند شهريار الذي فقد جميع أفراد أسرته في إحدى الغارات، فنجده يقول:

"الإنسان في أي مكان في الدنيا حتى في محل ميلاده، لمّا يكون من غير أهل أو أقارب له هناك بيعاني من الغربة".[1]

ويقول أيضاً:

"ربنا يحرق الأعداء دول ويخفيهم لأنهم حرموني من كل حاجة، كنت باتمنى أخنق بايدي صدام عديم الإنسانية ده، علشان أنتقم لدم آلاف مؤلفة من الناس اللّي اتاخدوا من غير ذنب، لمّا بافتكر الأيام دي باولّع وكبدي بيتقطع حتت".[2]

وهناك جانب آخر من الحرب، الجانب الذي هو خلف الجبهة، حيث يعيش أهل الشهيد، وتمثل ذلك في أسرة "سبحاني"، فقد استشهد ابنه الوحيد في الحرب، فنجده يقول:

"من يوم ما استشهد ابننا وإحنا دايماً بنحس إن مكانه فاضي في البيت".[3]

فقد تكون جملة قصيرة الكلمات، لكنها عميقة المعنى في تصوير المشاعر التي يشعر بها أهل الشهيد.

ومن الآثار التي ترتبت على الحرب أيضاً هي الهجرة الداخلية، حيث يكون الهدف من الهجرة هو البحث عن الأمن والهروب من أخطار الحرب، فبعد أن اشتعلت الحرب على الحدود مع العراق، اضطر كثير من الإيرانيين إلى الهجرة بحثاً عن الأمان وهرباً من الموت الذي صار أكيداً في كل لحظة. وتحاط عملية الهجرة بصعوبات شديدة أولها قرار الهجرة في حد ذاته فهو قرار صعب، حيث يترك الإنسان بيته وحياته إلى حيث لا يعلم ما سيواجه، وهذا ما جعل والد شهريار يرفض الهجرة ويتمسك بالبقاء في دياره، فنجد شهريار يحكي:

"أبويا كان بيقول إنه لو مكتوب لنا نموت يبقى أفضل لنا نموت في بيتنا، إحنا جدرنا في الأرض دي. وعايز أندفن في حوش بيتي مش في أي مكان بعيد عن البيت ده".[4]

---

[1]- رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٧٥.

[2]- المتن الفارسي، ص٧٥.

[3]- المتن الفارسي، ص٣٠٣.

[4]- المتن الفارسي، ص٧٦.

**الواقعية في الرواية:**

بناءً على ما سبق نجد أن "بازيچه" اعتمدت على الواقعية في مضمونها، وقد استخدمت الكاتبة وسائل كثيرة للتأكيد على هذه الواقعية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١)- تسمية الشخصيات ونقلها من عالم النكرة إلى عالم المعرفة، مما يجعل القارئ وكأنه أمام شخصيات تعيش في عالم الواقع، كشخصيات: فرهاد، شهريار، بهروز، كامران...إلخ.

٢)- ذكرت اسم إحدى الشخصيات السياسية الحقيقية المرتبطة بأحداث الحرب بين إيران والعراق، وهو الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

٣)- اعتماد الرواية على التنوع المماثل للتنوع الموجود في عالم الواقع، وذلك بتوزيع الأحداث على شخصيات تنتمي للشرائح المجتمعية المختلفة، يحركهم كل ما يحرك البشر في حياتهم من تناقض وصراع، وإحساس بوطأة الزمن وتعقد العلاقات الإنسانية. وذلك يؤكد حرصها على أن تكون صاحبة رؤية واقعية ملتزمة بالتعبير عن هذه الشرائح.

٤)- ارتباط الحدث الروائي بزمان ومكان حقيقيين، فأحداث الرواية تدور في فترة زمنية معاصرة، وكذلك الأمر مع المكان، فالأحداث تدور في أماكن حقيقية لم تتخيلها الكاتبة، بل هي مدن وقرى حقيقية، مثل: طهران، علي آباد، خرمشهر. مع الاهتمام بتفاصيل حقيقية من هذه الأمكان كالشوارع والميادين.

٥)- استعانة الحدث الروائي بأحداث حقيقية مثل احتلال "خرمشهر".

ويمكن القول إن رواية "بازيچه" تتبدى واقعيتها في محاولة تصوير عالم محدد من خلال أفراد محددين، لهم فكرهم المنطقي المتسق مع خصوصية الزمان والمكان، لذلك فإن الرواية نجحت – فيما أعتقد – في تقديم عالم خاص بها، متميز بخصوصية المكان واللحظة التي تصورها، وهذا من أهم الشروط لتحقيق واقعية الرواية.

**المآخذ النقدية للبناء الفني للرواية:**

على الرغم من محاولة المؤلفة لكي تجعل من الرواية سجلاً واسعاً للأصداء النفسية والاجتماعية، ولهثت خلف أعمق رغبات الإنسان؛ إلا أن ذلك لم يشفع في تغطية بعض العيوب الفنية للرواية، ومنها:

١)- كثرة المصادفات وعنصر القدرية: يمكن التسليم بأنه لا تخلو قصة من عنصر المصادفة لما في الحياة من عنصر القدرية، ويمكن التسليم أيضاً بأن المصادفات إذا افتعلت وتكررت كان ذلك على

حساب العمل الفني، وهنا نجد المؤلفة اعتمدت في نسج معظم أحداث الرواية على عنصر المصادفة التي قد تتكرر وقد تفتعل، وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ عندما خرج فرهاد مطروداً من عمله في البناء بعد شجار دار بينه وبين المقاول، وأخذ يسير في طريقه إلى المنزل بعد فشله في اللحاق بالأتوبيس، وفي أثناء سيره أخذ يركل علبة كمبوت فارغة على الأرض، فتجعله الصدفة القدرية يخطئ ويركل حجراً بدلاً من العلبة ويطير الحجر ليرتطم بزجاج أحد المحال الكائنة بالشارع فيكسره، مما يجعل صاحب المحل يشتبك معه في شجار ويغرمه ثمن الزجاج، فالمؤلفة لم تكتف هنا بطرده من العمل وانقطاع مصدر رزقه وتخلفه عن الأتوبيس، بل جعلت القدر يعانده ويزيد من متاعبه باختلاق هذه الصدفة السيئة.

وفي موقف آخر عندما عمل فرهاد كحارس ليلي وكان مجتهداً في عمله، ولكن في الليلة الوحيدة التي غلبه النوم فيها إثر تعب أسنانه يأتي اللصوص ليسرقوا أحد محال المنطقة موضع الحراسة، بل إن الصدفة القدرية تجعل فرهاد يستيقظ قبل انصرافهم فيتعرض لضرب مبرح من قبلهم كاد أن يتسبب له في عاهة مستديمة.

ومن المصادفات المفتعلة أيضاً عندما خرج شهريار من عمله متوجهاً إلى المنزل إثر وعكة صحية ألمّت به في أثناء العمل، فيشاهد فرهاد يسير جنباً إلى جنب مع حميدة ويعلم عن طريق هذه المصادفة أن ثمة علاقة قد نشأت بينهما على الرغم من أن حواراً قد دار بينه وبين فرهاد في الليلة السابقة لذاك الموقف مباشرة، ولم يصارحه فرهاد بشيء.

وغير ذلك الكثير مما يوحي بأن القدر قد تكاتف على فرهاد وتلاعب به بتكرار المصادفات السيئة التي يتعرض لها.

٢)- تدخل الكاتبة: وهي تتدخل إما بفرض آرائها على الشخصية وإنطاقها بما تريد هي، وإما بالشرح والتعليق، وإما بالوعظ والإرشاد المباشر. فقد رأينا كثيراً من الأمثلة التي فرضت الكاتبة من خلالها أراءها على الشخصية ونجدها في غير موقف، على سبيل المثال:

عندما كان فرهاد يبحث عن عمل عن طريق تفقد المحال فربما كان هناك شخص في حاجة إلى عامل، إلا أنه فشل وعاد إلى المنزل وهو يتملكه اليأس التام، فنجد المؤلفة تتدخل برأيها قائلة:

" انقضى يوم من عمره عبثاً وبلا فائدة، إنه لم يكن يعني بهذه المسألة كثيراً، فالوقت الضائع في عمره كان كثيراً".[١]

[١] - رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٣١.

ومثال آخر عندما أخبرتنا عن التحاق فرهاد بالعمل في إحدي الورش، وأنه بالرغم من صعوبة عمله لم يكن أجره يكفيه، إلا أنها ترى أن هذا أفضل من البقاء دون عمل ولكنها نسبت ذلك لفرهاد كالآتي:

**"كان السعي اللاهي دون طائل تبعاً لقول فرهاد هو فقط مضيعة للوقت وإفناء العمر في ما لا معنى له".**[1]

وأيضاً حين أرادت نقد الأوضاع الاجتماعية أوردت ذلك أحياناً كثيرة على لسان الشخصيات، منها ما ورد على لسان فرهاد في حوار دار بينه وبين شهريار عندما قرر العودة إلى قريته:

"أنا كده وصلت لآخر الخط، يوم ما دخلت طهران فكرت في نفسي إني خلال سنة ولاّ اتنين هاقدر بالسعي والجهد إني أغتني على الآخر وأوصل لكل آمالي العريضة لكن للأسف محصلش، ووصلت للسراب بدل المية".[2]

وعلى لسان فرهاد أيضاً في نفس الحوار:

"أنا دلوقتي مضطر أودع أحلامي، أنا بيني وبين السعادة أميال هنا، مفيش مكان ليّ أنا وأمثالي في المدينة السايبة دي".[3]

وكذلك عندما رجع إلى أسرته كي يقترض مالاً من أبيه، ولاحظت أمه سوء حالته الصحية، فيرد فرهاد عليها قائلاً:

" أهي عيشة، وبصراحة عيش المدينة مايناسبنيش زيّ ما يكون دقيقه معمول من الجير، لا له طعم ولا قوة".[4]

وأوردت على لسان شهريار حينما كان يواسي فرهاد بعد طرده من العمل في البناء:

"الحياة كلها ظلم، إحنا حتى بنتنفس ظلم، أعمدة العالم اتبنت على الظلم والقهر، أنا وإنت مش هنقدر نغير الدنيا".[5]

وكثيراً ما تدخلت المؤلفة بالشرح والتعليق، حيث كانت تقطع الحوار بين الشخصيات لتوضح ردود أفعالها أو ما يعتمل في صدورها من مشاعر مختلفة في غير مشهد، وعلى سبيل المثال:

---

[1] – رواية، بازيچه، المتن الفارسي، ص١٢٤.

[2] – المتن الفارسي، ص٢٢٠.

[3] – المتن الفارسي، ص٢٢٢.

[4] – المتن الفارسي، ص١١٧.

[5] – المتن الفارسي، ص٧٣.

" نقر فرهاد كتف نقاش بطرف إصبعه، وكأنه ينفض التراب والغبار عن ملابسه. على هذا النحو المضحك الذي بدا عليه، والذي لو كان شخصاً آخر غير نقاش لضجّ بالضحك من رؤية هذا المظهر الأبله، لكن نقاش – الذي كان متحفزاً للرد على الهجوم – كان ينتظر رده وهو في حالة من الغضب".[1]

فهنا قطعت المؤلفة الحوار الدائر بين نقاش مدير المصنع وفرهاد لكي تشرح رد فعل فرهاد إزاء عتاب نقاش له، والذي زاد من حدة الموقف وأدى في النهاية إلى حدوث عراك بينهما كانت نتيجته أن تم طرد فرهاد من المصنع.

مثال آخر:

"تردد فرهاد في إجابته ولم يكن يدري أي جواب يرد به، لو قال لا، كان يخشى أن يعفيه بسبب عدم الخبرة، وإذا أجاب بنعم، كان يقلق أن يفتضح أمره – لا قدر الله – على الملأ".[2]

وهنا قطعت المؤلفة الحوار بين فرهاد والمقاول لتشرح لنا ما كان يشعر به فرهاد عند سؤال المقاول له بهل له خبرة سابقة في مجال العمل بالبناء أم لا.

مثال آخر:

"كان فرهاد يشعر بالغضب في داخله، فقد كان المقاول شخصاً فظاً سئ الخلق وصعب المراس، فاشمئز منه من المقابلة الأولى. ولو لم تكن مشكلة عدم المال وغيرها من المشاكل؛ لكان سبه سباباً فاحشاً في نفس اللحظة وخرج من هناك".[3]

وهنا قطعت المؤلفة الحوار بينهما مرة أخرى لتوضح لنا ما يدور بخلجات فرهاد إزاء المقاول.

مثال آخر:

"شعر فرهاد أن رعشة قد سرت ببدنه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، فقام بضيق وطوى الحجرة طولاً وعرضاً سائراً وهو يأخذ أنفاساً متواصلة من سيجارته".[4]

وهنا قامت المؤلفة بقطع الحوار بين فرهاد وشهريار لتتدخل بشرح حال فرهاد عندما علم أن شهريار قد انجذب هو أيضاً لحميدة عند رؤيتها.

كما قامت الكاتبة بتوجيه العديد من المواعظ والإرشادات بطريق مباشر من خلال الحوار بين الشخصيات، ومن الأمثلة على ذلك:

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٦.

[2] – المتن الفارسي، ص٤٨.

[3] – المتن الفارسي، ص٤٩.

[4] – المتن الفارسي، ص٢٥١.

ما أوردته على لسان شهريار عن أهمية القراءة في أحد حواراته مع فرهاد والتي سخر فيه فرهاد من اهتمام شهريار الزائد بقراءة الكتب:

" القراءة بتدعم رؤية الإنسان بالنسبة للحياة".[1]

وفي موضع آخر عندما كان فرهاد يحكي لشهريار عن كامران ويتعجب من تحول حياته من فقر مدقع إلى ثراء فاحش في وقت قصير، تجعل شهريار يقول له:

"ما تغتبش الناس من ورا ضهرهم".[2]

ويتمثل الوعظ كذلك في حديث شهريار لفرهاد عندما قرر فرهاد العودة إلى قريته بعد فشله المستمر في طهران:

"ما تفقدش أملك أبداً وإلاّ مش هتقدر تملك أيّ حافز للعيشة والحياة".[3]

وعلى لسان والد حميدة حينما كان يحكي لشهريار وفرهاد عن شبابه:

"أبنائي الأعزاء اعرفوا قيمة شبابكم، الشباب لو راح مابيرجعش تاني".[4]

وخير مثال للوعظ والإرشاد أوردته المؤلفة على لسان شهريار في النهاية عندما كان يثني فرهاد عن فكرة الانتقام التي سيطرت علي تفكيره بعد خروجه من السجن:

" الإنسان دايماً بياخد جزاءه، شوف إنت أذيت قلب مين في الماضي؟ يمكن كنت عاق بأبيك وأمك؟ يمكن عملت حاجة تغضب ربنا وبتدفع التمن، الدنيا هي مكان تسديد الدين، البعض في الدنيا دي بيوصلوا لعقاب أعمالهم اللّي فاتت، والبعض بتبقى الدنيا لهم يا جنة يا نار. فلو بتظلم حد، لو بتخوف حد، لو بتاخد حق مش حقك لازم في النهاية هتكفر عنها بأيّ شكل لحد آخر عمرك، ولمّا تصرخ في ركن السجن يا ربي أنا عملت إيه علشان أبتلي بالمصيبة دي؟ ربنا يقول لك، يا عبدي الجحود، إديتك فرصة لكنك ما عرفتش قيمتها وما شكرتش، فاكر لمّا عملت كذا وكذا... لكن إنت مش سامع صوت ربنا، لأنك لسّة في غفلة".[5]

---

[1] – رواية بازيچه، المتن الفارسي، ص٨٨.

[2] – المتن الفارسي، ص١٩٥.

[3] – المتن الفارسي، ص٢٢٢.

[4] – المتن الفارسي، ص٢٣٦.

[5] – المتن الفارسي، ص٣٢٣.

**شخصية نسرين ثامني داخل العمل:**

بعد قراءة العمل وتحليله سواء شكلاً أو مضموناً، نستطيع أن نلمس جوانب كثيرة من شخصية الكاتبة، ويمكن أن نلحظ بهدوء أنه كان لديها بعض من سمات المؤرخ التاريخي، وباحث الاجتماع، والمحلل النفسي، والمعلم التربوي ... بل إنها حملت قدراً من سماحة الأب، وحنان الأم، وعاطفة المحب.

وهكذا التقينا بروائية واقعية تنطلق من نقطة تقع خارج مشاعرها الذاتية، وتتقمص الحدث، وتحيط علماً بالبيئة والعصر، ومستوى الشخصيات، ومجرى الأحداث، وتعتمد على إلمام عميق بالمذهب الواقعي، وترتفع فوق التسجيل الآلي الجامد إلى رصد حي واع.

# الخاتمة

# الخاتمة

في نهاية البحث نستطيع إجمال النتائج في النقاط التالية:-

١)- تعرضت إيران خلال العصر الحديث إلى تغيرات على جميع المستويات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وكان لبعض الفئات الاجتماعية كرجال الدين والطلاب وعمال النفط دور بارز في الأحداث والتحولات في فترة النصف الثاني من القرن العشرين، بدءاً من انقلاب مصدق أو ما كان يعرف بانقلاب ٢٨ خرداد وتأييد الحركة الوطنية، ومروراً بالظروف التي ساعدت في تصاعد الثورة الإسلامية الإيرانية ونجاحها، والتي أكدت على قدرة الشعب الإيراني على التعايش مع الظروف الصعبة وانكماشه على بعضه ليكون جبهة قوية ما تلبث أن تنفجر طالما وجدت الفرصة السانحة.

٢)- من أهم التحولات السياسية التي واجهها المجتمع الإيراني في تلك الفترة أيضاً هو الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠م – ١٩٨٨م)، وهي تمثل نموذجاً فريداً للحرب الشاملة بين دول العالم الثالث.

٣)- صاحب تلك التحولات السياسية تحولات اجتماعية أثرت كثيراً على الحياة المعيشية للشعب الإيراني، كما أفرزت العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

٤)- كانت بداية التحولات المتمثلة في التغيير قد بدأ غرسها في عهد الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني، وقد شهدت هذه الفترة تعمير ما خلفته الحرب وما دمرته ولذلك سميت بمرحلة البناء والتعمير.

٥)- كان لهذه المتغيرات أثرها على الحياة الأدبية عامة وعلى الرواية بشكل خاص، حيث اتخذها الكتاب وسيلة لصياغة أفكارهم ومقترحاتهم، ونقد المجتمع الذي يعيشون فيه. كما جعلت علاقة الروائي الخاصة بالواقع تلزمه بأن يسجل ويتحرى الصدق في تسجيله.

٦)- تمكنت الكاتبة إلى حد كبير من توصيل الهدف الذي من أجله صيغت الرواية في إطار عمل أدبي جيد، وأكدت على أن طرح قضايا المجتمع هو غاية ما يطمح إليه الروائي، وأن العلاقة الخاصة بين الفن القصصي والحياة الواقعية تعتمد على تقديم سيل لا يتوقف من الملاحظات، أي تعتمد على عناصر كثيرة يدخلها في معماره الفني، وهي نسيج من التفاصيل الحقيقية والواقعية تربط الوجود الواقعي للقارئ بالوجود الوهمي للشخصيات.

٧)- كانت الرواية شهادة على طبيعة الفترة التي تصورها، وهذا يؤدي إلى أن عالم رواية "بازيچه" يفصح عن أن كاتبته صاحبة رؤية ملتزمة إزاء الواقع الذي يصوره أدبها، حيث تبرز الرواية أحوال المجتمع المضطربة، وتوضح كيف يؤدي ذلك-أحياناً- إلى تدمير حياة البشر، وتفسخ العلاقات الاجتماعية، والشك في القيم الإنسانية.

**٨)- يمكن تلخيص السمات العامة للبناء الفني لرواية "بازيچه" على النحو التالي:**

**أ- فيما يخص الشخصية:**

- حرصت الكاتبة على تسمية الشخصيات، ولكنها لم تتعد الاسم الأول للتسمية، وانتمت بعض الأسماء إلى التاريخ والثقافة الإيرانية القديمة، والبعض الآخر إلى الثقافة الإسلامية والمذهبية.

- لم تعن الكاتبة بالوصف الجسماني الكامل للشخصيات فيما بعض الإشارات القليلة المتناثرة، وكذلك لم تهتم بتحديد العمر الزمني للشخصية.

- ارتبطت الملامح النفسية للشخصيات بالملامح الجسمانية.

- قسمت الكاتبة الشخصيات إلى نامية ومسطحة، وأخرى تتوسط الاثنين، وتمثل النمو في عملية التحول التي نقلت الشخصية من الغفلة إلى اليقظة والإيجابية.

**ب- فيما يخص الحبكة الفنية:**

- جاءت بداية الرواية ساخرة، مثيرة، مليئة بالمفارقات بين الجد والهزل، كما وظفت لحظة البداية المشاهد التي تحركت فيها الشخصيات والأحداث بعد ذلك.

- وزعت الكاتبة الأحداث بشكل مقبول على شخصيات الرواية على حسب أهمية الشخصيات، وحسب ما تقتضيه الأحداث.

- لم تخل الحبكة الفنية من الضعف بسبب الاعتماد على الأحداث المختلقة غير المبررة، وكذلك كثرة الصدفة القدرية المكررة.

- طرحت الكاتبة الصراع في الرواية على صور شتى، سواء أكان صراعاً بين الشخصيات، أو بين الإنسان ونفسه.

- انتهت أحداث الرواية نهاية مغلقة أو مريحة بوصول الحدث إلى غايته، وحملت لحظة النهاية الانطباع الأخير الذي تقوم عليه الفكرة.

**ج- وفيما يخص الزمان والمكان:**

- لم تعن الكاتبة بتحديد الزمن الخارجي أو زمن كتابة الرواية، واكتفت بتاريخ النشر.

- استخدمت الكاتبة الإشارات الزمنية في بداية الفصول والفقرات لتحديد اتجاه الزمن.

- جاء الاسترجاع بنوعيه: الخارجي الذي استخدم في تعريف الشخصيات وذكر ماضيها، وجاء الاسترجاع الداخلي بنماذج أقل لترتيب القص داخل الرواية.

- لم تهتم الكاتبة بالاستباق قدر اهتمامها بالاسترجاع، وذلك لصعوبة الجمع بين الاستباق والواقعية.

- اعتمدت الكاتبة على التقنيات المختلفة لضبط سرعة النص، ومنها الثغرة التي أسقطت فترات زمنية بدون التطرق إلى ما حدث فيها، والوقفة التي يتوقف معها زمن الأحداث في لحظات الوصف وتدخل الراوية بالتعليق.

- استخدمت الكاتبة الزمن استخداماً رمزياً يجعل النهار بنوره رمزاً للتفاؤل والنجاح، والليل بظلامه رمزاً للفشل والهزيمة.

- تنوعت البيئة المكانية ما بين أماكن رئيسة وأماكن فرعية.

- جاءت اللوحة الوصفية في الرواية هيكلية، واكتفت الراوية بتسمية الأشياء دون تجزئتها إلى مقوماتها وسماتها.

- لم تعتمد الكاتبة على الأشياء التي تملأ المكان وإنما على حياة الشخصيات اليومية.

- حرصت الكاتبة على إدراج بعض الصور البيانية التي تساهم في إظهار رؤيتها الخاصة تجاه حدث معين.

**د- وفيما يخص اللغة:**

- جاء العنوان على مستويين دلاليين: الأول مباشر لا يتجاوز المعنى الحرفي للكلمة، والثاني غير مباشر، ويعتمد على الرمزية في الدلالة.

- زاوجت الكاتبة ما بين السرد والحوار في إطار متكامل، ليشكلا معاً نسيجاً متسقاً، اختلفت خيوطه الفنية ما بين الفصحى للسرد والعامية للحوار، لكنها شكلت في النهاية نسيجاً واحداً .. متناغم الأداء .. متسق الإيقاع.

- جاءت لغة الحوار مناسبة للشخصيات ومراعية للمستوى الثقافي والاجتماعي.

- تطرقت الكاتبة إلى ذكر الموروث المذهبي والشعبي في الحوار.

- استخدمت الكاتبة "الراوي العليم بكل شيء" للغوص في أعماق الشخصية، ورصدها رصداً دقيقاً.

# المصادر والمراجع

## قائمة بأسماء المصادر والمراجع


**أولاً: المراجع العربية:-**

١)- إبراهيم الدسوقي شتا "دكتور": الثورة الإيرانية (الصراع-الملحمة-النصر)، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢)- إبراهيم الدسوقي شتا "دكتور": مطالعات في الرواية الفارسية المعاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣)- إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.

٤)- أبو الحسن بني صدر: إيران غربة السياسة والثورة، الترجمة العربية لدار الكلمة، بيروت، ١٩٧٩م

٥)- أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، المجلد الرابع، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٩٨.

٦ )- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الرابع، لبنان، بدون تاريخ نشر.

٧)- أحمد الشاذلي "دكتور": اليسار السياسي في إيران بين المد والجذر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٨)- أحمد مهابة: إيران بين التاج والعمامة، كتاب الحرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٩)- أحمد وصفي أبو مغلى: الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ١٩٠٥ - ١٩٨١م، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١٠)- ادوار منسي: اللغة العامية في الحوار القصصي، القاهرة، ١٩٥٢م.

١١)- حسن محمد طوالبة: مناقشة في النزاع العراقي الإيراني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤م.

١٢)- زكي نجيب محمود (دكتور): في فلسفة النقد، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١٣)- زهير ماريديني: الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة، دار إقرأ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٤)- سيزا أحمد قاسم "دكتور": بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

١٥)- صلاح فضل "دكتور": الرواية الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

١٦)- صلاح فضل "دكتور": منهج الواقعية في الإبداع العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

١٧)- طه وادي "دكتور": دراسات في نقد الرواية، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٨)- عباس عبود عباس: أزمة شط العرب، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣.

١٩)- عبد السلام عبد العزيز فهمي "دكتور": تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٠)- عبد الفتاح الصبروتي: الحقائق الخافية في الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢١)- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٤٠، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.

٢٢)- فريدون هويدا: سقوط الشاه، ترجمة وتعليق: الدكتور أحمد الشاذلي، مكتبة مدبولي.

٢٣)- كينيث كاتزمان: الحرس الثوري الإيراني، ترجمة وطبع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٤)- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م.

٢٥)- محسن ميلاني: سياسة إيران في الخليج من المثالية والمجابهة إلى البرجماتية والاعتدال، ضمن كتاب: إيران والبحث عن الاستقرار، إعداد: جمال سند السويدي، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٦م.

٢٦)- محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": العمامة والعباءة في السياسة والحكم، الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٤.

٢٧)- محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": إيران وآفاق المستقبل، مطبوعات كلية الآداب بجامعة عين شمس، ١٩٩٦م.

٢٨)- محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور": مسألة الثورة الإيرانية، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٢٩)- محمد السيد محمد إبراهيم: بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، دراسة في الزمان والمكان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.

٣٠)- محمد عبد الحليم أبو غزالة: الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣١)- محمد عبد المطلب: بلاغة السرد، سلسلة كتابات نقدية رقم ١١٤، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠١م.

٣٢)- محمد حسن عبد الله "دكتور": مقدمة في النقد الأدبي، دار البحوث العلمية.

٣٣)- محمد مندور "دكتور": في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

٣٤)- محمد يوسف نجم "دكتور": فن القصة، الطبعة الثانية، دار بيروت، ١٩٥٦م.
٣٥)- مهدي شحاده وجواد بشارة: ايران: تحديات العقيدة والثورة، مركز الدراسات العربي الأوروبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٣٦)- نيفين عبد المنعم مسعد (دكتورة): صنع القرار في إيران والعلاقات العربية الإيرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٣٧)- هاشمي رفسنجاني: عهد الكفاح (مذكرات هاشمي رفسنجاني)، ترجمة الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن، زهدي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٣٨)- وليم ساليفان: أمريكا وإيران، ترجمة: نجده الشواف، دار الملتقى للنشر، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٣٩)- يوسف عزيزي: إيران الحائرة بين الشمولية والديمقراطية، دار الكنوز العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

<u>ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية:-</u>

١)- ابراهيم نويسى: هنر داستان نويسى، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى.
٢)- ابو الحسن نجفى: فرهنگ فارسى عاميانه، چاپ اول، تهران، انتشارات نيلوفر، ١٣٧٨هـ.ش.
٣)- اكبر خليلى: گام به گام با انقلاب، چاپ اول، حوزهء هنرى، تهران، ١٣٧٧هـ.ش.
٤)- امير قلى امينى: فرهنگ عوام يا تفسير واصطلاحات زبان پارسى، انتشارات دانشگاه اصفهان، ١٣٥٠هـ.ش.
٥)- پيتر آورى: تاريخ معاصر ايران، ترجمهء مهدى رفيعى مهر آبادى، انتشارات عطائى، چاپ سوم، تهران، ١٣٧٧هـ.ش.
٦)- جان دى استمبل: درون انقلاب ايران، ترجمهء دكتر منوچهر شجاعى، مؤسسه خدمات فرهنگى رسا، چاپ دوم، ١٣٧٨هـ.ش.
٧)- جان فوران: مقاومت شكننده -تاريخ تحولات اجتماعى ايران از صفويه تا سالهاى پس از انقلاب، ترجمهء احمد تدين، مؤسسه خدمات فرهنگى رسا، چاپ چهارم، ١٣٨٢هـ.ش.
٨)- حسن مير عابدينى: فرهنگ داستان نويسان ايران، تهران، ١٣٦٩هـ.ش.

۹)- حمید رضا جلائی پور: پس از دوم خرداد -نگاهی جامعه شناختی به جنبش مدنی ایران ۷۸-۱۳۷٦هـ.ش، انتشارات کویر، تهران، چاپ دوم، ۱۳۷۸هـ.ش.
۱۰)- علی اکبر دهخدا: لغت نامه، تهران،چاپخانه مجلس، ۱۳٤۱هـ.ش.
۱۱)- رضا براهنی: قصه نویسی، چاپ سوم، تهران، نشر نو، ۱۳٦۲هـ.ش.
۱۲)- ژان پیر دیگار وبرنارهور کاد ویان ریشار: ایران در قرن بیستم، برگردان عبد الرضا مهدوی، نشر البرز، چاپ سوم، تهران، ۱۳۷۸هـ.ش.
۱۳)- سعید نفیسی: شاهکارهای نثر فارسی معاصر، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳٦هـ.ش.
۱٤)- سید جلال الدین مدنی: تاریخ سیاسی معاصر ایران، دفتر انتشارات اسلامی، چاپ هفتم، ۱۳۷هـ.ش.
۱۵)- سیروس شمیسا: انواع ادبی، انتشارات فردوس، چاپ هفتم، تهران، ۱۳۷۹هـ.ش.
۱٦)- غلام رضا نجاتی: تاریخ سیاسی بیست وپنج ساله ایران (از کودتا تا انقلاب)، تهران، خدمات فرهنگی رسا، چاپ چهارم، ۱۳۷۳هـ.ش.
۱۷)- گروهی جامی: گذشته چراغ راه آینده است -تاریخ ایران در فاصله دو کودتا، انتشارات نیلوفر، چاپ سوم، تهران، ۱۳۸۱هـ.ش.
۱۸)- محمد استعلامی "دکتر": بررسی ادبیات امروز ایران، چاپ سوم، ایران، ۲۵۳۵ شاهنشاهی.
۱۹)- محمد درودیان: سیری در جنگ ایران وعراق، چاپ پنجم، تهران، مرکز مطالعات وتحقیقات جنگ سپاه پاسداران انقلاب اسلامی، ۱۳۷۸هـ.ش.
۲۰)- محمد رضا پهلوی: پاسخ به تاریخ، ترجمهء حسین ابو ترابیان، تهران، نشر زریاب، چاپ هفتم، ۱۳۷۹هـ.ش.
۲۱)- محمد علی همایون کاتوزیان: تضاد دولت وملت -نظریه تاریخ وسیاست در ایران، ترجمهء علی رضا طیب، نشر نی، چاپ دوم، ۱۳۸۱هـ.ش.
۲۲)- محمود نکوروح: در جستجوی هوینی تازه، انتشارات چاپخش، تهران، چاپ اول، ۱۳۷۸هـ.ش.
۲۳)- منوچهر ثقفی: پدیده انقلاب، انتشارات دانشگاه ملی ایران، ۲۵۳۵شاهنشاهی.

٢٤)- موسى نجفى وموسى حقانى: تاريخ تحولات سياسى ايران، بررسى مؤلفه هاى دين حاكميت -مدنيت وتكوين دولت- ملت در گسترده هويت ملى ايران، مؤسسه مطالعات تاريخ معاصر ايران، چاپ نخست، تهران، ١٣٨١هـ.ش.
٢٥)- مهندس مهدى بازرگان: انقلاب ايران در دو حركت، چاپ سوم، ١٣٦٣هـ.ش.
٢٦)- ناصر ايران: هنر زمان، چاپ اول، تهران، نشر آبانگاه، ١٣٨٠هـ.ش.
٢٧)- نسرين ثامنى: بازيچه، نشر چكاوك، چاپ اول، ١٣٧٨هـ.ش.
٢٨)- يحيى آرين پور: از صبا تا نيما، جلد دوم، چاپ دوم، تهران، ١٣٥٧هـ.ش.

<u>ثالثا: الصحف والدوريات ومواقع الإنترنت:-</u>

١)-ابراهيم يزدى: سه جمهورى، موقع حركة الحرية فى ايران بشبكة الإنترنت على العنوان: http://www.nehzateazadi.org
٢)- صحيفة اطلاعات، العدد (٢٠٣٢٠)، بتاريخ ١٤ شهريور ١٣٧٣هـ.ش.
٣)- صحيفة ايران ، العدد (١٣٨٠)، بتاريخ، ٢٣ آبان ١٣٧٨هـ.ش.
٤)- صحيفة ايران، العدد (٢٣٦٧)، بتاريخ ٢ بهمن ١٣٨١هـ.ش.
٥)- صحيغة جوان، العدد (١٩٣٠)، بتاريخ ١٥ دى ١٣٧٨هـ.ش.
٦)- صحيفة همشهرى، العدد (١٦٣٣)، بتاريخ ١٢ آبان ١٣٧٧هـ.ش.
٧)- نشرية ايران مهر، العدد(٣)، بتاريخ ٦ آذر ١٣٨٠هـ.ش.
٨)- الملف الإيرانى: العدد العاشر - مايو ١٩٩٨م، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة.
٩)- ملف السياسة الدولية (إيران: تحولات السياسة والثقافة والمجتمع)، السياسة الدولية، العدد ١٣٠، أكتوبر ١٩٩٧م.
١٠)- موقع (أحمد الكاتب) على شبكة الإنترنت على العنوان:
(www.alkatib.co.uk/m.htm)
١١)- موقع (الكاتبة نسرين ثامني) على شبكة الإنترنت على العنوان:
(http://nasrinsameni.persianblog.com)
١٢)- موقع (دراسات تاريخ إيران المعاصر) على شبكة الإنترنت على العنوان:
(www.iich.org/archived/magalat/imamkhomeiny.htm)

١٣)- موقع (مؤسسه مطالعات تاريخ معاصر ايران) على شبكة الإنترنت على العنوان:
(http://iichs.org/new_namayeshgah/mordadaks.html)

رابعاً: المراجع الأجنبية:

١ -The Iraq – Iran Conflict Institute of Studies and Research "Edition du Monde Arabe" Paris, .١٩٨١

# القسم الثاني

# الترجمة

الترجمة العربية لرواية

"بازيچه"

«١»

كان صوت حركة عجلات آلات النسج يصكّ الآذان بشدة، وكان العمال الدءوبون المجدون بوجوه نحيلة متصببة عرقاً منهمكين في عملهم في جو العنبر الكبير المعبأ بالأبخرة، لا يعيرون انتباهاً لما حولهم. طلب فرهاد بإشارة من يده أن يتولى زميله المجاور مراقبة آلته ومتابعتها لبعض الوقت، وتحرك صوب باب الخروج من العنبر، ولج ممراً طويلاً وعريضاً ووقف في زاوية مستنداً بظهره إلى الحائط بجوار سلة المهملات، أخرج علبة السجائر والكبريت من جيب سرواله، وبعد أن أشعل سيجارة، انهمك في تدخينها وهو يتثاءب بعمق.

عندما خرج نقاش- مدير المصنع- من مكتب رئيس مجلس الإدارة البعيد نسبياً، وقع نظره على فرهاد الذي ترك موقعه في العمل غير مبال بلوائح العمل في المصنع وكان يتجول في الممر. نقاش - الذي كان قد وقعت بينه وبين فرهاد مشادات كلامية عدّة خلال الأشهر الأخيرة ويضمر له في نفسه- عند مشاهدته له على هذا الحال، اغتنم الفرصة للانتقام وتصفية الحسابات الشخصية، فوصل إليه في بضع خطوات طويلة وهو يبدي التجهم لكونه مديراً للمصنع، وصاح بلهجة آمرة:-

- حبيبي!

التفت فرهاد ناحيته ونظر إليه بلا مبالاة، فأثارت نظرته الفاترة الساخرة غضب نقاش أكثر من ذي قبل، فقرر أن يؤدبه؛ لذا استمر في حديثه بنفس اللهجة:-

- أكنّك مانتش عارف لوايح المصنع؟

نفث فرهاد آخر نفس من سيجارته، وألقى بعقب السيجارة في سلة المهملات، وأجاب ببرود:-

- لوايح! لوايح إيه؟! أصلاً لوايحكم المتلفقة دي بتقول إيه، هه؟

- بتتمألس تاني؟ سبت المكنة ليه؟ أكنّك ماتعرفش إن ده بيخالف اللوايح؟ أكنّك ما قرأتش لايحة الإدارة؟

نقر فرهاد كتف نقاش بطرف إصبعه، وكأنه ينفض التراب والغبار عن ملابسه. على هذا النحو المضحك الذي بدا عليه، والذي لو كان شخصاً آخر غير نقاش لضجّ بالضحك من رؤية هذا المظهر الأبله، لكن نقاش - الذي كان متحفزاً للرد على الهجوم - كان ينتظر رده وهو في حالة من الغضب.

عدل فرهاد رقبته وأجاب ممتقعاً:-

- خرجت أدخن سيجارة، وسلمت المكنة للعامل اللّي جنبي، هتقول إيه تاني؟

– أنا إزاي أقدر أفهمك إن كل واحد مسئول عن مكنته!

– مش لازم إنت تفهمني، أنا فاهم من نفسي! إنت إيه أساساً! إنت شغلتك إيه علشان تأمر وتنهي فيّ بالشكل ده؟

– أنا المشرف على المصنع ده.

– كلام فارغ! تكون زيّ ما إنت عايز، ماتتبلطجش عليّ وما تلعبش دور المفتش لأن صاحبك مابيجيش بالضغط. إنت هتظلم يا راجل يا محترم؟

– خلّيك في حالك، وبطّل بقى، أنا ممكن أأمر يطلعوا لسانك من لغلوغك!

– يا عم روح شوف مصلحتك! أنا ممكن ألطشك على ودنك أخلّيك تلف الكرة الأرضية، إنت فكّرت إنك وقعت مع واحد ناقص إيد ولا ناقص رجل!

دارت يد نقاش في الهواء، وهوت على وجنة فرهاد. كانت الضربة قوية ومفاجئة حتى أنها خطفت النور من عين فرهاد.

– بتضربني يا جحش؟ دلوقتي هاوريلك ، خد دي ليك.

لكمه فرهاد بقبضته واستقرت الضربة المحكمة في مكان حساس، وفي لمح البصر هجم كل منهما على الآخر ونشب بينهما شجار حاد، وبالرغم مما كان يتمتع به نقاش من ضخامة البنية، إلا أنه لم يكن ليباري فرهاد في قوة ساعده، فكان بالكاد يدافع عن نفسه، ويحاول أن يصد ضربات خصمه.

في أثناء الشجار نفخ نقاش في صفارته التي كانت معلقة في رقبته، وكان صوت الصفارة الشبيه بالرعد يصمّ الآذان، حتى أنه جذب أنظار كل العمال إلى خطورة الموقف، لكن لم يجرؤ أي شخص على أن يتحرك من مكانه، وهرول موظفان ضخما الجثة عملاقان عند سماع صوت الصفارة إلى مكان الشجار، فصاح نقاش عند رؤيتهما:–

– إمسكوا الحيوان المتوحش ده.

هجم الرجلان على فرهاد وأوثقا يديه خلف ظهره، فقال نقاش صائحاً:–

– هاتوه على أوضة رئيس مجلس الإدارة، بسرعة.

كان فرهاد مقيداً في أيديهما القوية كالعصفور، وكان يقاوم بشدة. حملاه إلى حجرة رئيس مجلس الإدارة وهو يتفوه بما لا يليق، ويحاول التخلص من قيدهما، وهرول نقاش أيضاً في إثرهم وحاله يرثى له. فكل منهما كان قد جرح، والدماء تسيل من وجهيهما.

نظر السيد فتحي – رئيس مجلس الإدارة – إلى فرهاد بغضب، وقال بلهجة مؤنبة:–

– حاجة تكسف، إيه الفضيحة اللّي إنت عاملها دي؟

وقبل أن يتحدث فرهاد عن نفسه، تقدم نقاش وقال وهو يحني رأسه تعظيماً:–

– يا أفندم، الشاب ده بيشاغب على طول وبيعمل فوضى، ولمّا عرفته غلطه اتخانق معايا وهجم عليّ.

صاح فرهاد بغضب:

– بيكذب يا سيادة المدير، قسماً بالعباس هو اللّي ضربني على ودني الأول.

رفع فتحي يده ليلزمه الصمت وقال:–

– مش لازم تتكلم، يوماتي بيدوني تقرير عنك. يا حبيبي ده مصنع وله لوايح وقوانين، ولو مانتش قادر تتأقلم مع الظروف دي، يبقى من الأفضل إنك ماتتعبش نفسك، أنا ماقدرش أتحمل الفوضى دي بأيّ شكل. مصنعنا مش محتاج لأمثالك، إنت مطرود من اللحظة دي، فاهم يا حبيبي؟!

أجاب فرهاد دون أن يهلع:–

– في داهية، إنتم افتكرتم إنكم اشتريتم الناس بالمرتب التافه ده؟ إدوني حسابي علشان أخرج من المخروبة دي بسرعة.

كتب فتحي – الذي كان قد غضب من وقاحته – شيئاً فوق ورقة، وأعطاه إياها، وقال:–

– يالاّ، روح إدارة المستخدمين وسوي حسابك، وماتظهرش هنا تاني.

خطف فرهاد الورقة من يده، وخرج من هناك مهمهماً بغضب، واتجه مباشرة إلى إدارة المستخدمين. وبعد ساعة، وبالأدوات البسيطة التي كان يملكها، ترك المصنع إلى الأبد. حينما وصل إلى الطريق الرئيسي رفع يده بعلامة الوقوف لسيارة كانت تقترب، واستقل السيارة التي اتخذت طريقها إلى طهران.

نزل في ميدان "آزادي" ودفع أجرته، ومرة أخرى وقف منتظراً سيارة أجرة، هذه المرة أيضاً استقل حافلة أقلته إلى وجهته. طوى فرهاد الأزقة مترجلاً وتوجه ناحية المنزل. وضع المفتاح في الباب الذي وصل إليه ودخل الفناء.

وسط الفناء، كان يظهر حوض سداسي صغير أزرق اللون وكان يُرى فيه بضع أسماك كبيرة قرمزية وذهبية. وقف هناك وانحنى فوق الحوض. أغمر يديه في الماء وملأ قبضته وغسل وجهه لكي ينظف التراب والغبار والدماء المتيبسة.

كان وجهه لا يزال يؤلمه. اعتدل ووقف على قدميه، وقبل دخول الحجرة نظر إلى مرآة مكسورة بالية غير واضحة المعالم كانت معلقة على الحائط إلى جوار الباب. كانت زاوية شفته قد جرحت، ويُرى أعلى حاجبه شق في جبهته، وكان هناك زرقة وتورّم أسفل عينه اليسرى.

فتح الباب ودخل الحجرة. ومع صرير فتح الباب، توقف شهريار- الذي كان منهمكاً في إصلاح راديو كبير ثنائي الموجة - عن العمل، وأمعن النظر إليه.

- سلام، تسلم.

خفض فرهاد رأسه دون أن ينظر إليه وألقى التحية. تفحصه شهريار بدقة أكثر وسأله متحيراً:-

- إيه المنظر ده يا فرهاد؟ عملت إيه في روحك؟ مايكونش إنت اللّي آذيت نفسك تاني برضه؟

جلس فرهاد على الأرض واستند إلي الحائط، وفي نفس الوقت أجاب مبتسماً:-

- مفيش حاجة مهمّة، إتخانقت مع شوية عيال.

وأثناء قوله هذا، مدد قدميه ودلّك ساعده الأيسر. فسأله شهريار:-

- النهاردة رجعت بدري، كده ولاّ لأ؟

ابتسم فرهاد بسخرية وأجاب:-

- من بكرة هاقعد في البيت، طردوني.

- ما تهزّرش!

- أعدمك باتكلم بجد، صاحبك انطرد!

توقف شهريار عن العمل وسأله متعجباً:-

- لكن ليه؟

رفع فرهاد كتفيه بلا مبالاة وأجاب:-

- ماقدرتش أنسجم معهم، تعرف إيه اللّي حصل؟ أنا الكلام الزور أصلاً مايدخلش دماغي، ضربت ودشدشت نقاش، وبهدلته قدّام الكل! وبعدين جمعت هلاهيلي ومشيت! أنا شايف أثر سجاير باين على جهازك؟ هاموت من غير تدخين!

ألقى شهريار بعلبة سجائره ناحيته، وقال:-

- عجيبة! ده إنت جرئ أوي! وخناقتك كانت على إيه؟

- طلعت الطرقة علشان أدخن سيجارة، فاعترض عليّ. الندل ده كان بيحقد عليّ من قبل كده، وكان بيؤذيني من غير أيّ سبب، زيّ ما يكون له تار قديم معايا. النهاردة بقى ماقدرتش أمسك نفسي وضربت على آخر وتر! شمرت أكمامي وقلت يكون زيّ ما يكون! يا قاتل يا مقتول! أنا مايعجبنيش

الضعيف. ودلوقتي أنا مش لوحدي، أكتر العمال اللّي تحت إيد نقاش ابن الحرام ده مابينزلهمش من زور.

أشعل فرهاد سيجارة وواصل حديثه:-

- حاولت كتير أحرضهم علشان يتمردوا وياخدوا حقوقهم، لكنهم ناس جبناء، وماعندهمش جرأه. كانوا بيتعرضوا للذل والاضطهاد ويتحملوا الإهانة، وكان بيظلمهم لكنهم بيتخرسوا من الخوف. الحماقة برضه لها حد!

- يا حبيبي، حضرتك بقى اسبارتكوس وناوي تحارب النخاس؟ لا هو عيشك ولا ميتك، يبقي النعرة النابليونية دي على ايه؟

- وإيه اللّي عرفني، والله قول كده!

- إنت من جوالك صافي وطيب، لكن لسانك حاد جداً، ودلوقتي ناوي تعمل إيه؟ تفتكر إن خناقتك هتعدي بالبساطة دي؟

- النهاردة أصلاً ماكنتش محظوظ، ماعرفش اصطبحت بوش مين النهاردة علشان أتنحس كده!

قهقه شهريار وقال بسخرية:-

- يا خسارة، ده إنت حتي ماعندكش حماة، وإلاّ كنت قلت إنك اصطبحت بوشها.

- القصد إن الأحوال سيئة جداً!

وضع شهريار الراديو جانباً وقال:-

- مكانش المفروض يحصل كده، لكن دلوقتي وحصل، يبقى الحزن مفيش منه فايدة. لازم ترجع تدّور على شغلانة تانية، طالما إحنا لسه شباب وعندنا القدرة على الشغل يبقى لازم نسعى، الناس لازم يتعلموا الحياة من النمل.

قام شهريار في أثناء حديثه واتجه إلي الصوان، ارتدى سرواله وواصل كلامه:-

- أنا لازم أمشي، وإنت كمان حاول ماتفكرش كتير، وإلاّ راسك هتضرب وتخرّف. ارتاح شوية وبعدين ربنا كبير. تقدر تنام وتخرّج قلبك من الحزن.

ابتسم فرهاد ولم يقل شيئاً. ألقى شهريار التحية وخرج من الباب، أشعل فرهاد سيجارة أخرى وغرق في التفكير في أثناء تدخينها. وما هي إلاّ دقائق حتى وضع الوسادة على الأرض وتمدد. أغلق عينيه ولكنه ظل يتقلب على جانبيه حوالي نصف الساعة.

بالرغم من محاولاته إلاّ انه لم ينم، فنهض وأخذ علبة السجائر وخرج من الحجرة. ارتدى حذاءه وخرج من المنزل، تجول فترة في حواري المنطقة دون هدف محدد، وعندئذ دار بباله خاطر، فاتخذ طريقه إلى محل بيع السجاجيد الخاص بالسيد إسماعيل.

رآه من خلف زجاج المحل يجلس خلف مكتبه ويتحدث في الهاتف. وقف هناك فترة حتى انتهى حديث إسماعيل التليفوني ووضع السماعة، وفي نفس اللحظة، دخل فرهاد وألقى التحية، ردّ إسماعيل تحيته بترحاب وهو مبتسم، وضغط على يده التي كان قد مدها إليه.

– أهلاً وسهلاً يا فرهاد، غريبة افتكرتنا؟

جلس فرهاد على مقعد أمامه وقال:–

– إحنا دايماً بنسأل على حضرتك. إزيّ حضرتك؟

– الحمد لله مش بطال، إنت إزيّك يا بطل! شغلك ماشي كويس؟

تنهد فرهاد وأجاب بتأثير:–

– الحالة مش ولابد يا سيد اسمال!

– فيه إيه، زيّ ما تكون مكتئب أوي؟

– والله هاقول إيه، ما هو الضعيف في الزمن ده مالوش حد!

قام إسماعيل من خلف المكتب واتجه إلى الغلاية، وقال متبسماً وهو يصب كوباً من الشاي:–

– لو الزمان ماحايلكش، حايله إنت.

ثم وضع الكوب أمام فرهاد واستطرد قائلا:–

– في الأيام دي مين اللّي راضي عن عيشته علشان نرضى أنا ولاّ إنت عليها!

هزّ فرهاد رأسه مؤيداً وقال:–

– بقى زمن سئ يا سيد اسمال، مبقاش فيه حد قلبه على حد، أو حد يزيح المشاكل عن حد. الكل بيفكر في نفسه، الكل عايش علشان نفسه، الحياة بقت صعبة، جاحدة، وظالمة!

جلس إسماعيل خلف مكتبه وسأله:–

– إيه اللّي حصل يا راجل! زيّ ما تكون زعلان أوي؟

– معدومو الشرف – طبعاً بعيد عن حضرتك – طردوني من الشغل.

– ليه؟ أكيد ضايقتهم؟

– والله هاقول إيه! ربنا يذلّهم، بيدوا الواحد ملاليم، وفاكرين إنهم اشتروه. زيّ ما نكون إحنا آلات مش بني آدمين! كنت عايز أدخن سيجارة فمسكوا في خناقي، يا راجل يا خسيس أنا مش عبدكم.

طبعاً ماتفتكرش إني قصّرت، أبداً واالله، ضربت ودشدشت لهم سنانهم كلهم، وكلهم انقطعوا حتت واالله، وبعدين خفت إن الحكايةِ يبقى فيها مشكلة، فهربت بسرعة، ومشيت.

– إنت غلطت يا ابني يا طيب، الإنسان لازم يتحكم في نفسه شوية ومايعاندش. ودلوقتي زعلان من ايه؟ الدنيا مانتهتش، والشغل ياما، المهم سلامتك. دلوقتي اشرب الشاي بتاعك أحسن برد أوي.

شرب فرهاد الشاي وقال:–

– واالله مفيش سر على حضرتك، جيت لك علشان تعمل فيّ جميل.

– اتكلم يا بني، لو فيه حاجة في إيدي أنا مش هاقصر.

– ربنا يطول عمرك يا سيد اسمال، كنت عايز يعني وأتمني لو ممكن إنك تلاقي لي شغلانة كويسة مفيهاش مشاكل. من الآخر حضرتك لك أصدقاء ومعارف وتعرف برضه كل التجار.

صمت فرهاد ونكس رأسه وانتظر إجابته. ابتسم إسماعيل وأجاب:–

– وهو كذلك يا فرهاد يا حبيبي. أنا هادوّر لك، لكن إنت كمان ماتتكلش عليّ واسع إنك تلاقي شغل. في النهاية هنحل المشكلة دي بالتعاون مع بعض.

لم يتح صوت جرس الهاتف المجال لفرهاد للردّ أو الإعراب عن الشكر. رفع إسماعيل السماعة وشغل بالحديث التليفوني. وبعد دقائق حينما أعاد سماعة التليفون إلى مكانها، قام فرهاد وقال شاكراً:–

– أنا كمان مش هتقّل عليك.

– رايح فين؟ اقعد أنا لوحدي، وصبري نفد.

– ربنا يخلّيك يا سيد اسمال، مش هاخد من وقتك أكتر من كده، واستحلفك باالله ما تنساناش.

قام إسماعيل وصاحبه حتى باب المحل، وربت على كتفه وأجابه:–

– أنا فاكرك يا بني، ومش محتاج توصية. وإنت كمان لو لازمك حاجة تعالى لنا.

– من عيني. مع السلامة.

بعد أن خرج فرهاد من محل إسماعيل، اشترى علبة سجائر وعاد إلى المنزل. ملأ الغلاية الإستانليس حتى نصفها بالماء ووضعها على شعلة الغاز. وأخذ يفكر وهو يتأمل شعلة النار ويدلك ذقنه المتورمة بيده فيمن يمكن أن يلجأ إليه لكيّ يجد له عملاً. غلي الماء، فصبّ مكيالاً صغيراً من الشاي داخل الغلاية ولم ينتظر غليانه ثم صبّه في الكوب.

دهن مقداراً من الجبن على قطعة خبز وبدأ يأكل. وعندما أسكت جوعه، أشعل سيجارة ورفع واحداً من كتب شهريار التي كانت مصطفّة فوق رف على الجدار، وحاول أن يقرأ بضع صفحات منه. قرأ بضعة سطور من كل صفحة بشكل عشوائي، ثم أغلق الكتاب بنفاذ صبر ونهض.

تمدد في ركن، وأشعل الراديو وألصقه على أذنه. وبدون قصد انطبقت جفونه، وما هي إلاّ دقائق حتى استغرق في النوم. استيقظ من النوم مع ظلمة الجو وجلبة دخول شهريار. ضغط شهريار على زر الكهرباء ونظر إليه متحيراً:-

- سلام، إنت نايم في الضلمة ليه؟ كنت هاموت من الخوف!

تثاءب فرهاد وضحك:-

- بتخاف من رؤيتي؟ كنت فاكرك شجاع!

بسط شهريار المائدة، ووضع عليها الخبز الذي كان يحمله وسأله:-

- من ساعة ما مشيت وإنت نايم بالشكل ده؟

- لأ يا عم، خلصت كل الشغل! يا دوب رحت في النوم وإنت جيت. اتأخرت؟

- أيوة، ما هو ساعة ما نويت أخلص الشغل، جه مشتري ولاّ اتنين في نفس الوقت. صحيح، لازم نفكر في حاجة للعشاء.

توجه شهريار إلى الحمام أثناء حديثه، وعاد بعد أن غسل يديه ووجهه وأصابته الحيرة حينما شاهد فرهاد على نفس وضعه السابق. فقال معترضاً:-

- إيه يا عم إنت لسه قاعد ونايم؟!

- يعني عايزني أقوم وأقف مربّع إيدي؟

- قوم اضرب لنا بيضتين في السمنة، وجهز مفرش العشا أحسن هاموت من الجوع.

- ومين عنده نفس يحضر العشاء، أنا شمّعت معدتي.

- ليه؟ تكونش عايز تنتحر؟

تنهد فرهاد وقال وهو يقف:-

- الموت أحسن من العيشة دي والله!

- ماتقولش شعارات وروح أدّي مهمتك، الليلة دي دورك في الطبيخ.

- لو مش عايزين نتعشى، المفروض نشوف مين؟!

- إنت ما تاكلش، أنا اللّي هاكل. قلي بيضة مش محتاج كل المندبة دي .

وضع فرهاد المقلاة فوق شعلة الغاز، ووضع فيها ملعقة من السمن، وبسط شهريار المائدة وقال مازحاً:-

- هه يا رئيس الطباخين، ماتزودش الملح! وماتسويهوش أوي.

رفع فرهاد يده بالتحية وأجاب:-

- سمعاً وطاعاً يا سيدي! إيه المريسة دي!

- اجر يا ولد هات الطبق، وماتنساش البصل!

وضع فرهاد الأطباق على المائدة، وسأل بلهجة ساخرة:-

- حضرة صاحب العزّة يأمر بإيه؟

نفخ شهريار أوداجه وقال:-

- هات أيّ سم هاري هنتهنى به، وإلاّ هاطردك. اجر كده وإنت مالكش منظر!

نقل فرهاد البيض في الطبق ووضعه أمامه. وجلس إلي جواره وقال بتحسر:-

- يا ريتني كنت قبلت اقتراح سكينة الحادبة! كان ساعتها حالي بقى أحسن من كده.

ابتلع شهريار لقمة في فمه، وسأل بدهشة:-

- مين سكينة الحادبة دي؟

وضع فرهاد - الذي كانت شهيته قد أثيرت - لقمة خبز في فمه، وأجاب متبسماً:-

- افتكرها بالخير! أدّ إيه كان لينا أيام جميلة في بلدنا! لمّا كنت صغير، كنت باطلع الجبل مع أبويا، وصوت مأمأة الخرفان أدّ إيه كان فيه سعادة! كانت بتنشّط الواحد. الغلابة دول كانوا بيرعوا في ركن، وأنا كنت باقعد تحت ظل شجرة وأزمّر بالناي.

تقدم فرهاد، وانقض على طعام شهريار. فقال شهريار بلمز:-

- إنت اللّي كنت شمّعت معدتك!

- إنت فتحت نفسي أوي، والإنسان أسير لشهواته.

- جميل، كمل.

- أيوة أكمل لك ... القصد، أدّ إيه كانت أيام جميلة. كان لنا جارة أبوها راعي غنم برضه وكان عندها بنت اسمها سكينة، كنا بنلعب سوا. المسكينة كانت محدبة وشكلها وحش أوي. والعيال كانوا بيتريقوا عليها بسبب حدبها، كنت دايماً باشوفها بتعيط، ومن اليوم اللّي خلّصتها فيه من إيد العيال ووقفت في صفها، بقت مهتمة بيّ. ومن وقتها لزقت لي بالظبط زيّ متطفل سمج ومزعج!

قال شهريار بلمز:-

– هنيا لك!

– أيوة يا صاحبي، مكانتش بتتعامل مع حد غيري. أحياناً كانت بتصر عيش وجبنة في منديل وتطلع الجبل ماشية، وكانت بترغطني بإيديها الرقيعة السوداء وأنا كنت بازمّر لها بالناي. كانت بتتبسط من صوت عزف الناي، وأحياناً برضه كانت بتعيط وتحرق قلوبنا! كانت بتتعذب في البيت وتتهان حتى على إيد أمها وأبوها. كانوا بيتمهزؤا بها بسبب شكلها ويتريقوا عليها.

تعرف؛ سكينة ماتولدتش حادية ولكن في طفولتها دهستها عربية كارو سببت لها التشوه ده. القصد، إننا كنا بقينا حماية البنت دي. وشوية شوية كبرنا مع بعض. ولحد دلوقتي ماهجرتنيش. في أيّ حتة كانت بتشوفني كانت بتلزق لي زيّ الغرة! أمي كانت بتقول إنه مش حلو علشانك إني أمشي معاها في البلد ممكن يلسنوا علينا، لكن سكينة مكانتش بيهمها.

احتسى فرهاد رشفة ماء، وأشعل سيجارة وواصل حديثه:–

– لحد ما جه الوقت إني أروح الجيش، الله يرحم أبوها، نفس البنت دي كانت السبب في إني أنهي خدمتي، وإلاّ كان زماني جندي هربان لحد دلوقتي.

– إزاي؟

– دلوقتي هاقولك، أخدت كراسة ورحت الخدمة لكن يا ريتني قدرت أتأقلم هناك! ابن الجبل، الولد اللّي كان دايماً عايش حر وكان سيد نفسه وخادم نفسه، أكنّه يقدر يتحبس في الكتيبة زيّ فرخة مكسورة الجناح، ويعمل شمال شمال، يمين يمين!

وفهمت من الأيام الأولى إنهم ماجهزونيش للحكاية دي فهربت. وجيت البلد وقعدت كام يوم لكني لقيت إني ماقدرش أعيش في ركن الصندرة. كانوا زيّ ما يكونوا بيخنقوني!

أبويا كان بينصحني إني أرجع وأقدم نفسي لكن مكانش بيأثر فيّ. نهايته، خرجت من البيت في يوم ورحت الجبل، ومش واخد بالي إنهم بيتجسسوا عليّ وهيروحوا يبلغوا مركز الشرطة. جه اتنين عساكر في عربية جيب وقيدوني وأخدوني معاهم وحولوني مباشرة على الكتيبة.

قلت في نفسي أهرب تاني، هو يعني ربنا إداني الرجلين دول ليه! مافاتش شهر وهربت تاني. وبالرغم من إني اتسحبت ووصلت البيت في نص الليل، ماعرفش مجزورة الشعر[1] دي عرفت منين وظهرت لي تاني يوم الصبح زيّ العمل الردي!

جت وقعدت قدامي وقالت وهي بتبص في عيني، إنها مستعدة تتجوزني وتبقى مراتي.

---

[1] – گيس بريده: مجزورة الشعر. وهو سب عند النسوة لأن البغي قديما كانت تعاقب بجز شعرها.
انظر: فرهنگ معاصر، ص٧٧٣.

إتسمرت في مكاني، زيّ ما تكون الدنيا اتطربأت على نفوخي! أنا فين وهي فين؟ دي حتى ماتساويش كلب حتتها. عيطت لي أوي وقالت إنهم عايزين يجوزوها بالعافية لراجل عنده ٦٠ سنة وعنده أحفاد وولاد أحفاد! وقالت إني لو ماتجوزتهاش هتنتحر ويبقى دمها في رقبتي! يعني يا كافر تعالى واعمل طيب! لساني اتشل من الخوف وماكنتش عارف أقول لها إيه. لقيت إن مفيش فايدة من الهجر، لزقت لي زيّ ما أكون مقام لواحد من أهل البيت وقعدت تترجى. خفت لو قلت لها لأ، تروح وتبلّغ عني. وكنت مستعد إنهم يشنقوني وماخطّيش الكتيبة تاني. القصد، لقيت إنه من الأحسن إني أتفاهم معاها بأيّ شكل. فقلت لها أنا مجند ولازم فترة خدمتي تخلص الأول وبعدين أفكر في حالي. قالت إنت تعالى اخطبني واتكلم عليّ، ولمّا الحكاية تنتهي روح اتجند، وأنا كمان هاصبر لحد اليوم ده .

أدّ إيه كنت مندهش! يعني إحنا الحيطة الواطية، يا ربّى الكل ينور بالكهرباء وأنا أنور بفانوس! القصد إني مع كل المصيبة دي أقنعتها إنها تدّيني فرصة يوم ولاّ يومين علشان أقنع أبويا. لكن سكينة مابطّلتش. كانت كل يوم وكل دقيقة تاخد حاجة في إيديها وتيجي بيتنا، مرة طبق زبادي، قدرة قشطة، كوز لبن، جبنة وغيره وغيره، والنتيجة إنها قدرت تدخل قلب أمي.

في يوم جابت لي جاكت وكوفية وقالت إنها نسجتها بنفسها علشان ما أخدش برد في الكتيبة. ساعة ما أبويا وأمي يبقوا موجودين ماتنطقش، لكن لمّا كنا نبقى لوحدنا كانت بتغازلني بحركات لطيفة وتكرر طلبها باستمرار. في الآخر، روحي طلعت ولقيت إن ماعنديش حل غير إني أستلف رجلين على رجلي وأهرب. وفي يوم ماسيبتش خبر ورحت قدمت نفسي في الكتيبة. قررت أضحي وأخلص جيشي زيّ البني آدمين. مافاتش شهر ولقيت سكينة ظهرت لي هي وأختها الكبيرة. آه يا بويا مابطّلوش يضايقوني حتى في مكان جيشي! في الأول سكينة عاتبتني إني ليه مشيت من غير ما أقول، ولمّا مالاقتش مني اهتمام، هددتني إني لو مارحتش أخطبها هتجرّسني في البلد. لقيت إن الظروف مش مناسبة، فوعدتها إني هاخد إذن كام يوم وأروح البلد وأخلص الحكاية كلها.

الأسوأ من ده كله إن أختها هددتني وقالت إنت خدعت أختي وكدبت عليها ودلوقتي عايز تتنكر منها؟ ماتكنش بلد هرت[1]! هاجيب أبوك ... القصد، إن مع كل النحس ده طرّقتهم، وبعدين رحت الحوش وقعدت في ركن أفكر، لكن ماخطرش على بالي أيّ حاجة. وكانت الدموع بتنزل من عيني غصب عني. وكنت باتمنى إني أموّت نفسي. كنت جاي أستقيم لكن لقيت نفسي انحرقت.

---

[1] – شهر هرت: اسم بلد خيالية لا نظام فيها ولا قانون ويسود فيها الهرج.
فرهنگ معاصر، ص٩٤١.

في البرجلة دي بقى، جه واحد دفعتي وقعد جنبي. كان من العيال الناصحين دول ومالوش زيّ. ولمّا قلت له سبب وجعتي، قال لي فكرة ماتخطرش على بال الجن فما بالك بعقلي الناقص. قال لي روح واتكلم مع قائد الكتيبة واطلب منه إنه ينقلك لمكان بعيد مايوصلكش فيه حد. فرحت وانبسطت أوي بالاقتراح ده، ونطيت وغرّقت وشه بالبوس.

صباح تاني يوم، أخدت نفسي ورحت للقائد واتمسكنت علشان قلبه يحن على حالي ويكتب أمراً بنقلي ويريحني. وطلبت من الكل إنهم مايدّوش عنواني لأيّ حد، وأيّ حد يدور عليّ حتى أبويا وأمي يقولوا له إني اتخفيت.

قهقه شهريار وقال وهو يضع كوب الشاي أمام فرهاد:-

- أنا خمنت بقيتها. لازم رحت وأنهيت خدمتك ورجعت البلد.

- أيوة صح، بعدت سنتين عن البلد، لا حد كان يعرف عني حاجة، ولا أنا أعرف عنهم حاجة. لمّا رجعت فكرت إن أكيد سكينة اتجوزت دلوقتي وعندها عيال كمان. لكن عينك- انشالله - ماتشوف يوم إسود. أول يوم رجعت فيه البلد ظهرت لي.

زيّ ماتكون حطت في بيتي كاميرا سرية! شفتها من بعيد زيّ ما يكون ناكر ونكير[1] شرفوا! مشيت من الخوف وقعدت في الصندرة، وقلت لأمي تقول لها إن فرهاد طلع الجبل من حب شيرين! وأمي الغلبانة ردتها بالحيلة ومشتها بالحجة على أدّ ما تقدر، ولقيت إن القعاد في البلد زيّ الوقوع في مصيدة الفيران، فربطت أمي بؤجة الهدوم تحت باطي وقالت أحسن لي أروح مكان بعيد وأدوّر لنفسي على شغلانة أكسب منها وأرتاح من شر البنت دي. أنا كمان أخدت بكلامها وهربت من البيت وأنا مرعوب، وفي نفس اليوم ركبت الأتوبيس وجيت طهران، وباقيتها إنت عارفه.

ضحك شهريار مرة أخرى وقال:-

- إذن الست سكينة دي آذتك أوي!

- أيوة والله! شردتني من بلدي وداري، أدعي عليها بإيه!

ارتشف فرهاد رشفه شاي وقال معترضاً:-

- إيه ده يا عم، إلهي تجيب لحماتك شاي زيّ ده! الله يرحم أبوك، ده بارد تلج!

- دي غلطتك إنت! من كتر ما اتكلمت الشاي برد وأنا كمان نشفت، هات هاعملك غيره.

هز فرهاد رأسه نافياً. وتنهد وقال مغمغماً:-

---

[1] - ملكان أسودان يأتيان العبد عند وفاته في القبر لسؤاله.

للمزيد انظر: الإمام أبي أحمد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ٤، لبنان بدون تاريخ نشر، ص٥٠٢ وما بعدها.

- دلوقتي ماعرفش مع حالة البطالة دي هاتصرف إزاي من بكرة؟

**- دي غلطتك دايماً يا روحي! كنت عايز تمسك لسانك شوية، فيه إيه؟ بتبص لي زيّ كلب حسن دله كده ليه؟ باقول حاجة غلط؟**

- كنت أتمنى أوي أكون زيك، لكن أخلاقك وطبعك مختلف عن صاحبك اختلاف السما والأرض. إنت إنسان بارد، لو الدنيا غرقت مايأثرش فيك، لكن أنا من اللّي قلبك يحبه، دمي حامي. ماقدرش أشوف حد بيفتري على حد أو ياخد حق مش حقه، باقفد أعصابي بسرعة. نفسي كل حاجة تكون زيّ ما أنا عايز، أنا إنسان متسرع مابتحملش، لكن إنت مهما تقول ولا على بالك ومابيهمكش.

- لا يا حبيبي إنت غلطت، أنا مش إنسان مستهتر لكن باحاول أخلص أموري بالمنطق. إحنا أصحاب من بيجي سنة. إحنا الاتنين جينا جداد للمدينة دي، إحنا الاتنين كنا مشردين وحاسين بالوحدة ومفلسين، فاتعودنا على بعض بسرعة جداً. إنت رحت اشتغلت في سوبر ماركت، وأنا بقيت صبي في محل تصليح الآلات الصوتية. إنت يا دوب لسه ماشقتش الجلد واتخانقت وطردوك من المحل، وبعدين رحت المصنع وهناك برضه ماقدرتش تستمر.

قاطع فرهاد حديثه وقال:-

- تفتكر إنه كان ذنبي؟ السوبر ماركت كان فيه سرقة وماقدرتش أستحمل. صاحبنا إياه كان بيبيع كل حاجة بالضعف ويحط الفلوس كلها في جيبه. قسماً بالحسين أنا على حق، رحت وقلت لصاحب المحل، لكن الندل ده كان يستاهل يسرقوا محله، كان حمار لدرجة إنه افتكر إن أنا باتبلى على صبيّه. قالوا إنت بتفتري بسبب حسدك، يعني بعد ما سمعوني رموني.

- يا عزيزي مش مع كل وردة يكون الربيع، كنت لازم تقفل عينيك وتتعمي. أنا وإنت مش مصلحين اجتماعيين! قبر أبوهم ماله ومالنا، حاول إنت تحكم عمّتك علشان ماتطيرش، ومالكش دعوة بعمم التانيين.

قام فرهاد وبسط فراشه على الأرض. وتمدّد عليه ونظر إلى السقف وكذا فعل شهريار. في أثناء ذلك بدأ فرهاد الحديث وقال:-

**- النهاردة العصر عديت على السيد اسمال.**

**- ليه؟**

**- طلبت منه يدوّر لي على شغل.**

**- وقال إيه؟**

**- قال إنه مش هيقصر.**

قال شهريار بلمز:-

- الجيران يساعدوا علشان أنا أتجوز!

- ماتتريقش، أنا مش هاقعد عاطل والزق في مكاني. أنا هاقوم من بكرة وأروح أدوّر على شغل.

- تلاقي شغل ده سهل يا حبيبي، المهم المحافظة عليه.

تقلب فرهاد وعاد ناحيته، وأجاب بلهجة لاذعة:-

- يا صاحبي العزيز أنا لو هاموت من الجوع، مش هاستسلم. ولو فاكر إني هاتطفل عليك تقدر تقولها بوضوح وبصراحة علشان أفكر في حل لنفسي.

ضرب شهريار بقبضته على مفرق رأسه، وقال ضاحكاً:-

- إتكوم ونام، بقيت راجل عليّ! من إمتى بقى لك لسان؟ أنا لو باقول حاجة باقولها علشانك. ماقصدتش إني أسئ لك. إنت أكيد عرفتني في السنة دي، إنت غشيم أكتر من اللازم، مابتخبيش حاجة في قلبك، اللّي في قلبك هو اللّي على لسانك، لكن بالوضع ده ماينفعش، يعني تعيش كده ويا لله نفسي، الزمن ده بقى مهبب وملعون أبوه، حمل على الواحد اللّي مايقدرش يخلّص نفسه من الخطر. أنا مش عايزك تفضل لحد آخر عمرك تلف حوالين نفسك زيّ المروحة، والآخر تموت بلّوشي. كفاية رغي بقى، نام دلوقتي وعندك الأيام جايه كتير للكلام.

ابتسم فرهاد وقال:-

- القصد إنك ماتفكرش إني لو بقيت عاطل مصاريفي هتكون عبء عليك، أنا مش عاجز لدرجة إني ماقدرش أشكم المعدة الخربانة دي.

- ماتستظرفش. أنا وإنت مش هنتناقش في الموضوع ده، من ساعة ما بقينا إخوات وإحنا لازم نشارك بعض في الهم والفرح، واضح؟

- أيوة واضح.

- جميل، يبقى تصبح على خير، ما هو لو ما أخدولكش فرملة، هتقعد ترغي لحد ما القيامة تقوم .

أهدى كلاهما إلى الأخر ابتسامة في الظلام، وما هي إلاّ دقائق حتى استغرقا في النوم.

«٢»

مع إشراقة الصباح، استيقظ شهريار من النوم وبعد تناول وجبة الإفطار توجه إلى محل عمله، أما فرهاد – الذي لم يكن لديه عمل في ذلك اليوم – فضل أن يمكث في الفراش فترة أكثر من المعتاد. وفي العاشرة صباحاً نهض من الفراش، وتناول إفطاراً خفيفاً، وبعد أن أشعل سيجارة غادر المنزل.

لم يكن لديه هدف محدد، كان يأمل لو يستطع خلال بحثه أن يجد عملاً مناسباً. طرق كل السبل دون هوادة حتى الساعة الثانية بعد الظهر وفتّش في كل مكان كان يعتقد أنه ربما يلحقوا له به عملاً ولكنه لم يوفّق.

توقف تحت ضغط الجوع والتعب من البحث دون طائل. وتوفيراً للمصاريف، اكتفى بشراء بسكويت وأخذ يطوف الشوارع مرة أخرى، وفضّل هذه المرة أن يستقل الأتوبيس. وعندما استرخى فوق مقعد الأتوبيس كان قلبه منقبضاً، وكانت درجة الحرارة عالية، فتصبب جبينه عرقاً.

مال ناحية النافذة وأسند رأسه على المقعد وأغمض عينيه ... كان يعزف الناي تحت ظل شجرة وينظر إلى الأغنام بمتعة كبيرة. ثمّة كلب أصفر اللون كثّ الشعر كان مسترخياً تحت أشعة الشمس ويحرك ذيله. شرب جرعة ماء من جرّة كانت بجواره ومسح حول شفتيه بظهر يده، ورنا بعيداً بنظره. فإذا بخيال أسود يأتي إلى تلك الجهة من بعيد.

لم يأبه به كثيراً ووضع الناي على شفتيه ثانية. أغلق عينيه للحظات لكن ما هي إلاّ دقائق حتى أخرجه صوت من أفكاره. فتح عينيه فرأى سكينة أمامه وهي ضاحكة وغامزة، جلست سكينة بجانبه ووضعت صرّة الطعام بين قدميها وأخذت تفك عقدتها، وضع فرهاد الناي جانباً وأشاح بوجهه عن سكينة متأففاً، فلم تهتم سكينة، وبينما كانت تقهقه مدت يدها بالطعام أمام فمه. أزاح فرهاد يد سكينة مبدياً عدم رغبته وأراد أن ينهض، لكن سكينة حثته على الجلوس بالضغط على يده. كان يرغب في أن يهرب من يد تلك الفتاة، فأخذ يتملص ويقاوم بشدة، وعلى الرغم من ذلك لم تتركه سكينة.

– إيه يا عم قوم، أنا معاك ...

فتح فرهاد عينيه، وكان كتفه يتحرك يميناً ويساراً نتيجة لضغط يد الرجل.

– ما شاء الله، كل ده نوم! كأنك مانمتش من ١٠٠ سنة.

حملق فرهاد بالرجل متحيراً، ثم تطلع فيما حوله. كان لا يزال جالساً داخل الأتوبيس. فقال مساعد السائق الذي لاحظ اضطرابه لامزاً:-

- إحنا وصلنا يا أخي، مش عايز تنزل؟ ده آخر الخط.

فرك فرهاد عينيه وأدرك أن كل ما رآه كان حلماً. فنهض من فوق المقعد وسلك الطريق.

حينما نزل كان لا يزال متثائباً وناعساً. أخرج علبة السجائر من جيبه، وكان قد بقي بها سيجارة واحدة فقط، فوضع السيجارة بين شفتيه وأشعلها، ثم ضغط على العلبة وألقاها في مجرى مائي، وذهب تجاه السوق وهو يدخن السيجارة عن آخرها.

كان المارة يعبرون بعجل ولا يعني أحد بالآخر. أخذ فرهاد يتفقد المحال فربما كان هناك شخص في حاجة إلى عامل. ووقع نظره أثناء السير على إعلان كان ملصوقاً فوق زجاج أحد المحال، مكث برهة ثم دخل المحل بعزم راسخ.

جاءه رجل طويل القامة نحيف القد وابتسم له بوجه بشوش:-

- تحت أمر حضرتك، يلزم خدمة؟

تردد فرهاد قليلاً، وحاول مراعاة أصول الأدب فابتسم وقال:-

- سلام يا سيدي، آسف، أنا جيت بخصوص الإعلان اللّي معلّقينه على الفاترينة.

تغير وجه الرجل فجأة وحلت عليه علامات الدهشة والحيرة. وتفحصه قليلاً بينما واصل فرهاد حديثه:-

- يمكن أنا أقدر أفيد حضرتك.

حدّق الرجل بعينيه وقال بخجل:-

- لكن يا صديقي العزيز إحنا كنا كاتبين إننا محتاجين صبي لكن ...

أومأ فرهاد برأسه وقال:-

- أيوة أخدت بالي لكن أنا أقدر ألبي احتياجاتكم في الحكاية دي.

خجل البائع وقال:-

- للأسف الشغلانة دي ماتناسبكش، إحنا محتاجين صبي صغير علشان يقوم بمشاوير المحل ونظافته يعني ... عايز الصراحة المرتب اللّي خصصناه للشغلانة دي مش بالقدر اللّي يرضيك، أنا آسف جداً.

أدرك فرهاد أن الإصرار لا فائدة منه لذا أومأ برأسه وخرج بعد أن ألقى التحية. ثم أمعن النظر فيما حوله مرة أخرى وواصل السير واشترى بضع سجائر من البائع، أشعل واحدة وسلك الطريق.

وبينما كان يتملكه اليأس التام استرعى انتباهه إعلان آخر.

"مطلوب شاب نشيط ومثقف لبيع الملابس

من فضلك راجع اللوحة رقم ٣٧"

وعلى الفور شرع فرهاد فى مطالعة أرقام اللافتات، وبعد قليل من البحث وجد اللافتة المعنية. وبالرغم من أنه لا يملك خبرة في هذا المجال، إلا أنه كان يأمل لو يستطع أن يقبلوه في هذه الوظيفة، فقرر أن يقول أنه يملك الخبرة اللازمة في هذا المجال. دخل المحل بقلب ملهوف واتجه مباشرة ناحية شاب حسن المظهر كان قد وقف خلف منضدة أمام المحل، وأوضح مقصده في بعض جمل مختصرة.

ابتسم الشاب وأجابه بأدب أيأسه تماماً:-

- آسف يا أستاذ، أنا استلمت الشغلانة دي النهاردة.

خرجت آهة من أعماق فرهاد. وخرج من الباب دون إلقاء تحية، وسمع الشاب يقول لزميله الآخر:-

- ده تالت واحد يعدّي علينا من الصبح لحد دلوقتي، الأحسن إني أروح وأجمع الإعلانات من على الحيطة.

حاول فرهاد أن يخرج من وسط الحشد. وصل إلى الشارع ووقف في صف الأتوبيس حتى يعود إلى المنزل. وكان يفكر طوال الطريق في الحصول على عمل. فقد انقضى يوم من عمره عبثاً وبلا فائدة، إنه لم يكن يهتم بهذه المسألة كثيراً فالوقت الضائع في عمره كان كثيرا، والشئ الذي كان يقلقه فقط هو أن نقوده كانت في طريقها للنفاذ، ولم يكن يرغب في أن يمد يده لشهريار ويصبح عبئاً عليه.

عندما وصل إلى المنزل كان الجو مظلماً تماماً. وهدف قبل ذلك أن يمر على إسماعيل ولكنه عدل عن ذلك سريعاً. كان يشعر بالضعف من شدة الجوع، وحينما دخل الحجرة وقع بصره على شهريار الذي كان يعد العشاء فى ذلك الوقت.

قال شهريار مبتسماً مع رؤيته له:-

- سلام، كنت فين؟ افتكرتك اختفيت؟!

جلس فرهاد على الأرض، وبدون أن يجيب على صديقه أسند رأسه على الحائط. فسأله شهريار:-

- إيه اللّي حصل يا راجل! طلّع اللّي جواك!

مدّد فرهاد قدميه، وضرب بقبضته على جبهته وقال:-

- هلكت من الصبح لحد دلوقتي. دوّرت هنا وهناك من غير فايدة وأخرتها برضه ماتيسرش لي حاجة.

- كنت بتدّور على شغل؟

- أيوة الكافر!

- ماتيأسش يا بني، ده يا دوب عدّى يوم واحد بس.

- بكرة برضه زيّ النهاردة هتفرق ايه؟ بالحق، عندك ايه للعشا؟

- كل اللّي تأمر به حضرتك!

- هات حاجة أطفحها لأن معدتي هلكت من الجوع!

- الأول قوم روح نظف الميكروبات اللّي جايه وراك زيّ حرس الشرف من الحواري والشوارع لحد أنا ما أجهز السفرة.

أشاح فرهاد بيده في الهواء، وقال باعتراض:-

- ايه يا عم، مالك! يعني أنا أسّ الميكروبات!

ضحك شهريار وقال:-

- قوم يا تنبل بيه، قوم وروح إجلي الميكروبات!

نهض فرهاد رغماً عنه واتجه إلى الحمام، بينما كان يجفف يده بالمنشفة، قال له شهريار وهو يعدّ المائدة:-

- بكرة العصر اشتر جرنال وبصّ على صفحة الاحتياجات. بتبقى دايماً مليانة بإعلانات الوظايف. يا صديقي العزيز الأحمق! المفروض تدوّر تاني، بيقولوا من جد وجد، فهمت؟

جلس فرهاد بجوار المائدة دون أن ينطق بكلمة وغرف الطعام لنفسه. وكذا انهمك شهريار في تناول الطعام ثم قال له:-

- عديت على السيد إسماعيل؟

- لأ.

- لأ ليه؟

- خلّلي يعدي يوم ولاّ يومين، الشغل مش في كمه علشان يصبه على الترابيزة!

- السيد إسماعيل له أصحاب ومعارف كتير وممكن هو بنفسه يلاقي لك شغلانة نافعة، إنت شفت ربنا عنده إيه!

- بكرة هاعدي عليه.

- ودلوقتي عامل ميتم زيّ اللّي أمه ماتت كده ليه؟

- من كتر ما تعبت ضلّيت طريق بقي ومش عارف أدخل اللقمة فين! من الصبح دوّرت في كل الأماكن، دعبست في ١٠٠ حتة، لكن مفيش خبر عن أيّ شغل. واتغديت بباكو بسكويت بس.

- ماتزعلش، الصح تفكر هتعمل إيه؟

- بعد كام يوم هييجي أول الشهر ومعاد أجرة البيت، وإنت مش هتقدر تتكفل بكل المصاريف لوحدك.

- سيبك مني في النهاية إحنا عايشين مع بعض سواء كان قليل أو كتير، أنا وإنت مش المفروض يكون فيه بينّا حساب.

- إنت بتقول لكن أنا ماقدرش أحط إيد على إيد وأقعد مرتاح.

- إنت اللّي عليك إنك تسعى، يعني أنا هالومك بسبب مسألة مادية؟

كان فرهاد قد شبع وابتعد عن المائدة. أشعل سيجارة وأجاب وهو يبتسم بسخرية:-

**- لحد دلوقتي إنت ماقلتش، وممكن ماتلومنيش في أيّ وقت برضه لكن أنا مش عايز يكون فيه ضغط عليك.**

- طبعك هو اللّي شؤم على طول، سدّيت نفسي! قمت ليه؟

- شبعت، ومعدتي مبقاش فيها مكان تاني. من كتر الهم والغم اللّي ماليها ورمت زيّ الطبلة!

- ماتقولش كلام فارغ يا فرهاد، أنا مش عايز أعايرك لكن أقسم بشرفي إن من دلوقتي ولحد عشر سنين جايين إنك لو ماقدرتش تلاقي شغل أنا برضه خدامك، أمال الصداقة بتنفع في إيه؟

صمت فرهاد وتطلع إلى الدخان المنبعث من سيجارته. جمع شهريار المائدة ووضعها جانباً، وأعد عدة الشاي. وبعد ساعة أوى كل منهما إلى فراشه. وتجاذبا أطراف الحديث في موضوعات شتى لبعض الوقت ثم خلدا إلى النوم.

كان اليوم التالي هو الخميس، وبعد أن استيقظ فرهاد من النوم وتناول الإفطار، خرج من المنزل. وبعد لحظات سلك الطريق لمحل إسماعيل بهدف مقابلته، لكنه عندما وصل هناك رأى ستارة المحل مسدلة وكان مغلقاً. فأيقن أن أمراً خاصاً قد حدث لأنه لم يسبق أن يغلق إسماعيل المحل في وسط النهار بدون سبب.

واصل طريقه، وابتعد عن هناك. أمضى طوال النهار في البحث عن عمل وعاد إلى المنزل ليلاً متعباً دون طائل.

في يوم الجمعة أيضاً لم يفتح إسماعيل المحل كالمعتاد، لذا لم يتمكن فرهاد من لقائه. كان يرغب لو يستطع أن يذهب للقائه في منزله ولكنه ترك هذا الأمر مراعاة لعدم الإزعاج، وفضل ألاّ يتعجل، وأن يصبر حتى يوم السبت.

في النهاية تمكن من مقابلته صباح يوم السبت. نهض إسماعيل - بالرغم من كبر سنه - من خلف المكتب ومد يده، ضغط فرهاد على يديه بحرارة. وحثه على الجلوس بالضغط على كتفيه، وجلس هو على مقعد بجانبه. سأله إسماعيل مبتسماً:-

- قول لي عملت إيه؟

- والله هاقول إيه! ماعملتش حاجة محددة، خبطت على الأبواب المقفولة لكن ولا باب انفتح لي.

صمت فرهاد برهة ثم سأل:-

- وحضرتك عملت إيه يا سيد اسمال؟

هز إسماعيل رأسه مبتسماً وأجابه:-

- بجد ولا حاجة لكن ماتيأسش ربنا كبير، في النهاية هنحل المشكلة دي بمساعدة بعض.

أشعل فرهاد سيجارة وقال بيأس:-

- أنا إنسان سئ الحظ، وعارف إن الحظ بعد عني ومش هاقدر أتخلص بأيّ شكل من المصير المحتوم ده.

وضع إسماعيل يده فوق يده، وقال وهو يضغط عليها:-

- استغفر الله، اليأس من عمل الشيطان، وإحنا لنا فرصة تانية برضه، يوم الخميس قفلت المحل من الصبح، وكنت باسعى في موضوعك، عديت على شوية أصحاب ومعارف لحد العصر لكن ماتوفقتش. والعصر كنت مضطر للقعاد في البيت لأن جالي ضيف في موضوع خير.

- خير إن شاء الله.

ضحك إسماعيل وأجاب:-

- تشوف الخير يا بني، الحقيقة كان كلام واتفاقات لجواز حبيبة.

- مبروك.

- تعيش، وكيلي ربنا إن أنا نفسي أوي ألاقي لك شغل، إنت عارف كويس إني دايماً بأبادر في أعمال الخير، لكن لازم تديني مهلة علشان ألاقيلك شغل، تجارتي مش ماشيه أوي وإلاّ كنت شغلتك هنا معايا. شايف أنا حتى ماعنديش صبي.

- صبي حضرتك حصل له إيه؟

– والله هاقول إيه؟ طردته لسببين؛ الأول إن السوق نايم، والطلبات قليلة الأيام دي أوي بسبب غلو الأسعار، والناس مش قادرين يشتروا، ما هو لو كان دكان بقالة كان بقى حاجة تانية، الناس مضطرين يجيبوا رزقهم كل يوم لكن السجاد مش مهم بالدرجة دي. أما السبب التاني إن صبيي كان بيعمل المحل هنا مكان لتجمع أصحابه، كان كل ما يغمض لي طرف يجيب أصحابه هنا ويضايفهم على الآخر. لقيت إن الحكاية دي مش هتنفع، أنا حتى أخدت موقف كذا مرة بالكلام والتهديد والشخط لكن الأمر ماتصلحش. صحيح خلّيني أصب لك شاي، ده أنا كنت هانسى.

استعد إسماعيل لكي ينهض ولكن فرهاد اعترضه، وقال على الفور:–

– ربنا يخلّيك يا سيد أسمال. أنا لازم أمشي، تسلم إيدك.

– بتعمل تكليف ليه، الشاي جاهز وسخن، خلّيني أصب لك كوباية، وماتخافش متبقاش تردها.

– إحنا ربائب نعمتك. ماليش نفس للشاي، أنا عايز أستأذن، لازم أمشي وأعدي على كام مكان.

– وهو كذلك على راحتك، إحنا مفيش بينّا تكليف.

نهض فرهاد من على المقعد ووقف، ثم صافح إسماعيل، وخرج من هناك بعد أن ألقى التحية. حاول في أثناء سيره أن يتذكر أسماء الأشخاص الذين كان على معرفة بهم، ومع هذا لم يرد على ذهنه شخص محدد. قبل ذلك بفترة عندما كان يعمل في سوبر ماركت، كان يعرف شاباً اسمه حكمت، كان عامل بناء، ومضت فترة طويلة ولم يره، فقرر هذه المرة أن يتوجه إليه، ويجرب حظه هناك.

مشكلة هذا الأمر فقط أنه كان ينبغي أن ينتظر حتى حلول الليل، حيث كان حكمت يخدم في محل عمله من الصباح وحتى العصر مباشرة، وفرهاد لا يعرف عنوانه الجديد فكان لابد أن يعود لمنزله ليلاً لكي يقابله.

استمر في بحثه طوال ذلك النهار وحتى العصر، تصفّح جميع إعلانات التوظيف بالجرائد. اتصل ببعضها وفي النهاية انتهى اليوم دون أن يوفق لأي شئ، فعزم على الذهاب إلى المنزل. كان لقاء حكمت من أولوياته لذا غير وجهته قبل أن يذهب إلى منزله ووصل إلى منزل حكمت.

عندما فتح حكمت الباب ووجد نفسه أمام فرهاد، ابتسم وسلم عليه بحالة كانت مزيجاً من السرور والحيرة.

– أهلاً يا فرهاد يا ورد! حبيب السنة اللّي فاتت ورفيق السنة دي! فينك يا عم؟ كان نفسي أشوفك.

– ربنا يخلّيك، وأنا كمان.

- قول لي أخبارك كويسة؟ إيه اللّي فكرك بينا بعد كل المدة دي يا ندل! واقف علي الباب ليه؟ مش أدّ المقام، إتفضل.

- لأ يا حكمت يا حبيبي مش هاضايقك.

- تضايقني إيه يالاّ أدخل، مفيش حد هنا أنا وأمي بس.

- لأ حقيقي لازم أمشي، وقت تاني. أنا جيت بس أطّمن على أحوالك.

- إيه أخبار شغلك؟ لسه هناك برضه؟

- لأ.

- إزاي؟ مشيت من هناك؟ من إمتى؟

- طردوني! من كام يوم كده.

- أمّال بتشتغل إيه دلوقتي؟

- أبداً عاطل وعمّال ألفّ في الشوارع يمكن تظهر فرصتي المستخبية.

أومأ حكمت برأسه وقال:-

- البطالة مرض سئ.

- أيوة بالظبط كده. عايز الحق أنا جيت أطلب مساعدتك، يمكن تقدر تلاقي لي شغلانة.

صمت حكمت برهة وعقد حاجبيه وقال:-

- إنت عارف أنا شغلتي إيه، وهي النوعية دي من الشغل تنفعك؟ يعني تناسب طباعك؟

ابتسم فرهاد بسخرية وأجاب:-

- لازم زيارة علشان أعرف أنا هاتناسب مع الشغلانة دي ولاّ لأ؟

- بص يا فرهاد، مبدئياً أنا افتكرت دلوقتي إننا محتاجين لعامل لكن شغله مش سهل أبداً.

- إيه الشغل ده؟

- الواحد هناك لازم يبذل كل جهده، ومرتبه برضه مش بالقدر اللّي يرضيك. أنا فضلت بسبب العوزة.

- متشكر لك، لكني مستعد إني أختبر قوة دراعي.

- وهو كذلك، أنا ماعنديش كلام.

- إذن هتعرّفني إمتى؟

- خلّيني بكرة أروح وأتكلم مع المقاول بتاعنا، وساعتها هأقول لك.

- أجي لك بكرة بالليل كويس؟

- أيوة كويس، تعالى في نفس المعاد.
- حاول تحجز لي الشغلانة دي.
- أنا ماعنديش كلام بس ماتجيش بكرة تشتكي إن الشغل صعب وكاني وماني ...
- لأ، ما أنا قلت لك إني متعود على الأعمال الصعبة. لو رتبت لي الشغلانة دي هيكون جميل في رقبتي.
- إيه الكلام ده يا بني، ده واجبي.
- ربنا يخلّيك، أستأذن أنا.
- على طول كده، طب على الأقل كنت دخلت بلّيت ريقك.
- لا معلش لازم أمشي. هه يا علي، مع السلامة.
- شرّفت، مع السلامة.

انصرف فرهاد، وكان أمله قد تعلق على هذا الموضوع لأبعد الحدود. الآن كان يجب أن يرى إلى أي مدى سيحرز نصراً. وصل إلي المنزل بخطوات سريعة. وبمجرد أن فتح باب الحجرة داعبته رائحة طعام العشاء الشهية.

- سلام.
- سلام، تسلم.

وبدون أن يبدل فرهاد ملابسه جلس على الأرض واستند إلي الحائط. ونظر شهريار إلى الساعة وسأله:-

- اتأخرت، كنت فين؟ كنت قلقان.
- إنت عامل زيّ أمنا، لمّا كنت باتأخر دقيقتين كان بيتملكها الخوف بسرعة. كنت بادوّر على شغل.
- جميل، وإيه اللّي حصل؟
- أبداً يا عم قلبك طيب، هو فين الشغل؟ صحيح فيه واحد وعدني لكني مش مطّمن أوي إنه مناسب، اتفقنا إنه هيعرّفني بكرة بالليل. عندنا إيه على العشا؟ ريحته جننتني.
- طبخت شوية لوبيا.
- هتاخد أدّ إيه وتجهز؟
- يا دوب جهزت دلوقتي، سبتها استوت على الآخر وتجري الريق.
- هات خلّينا ناكلها! أنا جعان لدرجة إني عايز آكل رجليك.

قهقه شهريار ونهض مسرعاً وأعد المائدة. جلس فرهاد على المائدة بعد أن أبدل ملابسه وغسل يديه ووجهه، وانهمك في تناول الطعام كمن أصابتهم المجاعة.

- جميل جميل! تسلم إيدك يا بني، طعمها حلو أوي!

- بالهنا والشفا، إحنا كده! واللّي مايعرفش مقامنا، مكانه قاع جهنم!

- بجد طبيخك مفيش عليه كلام، لو معايا فلوس كنت فتحت مطعم وعملتك كبير الطباخين عندي.

- زيّ ماتكون مشيت في الشمس كتير ومخك اتلحس!

- إنت حتى هتحسدني على أحلامي، خلّيني خدامك يا عم، إنت ماتقدرش تشوفنا فرحانين شوية؟

قال شهريار ضاحكاً:-

- أنا حبيبك، زعلت ليه؟ اللعنة على كل إنسان بخيل وحاقد! اشتر إنت المطعم وأنا أوعدك إني هانحني علشان تستخدم ظهري بدل الترابيزة، وترص عليه الأطباق للزباين، حلو كده؟ قوم دلوقتي وروح اعمل لنا شاي.

- من عيني! حضرتك ألأمر، ومين اللّي ماينفذش!

- ماتقدرش.

- أيوة والله صدقت، رقبتنا أدّ السمسمة!

جمع شهريار المائدة ووضعها جانباً، وما هي إلاّ دقائق حتى أحضر فرهاد كوبي شاي وجلس بجانبه. حدّق شهريار في الأكواب وقال بلمز:-

- تسلم إيد أمك! ده شاي ولاّ ماء ملون! إنت حتى ماتنفعش تبقى صبي قهوة.

- ده كتير عليك، الشاي اللّي باعمله بركة!

أخذ فرهاد سيجارة وقدم واحدة لشهريار، أشعل كل منهما سيجارته. ووضع شهريار قطعة سكر في فمه وقال:-

- باقول يعني مش أحسن إننا نجمع فلوس ونعمل مشروع سوا، إيه رأيك؟

قال فرهاد بسخرية:-

- اقتراح مش بطال، لكن جمع الفلوس في حد ذاته مشكلة كبيرة.

- إنت ماتقدرش تروح بلدكم؟

- علشان إيه؟

- لو أبوك يوافق على بيع شوية خرفان ومعيز وحملان ويديك الفلوس، كده هيساعدنا.

- جميل! الكلام اللّي بتقوله يضحك الحمار.

- لا يا عم! أمّال ماضحكتش ليه؟!

- أبويا المنحوس ماعندوش آهة علشان يتاجر بالنواح يبقى اللّي زيّ ده هيسلف، وكمان سكينة الحادبة هناك وهتقبض عليّ زيّ الأجل المعلق. أخاف تكتفني أنا المنحوس بسرعة على مائدة الزواج، وإلاّ تثبت لي إنت محبتك وصداقتك .

- يعني أعمل إيه؟

- أبداً، تعالى اتجوز يتيمة الأم دي ونجّيني من الورطة الكبيرة دي، والثواب عند الله.

- غلطت، أبويا مكانش موصيني بكده، هو أنا فقدت عقلي.

- شفت، إنت حتى لا شفتها ولا عرفتها ومرعوب منها، يا حسرة على حالي، منحوس وفقير!

- يالاّ أصلاً انس حكاية المشروع ده يا عم، مش عايز بدل ما أكحلها أعميها. إحنا ماشيين.

- على فين؟

- معاد النوم، رايح أغسل سناني وبعدين أتخمد.

قهقه فرهاد ورفع صينية الشاي وذهب خلفه.

- أصبر أنا كمان جاي، ماتسبنيش في نص الطريق.

- وهو كذلك، يالاّ بسرعة، مستنيك!

في اليوم التالي، أمضي فرهاد طوال الوقت في البحث عن عمل، وأخيراً سلك الطريق دون طائل تجاه منزل حكمت. وبشّره حكمت أنه تقريباً قد حجز له العمل.

- تعالى هنا بكرة الصبح الساعة ٧ علشان نروح إحنا الاتنين مع بعض وأعرفك علي المقاول.

- يعني موضوع الشغل انتهى؟

- ما أنا كنت قلت لك إننا محتاجين عامل لكن أشك إنك تقدر تتحمل الشغل الكتير ده.

- علشان إيه؟

- لأنك مش بتاع الشغل ده، أنا لو مكانش مرض أبويا ماكنتش رحت اشتغلت بالثانوية، أعمل إيه ما هو كل شهر لازم أحط الفلوس كلها في حساب المستشفى، علشان يحافظوا على أبويا حي.

- أنا كمان مضطر زيك يا حكمت يا حبيبي، ولازم أسعى. وعلى أي حال فهو أحسن من البطالة.

- وهو كذلك، إذن مستنيك بكرة الصبح.

- من عيني، صاحبك هيكون هنا الساعة ٧ بالظبط.

سلك فرهاد طريقه إلى المنزل سعيداً مبتسماً، وبمجرد دخوله حكى الموضوع لشهريار. وأبدى شهريار سروره بدوره. في تلك الليلة، وبعد أن تناولا العشاء، اتجها إلي الفراش مبكراً عن الليالي الأخرى.

استيقظ فرهاد من النوم في تمام الساعة السادسة صباحاً على رنين جرس الساعة، ونهض من الفراش علي عجل. وتناول إفطاره مسرعاً دون أن يوقظ شهريار، وبعد أن ارتدى ملابسه خرج من المنزل.

وصل إلى باب منزل حكمت في تمام الساعة السابعة. لم يكن قد وضع يده على الجرس حتى ظهر حكمت على عتبة الباب، وقال متبسماً:-

- سلام يا صاحبي، جيت في المعاد بالظبط، معروف إن الوعد جميل!

نفخ فرهاد أوداجه وأجاب بينما كان يصافحه:-

- سلام، صباح الخير! إحنا كده كلامنا مظبوط!

- خلّينا نمشي علشان مانتأخرش.

- نمشي، أنا جاهز. أملي عليك يا رب.

سلكا كلاهما الطريق مترجلين حتى شارعين متتاليين، وهناك اصطفا مع سائر المسافرين في محطة الأتوبيس. قال فرهاد بلهجة منفعلة:-

- قلبي مش في مكانه يا حمكت يا حبيبي، عندي شعور بالظبط زيّ يوم ما كنت عايز أجاوب على الأستاذ، كنت باتلجلج من غير سبب وأرتبك أوي، أهو دلوقتي جات لي نفس الحالة بالظبط.

- قلقان من غير سبب، مايكونوش ناويين ياكلوك؟ قسماً بالحسين أنا باقولك الحق، مقاولنا ده إنسان جاف وروتيني، لو اشتغلت صح هيحبك والاّ هيجادلك جدال بني إسرائيل ويضطهدك.

- أكنّه الأذى في طبعه!

- لأ، بس هو راجل بتاع شغل. مش وحش من جواه بس صعب شوية.

وصل الأتوبيس أثناء تلك المحادثة، فركبا مع الباقين ووقفا في ركن. كان فرهاد ينظر إلى الطريق من النافذة وهو يفكر ويشعر بالقلق. ولم يتبادلا الحديث حتى وصلا إلى مقصدهما.

نزلا إلى الشارع وقال حكمت:-

- وصلنا ومبقاش فاضل حاجة تانية.

أشعل فرهاد سيجارة وسأل:-

- إنت بتاخد أجرتك باليومية ولاّ بالشهر؟

- بالجملة.

- إزاي؟

- المهندس بتاعنا عامل اتفاقية وعقد مع الشركة، شوية من عمالنا ثابتين دايماً، وكل ما يعمل المهندس عقد في كل مكان ياخدهم معاه، في الحالة دي بيدفع مرتبات العمال بالشهر. لكن فيه شوية بيشتغلوا بأجر يومي. الكويس في كده إنهم لمّا يبقوا مش عايزين يشتغلوا في أيّ وقت مايجوش الشغل تاني يوم. النوعية دي من العمال فيه منهم كتير، كفاية بس إنك تروح مكان تجمع الأنفار وكل العمال اللّي إنت محتاج لهم ترميهم على الشاحنة وتجيبهم المبنى بتاعنا، بيشتغلوا ويعرقوا كويس.

- وأنا هاكون ضمن أيّ مجموعة؟

- تعالى دلوقتي اشتغلّك كام يوم، ولو ارتحت وانبسطت نقدر نتكلم مع المهندس علشان تكون ضمن مجموعة العمال الثابتين الدايمين. وبالشكل ده يكون أفضل بكتير لأنك في أيّ وقت مش هتقعد من غير شغل. ولمّا يخلص شغل المبنى ده هتروح على طول للشغل اللّي وراه.

ابتسم فرهاد في رضا وقال:-

- ريّحتني، عايز الحق الأشغال المؤقتة أصلاً ماتناسبش طبعي.

- جميل، وصلنا.

ألقى فرهاد سيجارته - التي كان قد دخن نصفها - من بين إصبعيه في ركن، وتطلع بدقة إلى المبنى الذي كان في مرحلة البناء وقد علا أمامه. دخلا البناية وكان هناك عدد من العمال مسترخين إلى الحائط تحت أشعة شمس الصباح ومنهمكين فى الحديث. اقترب حكمت منهم وقال:-

- سلام، تسلموا.

أجاب الجميع تحيته كل في دوره وتلفت حكمت حوله وسأل:-

- المقاول لسه مجاش؟

أجاب أحد العمال:-

- أيوة وصل من شوية، فوق في المكتب.

ربت حكمت بيده على كتف فرهاد مبتسماً، وخاطب الباقين قائلاً:-

- أعرّفكم بزميلنا الجديد، فرهاد الورد!

ألقى فرهاد التحية على الجميع مبتسماً. واستفسر عامل من حكمت:-

- هو جاى بدل العامل السابق؟

أجابه حكمت الذي استعد للتحرك:-

- أيوة.

بعد ذلك سار وخاطب فرهاد:-

- تعالى ورايا.

وبينما كانا يصعدان الدرج سأله فرهاد:-

- دول قاعدين من غير شغل وبيدخنوا سجاير! أمّال الشغل هيبدأ إمتى؟

- لسة بدري، عادة بنبدأ من الساعة ٨. ماتستعجلش كده، قريب هنكلفك بشغل ومش هتلاقي فرصة تاخد نفسك.

وصلا إلى المكتب الذي كان في إحدى حجرات الطابق العلوي، طرق حكمت الباب ودخل وأعقبه فرهاد أيضاً:-

- سلام يا سيد عباسيان.

كان المقاول – وهو رجل في منتصف العمر- جالساً خلف مكتبه، وعندما سمع صوت حكمت رفع رأسه ونظر إليهما:-

- سلام.

حيّاه فرهاد أيضاً وتلقى رداً. توجه المقاول إلى حكمت وسأله:-

- فيه حاجة يا حكمت؟

- أيوة يا فندم، بالنسبة لأصغر، العامل اللّي ساب الشغل من ٣ أيام، أنا جبت واحد من أصحابي مكانه علشان أقدمه لحضرتك.

نهض المقاول من خلف المكتب ووقف إلى جوار النافذة وتفحص فرهاد بفظاظة. كان رجلاً في الخمسين من عمره، عيناه رمادية اللون وجسده قصير نسبياً وله بنية ضخمة. وجهه مستدير وشفاهه ممتلئة. شاربه في لون الحناء وكان قد غطى شفتيه حتى أن فتحة فمه لا ترى على الإطلاق.

نظر إلى فرهاد بعينيه الفاحصة الثاقبة والتي لها بريق خاص وسأله:-

- اشتغلت في البناء قبل كده ولاّ لأ؟

تردد فرهاد في إجابته، ولم يكن يدري أيّ جواب يرد به. لو قال لا، كان يخشى أن يعفيه بسبب عدم الخبرة، وإذا أجاب بنعم، كان يقلق أن يفتضح أمره – لا قدر الله – على الملأ. كان لا يزال يتأرجح بين الشك واليقين حتى اقترب المقاول منه وتفحصه من رأسه حتى إخمص قدميه وقال:-

- من شكلك باين إنك ماشتغلتش الشغلانة دي قبل كده.

ابتسم فرهاد بهدوء وقال:-

- مظبوط أنا ماشتغلتش في أعمال المباني قبل كده، بس أنا راجل بتاع شغل وحضرتك تقدر تجربني.

استدار المقاول وجلس خلف مكتبه ثانية وخاطب فرهاد:-

- كل اللّي يدخل الشغلانة دي بيقول كده في الأول، وبعدين لو قلت له إن فوق عينك حاجب يزعل بسرعة ويمشي. شوف يا بني، خلّيني من دلوقتي أعمل لك حجة علشان بكرة ميبقاش عندنا كلام ماتقالش. الشغل اللّي هيكون من مسئوليتك مش سهل للدرجة دي، لحد دلوقتي ماقدرش أيّ عامل يكمل أكتر من كام أسبوع. لازم تشتغل متواصل من الساعة ٨ صباحاً لحد الساعة ٦ بعد الظهر، وعندك ساعة واحدة بس علشان الغدا. وفي العشر ساعات شغل دول هتاخد يومياً ٥٠٠ طومان[1]. دلوقتي إنت أدرى بنفسك، لو هتقدر تنفذ التعليمات انزل واشتغل، وإلاّ لك الخير ولنا السلامة.

كان فرهاد يشعر بالغضب في داخله. فقد كان المقاول شخصاً فظاً سئ الخلق وصعب المراس، فاشمئز منه من المقابلة الأولى. ولو لم تكن مشكلة عدم المال وغيرها من المشاكل؛ لكان سبه سباباً فاحشاً في نفس اللحظة وخرج من هناك.

لكنه تحمل بصبر وهز رأسه موافقاً وقال بهدوء:-

- وهو كذلك. مفيش كلام.

- إذن انزل وحكمت هيقول لك هتبدأ الشغل من فين.

هبطا كلاهما، ولكزه حكمت بمرفقه في جنبه وقال:-

- كنت قلت لك إنه إنسان جلف، بس أخلاقه غير شغله.

- كان بيتكلم بأسلوب زيّ ما يكون هيشغل خادم.

- هو برضه مأذنيش أوي، المهندس مكلفه بالمسئولية، وهو مضطر يدقق في الشغل وياخد باله من كل حاجة، هو العين التانية للمهندس وموضع ثقته.

- دلوقتي المفروض هاشتغل إيه؟

- شمّر أكمامك وأنا هاقول لك. بالمناسبة لو عندك هدوم قديمة ومش أدّ كده في البيت هاتها معاك من بكرة واستخدمها كلبس للشغل. الهدوم دي مش بتاعة المكان ده.

شمّر فرهاد طرف أكمامه حتى أعلى مرفقه، ولحق مع حكمت إلى بقية العما

---

[1] - الطومان: وحدة نقد إيرانية تعادل عشرة قرانات في العملة القديمة وتساوي عشرة ريالات في العملة الحديثة. آموزگار، ص٢٣٩.

«٣»

في الساعة السادسة مساءً كفّ جميع العمال عن العمل. غسل فرهاد يديه ووجهه ونفض التراب والغبار عن ملابسه واقترب من المقاول. وبدون تبادل الحوار بينهما، أخذ أجرته وألقى التحية. كان حكمت يستعد للإنصراف عندما وصل إليه فرهاد والتعب يبدو على وجهه.

– ربنا يقويك.

– الله يخلّيك، وإنت كمان تسلم.

– أخدت يوميتك؟

– أيوة أخدتها.

– المقاول ماقالش حاجة؟

– مانطقش. حط الفلوس على الترابيزة، أخدتهم ومشيت.

– مش مبسوط؟

– مبسوط لكن هلكان أوي.

– مش مهم شوية شوية هتتعود.

– عمري ما اشتغلت كل الشغل ده. أنا هلكت.

– هترتاح الليلة دي بنومة. وعلي أيّ حال أهو أحسن من البطالة، على الأقل بيجيب تمن سجايرك.

– أيوة صح.

وحينما كانا يستقلان الأتوبيس سأله حكمت:–

– عرفت الطريق كويس؟

– أيوة، ليه؟

– أبداً، قصدي يعني علشان لو فيه يوم ماحبيتش تيجي معايا تبقى عارف الطريق. لو تخرج من البيت الساعة ٧ هتوصل في المعاد بالظبط.

صمت فرهاد ولزم صمته حتى وقت النزول. وحينما نزلا ألقى التحية على حكمت وسلك الطريق صوب المنزل. في المنزل، كان شهريار يقرأ كتاباً فأغلق الكتاب مع رؤيته له ووضعه جانباً وقال:–

– سلام، تسلم يا حضرة المهندس!

– سلام.

- جميل، الشغل أخباره إيه؟

ألقى فرهاد بجسده على أرضية الحجرة وقال شاكياً:-

- عجّزت. تصدق مفياش حيل آخد نفسي.

- بتعيط ليه دلوقتي؟

- لو كنت مكاني كنت مت!

قهقه شهريار وقام. ثم صب كوباً من الشاي لفرهاد ووضعه أمامه.

- تعالى اشرب علشان أعصابك تهدأ. ما هو لمّا يغيب العقل، تتعذب الروح! بقى فيه مؤمن ماشافش مسجد، هو ده الشغل اللّي لقيته؟

- عندك شغلانة أحسن؟

- وجع الدماغ في كده إن الإنسان العنيد اللّي زيّك مايثبتش في أي مكان. وإلاّ ما الشغل كتير.

رشف فرهاد الشاي وأحكم الكوب على الطبق وقال معترضاً:-

- إنت هتاخدنا في الوقت؟ عندنا إيه على العشا؟ طلعت ونزلت كمية سلالم لدرجة إن مصاريني اتعقدت.

- سلقت بطاطس وبيض. لكن لحد دلوقتي ماجهزوش، حطيتهم على البوتاجاز حالاً.

- الأكل بطاطس مسلوقة؟ أنا نفسي اتسدت.

- إسمح لي أتصل بمطعم أبويا علشان أشوف وصوا لك على أكل إيه؟

- ماتتريقش لأني أصلاً ماعنديش طاقة للتهريج.

- بالشكل ده ريحتها فاحت، وهتقعد في البيت من بكرة.

- لأ لازم أروح بس بشكل مؤقت، النوعية دي من الشغل ماتناسبنيش. وتروح في داهية الحياة دي، ٥٠ طومان في اليوم هتعمل للواحد إيه؟

- ماتتبطرش! لحد امبارح ماكنتش طايلها.

- لازم أدوّر وألاقي شغلانة أحسن. الله يلعن أبوك يا نقاش لأنك فصلتني عن الشغل. انشاء الله تتحرق في نار جهنم لأنك بتقطع عيش الناس. أنا حظي وحش لأني لازم آخد الأوامر من إنسان أحمق بيقولوا عليه المقاول. أنا اللّي كنت باحتقر غرور النوعية دي من البشر، دلوقتي مضطر أتعرض للذل والإهانة من أمثالهم. يا ريتك كنت موجود وشفته كان بيكلمني بعجرفة إزاي، كان في منتهى الغطرسة.

- أمثال نقاش والسيد المقاول دول كتير في البلد دي، وإنت لازم تأقلم نفسك مع النوعية دي من الناس.

- ماتتكلمش كتير، وقوم روح شوف البطاطس التعبانة دي جهزت ولاّ لأ، إنت بتعرف بس توعظ.

- من عيني يا حبيبي، بتضرب ليه؟ مفيش عيل هنا للضرب!

بمجرد أن تناول فرهاد عشاءه، دخل فراشه وأخذه نوم عميق. وحمل شهريار الكتاب الذي كان قد قرأ نصفه لكن صوت شخير فرهاد كان يدّوي في الحجرة فلم يكن قادراً على أن يقرأ بشكل جيد، لذا وضع الكتاب جانباً واضطر للذهاب إلى الفراش ووضع الوسادة على أذنه لكي يتمكن من النوم.

صباح اليوم التالي طيّر رنين جرس الساعة شهريار من النوم. فمد يده وأغلق الجرس ثم هز كتف فرهاد بهدوء بنفس اليد، وقال:-

- فرهاد، قوم يا فرهاد النهار طلع.

لم يهتز فرهاد قيد أنملة. فناداه شهريار باسمه هذه المرة بصوت أعلى ولكن دون جدوى، فنهض وذهب إلى المطبخ. وملأ براد الشاي بالماء ووضعه على البوتاجاز، ثم غسل يديه ووجهه وعاد إلى فرهاد مرة أخرى:-

- فرهاد، قوم يا بني الوقت اتأخر. ما شاء الله أدّ إيه النوم حلو! زيّ شيطان براسين وبيطق شرار!

ذهب شهريار إلى المطبخ وعندما عاد هذه المرة، ضرب على ركبة فرهاد وهزّ كتفيه بشدة، وقال:-

- قوم يا صاحبي الساعة بقت ٨!

تحرك فرهاد قليلاً وزمجر دون أن يفتح عينيه:-

- سيبني أنام، النوم غالبني أوي.

- قوم ولاّ إنت مش ناوي تروح الشغل؟

- لسه بدري خلّيني أنام شوية كمان. وحياتي، ٥ دقايق بس.

هزه شهريار مرة أخرى وقال:-

- الوقت اتأخر، المقاول جالك، وكان متعصب أوي!

ومع سماع اسم المقاول، فتح فرهاد عينيه وهم بالقيام من الفراش. أزاح الملحفة جانباً وسأل خائفاً:-

- الساعة كام؟ المقاول فين؟

فهقه شهريار وقال:-

- عجيبة ده إنت شجاع أوي! بمجرد ما جه اسم المقاول بلّيت مكانك!

عبس فرهاد وقال مغمغماً بغضب:-

- أكنّه الأذى في طبعك، يعني تهزر مع الواحد كده على أول الصبح؟ قلبي انخلع، افتكرت المقاول جه أوضة نومي.

- اللعنة، يعني لو ماكنتش قلت كده ماكنتش صحيت. من نص ساعة بانادى عليك. وأدّ إيه كنت نايم! ده إنت ماتقلبتش من مكانك من امبارح لحد الصبح.

نظر فرهاد في الساعة وخرج من الفراش مغمغماً بغضب. وتثاءب وقال:-

- الوقت اتأخر، مش هالحق أفطر.

- الفطار جاهز، على إنت ما تغسل وشك وتلبس الهدوم هاكون أنا جهزت السفرة. اتحرك بسرعة.

ذهب فرهاد صوب الحمام وغسل وجهه مسرعاً. فرش شهريار المائدة ورتب لوازم الإفطار عليها. وبينما كان فرهاد يرتدي ملابسه قال شهريار ضاحكاً:-

- فرهاد، ماترتبكش! لخبطت ترتيب زراير قميصك. ومالبستش بنطلونك بالعدل!

فابتسم فرهاد ورتب ملابسه.

- ماعنديش وقت أفطر، إتأخرت جداً.

- لو مش هتاكل حاجة هتقع في الشغل، تعالى كل لقمتين على الواقف وامشي.

- لأ لازم أمشي، إدهن شوية جبنة على العيش وهاتها علشان أمشي أضربها في العرق وأنا في السكة!

ضحك شهريار وقال بلمز:-

- أضربها في العرق يعني إيه يا بني؟ بقى قروي لسه ما عندوش تجارب وما نضنّفش تراب الغيط من هدومه بيعمل لي حركات بلطجية طهران بتوع زمان. يالاّ آدي العيش والجبنة.

- بدأت في الوعظ تاني يا بروفسور يا أهبل! ما هو من حسدك، ده إحنا اللّي روضنا عيال طهران!

- أيوة والله من حسدى!

- للأسف ماعنديش وقت أهزر معاك! إحنا ماشيين باي باي!

- واو! خلّي بالك علشان صباع رجلك مايدخلش في عينك! آل هيرطن لي بالأجنبي دلوقتي!

- الحسود مابيرتاحش أبداً. مع السلامة.

- مع السلامة. خلّي بالك علشان المقاول مايبلعكش!

كان فرهاد يتناول طعامه أثناء السير حتى وصل إلي أول الشارع. ومن حسن حظه وصل الأتوبيس في نفس اللحظة. فركب على الفور واختار مكاناً للجلوس، وأكمل بقية طعامه. لحسن الحظ وصل إلى عمله ودخل المبنى في الوقت المحدد. والنقطة المثيرة للإهتمام هي أن حكمت لم يكن قد وصل بعد. لكنه عندما ظهر بعد دقائق قال لفرهاد معترضاً:-

- يا جاهل تسيبني مستني على الباب وإنت قمت وجيت؟

- أكنّك استنيتني؟

- أيوة، كنت فاكرك هتيجي علشان نروح مع بعض.

- سامحني يا حكمت يا حبيبي، إتأخرت في النوم فافتكرتك مشيت بدري عني وعلشان كده وصلت هنا بسرعة. ومبسوط إنك قدرت توصل في المعاد. من بكرة أنا أقدر آجي لوحدي ومش عايزك تتعب نفسك.

- وهو كذلك، على كيفك.

وبعد هذه المحادثة القصيرة، انصرف كل منهما إلى عمله. انقضت بضعة أيام على هذا المنوال. كان فرهاد يعمل بلا توقف منذ لحظة الدخول وحتى انتهاء العمل. كان عمله متعباً ومضنياً حتى أنه نحف ونحل خلال تلك الفترة القصيرة. ولأنه لم يعتد علي مثل تلك المهام الشاقة جسمانياً، فكان يضعف معنوياً بالتدريج أيضاً حتى أنه فقد تحمله يوماً في أثناء العمل. فكفَّ عن العمل وجلس في ركن للراحة.

وصل المقاول – الذي كان يترقب الفرصة بعينيه الحادتين لكي يجد ذريعة ويصيح فى العمال – إلى فرهاد وقال بلهجة عتاب ممزوجة بالاعتراض:-

- قاعد من غير شغل ليه؟ إنت ماعندكش شغل؟

أجاب فرهاد بهدوء وهو على نفس جلسته:-

- كنت بارتاح، فى الآخر إحنا برضه لازم يكون لنا فسحة للراحة.

قال المقاول بلهجة واخزة:-

- افتكرت إن هنا حضانة؟

أجاب فرهاد هذه المرة بضيق وغضب:-

- لأ مش حضانة لكنه كمان مش معتقل. إنت فكرت إنك أسرتنا؟ شوية دقايق راحة ماتضرش في حاجة، إحنا بشر مش مصنوعين من حديد.

– يا حضرت، لمّا يكون كل العمال بيشتغلوا معناه إيه إن الشغل يتعطل علشانك لوحدك، كويس إني اشترطت عليك من الأول.

– يا عم إحنا مستغربين، يا حبيبي إنت هتفتري ليه؟ أنا باقول إني كنت تعبان وكان هيغم علي، لحظات وكانت روحي هتطلع فأخدت راحة آخد فيها نفسي شوية.

– حلو أوي واستريحت، دلوقتي قوم روح شغلك، لكن افتكر إن دي آخر مرة أشوفك سايب شغلك وبتريّح في ركن.

نهض فرهاد الذي كان قد غضب تماماً وصاح:–

– فيه إيه؟ ماتكونش مدايني؟ هه وبتجرّ شكلي.

– زيّ ماكون مافهمتش؟! بترفع صوتك عليّ دلوقتي؟ أصلاً تعرف فيه إيه؟ إنت ما تنفعناش، ويالاّ روح المكتب علشان أديلك أجرتك وتريّحنا، إحنا مش عايزين عمال.

– في داهية مايكونش الشغل خلص؟ هاروح مكان تاني.

– غور ... شرفت وروح لحالك، زيّ ما يكون جاب اللّي مايتجابش.

– حاسب على كلامك. وخلّيك في نفسك يا مقاول. مابحبش حد يعاملني بعدم احترام.

– هتطول عليّ في الكلام؟ الشيطان بيقول اضرب ودشدش عظمه!

– كلام فارغ! يا روح أبوك! افتكرت إنك قدّام عيل؟ أنا كمان هاضربك لحد ما تتشدش وتبقى تراب.

– يا غول طويل على الفاضي، بتكلمني أنا الريّس ببجاحة كده؟ أقف علشان أوريلك.

وفجأة صفع المقاول وجه فرهاد بإحكام، واشتبك فرهاد معه أيضاً. وتقدم العمال – الذين كانوا يراقبون هذا العراك – للتدخل بينهما، وتدخل حكمت – الذى جاء بفرهاد – بينهما وخاطب المقاول:–

– سيدي المقاول حضرتك اصرف نظر، الحكاية دي ماتليقش بيك. الشاب ده مش فاهم بيقول إيه، حضرتك خلّيك الكبير.

ثم توجه حكمت إلى فرهاد وأضاف:–

– يا عم يا حلاوة طلعتك! دي قباحة، فيه كلام للكبار وكلام للصغار، إنت ماعملتش لنا اعتبار.

ترك فرهاد ياقة المقاول، وقال وهو يبتعد عنهما ببضع خطوات:–

– هو افتكر إنه أسر عيل يتيم، أنا ماعملتش جريمة.

قال المقاول بلهجة غاضبة:–

– أقسم بشرفي إنك لو فضلت هنا دقيقة واحدة كمان، هامّوتك.

– إنت كلب مين، يا عديم الأدب!

وتدريجياً أبعد العمال المقاول – الذي كان يهم بالهجوم مجدداً – عن ذاك المكان، وذهب حكمت إلى فرهاد ورماه بنظرة استنكار، وقال بلهجة شاكية:–

– يا سيدي والله! بعيد عنك.

– بتقول إيه يا حكمت يا حبيبي، أنا ماغلطتش. صاحبك فاكر نفسه مين علشان كل اللّي يطلع من فمه العاجز يهزأ به الناس؟ لو كنت ارتكبت ذنب مكانش قلبي اتحرق. الواحد حتى مابيعاملش خدامه بالشكل ده .

ونكس فرهاد رأسه بعد هذا الحديث ومضى. تقدم حكمت بضع خطوات بجانبه وسأله:–

– هتروح فين؟

وقف فرهاد وعاد إليه، وابتسم بسخرية وقال:–

– بالوضع اللّي حصل ده وجودي مالوش فايدة. لازم أمشي، وشكراً إنك تعبت علشاني.

– مش هتاخد أجرتك؟

– لأ يا عم، مدعوءة على دماغه، أنا مش غلبان لدرجة إن علشان مبلغ هايف زيّ ده أبصّ في خلقته تاني.

قال فرهاد ذلك وخرج من الباب. ومضى على هذا النحو، وهو يفكر في أنه سيسعى للبحث عن عمل آخر لنفسه. لم يكن غضبه قد هدأ بعد، وكان فكاه يرتعدان من الغضب. ووقف فترة في محطة الأتوبيس.

أشعل سيجارة وانهمك في تدخينها. كان ضوء الشمس القوي يؤلم عينيه فوضع يده على جبهته ليظلل عليها، وتطلع لمجئ الأتوبيس من نهاية الطريق.

مضت دقائق ولكن ما من خبر عن الأتوبيس. كان طابور طويل قد اصطف في المحطة، وكان تأخر الأتوبيس سبباً لتضرر واعتراض بعض المسافرين الذين كانوا قد وقفوا في الصف. كان فرهاد يخطو خطوة هنا وخطوة هناك باضطراب ويتطلع إلى نهاية الطريق باستمرار. وبعد مرور نصف الساعة، وبينما كان يسب لاعناً الأتوبيس وسائقه، خرج من وسط الصف وسار.

طوى مسافة سائراً وفي نفس اللحظة التي نظر فيها وراءه رأى الأتوبيس الذي كان يقترب منه. فوقف وأشار بتحريك يديه للسائق بهدف الركوب، لكن الأتوبيس الذي كان مكتظاً بالركاب مر من

جانب فرهاد، فجرى فرهاد خلفه وضرب بضعة قبضات على جداره لكن الأتوبيس لم يتوقف. فصاح فرهاد بغضب:-

- يا كافر، إعوج رأس الحمار وخد بالك من البلوة دي.

كانت هناك مسافة كبيرة حتى المحطة التالية وكان فرهاد يجري خلف الأتوبيس على هذا النحو إلي أن يأس فجأة فتوقف لاهثاً. الآن قد ابتعد الأتوبيس تماماً، وكان فرهاد ينظر إليه بحسرة ويقول:-

- يا ظالم يا كافر، نفسي انقطع إلهي يقطع نفسك يا كافر، أكنّك وقفت يا عاجز تجمع الزبالة؟!

انشغل بالسير بتأني. دون أن يكون لديه أية قدرة أو طاقة لأىّ عمل، ولو لم يكن السبب هو الهروب من الحرارة لرغب في أن يسير لساعات. لم يكن لديه رغبة في أن يعود إلى المنزل وينزوي في تلك الحجرة الخانقة الحارة، ويكتئب من شدة الحزن. وحينما كان يسحب آخر نفس من سيجارته عبر الطريق. وفي ذلك الجانب من الطريق اشترى علبة سجائر من حانوت لبيع الجرائد، وفي أثناء عودته مجدداً لذلك الجانب من الطريق؛ ركل علبة كومبوت فارغة بقدمه، فابتعدت العلبة دائرة حول نفسها. وركلها مرة ثانية بضربة أخرى وفكّر في نفسه:-

- أهي مشكلات الحياة بتلعب بينا، وكأننا زيّ العلبة دي.

عندما وصل إلى جانب الرصيف ركل علبة الكومبوت ركلة محكمة من شدة غضبه، ولكن هذه المرة هبطت ضربته بالصدفة على حجر كان قد استقر إلى جوار العلبة. وقبل أن يعي لنفسه، دوّى صوت مخيف لتحطم وانهيار زجاج محل في الشارع.

ألقى فرهاد المضطرب والخائف نظرة على علبة الكومبوت التي ما زالت تستقر فوق الأرض بجوار أقدامه، ثم ألقى نظرة أخرى على زجاج المحل المنهار. وفي تلك الأثناء اندفع صاحب المحل خائفاً وغاضباً إلى وسط الرصيف ونظر حوله نظرة سريعة وحادة. كان بعض المارة قد تجمعوا إلى جوار باب المحل من باب الفضول. فاستجمع فرهاد رباطة جأشه وسعى إلى حفظ تماسكه. وواصل سيره في هدوء.

وبينما كان صاحب المحل يسب ويلعن ويستفسر من المارة، مرّ فرهاد أمامه بهدوء. وحاول أن يزيد من سرعة خطواته، وكان مبغوتاً حتى أن شحوب لون وجهه فضحه تماماً. وجرى صاحب المحل إلى تلك الجهة بناءً على إشارة بائع الصحف، وبعد دقيقة بدأ الجري خلف فرهاد وقبل أن يتمكن من أن يبدي أقل رد فعل أمسكه من خلف ياقته وقال بصوت أجش:-

- أقف وبصّ لي.

توقف فرهاد إثر جذب ياقته وعاد ناحيته وقال معترضاً:-
- إيه اللّي حصل يا أستاذ؟ إيه التصرف ده، سيب ياقتي.
- ضربت إزاز دكاني وكسرته وعايز تهرب؟
رأى فرهاد أنه من الأفضل أن ينكر كل شئ، وبناءً على ذلك أبعد يد الرجل عن رقبته، وأجاب بغضب مفتعل:-
- إيه اللّي بتقوله ده يا راجل يا محترم، تكونش اتجننت؟
- المجنون هو أبوك، يا مؤذي الناس مايكونش عندك مرض بيخلّيك تكسر إزاز الناس؟
- إزاز إيه؟ مين اللّي قال إني كسرت إزازك؟ إنت حلمت، اللّهم اجعله خير، روح يا عم يا حبيبي لحالك.
كان صاحب المحل رجلاً ضخماً قوي البنية، وكان يبدو أكثر طولاً من فرهاد، أمسك فرهاد من تحت إبطه وحمله جاذباً إياه إلى جوار محله وأثناء ذلك قال:-
- دلوقتي هيبان مين اللّي حلم، ياالله انجر.
- سيب إيدي يا راجل يا محترم، تكونش مسكت حرامي؟
- كسرت إزازي ولازم تدفع الخسارة وإلاّ مش هاسيبك.
- إيه الغلط ده! مين اللّي قال إن أنا اللّي كسرته؟
- تعالى علشان أوريلك، أنا عندي شاهد.
- ماتقولش كلام فارغ يا راجل يا خسيس!
- إنت اللّي خسيس، يعني تخسّرني دلوقتي وتبجّح؟
عندما وصلا بجانب المحل أحاط الناس بهما، واتجه صاحب المحل إلى بائع الجرائد الذي كان قد وقف وسط الحشد وسأله:-
- هو ده؟
أجاب بائع الجرائد بدون أيّ تردد وبصوت عال:-
- أيوة هو ده.
صاح فرهاد بغضب:-
- إيه اللّي هو ده؟ جميل واضح إنه أنا، يعني إذن تقرر إني أكون صاحب المقام الرفيع؟!
رمقه صاحب المحل بنظرة وقحة وقال:-
- بقيت البلياتشو بتاعي! دلوقتي يا تدفع خسارتي زيّ البني آدمين يا إما أروح أبلغ الشرطة؟

- خسارة إيه اللّي أدفعها؟ أنا ما بادفعش فلوس بالعافية لحد.
- هاطلّعهم من زورك، تخيّلت.
- إغلط زيّ ما إنت عايز، قلت أنا مش هادفع غرامة لحد.
اتجه صاحب المحل إلى بائع الجرائد وقال:-
- اجر روح بلغ العسكري إنه ييجي، بسرعة.
انطلق بائع الصحف كالبرق والرياح لإنجاز مهمته. واتجه الرجل إلى فرهاد وقال مهدداً إياه:-
- دلوقتي هاوريلك مكيال زبادي فيه قشطه أدّ إيه!
- يا أستاذ هو أنا بيني وبينك أيّ خصومة تخلّيني من غير ماشوف ولا أعرف أضرب إزاز محلك واكسره. العقل زينة برضه.
- وأنا إيه اللّي عرفني، أكيد الأذى في طبعك، ويمكن كمان يكون حد أجّرك!
- وإيه الفايدة اللّي هتعود عليّ من كسر إزازك؟
- على أيّ حال أنا الكلام ده مايدخلش دماغي، يا تدفع خسارتي يا إما تجيب الشخص اللّي كسر الإزاز.
- يعني أروح أمسك في ياقة مين؟ أكنّي من غير شغل زيك! ودلوقتي إنت مش متاكد برضه إنها عملتي ولاّ لأ؟
- أنا عن نفسي ماشفتش حاجة وهاكدب ليه، لكن بياع الجرايد ده اللّي مفيش بينه وبينك عداوة بيقول بنفسه إنه شاف إنك حدفت حجر على الإزاز.
- الأستاذ ده غلطان، يمكن كان عايز يقول إني قتال قتله، حضرتك مش لازم تسمع كلامه.
- أكيد شاف وإلاّ يعني ما عندوش غرض علشان يشاور عليك. طب ليه ماقالش السيد ده ولاّ ده؟
أثناء ذلك ظهر بائع الصحف. فسأله صاحب المحل مع رؤيته:-
- إيه اللّي حصل؟ رجعت بإيد فاضية ليه؟
- العسكري اللّي هناك قال دقايق وجاي.
اقترب منهم رجل من وسط الحشد وقال بلهجة وقورة بغرض الوساطة:-
- يا سادة إنتم كلكم ناس محترمين، ومش مستهله تعملوا كل الدوشة دي في الشارع بسبب مواضيع بسيطة. تعالوا حلوا المشكلة دي ودياً واحسموها.
قال صاحب المحل:-
- يا أستاذ أنا معنديش كلام، لو الأستاذ ده دفع خسارتي كل شئ هينتهي على خير.

اتجه الرجل الوسيط إلى بائع الصحف وسأله:-

- إنت يا سيدي شفت الأستاذ ده بيكسر الإزاز؟

أجاب بائع الصحف بحسم:-

- أيوة أنا شفته بعيني الاتنين.

- يبقى تقول شفته إزاي؟ وأصلاً إتاكدت منين إنه الأستاذ ده؟

- قبل الأستاذ ده ما يكسر الإزاز، اشترى مني علبة سجائر. مش كده؟

خاطب فرهاد بهذه العبارة، وصدّق فرهاد على كلامه بحركة من رأسه فواصل حديثه:-

- كان مرتبك أوي. ومنظره كان من النوع اللّي يشد الانتباه. ولمّا بعد أنا بصّيت عليه شوية وبعدين شفته بيعدي للناحية دي من الشارع. ولمّا قرّب من الرصيف انحنى مرة واحدة وشال حجر من على الأرض وحدفه ناحية المحل. فالحجر خبط الإزاز وكسره، وبعدها الأستاذ ده هرب.

وثب فرهاد - الذي كان دمه يفور غضباً من الحديث الكاذب لبائع الصحف وبدون أن يسيطر على سلوكه - ناحيته بغضب ولكمه على وجهه حتى سال الدم من أنف الرجل وقال:-

- يحرق أبوك يا حقير، بتكدب ليه؟ يا خسيس يا ندل إنت مش مستحي من ربنا؟ أضربك وأقطعك حتت؟

أبعد الرجل الوسيط فرهاد عن الرجل المضروب وقال:-

- إهدأ يا بني يا حبيبي، إمسك أعصابك. بص إنت عملت ايه في المسكين ده؟

- الراجل عينه في عيني وبيكدب والله!

أخرج بائع الصحف منديلاً من جيبه، ووضعه على أنفه الملوث بالدماء وهدّد متأوهاً:-

- بتضربني؟ طب هاجيب أبوك، وهاشتكيك.

جذب فرهاد يد صاحب المحل وانتحى به جانباً. ورافقهما الرجل الوسيط أيضاً. رأى فرهاد أنه من الأفضل أن يقول الحقيقة، ولهذا السبب قال:-

- تعرف يا أستاذ يا محترم، عايز الحق أنا اللّي كسرت إزازك لكن أقسم بالله إنها كانت صدفة، وماكنتش أقصد نهائي.

- مش إنت اللّي قلت إنها مش عملتك؟

- مظبوط، في الحقيقة أنا كنت خايف أوي في الأول. عارفين، صدقوا اللّي قالوا بيجي الحجر للرجل العارجة! من الصبح لحد دلوقتي فشلت في كل حاجة. صاحب شغلي اتخانق معايا وبقيت عاطل. واتخلفت عن الأتوبيس، القصد، إن كل المصايب دي ماخلّتش فيّ أعصاب. لمّا اشتريت

السجاير من الدكان قررت أعدي الناحية دي من الشارع وأروح المحطة أركب الأتوبيس. وكان فيه علبة كومبوت فاضية تحت رجلي. ماعرفش إزاي حصل إني اتهوست وشوطتها على الأرض. وضربتها برجلي كام ضربة لكن رجلي غلطت فجأة وخبطت حجر وشرد الحجر ناحية الإزاز فانكسر الإزاز. أقسم بالله أنا باقول الحقيقة. ده بس كان حادث، في الحقيقة كان سوء حظي هو اللّي حط الحجر قدام رجلي بدل العلبة.

سأل صاحب المحل وهو لا يزال يتشكك في صدق أقواله:-

- أمّال ماقلتش الحقيقة من الأول ليه وعطلتنا كل ده؟

- قلت إني كنت خايف.

- تفتكر إن من الذوق إن شخص يخسّر شخص سواء عن عمد أو عن غير عمد وبعدين يطاطي راسه بلا مبالاة ويمشي؟ لو حد عمل معاك العملة دى كنت هتنبسط؟

نكس فرهاد رأسه في خجل، فقال الرجل الوسيط:-

- الكلام ده فايدته إيه، الأستاذ اعترف بنفسه إنه غلط، يعني إذن مفيش مجال للّوم. وحضرتك خلّيك متسامح. دي صدفة ممكن تحصل لأي حد.

- أنا ماعنديش كلام يا أستاذ.

- إذن المشكلة انتهت.

- أيوة لكن خسارتي مصيرها إيه؟

قال فرهاد:-

- أنا هادفع خسارة حضرتك، هادفعها لآخر دينار، لكن صدقوني أنا ممعايش ولا دينار دلوقتي. ولو مش مصدقيني تقدروا تفتشوا جيوبي.

عبس صاحب المحل وقال بعدم رضا:-

- أمّال ناوي تدفع خسارتي إزاي؟

- أقدر أجيبها لحضرتك بعدين.

- النظام دهماينفعش، على الأقل سيب لي حاجة كرهن علشان أطمّن.

- زيّ إيه مثلاً؟

- إيه اللّي عرفّني، بطاقة شخصية أو أيّ حاجة قيمتها تساوي الحساب.

- أقسم بالله ممعاييش أيّ حاجة، ومابكدبش وتقدروا تفتشوني.

نظر صاحب المحل إلى المارة الذين كانوا في حالة تفرق، وقال بغضب:-

- إيه المفروض دلوقتي؟ في الآخر لازم يكون فيه طريقة.

نظر فرهاد إلى عرض الشارع وأجاب:-

- لو حضرتك تديني مهلة لحد بكرة أوعدك إني أكيد هاعوض خسارتك. وهادبّر الفلوس بأيّ شكل. ولو تحب أتيلك عنوان بيتي علشان بالك يرتاح؟

- والعنوان هينفعني بإيه؟ لو حد يضمنك مستعد أصبر لبكرة.

ابتسم فرهاد بسخرية وأجاب:-

- مين مثلاً؟ أنا ماعرفش حد في المنطقة دي.

في أثناء ذلك خرج من المحل شاب يعمل صبي به وأخبر صاحب المحل أنهم يريدونه في اتصال هاتفي. وفجأة ورد خاطر إلى ذهن الرجل. فقال لصبيه:-

- أياً كان قول له يتصل تاني بعد ١٠ دقائق.

- من عيني.

- وبعدين ارجع بسرعة وتعالى عندي شغلانة ليك.

- وهو كذلك، هارجع حالاً.

توجه الرجل إلى فرهاد وقال:-

- أنا هابعت الصبي بتاعي يروح يجيب عامل الإزاز، ولمّا تتعرف قيمة الإزاز، حضرتك تروح مع الصبى لمكان سكنك وتجيب شخص كضامن يا إمّا تقدر تجيب البطاقة أو أيّ حاجة يكون لها تمنها.

هز فرهاد رأسه بالموافقة فأرسل الرجل صبيه إلى عامل الزجاج ووقف هو بجانب فرهاد. في نفس اللحظة ظهر بائع الصحف فجأة مرة أخرى. واقترب الشرطي من فرهاد، ونظر إليه وقال بغلظة:-

- السيد ده اشتكاك، ولازم تيجي معايا لقسم الشرطة.

خرجت آهة من أعماق فرهاد. فلم يكن قد تخلص من هذه الورطة ليبتلى بمشكلة أخرى. وبينما كان يلعن في نفسه حظه التعس نظر إلى صاحب المحل. فانتحى صاحب المحل بالشرطي وبائع الصحف وانهمك في الحديث معهما، وسعى إلى أن ينال رضا الرجل بشتى الطرق، وفي النهاية دفع مالاً إلى بائع الصحف وأرسله إلى عمله.

وما هي إلاّ دقائق حتى عاد صبي المحل برفقة عامل الزجاج، قدر عامل الزجاج الخسارة بمبلغ في حدود ألفي طومان ووافق فرهاد في نفس اللحظة أن يذهب مع عامل المحل إلى مكان سكنهم، فاستقل الاثنان تاكسياً وابتعدا عن تلك المنطقة.

وطوال الطريق، قطب فرهاد – الذي كان الغم والحزن يتقطران من وجهه – جبينه وأخذ يفكر. وفجأة تذكر إسماعيل. فارتسمت ابتسامة على شفتيه، وتنهّد ونظر إلى الطريق.

عندما وصل إلى محل إسماعيل برفقة صبي المحل، تركه عند الباب ودخل. تحدث مع إسماعيل للحظات، ثم أخذ منه المبلغ الذي يحتاج إليه وعاد إلى الصبي مسروراً متفائلاً. سلمه المال وودعه وعاد إلى إسماعيل الذي قال له:-

– تعالى أقعد وقول لي إيه اللّي حصل؟

جلس فرهاد فوق مقعد. وأشعل سيجارة وأجاب بضيق:-

– راسي هتنفجر، من كثرة ما تضايقت وغضبت هافرقع.

أعطاه إسماعيل كوباً من الماء البارد وقال:-

– باين من شكلك كده إنك ماقضيتش يوم كويس. إيه اللّي حصل لك؟

شرب فرهاد الماء دفعة واحدة وأوضح له كل أحداث ذلك اليوم دون تقليل أو نقصان. وأضاف في النهاية:-

– كل ما أمسك في شغلانة تخرب، الفشل برضه له حد! والله تعبت من العيشة دي، الموت أحسن منها، يا ريتني كنت أقدر أموّت نفسي بأيّ شكل.

– أستغفر الله يا بني، إمسك لسانك! الإنسان مش لازم يستسلم مع كل مشكلة.

أخذ فرهاد نفساً عميقاً من سيجارته وأضاف:-

– حضرتك ماتعرفش أنا باقول إيه. حاجة صعبة جداً إن الواحد كل ما يمسك في شغلانة يفشل دايماً.

– مش هتدوم بالشكل ده، في الآخر هتتوفّق في يوم من الأيام، لازم يكون فيه صبر وتحمل.

أطفأ فرهاد سيجارته في مطفأة السجائر، ونهض وقال:-

– أنا مكسوف يا سيد اسمال، ماعرفش هارد لك الجميل ده إزاي. أتمنى من ربنا إني وقت ما ألاقي شغل أتخلص من حرجي منك.

– إيه الكلام ده، إنت زيّ ابني، صدقني أنا فاكرك، ووصيت الكل إذا لاقولك شغلانة يدوني خبر. إنت كمان ماتزعلش أوي وبالأمل في ربنا تتعدل.

- ونعم بالله، أنا مش هاتقل عليك. مع السلامة.
- مع السلامة يا بني.

عاد فرهاد إلى المنزل متعباً حزيناً. غسل رأسه ووجهه بالماء وجلس على أرضية الحجرة وانهمك في التفكير. كان فمه مراً وسئ الطعم من كثرة السجائر التي كان قد دخنها، وكانت رأسه ثقيلة ويعاني من حالة هبوط. فجلس فترة في ركن وهو حائر مبهوت، وأخذ يصارع أفكاره. إلى أن عاد شهريار من العمل فوجده مهموماً حزيناً.

وعندما علم شهريار بكل ما حدث أسف من أجله وواساه قائلاً:-

- دلوقتي إيه اللّي حصل؟ الدنيا مانتهتش، عامل محزنة زيّ ماتكون نهاية الدنيا بكرة؟!

نظر إليه فرهاد ملياً وأجاب بغضب:-

- نظراً لأن إنت إنسان بارد فكل الأحداث دي هتكون بالنسبة لك شئ عادي جداً، لكن أنا اللّي جلدي مش ناشف مقياساً بصاحب المقام الرفيع اترعبت.

قهقه شهريار وقال بلمز:-

- يا أستاذ يا مدلل! الأحسن بدل ماتاكل في نفسك تفكر بشكل عملي.
- أفكر في إيه يعني؟
- يعني تسيبك من العند والغرور، وتلزق في شغلتك زيّ البني آدمين.
- تفتكر إني مش عايز؟ أبداً والله.
- أمّال مالك مش قادر تثبت في حتّة وعمال تتهز زيّ منارة جنبان!
- لأني ماقدرش أرضى بالظلم.
- يا عزيزي، إنت بتغلط. الحياة كلها ظلم، إحنا حتى بنتنفس ظلم. أعمدة العالم اتبنت على الظلم والقهر، أنا وإنت مش هنقدر نغيّر الدنيا.
- ماتكلمنيش كلام كبير لأن الحاجات دي ماتدخلش دماغي. أنا لو دماغي طارت مش هاقع تحت حمل الكلام الزور.

ابتسم شهريار - الذي لم يكن يميل كثيراً لمواصلة النقاش - بسخرية وقال:-

- أنا مش هاقدر أخلص من لسانك، وباتمنى بس من ربنا إنه يعقّلك. والأحسن دلوقتي إنك ماتفكرش في الحاجات دي. الدنيا يومين واليومين دول لازم يكونوا حلوين.

وعندئذ نهض. وأخرج من جيب سرواله بعض العملة وجلس مجدداً بجانب فرهاد. ناوله المال وقال:-

- يالاّ خلّلى دول معاك لبعدين.
نظر إليه فرهاد متحيراً وسأله مبتسماً بسخرية:-
- قول لي يا أخويا، سرقت مرتب أنه يتيم الأم ده؟
ضحك شهريار وأجاب بمزاح:-
- شئ مايخصّكش، عايز تاخد العنوان وتروحه لوحدك!
- لأ وحياتك! لو هتديني العنوان هنروحه إحنا الاثنين.
- خد وقصر لسانك.
- لأ يا حبيبي أنا مباخدش إتاوة طريق!
- ومين عايز يديلك إتاوة! أصلاً هو فين طريقك؟!
- ومابقبلش صدقة برضه.
- ماتقولش كلام فارغ يا فرهاد، أنا مسلفك الفلوس دي.
- علشان إيه؟
- علشان تتكتم وتخرس. إحنا وقعنا في العجب! يا بني يا حبيبي ينفع ماتجادلنيش كده؟ كل البلاوي اللّي بتقع علي راسك من لسانك الطويل ده!
أخذ فرهاد المال ووضعه على الرف وقال:-
- الريس يسمح لي أسأل جبت كل الفلوس دي منين؟
- ده كله من البقشيش اللّي جمعته من الزباين. وقررت إنه لمّا يوصل لمبلغ كبير أبعته كله بالبريد لخالتي وجوزها.
- لكن إنت قلت إن ماعندكش أيّ أهل أو أقارب!
- أيوة، ما عدا خالتي وجوزها العواجيز وانقطع الخيط ومبقاش فاضل لي حد تاني. قطعاً ليّ بعض الأقارب والأهل في قرى "خرّمشهر"[1] لكن مازرتهمش من الطفولة وعمري مارحت لهم أبداً، ويمكن يكونوا همّ كمان مايعرفوش بوجودي.
- مش ناوي ترجع "خرّمشهر" في يوم من الأيام؟ الحرب انتهت دلوقتي.
- الإنسان في أيّ مكان في الدنيا حتى في محل ميلاده، لمّا يكون من غير أهل أو أقارب له هناك، بيعاني من الغربة.

[1] - خرمشهر: عاصمة خوزستان في الجنوب من إيران.
فرهنگ بزرگ، جـ١، ص١٠٣٦.

وخرجت من شهريار – الذي كان يعاني اليأس والحرمان من استعادة الذكريات القديمة – آهة عميقة من صدره. وقال بلهجة حزينة:–

– ربنا يحرق الأعداء دول ويخفيهم لأنهم حرموني من كل حاجة. كنت باتمنى أخنق بإيدي صدام عديم الإنسانية ده، علشان أنتقم لدم آلاف مؤلفة من الناس اللّي اتاخدوا من غير ذنب. لمّا بافتكر الأيام دي باولع وكبدي بيتقطع حتت.

مسح شهريار بظهر يده دمعة سالت من طرف عينه وواصل حديثه:–

– كنا متهنّيين بحياتنا في "خرّمشهر"، كنا عائلة بتنعم بالدفء والإخلاص، وكنا عايشين مع بعض في محبة وسعادة. لمّا الحرب بدأت وهجم العدو على بلدنا تجمع رجالها ونساؤها، شيوخها وشبابها لمواجهة العدو بكل ما ملكوا من قوة.

كنت في مرحلة الإعدادية وماكنتش في سن يخلّيني أقدر أشارك في الحرب، لكن لمّا دخلت المرحلة الثانوية، ماقدرتش أمنع نفسي عن هدفي وهو المشاركة في الحرب والقضاء على العدو، فرحت للجبهة متطوعاً، كنت في خط الجبهة حوالي ٥ شهور، وفي مرة انجرحت جرح خفيف، ولمّا جرحي طاب، رجعت خط الجبهة تاني.

كنت باعرف أخبار عائلتي عن طريق الجوابات والتليفونات. وفي مرة من الاتصالات دي أبويا قال لي إنه تقرر إن يتجوز أخويا اللّي أكبر مني بكام سنة بالبنت اللّي بيحبها. ولمّا عرفت معاد الفرح أخدت إذن ورجعت "خرّمشهر" علشان أشارك في فرح أخويا. وبعدها بيومين رجعت الجبهة تاني وبعد أسبوعين عرفت إن بيتنا وكل البيوت في "خرّمشهر" كانت هدف لقذائف العدو، وإن كل أفراد عائلتي ماتوا. أبويا وأمي، والبنتين اللّي أصغر مني، بالإضافة لأخويا ومراته العروسة الجديدة. كلهم ماتوا تحت الأنقاض. منطقتنا اتساوت بالأرض، ومبقاش فاضل ولا حتى بيت واحد سليم. معظم السكان، يا إما استشهدوا يا إما هاجروا لمناطق تانية.

تنهد فرهاد وسند قبضته أسفل ذقنه وسأله:–

– وانتم ماهاجرتوش ليه؟

أشعل شهريار سيجارة وأجاب بعد فترة من الانتظار:–

– اقترحت على أبويا كذا مرة وحتى أخويا كمان أصر بشدة، لكن هو وأمي مكانوش مستعدين يسيبوا البيت. أبويا كان بيقول إنه لو مكتوب لنا نموت يبقى أفضل لنا نموت في بيتنا. إحنا جدرنا في الأرض دي. وعايز أندفن في حوش بيتي مش في أيّ مكان بعيد عن البيت ده ... أبويا كان بنى البيت ده بإيديه وبمساعدة عمي. كل طوبة وكل لبنة في البيت ده أبويا وعمي حطوها مع بعض.

صمت شهريار وحدق بنظره إلى نقطة ما. فربت فرهاد على كتفه وقال بلهجة ودودة:-

- سامحني لإني ضايقتك بتفكيرك بذكرى استشهادهم الحزينة.

ابتسم شهريار وأجاب:-

- إنت ماضايقتنيش، أنا دايماً بافتكر المشاهد المؤلمة دي. وهي المصيبة دي تتنسي؟ الألم ده عمره ما هينمحي من قلبي طول ما أنا حي. ربنا وحده اللّي يقدر يجازي الظالمين.

نهض فرهاد وقال بصوت عال:-

- إلهي آمين.

- رايح فين؟

- هاروح أجهز حاجة للعشا، استحمل بقى طبيخنا ليلة كمان.

ومع قوله هذه الجملة أطلق ضحكة عالية وابتعد.

«٤»

كانت السماء صافية وخالية من أية غيوم وكانت الشمس تتألق وسط السماء الزرقاء، فبدا لفرهاد أنه يوم محمود. ترجّل من التاكسي أمام متجر لبيع السلاسل. وتطلع لبضع لحظات في الواجهة الخارجية للمبنى، ثم تحرك صوب باب دخوله.

ولج واتجه مباشرة إلى السلم. وبينما كان يطوي درجات سلم المتجر ملّس على شعره بدقة ورتب هندامه. كان يتمنى من قلبه ألاّ يُطرد من ذلك الباب يائساً. توقف عندما بلغ الطابق الأعلى وتفحّص بنظره فيما حوله. ذهب إلى أحد الصرافين واستفسر منه عن السيد جمال. أشار الصراف بإصبعه لفرهاد على مكان ما، فشكره وذهب في هذا الإتجاه.

ثمة شاب ذو مظهر مهندم، كان قد جلس خلف مكتب في جانب من غرفته. فاقترب فرهاد منه وحياه. ابتسم الشاب ابتسامة عذبة معتقداً أنه قد يكون مواجهاً لزبون ووقف باحترام. رد تحية فرهاد وأضاف:-

- أأمر حضرتك، إيه الخدمة اللّي أقدر أقوم بيها؟

ومع أن فرهاد كان على يقين من أنه هو جمال بنفسه إلاّ أنه سأله لكي يجد مجالاً يبدأ به الكلام:-

- الأستاذ جمال جه؟

نظر إليه الشاب في حيرة وأجاب:-

- أيوة أنا، حضرتك تأمر بإيه؟

مد فرهاد يده إليه. فسلم جمال عليه وأبدى فرهاد سروره بالتعرف إليه ثم أضاف:-

- أنا معايا رسالة لحضرتك من طرف السيد اسمال.

ودون أن تنمحي الابتسامة للحظة واحدة عن شفتي ذلك الشاب، نظر إليه نظرة قصيرة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وقال على الفور:-

- أكيد حضرتك السيد فرهاد، صح؟

- أيوة أنا لكن حضرتك؟...

ضحك جمال، ودعاه للجلوس، وأجاب:-

- السيد إسماعيل كان اتكلم معايا بخصوص حضرتك قبل كده. وفي الحقيقة أنا كنت مستني حضرتك النهاردة أو بكرة. بالحق، تسمح أجيب لحضرتك مشروب ساقع؟

- لأ متشكر، مش عايز أتعب سيادتك.

- مفيش تعب، وأتمنى إن حضرتك ماتعلمش تكليف.

- متشكر، لكني في الحقيقة مش عايز.
- وهو كذلك، على كيفك.
صمت فرهاد برهة، ثم سأله بتحفظ:-
- السيد اسمال قال لي إن ربما يكون ليّ شغل هنا فدلوقتي في رأي حضرتك مهمتي هتكون إيه؟ يعني المفروض أشتغل إيه؟ وفيه أصلاً شغل تكلفوني به؟
ضحك الرجل مرة أخرى وقال :-
- أنا لازم أخدك أقدمك لإدارة المتجر. قطعاً حضرتك متوصي عليك قبل كده. وفي الحقيقة عندي لك سؤال.
- تحت أمرك، اسألني.
- حضرتك كنت بياع هدوم قبل كده؟
هز فرهاد رأسه يميناً ويساراً دلالة على النفي وأجاب بصدق:-
- أنا ماشتغلتش في البيع خالص قبل كده، وماعنديش أيّ خبرة.
ضغط جمال على كتفه وقال:-
- على كل حال من الأفضل إن حضرتك تتظاهر إن لك خبرة في الشغلانة دي. ولو سألك مدير المتجر تقول إنك اشتغلت كام شهر في الوظيفة دي، ده في مصلحتك.
- لكن لو طلب إنه يختبرني ساعتها إيه العمل؟
- مفيش حد هيختبرك. حضرتك هتشتغل معايا فترة، وأنا هاحاول أعرفك المهنة دي خلال فترة قصيرة، ودلوقتي لو عندك استعداد نروح.
نهض فرهاد من فوق المقعد، وتحرك في إثر جمال. في هذه المرة استقل الاثنان المصعد، وتوجها إلي الطابق الأسفل. وقف جمال أمام باب إحدى الغرف وطرقه، ثم أدار المقبض ودخل، ودخل فرهاد أيضاً الحجرة في صحبته.
ثمة رجل متوسط العمر بدين كان مسترخياً فوق مقعد. حياه كل منهما، فرد عليهما الرجل التحية. أشار جمال ضمن التقديم المتعارف عليه بإصبعه على فرهاد وقال:-
- سيد رسولي حضرته أحد معارفنا اللّي كنت اتكلمت مع حضرتك قبل كده بخصوص تشغيله.
تفحّص رسولي فرهاد بنظرة ثاقبة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ثم بدأ الكلام وقال:-
- أيوة افتكرت، اتفضلوا يا ساده اقعدوا.
جلس كل منهما فوق مقعد. وسأل رسولي فرهاد:-

- حضرتك عارف طبيعة شغلك؟

أجاب فرهاد على الفور:-

- أيوة حضرتك، إلى حد ما.

- بناء على كده إنت بتتمتع بالخبرة اللازمة؟

- بالظبط كده حضرتك.

ابتسم رسولي وقال:-

- إنت مش محتاج تقول لي، اللّي قاله الأستاذ يكفي.

- من عيني يا سيادة المدير.

أشار رسولي إلى بقية الشروط ومعدل الراتب المحتمل وأيد فرهاد كلام الرجل بإيماءة من رأسه. وعندئذ رافق جمال وعادا إلى صالة المتجر، وقال جمال:-

- لازم تنتبه كويس علشان تتعلم أسرار المهنة، قبل أيّ حاجة لازم الوجه البشوش واللطف مع الزباين، لمّا الزبون يبقى موضع اهتمام البائع واحترامه حتى لو مكانش عنده النية للشراء هيبادر ويشتري برضا وحب، ويخرج من الباب ده وهو سعيد وراضي. ولازم تاخد بالك من حاجات تانيه برضه، هاوضحها لك في وقتها.

شعر فرهاد أن جمال يتحدث إليه بحميمية خاصة، ولا يستخدم لفظاً آخر سوى حضرتك. كان قد بدأ عمله منذ تلك اللحظة. كان جمال يدير جناحين في المعرض، وتم الإتفاق على أن يتم وضع أحدهما تحت إدارة فرهاد. ومع دخول كل مشترى كان فرهاد يقف إلى جوار جمال ويراقب أسلوبه بدقة، وحاول أن يتعلم أصول المهنة جيداً. عندما عاد عصراً إلى المنزل كان شهريار يجلس في الحجرة ويطالع كتاباً.

- سلام.

- أهلاً، سلام يا فرهاد! يا رب ماتكونش تعبان.

جلس فرهاد على الأرض وأجاب مبتسماً:-

- وحياتك أنا أصلاً مش تعبان.

- جميل، إيه أخبار الشغل؟

- عال، ومفيش أحسن من كده. استمتعت من الصبح لحد دلوقتي.

- الحمد لله، ما دام إنت مبسوط يبقى إحنا كمان مبسوطين.

- عندنا شاي ولاّ لأ؟

- أيوة، تحب أصب لك؟

- لأ هاصب بنفسي، بالحق عندنا إيه على العشا؟

- جبت كام صباع سوسيس علشان نحمرهم مع البيض.

- جميل، تسلم إيدك. لمّا آخد مرتبي هنشتري لحمة كمان وناكل كباب حلة محترم.

- استحي! لسه مأخدش مرتبه وبيحفر له بير!

- مالك؟ من فترة طويلة ماحطتش في معدتي أكلة كويسة ومحترمة. يمسيه بالخير طبيخ إيد أمي، فين الشربة اللذيذة! اشكنه[1] وكله جوش[2] وآلو مسما[3]! يا سلام ريقي جري.

- قوم، قوم وروح صب لك شاي، الكلام ده لا هيأكلنا ولا يشربنا! وبعدين تعالى وقول لي عملت إيه النهاردة.

نهض فرهاد، وأحضر كوبي شاي، وجلس إلى جوار شهريار وقال:-

- إيه اللّي بتقرأه ده؟

- مش شايف؟ ده كتاب!

- ما أنا عارف إنه كتاب، إيه اللّي مكتوب فيه؟

- قانون الحياة، خده واقرأه علشان تتعلم حاجة.

- يا عم روح استمتع إنت، مين عنده صبر للقراءة!

- قول أنا مابعرفش أقرأ كويس.

- إنت عارف بنفسك إن أنا مابحبش الكتب والحاجات دي. قول لي هي الفلوس بتيجي منين علشان أروح ألمّها. و قانون الحياة ده هينفعني بإيه؟!

وضع شهريار الكتاب فوق ركبتيه وتطلع إليه في دهشة:-

- لو كنت من أهل القراءة، ماكنتش فكرت بالأسلوب ده.

- أمّال حضرتك بتفكر إزاي؟

- وفايدتها إيه؟ وإنت مش هتفهم حاجة.

---

[1] - نوع من الأطعمة الإيرانية يتكون من الباذنجان واللحم المفروم

[2] - لحمة الرأس الضأن المسلوقة.

[3] - نوع من المعجنات يتكون من دقيق وماء وسمن ويوضع عليه بصل وبيض وخضرة.

- عايز تقول إن أنا تمثال للحماقة! أنا عارف إنت زعلان من إيه، وعندك حق برضه، أنا عامل زيّ طوق اللعنة حوالين رقبتك، لكن خلاص خلصت، مش عايز أتطفل عليك تاني. أنا دلوقتي باشتغل.

- اخرس إيه الكلام ده؟ قصدي مكانش كده أصلاً.

- أمّال إيه؟ أنا مش غبي لدرجة إني مافهمش قصدك.

- يا عم يا حبيبي أدّ إيه إنت بتزعل بسرعة! كنت باهزر معاك. إنت دايماً تزعل كده، قول لي دلوقتي بقى عملت إيه؟

شرب فرهاد الشاي وقال:-

- السيد جمال ده واحد من الناس اللّي فاهمة الدنيا، اتعلمت منه كل حاجة، ودلوقتي أنا أقدر أدير المكان هناك لوحدي.

- جالك زباين؟

- كتير جداً. ماتعرفش أدّ إيه الناس كانوا متجمهرين هناك! النهاردة جمال اتعامل معاهم كلهم، لكن أنا ناوي من بكرة ألبي طلبات الزباين بنفسي، وكتبت على البضايع سعرها علشان ماغلطش وأنسى الأسعار.

- إنت في قسم إيه؟

- قسم الملابس. ملابس الرجال؛ البدل والقمصان، القصد إنك من هنا وجاي أيّ شئ تحتاجه تعالى لصاحبك. وبالطبع لمّا يكون حضرتك، هادفّعك التمن مضاعف علشان أعوضك!

- أدّ إيه إنت مش كويس! وهيدولك مرتب أدّ إيه؟

- لسه مش معروف، لكن جمال كان قال إنه بالقدر اللّي يخلّيني ماموتش من الجوع. لو اتقنت فنون الصنعة، هاجمع راس مال واستأجر به دكان. نفسي أشتغل لحسابي.

- جميل وأنا موافق كمان.

- كفاية كلام بقى، مين الطباخ الليلة؟

- كالعادة، العبد لله!

- خلاص قوم وخلص مهمتك بسرعة، علشان لازم ننام بدري بعد العشا، لازم أقوم الصبح بدري وأروح ورا لقمة العيش.

- من عيني.

انقضت تلك الليلة وليالي أخرى أيضاً، ومضت ثلاثة أشهر كان فرهاد مشغولاً خلالها بالعمل في المتجر. كان يحصل شهرياً على راتب قدره عشرون ألف طوماناً، واستطاع بهذا الراتب أن يغطي نفقات معيشته إلى حد ما. كان يعطي لشهريار ثلاثة آلاف طومان من هذا المبلغ نظير الإيجار المشترك، وينفق الباقي في مصاريف البيت ونفقاته الشخصية. وذات ليلة عاد إلى المنزل ويداه مملؤتان.

فأطلق شهريار ضحكة عالية عند رؤيته وقال:-

- جميل جميل، إنت اتكسيت فجأة! إيه يا بني الهدوم المنقوشة اللّي لابسها دي؟!

- الليلة دي أسرفت تماماً. اشتريت شوية كراكيب بسيطة للبيت، وشوية كمان لنفسي.

- يا سيدي والله! إيه المنظر المضحك اللّي إنت فيه ده! زيّ ما تكون رسم كاريكاتير!

- ماعندكش نظر علشان تشوف أنا بقيت شيك وأنيق إزاي!

- الحمار هو الحمار بردعته بس اللّي اتغيرت!

- ماتقولش كلام فارغ، وتعالى خد دول وشيلهم حطهم في أيّ ركن علشان نرتبهم في وقتهم!

- يا أستاذ فرهاد إحنا مش عايزين نتعبك. الله يرحم أبوك إنت عايز تبقى غني مع كل الإسراف ده؟ ودفعت أدّ إيه للمنظر اللّي مالوش معنى ده؟!

- مالكش دعوة! بدل ماتتكلم كلام كبير قوم واعمل حاجة مفيدة. دلوقتي الفلوس بقت في إيدي، فمش لازم أبخل على نفسي.

- من عيني يا ولي النعم، الأمر أمرك.

- الليلة دي ليلة الجمعة، نفسي أروح وأتمشى في الشوارع لحد الصبح. وإنت إيه رأيك؟ هتيجي معايا؟

- أنا فدا شكلك القمر! التسكع في الشوارع بقى شغلك؟!

- غريبة، إنت إنسان مشاكس! يا سلام آل بيقولوا عليك صديق؟! أصلاً تعرف إيه؟ سحبت كلامي، ومش عايز ريّس على دماغي. انزوى إنت في البيت وإقرأ الكتب، وأنا هاروح أتسكع مع نفسي وألفّ الشوارع.

- ماتتضايقش كده حبيت أهزر معاك، أنا جاي وده موضوع مش مستاهل عياط.

- خلاص يالاّ بينا.

ارتدى شهريار ملابسه وخرج من المنزل برفقة فرهاد. وحينما ابتعدا عن المنزل مسافة قال شهريار:-

– يا ريتنا كنا اتعشينا الأول وبعدين جينا نشم هوا! أنا جعت أوي!

– إنشالله سكينة تقطع معدتك دي، إمسك على بطنك شوية علشان أقول لك البرنامج بتاعي هيكون ايه.

– جميل، اتفضل، وقفلنا بقنا.

– دلوقتي فيه حاجة، لمّا تتشرف بالوجود معانا ماتتكلمش لا عن الكتب ولا عن الجوع.

– عايز أعرف يا ولي النعم، إنت بتشمئز ليه أوي كده من قراءتي للكتب؟

– رزمة ورق مهلهل هتنفع الإنسان بإيه؟ يعني اتعلمت إيه من كل اللّي قرأته؟

– لأ لأ، أنا مش موافقك. أنا مش بس مغرم بقراءة الكتب، دي القراءة بتدعم رؤية الإنسان بالنسبة للحياة.

– أيوة يا أستاذ يا بروفسير، بجد إنت إنسان مثقف! جميل، ومش مكتوب في الكتب الفلوس بتيجي منين؟

– إنت أفكارك مسمومة يا صاحبي!

– أيوة، أنا كمان مسموم! أنا إنسان عانيت من الحرمان، ونفسي أبقى غني في يوم من الأيام، لدرجة إن عشرة محاسبين ما يقدروش يعدوا فلوسي!

– جميل وبعدين؟

– مفيش بعدين، لمّا تبقى غني كل حاجة اتحلت لك، بقى إنت مانفسكش تبقى غني؟ مانفسكش يبقى عندك هدوم على الموضة، بيت فاخر وعربية آخر موديل؟

– يا حبيبي المجتمع بيتكون من ناس والناس برضه لهم احتياجات، لكن مش كل الناس بيحققوا أمنياتهم. صوابع الإيد مش زيّ بعضها.

– أيوة، لكن الإنسان لو سعى وعرف طريقه هيوصل لكل شئ. بس لازم تكون عارف إنت هتعمل إيه. مش كل الناس بياخدوا خبرتهم من الكتب والقراءة.

– أيوة عارف، لكن لحد دلوقتي محدش قدر يغتني بإيد فاضية.

– يمكن صاحبك يقدر!

– انشالله يا رب، إحنا مش حسّاد.

– أنا مش لازم أسيب عجلة حياتي تدور معووجة، الحاجة الوحيدة اللّي مش مفهومة بالنسبة ليّ هي إني ماعرفش ليه دايماً بالاقي سوء الحظ من كل ناحية.

– يا حبيب قلبي، قلت لك دايماً وباكرر تاني. هي الحياة كده، السم والعسل دايماً مع بعض، زيّ شروق الشمس وغروبها، والحظ بييجي مرة واحدة وبيروح برضه مرة واحدة. بنقول حاجة غلط؟!

– لأ، بتتكلم صح تماماً!

– على كل حال يا فرهاد، أنا واحد عايز من كل الدنيا الكبيرة دي نصيب صغير. شبر واحد من أرض ربنا بيتعاش فيه، ولو امتلكت كل الدنيا هتمشي من هنا بكام متر قماش. كل ما فلوسك هتكتر، غمك وهمك هيكتر كمان.

– غريبة، عندك دماغ من غير عقل! شبر واحد بس؟! إنت تبقى مين يا عم؟

– زمان قالوا: نصيب الغني الكباب ونصيب الفقير ريحته! لمّا إيدي تبقى مش ثابتة في مكان، هارضى بنفس شبر الأرض الواحد ده.

– إحنا نروح ناكل حاجة، يمكن لمّا جوعك يروح عقلك يرجع لراسك، عايز الليلة دي أعزمك على كباب.

– كباب ليه دلوقتي؟ مصاريفه كتيرة عليك!

– سامحني، نسيت إن حضرتك بتشبع من ريحة الكباب!

– ماتستظرفش. وخلّينا نروح نستفيد الليلة دي من كرامات الريس.

تناول فرهاد وشهريار العشاء في أحد مطاعم الدرجة الثالثة، ثم خرج كل منهما من هناك ببطن منتفخة. أشعل كل منهما سيجارة، وبينما كان فرهاد يستخدم عود كبريت كمسواك لأسنانه، ملّس على معدته بيده وقال:–

– الليلة دي أنا فرّجت عن نفسي، معدتي ورمت زيّ الطبلة.

– وحياتك أنا كمان هانفجر، تسلم إيدك إنت أخجلتني على الآخر.

– ماتقولش الكلام ده، أنا مديون لك بأكتر من كده.

ثم تجشأ عدة مرات بصوت عال أدى إلى قشعريرة شهريار، فعبس شهريار وقال:–

– بالسم الهاري، إنت بتأدبني.

– وحياتك من كتر ما مليت معدتي فاضل شوية وأستفرغ، الأكل ملأ زوري، آخر حتة كباب هتخنقني، لو آخد حاجة ساقعة وأحاسب أنا عليها.

– أكنّ معدتك فيها مكان تاني؟

– نروح هناك وأشرب حاجة ساقعة، وإلاّ هانفجر.

ضحك شهريار بسخرية وهز رأسه. ووقف فرهاد أمام محل لبيع الأغذية وقال:–

- أجيب لك حاجة ساقعة؟

- لأ، ماعنديش مكان تاني. إنت عايز تودينا المستشفى الليلة دي؟!

- خلاص خلّيك هنا لحد ما أرجع.

دخل فرهاد على عجل، وما هي إلاّ دقائق حتى عاد بزجاجة مياه غازية واستند على الحائط، ثم شرب المياه الغازية دفعة واحدة، وتوجه إلى شهريار بالخطاب:-

- سد ودانك.

- ليه؟

- عايز اتكرّع!

- إنشالله تتخنق.

وقبل أن يبدي شهريار أيّ رد فعل، تجشأ فرهاد عدة مرات بصوت مرتفع ناحيته، وقهقه وقال:-

- أعذرني، كان رعد السما!

- كفاية كده، وجعت بطني.

- من عيني، سامحني.

همهم شهريار بغضب وابتعد عنه مسافة. وألقى فرهاد بزجاجة المياة الغازية الفارغة داخل الصندوق الذي كان موضوعاً بجوار المحل وصاح:-

- هاي يا بني، أقف أنا جاي.

- مش عايزك تيجي! يعني تعشينا وتؤذينا.

- يا عم إنت أدّ إيه بتزعل بسرعة! طبعك طيب يا بني، ده أنا لو حد عمل قذارة قدامي هاكل برضه، قلبك طيب.

ثم عزم فرهاد عليه بسيجارة، وأشعل سيجارة أخرى لنفسه وقال:-

- معلش، أنا كنت سخيف جداً. ودلوقتي نروح نتمشى شوية، إيه رأيك نروح جنينة؟

- وهو كذلك، نروح.

كانت حديقة "لاله" مزدحمة كالمعتاد، تجولا حولها لفترة، وقال فرهاد الذي كان يجول بنظره فيما حوله باستمرار:-

- أنا نفسي راحت على الذرة، وإنت؟

- يا عم أنا معدتي مفيهاش مكان تاني، كفاية شراهة بقى، والأفضل إننا نروح نقعد في ركن.

- وحياتك ما هيحصل. أنا قلبي مش هايهدى إلاّ لمّا آكل كوز ذرة.

– يا حبيبي، كل قليلاً تأكل دائماً. إنت لو أسرفت بالشكل ده عمرك ما هتقدر تستخدم عشرة محاسبين.

– دي ليلة واحدة مش ألف ليلة. خلّينا نعيش ليلة واحدة زيّ الأغنيا. وبعدين ما تقولليش كلام مالوش فايدة، ولو تقدر اتفضل وإلاّ خلّيك هنا لحد صاحبك مايرجع.

– أنا هاجي معاك بس مش هاكل حاجة.

– وهو كذلك، إنت ماتأكلش.

كان الصبي بائع الذرة قد وقف أمام الموقد ويقلب الذرة بمروحته العشبية. وكان مشترون كثيرون قد تجمهروا حوله. انتهز فرهاد الفرصة وهجم على الذرة، وبعد ما تحسسه واختبر بعضاً منه بظافره، اختار واحداً في النهاية وأعطاه للصبي:–

– يالاّ يا بني يا حبيبي إشوي لي ده، وخلّي بالك ماتحرقوش.

**عندما نضج الذرة، سحبه فرهاد من طرفه وخاطب شهريار:–**

– الذره بتاعه لذيذ، مش عايز؟

– لأ، مش هاكل.

– ماترجعش تندم. هه؟

– لأ، مش هاندم.

– خلاص يالاّ نرجع.

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وكان فرهاد قد جلس على الأريكة ويتأمل النجوم، تثاءب شهريار وقال:–

– مبقاش حد هنا غيرنا، قوم نروح البيت.

– بيت إيه يا عم أقعد. بقى فيه مكان بالجمال ده! شوف الجو أدّ إيه حلو! وأدّ إيه النسيم العليل بيهفهف! في الجحر اللّي هناك ده الفار مايقدرش يتنفس من الحر.

**– إنت مالك الليلة دي؟ مش في وعيك خالص! إيه اللّي بتدور عليه في السما مخلّيك مش عايز تسيبها؟**

– كنت بادور على نجمة حظي.

– نجمة حظ كل راجل في دراعه.

– بدأت تاني، ده أنا خدامك؟!

– أنا عيني بدأت تزغلل.

– النوم كبس عليك؟

– أيوة، الساعة عدت ٢.

– قوم يا عم نروّح. نروّح أحسن تقتلنا! الموت بيريح أكتر منك!

مساءً عندما خلدا للفراش، تمدّد فرهاد على فراشه ووضع يده تحت رأسه وقال:–

– كانت ليلة جميلة، أمتعتني أوي.

– إنشاالله دايماً تكون مبسوط، تصبح على خير.

أعطاه شهريار ظهره وهمس قائلا:–

– أملي عليك يا رب.

قال فرهاد بصوت عال:–

– يا رب، أتمنى الليلة دي السقف ينشق ويقع منه شوال فلوس على راسي!

ابتسم شهريار بسخرية وسأله:–

– شوال فلوس؟

– أيوة يا خويا، يكونوا بالآلافات، مش هاقبل بأقل من كده.

– خلّيك في الأوهام دي!

– نام إنت وماتتدخلش بيني وبين ربنا. شفت ربنا عنده إيه! يمكن الملايكة سعاة البريد يغلطوا في العنوان، ويرموا حوالة ربنا في حجرنا!

– إنت مجنون يا بني! تصبح على خير.

– تصبح على خير.

لم يدم هناء فرهاد طويلاً، ففي الشهر الرابع بينما كان يعمل في المتجر، وقعت حادثة دعمت اعتقاداته حول سوء الحظ. فذات ليلة، عاد إلى المنزل مهموماً حزيناً، وتحير شهريار من رؤية هيأته الشاردة والمنفعلة، ونظر إليه بفضول وقال:–

– إيه اللّي حصل يا فرهاد؟

جلس فرهاد – الذي كان وجهه متجهماً من الغضب – في ركن وأشعل سيجارة، وألصق رأسه على الحائط.

– إيه يا بني، باقول لك إيه اللّي حصل؟

– ولا حاجة، ماتشغلش بالك.

– ماتكدبش عليّ، أكيد فيه حاجة وإلاّ مكانش شكلك يبقى مهموم كده.

– مش قلت لك إني إنسان سئ الحظ!

– طلّعت روحي! ماتقول إيه اللّي حصل؟ سفنك غرقت؟ شيكاتك اترفضت في البنك؟ مراتك وعيالك ماتوا من الجوع؟ اللعنة، اتكلم يا كافر!

– ماتحطش إيدك على جرح قلبي الدامي!

– أكيد اتخانقت تاني واتطردت؟

– يا ريتني كنت اتطردت.

– أمّال إيه اللّي حصل؟ عملت إيه تاني؟

– عندي عجز ٢٥ ألف طومان.

– إيه؟ ٢٥ ألف طومان؟

– أيوة.

– يعني مرتبك شهر ونص؟

– أيوة، بتبص لي كده ليه؟ أكيد بتقول في نفسك يا فضيحتك يا فرهاد لأنك مش قادر تثبت في شغلانة، صح؟

قال شهريار بتأثر:–

– هو إنت عندك علم الغيب علشان تقرأ أفكار الناس؟ يعني إنت ترعل من مكان تاني وعايز تطلع غضبك على دماغي. هتتكلم زيّ البني آدمين دلوقتي وتقول إيه اللّي حصل ولاّ لأ؟

– امبارح جه واحد واشترى مني كام دستة هدوم. في الكام يوم دول أنا كنت مشغول جداً، كان عندنا زباين زيّ النمل والجراد، فكانت حواسي مشتتة وعند تقييد مجموع الحساب في الفاتورة، ال ٢٧٠٠٠ طومان كتبتهم ٢٧٠٠ طومان، والزبون الله يرحم أبوه راح الخزنة ودفعهم وهرب.

– يمكن هو كمان مانتبهش إنك كتبت غلط؟

– إزاي يعني؟ تشتري كل ده وتدفع ٢٧٠٠ طومان بس؟ يعني هو ساذج وجاهل لدرجة إنه مايفهمش إن هدومه تساوي أكتر من القيمة دي. وقبل ده كله لمّا كنت باكتب له الفاتورة فاصل معايا كتير، علشان ياخد تخفيض. في نفس الوقت اللّي كنت باردّ على واحد من الزباين، مأدركتش أصلاً إني قللت صفر حقير.

– ونفس الصفر الواحد الحقير ده سبب لك التعب والمشقة!

تأوه فرهاد وقال بضيق:–

– أيوة.

– ومين اللّي اكتشف الموضوع؟

– النهاردة الصراف جه في ورديتي، ووراني الفاتورة وسأل إنت اللّي كتبت دي؟ قلت له أيوة. قال إنت غلطت. فقلت له طب أنا كتبت غلط إنت ليه وقت جمع الحساب مادققتش كويس؟ قال مش وظيفتي إني أجمع كل الأرقام، أنا وظيفتي بس إني أحط في الخزنة آخر رقم بيكون مكتوب تحت عمود الجمع. القصد إننا اتجادلنا مع بعض كتير لحد ما جه مدير المتجر. قبلها السيد جمال جه، وكان عايز يتوسط ويحل الموضوع بأيّ شكل، وقال لي علشان الحكاية ماتكبرش أسدد الفلوس للخزنة بأيّ شكل، لكن المدير جه فجأة وعرف اللّي حصل.

– كويس، وبعدها ايه اللّي حصل؟

– أبداً، نهرني تمام وقال إن دي مش أول مرة أغلط في كتابة الفواتير.

– إنت كنت عملت الحكاية دي قبل كده؟

– مرة ولاّ اتنين أعصابي كانت مشتتة وغلطت في جمع الأرقام، لكن المبلغ ساعتها كان قليل أوي، واضطريت أدفعه من الجيب الميمون. لكن المرة دي ٢٥٠٠٠ طومان، مش هزار. وبعدها مدير المتجر قال إنه هيخصم مرتبي الشهر ده ويسدد لحساب المتجر علشان أركز المرة الجاية، ونهرني بشدة.

– إيه يا بني، فكرك كان فين؟

– ماعرفش إيه اللّي بيّ، كله من الجهل لأني بتعليمي المتوسط ده ماكنتش قادر أجمع الأرقام كويس.

– إنتم ماعندكوش آلة حاسبة؟

– لأ يا عم وهي فين الآلة الحاسبة.

– ودلوقتي ناوي تعمل إيه؟

– وأنا هاقدر أعمل إيه؟ مضطر أدفع العجز.

– ماتضايقش نفسك، ده هو شهر واحد وهنعيشه مع بعض بأيّ شكل، ماتزعلش.

– يا ريت تيجي على كده!

– أمّال عملت مصيبة إيه تاني؟

– استلفت ١٠٠٠٠ طومان الأسبوع اللّي فات من جمال، وقلت له إني هارد له دينه أول الشهر لمّا آخد مرتبي، ودلوقتي مكسوف أقول له يصبر شهرين كمان.

– واستلفت منه ليه؟ كنت عايز تعمل إيه؟

- اشتريت بفلوسه جهاز الراديو ده، وشوية لوازم للبيت.

- إشجيني بالراس اللّي من غير عقل دي! وهو جهاز الراديو ده هينفعك بإيه؟ هو ده وقته!

- اشتريت الراديو علشان أسمعه، هو أنا ماليش نفس؟

- واشتريت إيه تاني؟

- اشتريت شنطة علشان أحط هدومي فيها. واشتريت بطانية للشتا علشان مابردش، فاكر الشتا بتاع السنة اللّي فاتت؟ كنا بنام بالليل بالجواكت والبناطيل علشان ما نبردش، واشتريت جوز جزمة لأن نعل جزمتي اتخرم وعامل زيّ المصفاة، وما ينفعش يتصلح. وأنا إيه اللّي عرفني، أنا ماكنتش باشم على ظهر إيدي إن ده هيحصل!

- على أيّ حال اللّي حصل حصل، الغم والحزن مش هيداوي أيّ ألم. وبعد كده خلّي بالك لتتعفن.

- شهر ونص! إزاى هاعيش الفترة دي من غير فلوس.

- ماتزعلش، ربنا كريم. أنا وإنت متعودين على الجوع والفقر، ودي مش أول مرة لينا.

نهض شهريار وذهب إلى ركن الحجرة ثم قال وهو منهمك فى طهي العشاء:-

- ماتدخنش بالشكل ده، خنقتني. وقوم جهز السفرة، العشا جاهز.

- أنا ماليش نفس، كل إنت.

- هتغلط! يعني عندك الجرأه وبترفض عمايل إيدى. قوم وماتدلعش زيّ البنات الصغيرين.

بسط فرهاد المائدة على الأرض بعدم رغبة. وعاد إليه شهريار حاملاً المقلاة وقال ضاحكاً:-

- جميل جميل! يا سلام على البيض المقلي اللّي عملته! كل واتمتع.

نظر فرهاد بعدم اهتمام. فابتسم شهريار بسخرية وقال:-

- فيه إيه؟ بتبص ليه بحيرة ومسكنة زيّ الحمار اللّي بيبص على حدوته، مش هتقول لي حاجة على ولائي وكرمي؟

- ماليش مزاج يا شهريار، بالله عليك سيبني.

- تعالى كل لقمة علشان أقول لك حاجة.

- اتكلم، أنا مش جعان.

وضع شهريار لقمة في فمه، وقال في أثناء المضغ:-

- اقتراحي لجنابك إن حضرتك تشرّف بكرة عند مدير المتجر. لحد هنا فهمت كويس؟

- أيوة يا بويا يا حبيبي، اشجيني!

- روح عنده وعيط شوية، وبعدين أطلب منه إنه يخصم منك الفلوس دي على أقساط لكام شهر.

- جميل ولو ماوافقش هيبقى إيه العمل؟

- أكيد هيوافق. في النهاية برضه ومهما كان هو إنسان عنده قلب وإحساس. وإنت لازم تتمسكن بأيّ شكل علشان قلبه يحن على حالك ويوافق. دمعة ولاّ دمعتين بتدوب القلب الحجر!

- بالشكل ده آخد معايا حباية بصل، علشان دمعتي تنزل في الوقت المناسب!

- وحياتك ماهيتكلم، هو نفسه كان بيعمل حكاية البصل دي!

- بتتريق عليّ؟!

- استغفر الله! هو أنا كلب علشان أتريق عليك.

أخذ فرهاد يفكر لدقائق، ثم ابتسم وأبعد نفسه عن المائدة

- إية اللّى حصل يا فرهاد، انبسطت ليه مرة واحدة كده؟

- باقول إنك ماغلطتش! ممكن يوافق.

- قطعاً هيوافق! يستاهل إنك تجرب.

- إديني العيش ده، أنا نفسي اتفتحت، ده أنا محتاج لك لأن مخك بيشتغل أكتر من ١٠ حمير!

- مسكين لو ماكنتش موجود كان زمان حالك بؤس.

انهمك الصديقان في تناول العشاء ضاحكين. وفي اليوم التالي ذهب فرهاد إلى السيد جمال بمجرد وصوله المتجر، وطلب منه وديّاً أن يذهب لمدير المتجر كي يطلب منه أن يقسط خسارته على بضعة أشهر من راتبه. وافق جمال وذهب إلى المدير على الفور.

ولحين عودته، أمضى فرهاد لحظاته باضطراب وقلق شديد. كان يأمل أن تُحل مشكلته وكان يدعو الله في قلبه حتى جاء جمال ناحيته من بعيد. وصل إليه فرهاد بخطوات واسعة وسأله:-

- ربنا يخلّيك يا أستاذ جمال، عملت إيه؟ سبع ولاّ ضبع!

كانت هيئة جمال المغتمّة والمضطربة تدل على عدم توفيقه، نكس رأسه وقال بأسف:-

- عملت كل حاجة ومفيش فايدة.

وهن وجه فرهاد فجأة وسأله في يأس:-

- يعني ماوافقش؟

- لأ للأسف. حاولت كتير لدرجة إني اترجيته، لكنه قال إنه مش في إمكانه. وقال إن العامل المخطئ لازم يتعاقب علشان بعد كده يركز كويس. على أيّ حال يا سيد فرهاد أنا خجلان منك، كان نفسي أقدر أعمل لك حاجة لكن للأسف.

- أخجل الله عدوك يا أستاذ جمال. مش مهم، في النهاية إحنا لينا ربنا.

عاد كل من جمال وفرهاد إلى عملهما. كان فرهاد مكتئباً تماماً، وكان عبوس وجهه يدلل على الغضب الكامن داخله. وعصراً عندما عاد إلى المنزل، لم يكن شهريار قد عاد من العمل بعد. نادراً ما كان يحدث أن يعود شهريار إلى المنزل متأخراً بعد غلق المحل. جلس فرهاد على الأرض وأشعل سيجارة واستغرق في التفكير. عندما انتهت السيجارة وأحرقت نارها يده، انتبه لنفسه فجأة ونهض. كان الراديو يبدو فوق المدفأة، فتطلع إليه لدقائق وتحسّسه ثم وضعه في جعبته وخرج من المنزل على عجل.

استقل الأتوبيس ونزل في محطة ميدان اسطانبول، وعلى مدى ساعة كاملة، تفقد جميع محال الصوتيات التي كانت في طريقه، وتحدث مع أصحاب المحال ولكنه لم يصل لاتفاق، ولم يعد عليه طائل ولم يرغب أي شخص في شرائه، بائع واحد فقط كان يفترش الرصيف عرض عليه شراءه.

– هتبيع بكام ياخويا؟

– بـــ ٥ طومانات.

تفحص الرجل جهاز الراديو وقال:–

– لأ ده ما يساويش السعر ده.

– حضرتك هتشتري بكام؟

– لو هتديهولى بـــ ٢ طومان هاشيل.

– ٢ طومان؟ مايكونش مسروق؟ أنا اشتريته بنفسي بـــ ٥ طومان الأسبوع اللّي فات، شايف لسه التراب مالمسهوش.

– أنا عارف يا خويا، لكن ساعة مايخرج من الكرتونة يبقى مستعمل. لو كان متغلف كنت اشتريته منك بنفس ال ٥ طومان.

– لأ مش هاديهولك.

– هات خلّينا ناكل عيش.

– ده قليل أوي، وأنا كده هاخسر.

وضع فرهاد جهاز الراديو تحت إبطه، وحينما ابتعد بضع خطوات ناداه الرجل:–

– تعالى يا أخي، آخره ٢،٥ مايساويش أكتر من كده.

– مش هاديهولك بأقل من ٥ طومان.

– إنت مش عايز تبيع، هتضيع وقتك من غير فايدة ومحدش هيشتريه بالسعر ده.

– هادوّر وألاقي له مشتري.

ابتعد فرهاد فصاح الرجل:-

- لو تحب تبيع ب ٢،٥ تعالى لي. وفلوسه نقداً.

ابتعد عنه فرهاد بعدم اهتمام. وثمة شاب صغير حسن الملبس والمظهر كان شاهداً على هذه الصفقة تحرك خلف فرهاد بهدوء.

بصق فرهاد على الأرض وزمجر قائلاً:-

- يا حظ يا خسيس يااللّي ما تجييش إلاّ السوء!

وحينما صل إلى محطة الأتوبيس وقف في نهاية الصف، ونظر إلى الأرض غير مبال بما حوله. كان الجو مظلماً تماماً والسماء ملبدة بالغيوم. دخل الشاب الصغير الذي كان يتعقبه المحطة أيضاً، واستقر فيما بين فرهاد والشخص الذي يليه. وصل الأتوبيس فركب الركاب تباعاً. ذهب فرهاد إلى الطابق الثاني وجلس فوق أحد المقاعد، وجلس الشاب أيضاً إلى جواره دون لفت النظر إليه، وفي نفس اللحظة تحرك الأتوبيس.

بعد عدة لحظات توجه الشاب إلى فرهاد وسأله بأدب:-

- من فضلك معاك ساعة؟

أزاح فرهاد كم قميصه وأظهر معصمه الخالي من الساعة إلى الشاب وقال:-

- لأ، ممعاييش ساعة.

ألصق الشاب ساعة يده على أذنه، وقال مخاطباً فرهاد:-

- زيّ ما تكون ساعتي وقفت.

ابتسم فرهاد بسخرية وأجاب في حزن:-

- أحسن لك، على الأقل تبقى جاهل عن غم الزمن!

أبدى الشاب دهشته وسأله:-

- يعني إيه؟

- ولا حاجة يا أخي، كنت باهزر.

مضت بضع لحظات في صمت، ثم توجه الشاب إلى فرهاد وسأله وهو يشير بإصبعه إلى الراديو:-

- مبروك، حضرتك اشتريته جديد؟ دي ماركته ممتازة.

- مايليقش بحضرتك!

- متشكر، مايليقش بحضرتك إنت، اشتريته بكام؟

- اشتريته الأسبوع اللّي فات بـــ ٥ طومان. ودلوقتي جيت أبيعه ومحدش عايز ياخده.

- وحضرتك عايز تبيعه ليه؟ دي ماركته كويسة أوي، أفضل ماركة ياباني!

- محتاج لفلوسه يا أخي. وحضرتك بما إنك بتمدح فيه كل ده، ايه رأيك تشتريه إنت مني.

ضحك الشاب وقال:-

- أنا عندي واحد، أكيد فلوسه ماتليقش بحضرتك، وأنا مستعد بشكل ودي... بالقطع لو ده مايضايقش حضرتك.

- لا يا أخي متشكر، في الحقيقة حضرتك لطيف، يا ريت كل الناس يكونوا زيّ حضرتك.

- لكن أنا ما باعزمش. أدّ ايه جميل إن الإنسان يعمل خير دايماً لأولاد بلده. أبويا دايماً بيقول إن الإنسان اللّي مابيفكرش في الآخرين، ميبقاش إنسان أصلاً.

- أدّ ايه والدك إنسان كويس!

- ده من لطف حضرتك. بالظبط كده، أبويا إنسان مالوش مثيل! لو في إيده إنه يعمل خير مايبخلش. وكل ما يساعد الضعفاء أكتر، ربنا يوسّع عليه أكتر.

**- ربنا يحفظه. ليه مايقعش في سكتنا واحد من الناس الطيبين الخيرين دول؟**

- يمكن حضرتك مش عايز حد يساعدك.

- وهو مين بيستاء من المساعدة؟

- يعني مثلاً لو أبويا كان هنا دلوقتي وشاف محنتك، أكيد كان هيساعدك بأيّ شكل.

**- يعني كان هيبقى مستعد إنه يشتري الراديو ده مني؟**

قهقه الرجل وقال:-

- ويشتري ليه؟ كان يسلفك مبلغ كده علشان يحل المشكلة.

- يعني لا شاف، ولا عرف، ويديني الفلوس في إيدى من غير كلام؟!

- لأ مش بالصورة دي، طبعاً كان هياخد عنوان حضرتك، بطاقتك الشخصية أو أيّ حاجة علشان يطمّن أكتر. وده بيتعلق بالطرف الأخر، لو كان الطرف الآخر - بعيد عن حضرتك - إنسان فقير فعلاً، فأصلاً مش هيدوّر علي الفلوس.

**- يعني لوجه الله!**

- أيوة، بالظبط كده.

- هنيالك إن عندك أب زيّ ده. ووالد حضرتك بيشتغل إيه؟

**- هو تاجر. عنده محل في السوق، طبعاً هو اللّي بيقول محل، لكن المكتب اللّي عنده بيقش منه فلوس.**

نظر فرهاد إلى مظهر الشاب المهندم والمرتب، فنال من قلبه الاستحسان، وتمنى لو كان مكانه.
قال الشاب بعد انتظار طويل:-

- كنت متفق الليلة دي مع واحد من الأصدقاء، لكن الندل ده مجاش حسب الاتفاق. الإنسان الكويس يكون عند وعده، أنا ماعرفش إيه اللّي حصل علشان يخلّينا مستنيين هنا ومايجيش.

- يمكن حصل له حاجة فجأة أو جاله شغل؟

- أيوة مش بعيد. على كل حال كان المفروض إننا نروح مع بعض الليلة دي بيت واحد تاني من أصدقائنا. وقلت في البيت إني مش هاجي بالليل، لكن محصلش. ومفيش نصيب نقضيها مع الأصدقاء الليلة دي.

كان الشاب يتحدث دون انقطاع، وكان حديثه محبباً وساحراً جذب إليه فرهاد. عندما نزلا في آخر الخط، قال فرهاد - الذي كان قد وقع تحت تأثير قوة كلامه - بدون دراسة:-

- أكيد النصيب اللّي خلاّني أتعرف عليك، ومن حسن حظي إني قابلتك الليلة دي.

- ده الشرف الكبير ليّ أنا، بعد إذنك أنا المفروض أمشي من الناحية دي، وأتمنى أقابل حضرتك تاني ونرغى مع بعض لحد الصبح.

- أنا كمان أتمنى كده. إذن إديني الشرف إني أكون في الخدمة.

- أتمنى حضرتك كمان تيجي تشرّف بيت العبد لله.

- لأ، أنا أقصد إن حضرتك تكون ضيفنا الليلة دي، وكأنك مع أصحابك القدام. ده طبعاً لو قبلت دعوتي.

- يسعدني إني أكون في خدمتك، بس ده مش هيسبب مشاكل لأسرتك؟! مش عايزهم يتضايقوا.

- بالك يطمّن من الناحية دي. أنا عايش لوحدي مع واحد من أصحابي. مأجرين بيت ظريف، يا دوب أوضتين. واحدة منهم ليّ أنا وصاحبي، والتانيه صاحب البيت حاطط فيها كراكيبه.

- طب وصاحب البيت بتاعكوا مش راجل متشدد؟

- لأ، هو عايش في مكان تاني وبييجي لنا مرة واحدة بس أول الشهر وياخد إيجاره، ويمسح بيته وينضفه ويمشي. هاحاول إنك تنبسط وأهو عيش ليلة مع الفقرا.

- زيّ ما تحب، بس أنا خايف أسبب ازعاج.

- العفو، حضرتك مش مزعج.

تحرك فرهاد والشاب الذي عرّف نفسه باسم بهروز صوب المنزل. فتح فرهاد باب الحجرة، ورأى شهريار في انتظاره. فتوجه إلى بهروز وقال:-

- اتفضل أدخل يا أستاذ بهروز، شهريار يا حبيبي عندنا ضيف.

اندهش شهريار الذي لم يكن ينتظر شخصاً آخر عدا فرهاد وقام ووقف في مكانه وتطلع إلى الباب. وفي نفس اللحظة دخل بهروز الحجرة وخلفه فرهاد. ألقى بهروز التحية وخاطب فرهاد شهريار:-

- أعرفكم، بهروز. ده شهريار صديقي العزيز ورفيق حجرتي.

- فرصة سعيدة يا سيدي.

- وأنا كمان.

تصافح شهريار وبهروز وأضاف فرهاد:-

- الليلة دي اتعرفت على الأستاذ بهروز، ودعيته إنه ييجي لبيتنا المتواضع ده.

ابتسم شهريار وقال:-

- عملت خير. شرّفت يا أستاذ بهروز، اتفضل أقعد.

- متشكر، أتمنى إني ماكونش أزعجتكم.

وضع فرهاد الراديو فوق المدفأة وأجاب على الفور:-

- تزعجنا إيه، ده بيتك. هو طبعاً مش هيبجي حاجة جنب قصر حضرتك، لكن حسناً الورقة الخضراء هدية الفقير!

- خلّيك متواضع يا أستاذ فرهاد، أنا مستمتع كده أكتر. اعتبروني واحد منكم.

عزم فرهاد على بهروز بسيجارة، لكن بهروز قال إنه لا يدخن. عندئذ توجه فرهاد إلى شهريار وسأله:-

- اتعشيت؟

- لأ، كنت مستنيك لمّا تيجي.

- بيقولوا عنك إنك صديقي الصدوق، ودلوقتي إحنا عندنا إيه؟

- لوبيا محفوظة.

خاطب فرهاد شهريار:-

- يعني هنحتفي بضيفنا بلوبيا محفوظة؟ معندكش حاجة أحسن!

وبالرغم من أن فرهاد لم يكن لديه مال كثير في جيبه، إلاّ أنه واصل من باب المجاملة:-

- أنا هاخرج أشتري أكل.

أمسك بهروز يده ومنع ذهابه، وقال بلهجة حميمة ودودة:-

- فرهاد يا حبيبي والله ماتعمل تكليف معايا للدرجة دي. أنا قلت إني بسيط جداً، العيش والبصل مع الأصحاب لهم لذة. ونفسي ماتعملش كلفة معايا ولو ناوي تجاملني، هاسيبك وأمشي حالاً.

قال فرهاد - الذي كان قد سعد كثيراً من لقاء بهروز وفتن بأخلاقه وشخصيته المتواضعة والخالية من الرياء - بلهجة تلقائية:-

- لحد دلوقتي كنت أنا وشهريار صديقين حميمين، ودلوقتي بقينا ثلاثة، وأنا مبسوط جداً إني قابلتك الليلة.

- وأنا كمان يا فرهاد يا حبيبي. وأتمنى إني أكون صديق جيد لكما والليالي الحلوة دي تتكرر تاني.

- وإحنا كمان. حسناً يا شهريار يا حبيبي موافق خلاص نجهز السفرة؟

- أيوة نجهز.

تناول الثلاثة العشاء في جو من الضحك والدعابة. ولم يحصل شهريار - الذي كان يترصد الفرصة كي يتحدث مع فرهاد حديثاً خاصاً - على مثل هذه الفرصة أبداً في تلك الليلة. كان فرهاد كما لو كان قد التصق ببهروز، وكان يتحدث معه بحرارة وكأنه قد نسي وجود شهريار. وآخر الليل، عندما ذهب الجميع إلى الفراش، سأل بهروز فرهاد:-

- صحيح إنت ماقولتليش، مشكلتك إيه ومبلغ أدّ إيه يحل مشكلتك؟

شرح فرهاد لبهروز بشكل تفصيلي كل ما جرى في المعرض، خصم الراتب، قرض جمال وبيع جهاز الراديو، وأضاف في النهاية:-

- دلوقتي الشهر ونص اللّي من غير فلوس ده على جنب، لكن لازم بأيّ شكل أدبّر قرض جمال وإلاّ كرامتي هتضيع.

ضحك بهروز وربت بيده على كتف فرهاد وقال:-

- الصبح لو عندك وقت أوديك محل أبويا. هو أكيد يقدر يعمل لك حاجة.

- ربنا يخلّيك، إنت طيب أوى!

- إيه الكلام ده؟ يا سلام إحنا أصحاب مع بعض.

- إنت صديق بحق يا بهروز، وأوعدك إني هاعوضك في يوم من الأيام.

- ماتقولش الكلام ده أحسن أزعل. أنا دلوقتي لقيت صديقين جيدين، ومش عايز أزعل منك وأمشي. الصداقة والصحبة بتنفع الأيام دي.

كان شهريار يستمع لحديثهما في صمت، وقلما كان يتدخل في حديثهما. كان لديه شعور غريب، وكان يجد بداخله نوعاً من الاحساس بعدم الثقة وسوء النية تجاه تصرفات بهروز وسلوكه. كان

يشعر أن خلف هذا المظهر الخادع وجه آخر خفي، وجه ينطوي على الشك والغموض. وبالرغم من ذلك لم تسنح له الفرصة للتأمل بعمق فيما جرى، وكانت لهجة بهروز الودودة والمثيرة تبعد أي نوع من الشكوك والظنون.

في تلك الليلة، ما هي إلاّ دقائق حتى استغرق ثلاثتهم في نوم عميق. وعند الصباح تقلب فرهاد في فراشه وعاد بجانب بهروز. فتح عينيه للحظات لكن الفراش كان خالياً، ولم يكن بهروز يُرى في فراشه. أغلق فرهاد عينيه ثانية وغلبه النوم.

وعندما كان مستغرقاً في النوم، هزّت يد أكتافه فجأة وبقوة:-

- فرهاد، قوم يا فرهاد. يا دي المصيبة، قوم يا بني.

فتح فرهاد عينيه وحملق في وجه شهريار المشتعل وقال بغضب:-

- ماتقدرش تناديني زيّ البني آدمين؟

- قوم.يا مسكين، قوم إحنا بيتنا اتخرب.

جذب شهريار يده بقوة وأخرجه من الفراش. فصاح فرهاد الذي كان قد تعصب بشدة:-

- إيه يا عم، هتخلع إيدي! بترفس زيّ الحمار الطايح كده ليه؟! عايز إيه؟

- قوم، البيت اتخرب، قوم شوف المصيبة اللّي عملتها.

- إيه اللّي حصل؟ مصيبة إيه؟ ماتكونش شفت كابوس؟

- عايز تعرف إيه اللّي حصل؟ صاحبك المحترم هرب ومشي.

- بهروز مشي؟

- أيوة، ويا له من ذهاب!

- وإيه المهم في الموضوع ده علشان تشدني وتخرجني من السرير؟

- يا أحمق، صاحبك لمّ كل اللّي لينا واللّي مش لينا وأخده معاه.

- إيه؟ إنت اتجننت؟

- إنت اللّي مجنون علشان بتثق في كل حد وفي أيّ حد.

تبخّر النوم دفعة واحدة من رأس فرهاد. وهبّ من مكانه وقال:-

- إيه اللّي بتقوله ده؟

- زيّ ما سمعت. صاحبك جمع كل حاجتنا وأخدها.

نظر فرهاد حوله وسأله:-

- إنت متاكد؟ يمكن راح يتبول؟

– أيوة يا روح بطنك! راح يتبول! احلم إنت بكده.

– طب هو أخد ايه مثلاً؟

– اسأل هو ماخدش ايه! ده أخد من أول البدل بتاعتنا لحد الجزم والشباشب وغيرها وغيرها ...

نظر فرهاد حوله بنظرة أدق. كانت الحجرة خالية إلى حد ما ولا يوجد أثر لملابسهما فوق مشجب الملابس. واختفى صندوق الراديو وبقية الأشياء من فوق المدفأة. ضرب فرهاد بيده اليمنى على ظهر يده اليسرى وقال:–

– المغفل! يعني بهروز اللّي عمل العاملة دي؟ مش قادر أصدق! يا ربي الراديو الغالي بتاعي.

– يا ريت كده وبس. تحب أجهز لك قايمة بسرقة الأستاذ بهروز؟

– طب هي البدلة بتاعتي اللّي لونها بهت هتنفعه بايه؟

– حرامي مبتدئ بيسرق الحاجات التافهة. أقول لك دلوقتي هو أخد ايه؛ راديو ساعدتك، المنبّه، ساعة ايدي اللّي كانت على الدفاية، شنطة حضرتك، الهدوم وجزمة سيادتك الجديدة، والبطانية اللّي كنت اشتريتها للشتا، وساب لقلبك الحسرة! البدلة وهدومي اللّي كان كل مرتبي فيهم، وبالجملة تفاح البيت والمحل. حتى جزمنا وشباشبنا أخدهم.

– عجيبة على الجهل، الحقير التافه!

– أيوة يا أستاذ فرهاد، كل الحاجات الحلوة دي نتيجة لحماقة سيادتك. ده كويس إنه ماخلعش سراويلنا الداخلية من رجلينا وإحنا نايمين! بصراحة ربنا رحمنا ونجانا من خطر حقيقي.

– إزاي ممكن إن بهروز يكون بتاع الحاجات دي؟!

– اللّي حصل.

– يحرق أبوه عديم الشرف! يعني المظهر الخادع ده والكلام الحلو ده و ... والله أنا مش عارف أقول ايه؟ أنا مندهش تماماً، زيّ مايكون ٢٢٠ فولت كهربا لمسوني.

– ساعة ماشفته عرفت إن اللّي شرّف إنسان ملعون الأب وغدار، إنت لقيت الحقير المنافق ده فين؟

صمت فرهاد ونكس نظره إلى الأرض. كان الغضب كما لو كان يخنقه حتى أنه لم يكن قادراً على التحدث، فأجاب بضيق:–

– اتعرفت عليه في الأتوبيس.

– وجبته البيت علشان ايه؟ أحمق مابتفهمش!

- وأنا إيه اللّي عرفني، حماقة! من ساعة ما شفته وهو هزّ لي ديله. هو اللّي فتح الكلام من الأول، وكلامه لفني، قال إن أبوه راجل خيّر، وبياخد الناس المحتاجين والفقراء وبيساعدهم، فافتكرت إني لو صاحبته يمكن أقدر أخد مساعدة من أبوه، لكن ماحصلش!

- إنت بعدت أوي عن الموضوع يا صاحبي! اللصوص دول أسلوبهم إنهم يوقعوا الأشخاص السذج اللّي زيك في الفخ، هتعقل إمتى؟ زيّ ما يكون مفيش ذرة عقل في راسك، وصبوا طين بدل مخك. صاحبك افتكر إننا ملوك التجار! فقال أروح وأرجع بايد مليانة. مكانش يعرف إن إحنا بنتخانق مع عصارينا من الجوع!

- اللعنة على أبوه ابن الكلب! ماكنتش فاكره إنسان حقير كده.

- يعني كان كل الكلام اللّي على أبوه اللّي يتحرق ده، علشان يذوق أخلاقه! ما هو الكدب مش حكر ومعاليهوش ضرايب كمان!

- بفسخي اسمه القذر ده يتمحي من الوجود! اتفو على اللبن اللّي رضعه!

- دلوقتي حضرتك ماتتضايقش! وسامحه المرة دي علشان خاطري!

- إنت هتتريق علي؟ عندك حق يا أخي!

- يا غبي إنت إزاي ماتعرفش الناس؟ أمّال ناوي تتعلم الحاجات دي إمتى؟

- وأنا إيه اللّي عرفني، ودلوقتي حمّلني أنا المسئولية، مين كان يتخيل إن الراجل ده محتال وخسيس للدرجة دي، ويحط للناموسة نعل وهي طايره! اللعنة على أبوك يا بهروز!

- إنت لسه عيل، وفاضل كتير على ما تبقى راجل.

- طب وإنت ياللّي عامل نفسك بروفسير، انخدعت ليه؟

- قلت لك، ساعة ما دخل صاحبك ده وريحته المعفنة فاحت في دماغي، فهمت إنه مش ممكن يكون إلاّ واحد غشاش، تصرفاته كانت مرسومة، حسيت إن كل أفعاله وكل حركاته وتعبيراته كانت مفتعلة، لكن إزاي كنت هاقدر أفهمك؟

- يعني إنت ماكنتش مطمّن، صح؟

- إنت كنت عمال تلف وتحوم حواليه زيّ الدبانة اللّي بتحوم على الحلوى. وماديتنيش فرصة أفهّمك، الملعون المنافق ده كان نصب عليك خيمة زيّ الكابوس، وكان بيزن على ودن سيادتك بألطاف الحيل، زيّ ما يكون حمار بينهق، ودلوقتي لو كنت فهمتك يا حمار كنت هتصدق؟ لأ، وحياة كل اللّي ماتوا لك قول الصراحة، كنت هتقبل كلامي بخصوصه؟ ما تقول؟

- عايز الصراحة، لأ. أصلاً ماكنتش هاصدق إنه ابن جزمة. وإن الحقير الملعون عايز يخدعنا. ماكنتش عارف إنه ناوي ياكل الملح ويكسر الملاحة، مين كان يتخيل إن إيده فيها لزق!

- ربنا يرحم أبوك لأن دماغك في الحساب! دلوقتي بقيت إنسان بيفهم!

- يا عم روح انبسط! في الأول تكسر لي دماغي وبعدين ماتعملش حاجة مفيدة؟!

-لأ أبداً، بالمصيبة اللّي إنت عملتها دي مستني أديلك وسام شرف؟ يا عم مفيش اللّي اختشوا ماتوا.

- دلوقتي ماتقول هنعمل إيه؟

- وأنا إيه اللّي عرفني! صحيح صبح حظنا أشرق!

- تتكسر الإيد اللّي ماتقدّرش الجميل، كل ما أحسن لحد يرد بالإساءة . يا ريت رجلي كانت اتكسرت وماشربتش معاه في كاس واحد.

- في الحقيقة إنت جيت تكحل عينينا فعميتنا إحنا الاتنين، وهنخرج إزاي دلوقتي من الكارثة دي؟ لا عندنا هدوم ولا جزم ولا حتى شباشب ومينفعش المشي في الشارع كده بالسراويل الداخلية، وحافيين كمان!

نظر فرهاد حوله وقال:-

- كويس إنه ساب لنا السجاير والكبريت.

وبعد ذلك أشعل سيجارة واستنشق بضعة أنفاس بعمق. فأجابه شهريار بسخرية:-

- أيوة كويس، حظك من السما إن سجايرك ماتسرقتش.

- إنت بس تعرف تجرح بالكلام. دلوقتي إحنا غلطنا وانغرسنا في الطين زيّ الحمار، تقدر تقول لي أعمل إيه؟ أقوم أشنق نفسي؟

- مايجيش في عباية سيادتك، أنا فعلا زعلان لدرجة إني هافرقع من الغيظ.

- اللعنة على الشيطان! شوف إحنا بقينا مساكين ومتحيرين إزاي!

- اللعنة عليك لأنك أسوأ من الشيطان.

وفجأة تذكر شهريار موضوعاً فصاح:-

- آه يا مغفل!

- إيه اللّي حصل لك تاني؟

- الله يلعن أبوك! شايف بالله عليك؟! الجبان ده مارحمش الراديو المفكك اللّي كنت جبته من المحل علشان أصلحه، هاقول إيه للزبون دلوقتي؟ يا ابن الحرام همّ شوية حديد هينفعوك بإيه؟

- ربنا ياخده! أفسد هناء يومنا. يا ريتك ماتقعش في إيدي يا بهروز وإلاّ قضيت عليك!

- ودلوقتي هاروح الشغل إزاي؟ أنا حتى ماعرفش الساعة كام.

- قول لي، لازم أكون في المتجر دلوقتي.

- في النهاية لازم نعمل حاجة، ونخَرج نفسنا بأيّ شكل ونطلب مساعدة من الجيران.

- مساعدة إيه؟

- أروح أخبط على باب بيت جارنا اللّي جنبنا، واحكي له الحكاية. وفي النهاية يسلفنا جوز شباشب وبدلة من اللّي في بيته، علشان نخلص من المصيبة دي. ما إحنا مش هنفضل طول العمر مخفيين في ركن البيت.

- عايز تروح حافي؟ وكده بالسروال الداخلي؟

- لأ اسمح لي ألبس الملاية! في النهاية إحنا لازم هنتحرك؟ الهدوم مش هتيجي لنا من الغيب.

- خلاص قوم روح ووريني هتعمل إيه.

نهض شهريار وخرج من الحجرة مزمجراً. تنهد فرهاد تنهيدة عميقة وأشعل سيجارة ثانية. كان يشعر بالضعف من تأثير الجوع، فأخرج من طية المائدة قطعة خبز وألقاها في فمه وهمس لنفسه بغضب:-

- يا ندل يا حقير، بقى تاخد كل اللّي ليّ؟ إلهي يسحقك وماتتهنّاش به. وجهاز الراديو الغالي بتاعي. طب قول هدومي، إنما جزمتي اللّي ماكنتش لسه حطتها في رجلي. إلهي ماتشوف الخير يا بهروز يا كداب! فين ما تقع في إيدي هاقطعك بالسكينة، يا حقير يا ندل! وشهريار ده كمان اللّي مجاش، ومش معروف هو بيعمل إيه.

انفتح باب الحجرة فجأة وظهر شهريار.

- الله يلعنك يا فرهاد، ياللّي على آخر العمر بعتنا نشحت من بيوت الناس.

- اخرس إنت كمان، لحست عقلي. أنا باتحرق من الألم وإنت بتحط الملح على جرحي، عملت إيه؟

- بصعوبة شديدة فهّمت زوجة جارنا إن حرامي سرقنا، ادتنى حتتين من هدوم جوزها. تعالى شوف إيه فيهم مقاسك. ما إحنا لازم نخرج بأيّ شكل.

جرب فرهاد الملابس، ولما كانت قامته أطول وبنيته العظمية أغلظ من شهريار لم تناسب الملابس جسده.

- دي صغيرة عليّ، هتتفزّر على جسمي!

- ده مش جسم، ده خيال مآته! هو ده الجسم اللّي عندك؟ ده عديم الملامح!

- ده جسم رياضي.

- أيوة، بهلوان قطن مينفعش في حاجة!
- كل ده بس من غيرتك.
ثم خلع فرهاد الملابس عن جسده بغيظ وقال:-
- تعالى يا حبيبي. بضاعتك أهه، ماتنفعنيش.
دار شهريار حول نفسه وقال:-
- كلهم مقاسي.
- أيوه رحت ظبّطت الموضوع.
- ظبطة إيه؟!
- إنت رحت مخصوص لجارنا اللّي هدومه تناسبك إنت بس.
- هو أنا بيني وبينك تار! إنت عايز دلوقتي تقعد في البيت عريان وتتفرج عليّ؟
- أمّال إنت هتعمل إيه؟ روح وجهز لي هدوم.
- من عيني، مفيش أوامر تانيه يا سيدي؟ وهاشتري هدوم لسيادتك بأيّ فلوس؟ كل اللّلي أملكه اتسرق واتنهب.
- روح للسيد اسمال واحكي له على اللّي حصل وخد منه أيّ حاجة من ناحيتي. وبالمرة قول له إنه يتصل بجمال، ويحكي له على اللّي بقينا فيه، وإني مش هاقدر أروح الشغل
- جميل، يعني أنا علشان خاطرك لازم أمسك كاس الشحاته لحد الليل، وأروح من الخرمهدي للخرم ده!
- ماتبرطمش كده، هاعوضك.
- كل اللّي عندك إنك هتعوضني!
- صحيح إيه أخبار الجزمة؟ أخدت جزمة كمان من زوجة جارنا؟
- جوزها مكانش عنده خبر إن الحرامي هيسرقنا، وإلاّ كان ساب لنا جزمته. أخدت منهاالشبشب.
- مش مهم، أهو يوديك الشغل.
- خلاص أقعد لحد ما أروح وأشوف أنا هاقدر أجيب فلوس ولاّ لأ.
- هاتروح للسيد آسمال؟
- الأول هاروح المحل، يمكن الأسطى بتاعي يقدر يفك عقدتنا. ولو مكانش هاروح بعدها للسيد إسماعيل. اللعنه على كل بني آدم مؤذي!

– بسرعة يا شهريار يا حبيبي، بسرعة إلهي تشوف الخير. وأول فلوس تجيبها اشتر لي بيها هدوم، إنت عارف مقاسي؟

– أيوة يا سيدي عارف.

– خلاص روح، مع السلامة.

وحتى الساعة الواحدة من بعد الظهر قضى فرهاد أوقاته في المنزل بمفرده. وأخيراً عاد شهريار.

– عملت إيه؟ اتوفقت؟

– مش شايفني رجعت بإيد عمرانة؟

– الله يبارك لك! كنت عارف إنك حسن التصرف وذكي.

– ربنا يرحم أبو الأسطى بتاعي لأنه حل مشكلتنا. ساعة ما سمع الخبر اتضايق أوي، وحط كل الفلوس اللّي كانت معاه قدامي. تعالى، جبت لك بدلة، طبعاً مش جديدة أوي لكن تقدر تمشي حالك بيها كام يوم.

– تسلم إيدك.

– وده كام قميص كده إداهم لي الأسطى بتاعي، بتوع ابنه. أهو واحد ولاّ اتنين فيهم مقاسك، جربهم.

– تسلم إيد الأسطى بتاعك. خدامه والله!

ارتدى فرهاد البدلة وقال مبتسماً:–

– مش بطالة، زيّ ما تكون اتخيطت لجسمي، جبتها منين؟

– اشتريتها من بياع متجول. كان بيقول إن صاحبها مات من يومين وهدومه جات له!

– إيه؟ اشتريت لي هدوم واحد ميت؟

– كنت باهزر يا عم، أدّ إيه إنت ساذج؟

– قبل كده أنا كنت مخطط وبعدين وقعت في سائل مبيض، فبقيت سادة!

– الله يبارك لك! ماتزعلش وإنت تبقى حاجة.

– بجد أنا صدقت إنها بتاعة راجل ميت! والله جاكتته كانت بتفوح بريحة الميت!

– أكنّه الميت له ريحة؟ ماسمعتش عن الميت اللّي له ريحة.

– معاك حق، الأيام دي حتى الميتين مالهومش ريحة ولا ملامح!

– أيوة صح، زيّ سعادتك.

– صحيح أنا عندي لك خبر حلو.

- خير؟ إيه هو الخبر الحلو؟!

- لمّا كنت سيادتك مش موجود بدأ البحث والتفتيش ولقيت إن البراد والكنكة والبوتاجاز انضافوا كمان لقايمة السيد بهروز.

- يعني أخد دول كمان؟

- بعد إذن سيادتك، أيوة.

- العفو، إننا في إيد السيد بهروز. دوّر تاني يمكن تكون حاجة اتنست.

- حضرتك صاحب البيت، وحصر اللّي فيه مش في إيدي.

- إزاي قدر في نص الليل ياخد كل الحاجات دي معاه؟ وإزاي إحنا ماصحيناش؟ يعني ماعملش أي دوشة؟

- الحرامي لو عمل دوشة مايبقاش حرامي.

- أيوة، لأول مرة في حياتك تقول كلمة صح.

- تسلم ايدك! ودلوقتي هنعمل إيه في جوع المعدة؟

- البس الهدوم، وروح اشتر لنا كام ساندوتيش وهاتهم، أنا رجلي مفيهاش حيل تاني. يالاّ, الفلوس أهه، وروح وريني هتعمل إيه، خلّيك ساذج وهات لنا معاك غول تاني؟

- حتى لو جبته، مافضلش حاجة علشان ياخدها.

- صح ماسابش حاجة للحرامية التانيين! أيّ حرامي هيحط رجله هنا هيتعطف علينا بحاجة, من باب الرحمة ويمشي.

- باقول إن دي شغلانة دخلها كبير ومفيهاش وجع دماغ! إيه رأيك لو نبقى حرامية يمكن نوصل لحاجة!

- روح يا بني يا حبيبي، روح، لحد دلوقتي ده حالنا فما بالك لو حبينا ناكل حرام. روح وتعالى بسرعة لأن عندنا شغل كتير.

- لو اتاخرت ماتقلقش، أنا عايز أتصل بالمتجر.

- أيّ حاجة عايز تعملها اعملها، بس ارجع بسرعة.

في تلك الليلة وفي أثناء ما كان فرهاد وشهريار منهمكين في مراجعة معدل الخسارة، توجه شهريار إلى فرهاد وقال:-

- مش سيئة أوي برضه، على الأقل مبقاش عندنا كراكيب كتيرة في العفش.

- عفش؟

– أيوة، امبارح مكانش فيه فرصة أرغي معاك. اليوم ده كان مشؤم من أوله. امبارح العصر لمّا رجعت من الشغل، كان صاحب البيت في أوضته. فقابلني في الحوش وبعد المقدمات والذي منه، قال إننا نسيب الأوضة على أول الشهر.

– ليه يا عم؟ إيه اللّي حصل؟ ما إحنا دايماً بندفع له الإيجار في معاده.

– هو مش متضايق مننا. بس قال إنه عايزها علشان ابنه هيتجوز، وعايز البيت يبقى لابنه وعروسته.

– وإنت قلت له إيه؟

– كان المفروض أقول إيه؟ مش هنتخانق مع بعض، فقلت على عيني هادوّرعلى بيت تاني.

– ماعتقدش إننا نقدر نلاقي أوضة بالإيجار ده.

– أنا برضه متهيألي كده.

– يعني زود الطين بلة! ودلوقتي يالاّ كملها، يعني بالشكل ده هتبقى مطّرت علينا من كل ناحية!

– وإيه العمل، لازم ندوّر ونلاقي جحر فار تاني. في النهاية هتتعدل. ماهو دايماً الباب اللّي على مفصل واحد مايدورش.

– كل ده كلام فارغ! ومين اللّي مهتم بينا؟ وربنا كمان ظلمنا.

– ماتكفرش يا بني واحفظ لسانك. اليأس من عمل الشيطان.

– يعني إذن من بكرة لازم نسيب عتبتنا ونروح ندوّر على أوضة فاضية.

– لمّا ارجع من الشغل بعد الظهر هاروح أدوّر على أوضة. وإنت ماتزعلش، أنا امبارح عاينت كام مكان.

– حالتي مش ولابد. مدير المتجر ماوافقش إني أقسط خسارته. عايز يخصمهم مرة واحدة.

– مش مهم، مش هنموت من الجوع، في الآخر هتتدبر.

– عارف ده معناه إيه؟ يعني أقعد شهرين أمص السماق[1]! وده بشرط إنه يبقى عندي فلوس لشراء السماق.

– ماتشغلش بالك، أنا هاشتري لك السماق، مص إنت بس!

– قوم خلّينا ننام علشان ماتعصبش أكتر من كده، عمرك ماهتخلص من الترتيب والتنظيم.

– ده شعاري دايماً إوعى تنسى، إن المشاكل لازم تتواجه.

---

[1] – الحصرم المدقوق

- السيد المحترم دايماً بيرفع معنوياته، لو كان الأسطى العزيز بتاعك ده ما أسفعكش، كنت عرفتك مين اللّي لازم يمص السماق!

ذهب فرهاد وشهريار بأفكار مشتتة إلى الفراش، وقاوم كل منهما خواطره المضطربة حتى غلبهما النوم في النهاية.

«٥»

في نهاية الأمر وبعد أسبوعين من البحث المتواصل، تمكن الاثنان من أن يؤجرا حجرة في سرداب رطب ومظلم لأحد المنازل القديمة بسعر رخيص ومناسب. كان فصل الخريف قد انتهى، وكانوا يتحملون البرودة المضنية بصعوبة، وكانا لا يزالا لا يستطيعان أن يعوضا الخسارة التي ألحقها بهما بهروز. حيث أنفق فرهاد راتبه عن ثلاثة شهور تعويضاً لخسارة المتجر والقرض الذي عليه لجمال، وكان يعيش خلال تلك المدة عيشة ضنكا.

كان شهريار قادراً فقط بأجره الذي يحصل عليه على أن يوفر لهما المأكل والملبس وإيجار المنزل. وأحياناً كان يحدث أن ينام كلا الصديقين بمعدة جائعة في برودة السرداب الشديدة حيث كانت تنهال الرياح والبرودة القاسية من بابه وجداره. ومن أجل تدفئة أجسادهما كانا يستخدمان كيساً به ماء ساخن أو يحتضن كل منهما الآخر حتى يحصلا على التدفئة من حرارتيهما. كم من أيام كان فرهاد يجمع خلالها أعقاب السجائر من الأرصفة، ولم يكن يملك حتى ديناراً واحداً لشراء لقمة خبز.

وبمجرد أن سدد فرهاد القرض الذي عليه ودفع خسارة إهماله خرج من المتجر ولم يكن مستعداً أن يواصل العمل في ذلك المكان ثانية. وعلى الرغم من معارضة شهريار الشديدة لفرهاد، إلا أنه تكفل بنفقاته كالمعتاد وكان ينفق كل ما يحصل عليه عن طيب خاطر من منطلق الإخلاص، وكان كلاهما ينتفعان من هذا الدخل القليل. وفي القبر المظلم والرطب، كانت شمس الشتاء الضعيفة لا تجد طريقاً إليه.

جرب فرهاد حظه مرة أخرى في الحصول على عمل. وبعد أسبوعين من السعي قُبل في النهاية في محل صغير. وهناك كان مضطراً للعمل لمدة ثماني ساعات يومياً وأحياناً لمدة عشر ساعات، وكان يدير أموره بأجر يعادل اثني عشر ألف طومان في الشهر، وكانت وظيفته هي لف سلوك المواتير. وبالرغم من أن راتبه لم يكن يغطي كفاف معيشته إلاّ أنه كان متعلقاً بعمله. كان كلا الصديقين يبذلان أقصى ما في وسعهما. وكان السعي اللاهي دون طائل تبعاً لقول فرهاد هو فقط مضيعة للوقت وإفناء العمر فيما لا معنى له. كان يعمل من الساعة السابعة صباحاً وحتى الرابعة بعد الظهر دون انقطاع ومؤخراً كان يعمل ساعتين أو ثلاث ساعات إضافية لكي يحصل على أجر أعلى. وفي تلك الأثناء أصيب بنزلة برد شديدة ومرض بشدة ولزم الفراش. وطوال الفترة التي كان مريضاً فيها كان شهريار كالصديق الوفي وعمل على خدمته وتابعه بإخلاص. استغرق مرض

فرهاد أسبوعاً وعندما استرد عافيته وعاد إلى العمل، أدرك بكل أسف أن عاملاً شاباً كان قد شغل مكانه.

ذهب فرهاد – الذي يبدو أنه كان قد تعلق بعمله ولم ينتظر تلك القسوة – إلى صاحب عمله واعترض:–

– يا راجل يا محترم، علشان تعبت يومين تدي مكاني لحتة عيل؟

– إلزم حدودك وماتعلّيش صوتك عليّ. إنت مش بتاع شغل وإلاّ ماكنتش رحت أسبوع تلف الدنيا، وبعدها تيجي وتتبلطج عليّ.

– إيه الكلام ده، أنا كنت عيان من أسبوع ونايم في السرير. المخروبة بتاعتك دي من كتر ما هي باردة عيّتني.

– ٢٠عامل بيشتغلوا هنا، إزاي إنت بس اللّي جالك برد؟! ودلوقتي على قولك إن كنت تعبت في المخروبة دي، يبقى رجعت تاني ليه؟

– رجعت علشان محتاج للشغل.

– وأنا مالي يا أستاذ، أنا مش ملزم بيك علشان أفضل أديلك مصروفك لآخر العمر.

– مايكونش باطلب منك صدقة؟ أنا كنت باشتغل ليك.

– ومبقاش فيه شغل تاني علشان أديهولك. لمّا ماجيتش افتكرتك مش عايز تشتغل عندنا تاني، وعلشان كده دوّرت على واحد تاني.

رأى فرهاد أن الجدال مع هذا الرجل لا فائدة منه، لذا سيطر على نفسه قليلاً وحاول أن يهدئ نفسه. وسأله هذه المرة بلهجة مملوءة بالرجاء:–

– يعني في كل المكان ده مفيش مكان تديهولي؟

– لا والله مبقاش عندنا مكان. ولمّا إنت كنت عيان، كنت تدينا خبر. أنا ماعرفش علم الغيب وإنك عايز ترجع تاني.

– حرارتي كانت ٤٠، ساعتها ماكنتش باقدر أروح لحد الحمام يبقى إزاي كنت هاقدر آجي وأدي لحضرتك خبر؟

– كنت تقدر تتصل بالتليفون. كنت كلفت أبوك، أخوك، عمك أو أيّ حد إنه يدينا خبر علشان نحجز لك مكانك.

خرج فرهاد من ذلك المكان يائساً محبطاً. ومرة أخرى ذهب إلى إسماعيل وطلب منه المساعدة. فقال إسماعيل بغضب خفيف:–

- إنت خرجت من المحل ليه؟ هتلاقي مكان أحسن من هناك فين؟!

- يا سيد اسمال عارف إني غلطت لكن مكانش قدامي طريقة. خدمت ٣ شهور وما أخدتش ريال واحد. وماقدرتش أصبر شهر كمان، الواحد له مصاريف، ومفيش معدة بتتملي بالهوا.

- كنت جيت لي، وأنا كنت حليت مشكلتك بأيّ شكل، كنت سلفتك فلوس علشان تعيش بيها بأيّ شكل لحد ما ييجي أول الشهر.

- حضرتك مابخلتش عليّ، وفي الآخر كنت لازم هاردهم لك والدينار ده زيّ ده، يتاخد بالإيد دي ويتصرف بالإيد دي!

- طيب دلوقتي عايز أعمل لك ايه؟

- ربنا مايذلكش يا سيد اسمال، عايزك تشوف لي شغل تاني.

- تحب أوصّي عليك علشان ترجع المحل مرة تانية؟

- لأ يا سيد اسمال، أنا ومدير المحل مابنتفقش مع بعض. ودلوقتي بعد الحادثة دي مش هيبقى لي وش أرجع هناك. لو كانوا طردوني كان الوضع يختلف.

أومأ إسماعيل برأسه وقال بعد انتظار طويل:-

- وهو كذلك، دلوقتي هاشوف أقدر أعمل ايه علشانك.

- وهتبلغني إمتى؟

- الشغل مش في كمي، لازم أدوّر وألاقي لك مكان كويس ومناسب علشان تستمر فيه. مش عايزك تيجي بعد يومين وتقول إن الشغلانة دي مش كويسة وشوف لي واحدة تانية.

- مكسوف منك يا سيد اسمال، وربنا يحفظك، عظمة كبيرة والله.

- كام يوم كده، وعدي عليّ علشان أقول لك عملت ايه.

غادر فرهاد محل إسماعيل وعاد إلى منزله. وفي نفس الليلة تحدث مع شهريار بخصوص هذا الموضوع.

- رحت الدكان النهاردة لكن سهمي صادف حجر.

- إيه اللّي حصل تاني؟ إنت ساعة ما بتفتح بقك الواحد يفهم إنك ناوي تقول مصيبة.

- اللعنة على الحظ ده اللّي لا ليه باب ولا سحنة! علشان غبت يومين يدوا مكاني لشخص تاني.

- بتتكلم بجد؟ مش قلت لك، دايماً أخبارك حلوة!

- صاحبك إياه قال ليه ماديتش خبر إنك عيان وأنا كنت حفظت لك مكانك.

- كويس كان بيتكلم صح.

– في درجة الحرارة المولعة دي مين كان هيفكر في كده؟ أنا مكانش عندي أمل إني هاعيش لبكرة، وكويس إن إنت بنفسك اللّي كنت بتمرضني.

– ليه مجاش في بالي إني أعمل كده؟

– قلت له يا سيدي يا حبيبي أنا نجيت من إيد عزرائيل، فيالاّ اتصرف برجولة وادينى شغلانة، قال مبقاش عندنا مكان. القصد إنه أياسني تماماً.

– مش مهم، تسلم روحك. دلوقتي هتزعل وتعيا تاني وتنزوي في البيت. في الأيام إياها حالتك كانت سيئة جداً وأنا بصراحة الخوف اتملكني. فكرت إنك ممكن تموت!

أخرج فرهاد سيجارتين من العلبة. أشعل واحدة لنفسه والأخرى لشهريار وأجاب:–

– غلطت فى الحساب! أنا حتى ما باكلش الحلاوة بتاعتك وما بفكرش في الموت!

– عارف، ماهو الأكتر دناءة منك هو إنت برضه!

– أنا اللّي مش قادر أواجه لسانك ده. القصد يا سيدي إني رحت للسيد اسمال.

– كويس؟

– كويس، ورد على جمالك، السيد اسمال سلم عليّ بحرارة! ويا له من سلام كان أسوأ من ١٠٠ شتيمة.

– إزاي؟ يعني ماستقبلكش كويس؟

– هه، فهمت ولاّ مفهمتش أهو زيّ ما بتقول كده. سألني أنا عامل إيه؟ قلت كالمعتاد باواجه مشكلة. قال مشكلة إيه؟ قلت والله المشكلة مش واحدة ولاّ اتنين! قال قول بس واحدة منهم كفاية. قلت كالمعتاد بادوّر على شغل. قال روح في داهية وجود المحترم اللّي زيّ حضرتك ماينفعش في الشغل! ومكانش فاضل حاجة غير إنه يطردني بالشلوت.

– إيه يا عم الكلام اللّي بتقوله ده ماتكونش لقيت ودن ببلاش؟! بقك عامل زيّ الجرادة اللّي بتحوم زيّ الهوليكبتر!

– آهه، يا سلام أنا حزين علشانك. افتكرتك إنسان! ما هو أنا لو ماتكلمتش هانفجر والله. أكنّك ماسمعتش اللّي بيقولوا إن المسحوب من لسانه عرضة للخطأ!

– نهايته قول إيه اللّي حصل؟

– إنت مابتديش فرصة إن الواحد يكمل كلامه وعامل زيّ الديك اللّي بيدن في غير وقته.

– ماشي يا حبيبي كمل كلامك، غلطنا.

– الله يبارك لك. دلوقتي بقيت إنسان فاضل! القصد، قال لي روح وتعالى بعد كام يوم علشان أقول لك فيه شغل ولاّ لأ.

– الله يرحم أبوه لأنه مارفضش يجاوبك.

– لأ، لكن باين من كلامه إنه زعلان مني. قريت في عينه إنه كان نفسه يقول لي روح موت، إنت لو كنت دوا مسهل كان مكانك بقى الصيدلية!

– يا صديقي المدلل إنت فقدت مصداقيتك بسبب أفعالك. ومحدش هيعمل لك حساب تاني. وعلى أيّ حال على رأي الشاعر:–

الحرقة يعلمها الملتاع فقط والشمعة علمت لماذا تضحي الفراشة بروحها!

إحنا اللّي بنولع النار في نفسنا.

– جميل جميل! الشعر ده بتاعك؟

– حلو يا سيدي، اقتبسته من صاحبه! ما علينا، كنت عايز أقول إننا صحيح في ضيق في المعيشة لكن لحد دلوقتي مامتتاش. وهنتحمل الوضع ده تاني بأيّ شكل لحد ما باب الرحمة يتفتح في وشنا. وعلى رأي حافظ، عشق المدلل طريق البلاء.

طأطأ فرهاد رأسه وتطلع لطرف إصبع قدمه الذي كان قد خرج من ثقب الجورب وأجاب:–

– أيوة وحياتك، ما هو سماع صوت الطبلة حلو من بعيد! أيّ باب رحمة؟ إطمّن مش هيحصل حاجة! إحنا عمرنا ما هنشوف لون الحظ الحلو في حياتنا.

– لعاشر مرة بتغلط يا عزيزي، أنا أعترض بشدة على الأسلوب ده في التفكير وهاعلن الحرب عليك.

– إنت كلب مين يعني!

– للأسف إحنا الاتنين مختلفين تماماً عن بعض من ناحية الطباع.

أيّد فرهاد كلامه بحركة من رأسه وقال:–

– أيوة والله زيّ ما بتقول كده. إنت تلقائي وعلى الفطرة وعايش من غير حساب! أنا وإنت عمرنا ما هنشوف الهنا.

– وتعرف منين؟

– أعرف منين؟ السنة الحلوة بتبان من ربيعها. مش شايف أحوالنا دايماً بتتغير للأسوأ!

- إنت اتعودت لمّا تقع في أيّ مشكلة تتزوي في ركن زيّ مالك الحزين وتحزن. إنت عارف أصلاً عايز تعمل إيه في نفسك؟ أنا معاك ما بتجاوبش ليه؟ مايكونش باتكلم مع حيطة؟ مفيش حاجة تجاوب بيها؟

- ماتتنرفزش أوي كده يا صاحبي، هتعجّز بدري وتمشي.

- جاوبني، ليه حاسس بكل الإحباط ده ويائس من الحياة؟

**- وليه ميأسش؟ للأسف أنا عصيت واتطردت من جنة ربنا. ما هو الواحد مش هيبقى محترم بالعافية.**

- وليه ما يبقاش؟

- لأن قرقرة معدتك هتطلع للسما السابعة من الجوع وساعتها هتحَمر وشك بصفعة وتوهم نفسك إنك محظوظ. يا صديقي العزيز الحظ هرب مني ومنك ليه إنت مش فاهم. وعلى رأي المثل إحذر من ذلك اليوم الذي تتحول فيه الأوراق. ودلوقتي ورقتنا اتحولت.

لأ اسمح لي أنا غلطت، ورقتنا متحوله من أول يوم. أنا ماشفتش يوم واحد حلو في حياتي، لا عندي أب وأم كويسين، ولا فلوس أتاجر بيها، ولا تعليم يتعمل له حساب ولا حظ أسعد به. في الزمن ده علشان تتكلم مع حد هيبقوا عايزين يستغلوك ويبيعوك بلّوشي. في الواقع الصديق المخلص بقى خرافة! خصوصاً من ساعة ما خرجت من البلد، في التوهة دي بقيت مشرد على الآخر.

**- ماتتمرعش عليّ يا صاحبي! كويس إن أنا عارف أصلك كله. يعني وإنت هنا مصدرش منك أي غلط!**

- أيوة جايز، ما هو لو كنت رضيت بنفس العيش والرايب ماكنتش بقيت في نظرك إنت والسيد اسمال واللّي زيكم إنسان عديم الأصل. صحيح إنك شايل نفقاتي وإني حمل عليك ودايماً باكون سبب إزعاج ليك، لكن لسه مبقيتش مقلس وحقير بالدرجة اللّي تخلّيني أمد إيدي لأيّ حد وأشحت منه لقمة عشايا.

- أنا قلت إيه وإنت جاوبتني بإيه؟ زيّ ما يكون طلع لك قرن الليلة وعايز تنطحني! إيه يا حضرت، ماتهزليش شفايفك بالشكل ده! أنا كنت عايز أرفع معنوياتك بالكلام ده. وكنت عايز أفهمك إن الحزن والإساءة بالكلام على الخلق مش صح أبداً. للأسف إنت مافهمتش كلامي. فيه بينا اختلاف فكري لأبعد الحدود.

أشعل فرهاد سيجارة أخرى وقال بكدر:-

- يبقى من الأحسن إنك تتكتم وتسكت.

– لأ مش هاسكت. ولازم أفهّمك إنك بتفكر غلط. إنت تحب كل حاجة تبقى على كيفك ومزاجك. يعني تبذل مجهود قليل وتاخد فلوس كتير لكن ده مش ممكن. مستحيل أصلاً! يعني لسه مبقيتش عنب وعايز تبقى زبيب! من يوم ما جيت طهران من سنتين وإنت بتتمنى يكون عندك قصر، وعايز يدولك شغلانة مريحة ومن غير تعب وبمرتب كبير ويعاملوك بأدب واحترام. لكن ده ماينفعش!

– إنت بتحب دايماً تكلم الكل من فوق. وماتبّينش نفسك قدامي بمظهر الشخص الناصح بالشكل ده علشان الكلام ده مايدخلش دماغي.

– أنا زعلان عليك يا صاحبي العزيز. طريقة تفكيرك وتركيبة شخصيتك بالشكل ده ما تكونش إلاّ لأحمق. ومالكش مسمى تاني!

– كتر خيرك. ودلوقتي قريت أربع كتب وهتفتكر إنك بقيت علاّمة الزمان!

– كلامي مالوش أيّ علاقة بقراءة الكتب. أنا مش إنسان مغرور وباتضايق من اللّي بيتظاهروا بالثقافة وهمّ فاضيين. دول مفيش أيّ فرق بينهم وبين البقر والخرفان. أنا مش عايز يبقى لي حياة مبتذلة. ومش عايز أخدع نفسي بآمال واهية. ومش عايز أقعد في ركن واتحسّر على الحاجات الحلوة.

– أمّال مالك؟ بتتمنى إيه؟

– كل إنسان لازم يتمنى في نفسه إنه يوصل للكمال و...

– كفاية، كفاية، كفاية اللّي قلته لحد هنا. لو هاخد كل كلامك لبياع خضار مش هيديني بداله ولو حزمة فجل. إيه اللّي بتغني بيه في صرصور ودني ده!

– أمّال أتكلم عن إيه؟

– أصلاً مش لازم تتكلم معايا. لحد هنا كفاية. كل اللّي كنت عايزه فهمته.

– فهمت إيه؟

– إن كل ده متعلق بيّ. شوف يا صاحبي، لحد النهاردة أنا وإنت كنا أصحاب مع بعض. إنت استحملت مني كتير ورضيت بأسوأ الظروف اللّي حصلت لي، فربنا يعوض عليك، ولو قدرت في يوم من الأيام أكيد هاعوضك، ولو ماقدرتش سامحني. وبعدين عايز أقول إن من بكرة صداقتنا تقف عند حدها، عايز أرجع أدوّر على أوضة. هاتبسط لو بقيت لوحدي وأقف على رجلي من غير مساعدة حد.

– إذن واضح إنك زعلت من كلامي!

- لأ والله، ومبدئياً أنا متشكر لك جداً إنك فتحت لي عيني وودني، كنت لازم آخد قراري بدري عن كده لكن مافهمتش واتصرفت بحماقة.

ودون أن يستمر فرهاد في ذلك الحديث، ألقى بعقب سيجارته في مطفأة السجائر. وبسط سريره وذهب إلى الفراش وترك شهريار وسط الحيرة والدهشة. أشعل شهريار سيجارة وأخذ يفكر، وعلى الرغم من معرفته بفرهاد شعر أنه قد تضايق، وبالرغم من أنه كان مؤمناً بحديثه إلاّ أنه كان يرغب في الاعتذار إلى فرهاد. فكر قليلاً ووصل إلى هذه النتيجة وهي أنه من الأفضل أن يؤجل الاعتذار إلى وقت أنسب.

وبعد تدخين سيجارتين على التوالي، انزوى هو أيضاً في فراشه. توجه كل منهما للنوم في صمت وكل منهما ظهره للآخر، لكنهما كانا مستيقظين ويفكران، تارة يتحرك فرهاد في مكانه وتارة شهريار، لكنهما لم يتخذا أيّ خطوة من أجل الصلح. كل منهما كان لديه إحساس مشترك، ويعاني من الوضع القائم. في النهاية وعند منتصف الليل علا صوت شخير فرهاد وغط شهريار أيضاً في النوم.

في صباح اليوم التالي، بعد استيقاظ شهريار من النوم، أعد الإفطار، وبسط المائدة على الأرض. وبعد ارتداء ملابسه، خرج من المنزل لشراء الخبز. كان ثلج شديد قد كسا المدينة وهبت برودة قاسية.

رفع شهريار ياقة معطفة ودس يديه في جيبه، ووقف في صف مخبز العيش. أتى دوره بعد ربع الساعة، فأخذ الخبز وذهب إلى محل البقالة، واشترى مقداراً من الجبن وعاد إلى المنزل بحذر وكان فرهاد لا يزال نائماً.

وضع شهريار الخبز على المائدة وأدفأ يديه بأنفاسه واتجه صوب فرهاد. أزاح البطانية عن وجهه بهدوء وهزّ كتفيه، فتح فرهاد عينيه فقال شهريار مازحاً:-

- لو قلت أنا مين هاديلك شيكولاته جايزة!

نظر إليه فرهاد في صمت، فواصل شهريار حديثه:-

- سلام، إيه أحوال اللّي ما يتسمي؟

كان فرهاد ينظر إليه في دهشة.

- بتبحلق في إيه! تكونش شفت عفريت؟!

ابتسم فرهاد بسخرية وأجاب:-

- يا ريتني كنت شفت عفريت! افتكرت كابوس جه ناحيتي!

– الفطار جاهز، فلو سمحت تتعب رجليك وتتفضل!

– يندق على دماغك، مش هاكل.

– قوم وماتدلعش. ده علشان خاطر سيادتك رحت في البرد ده وجبت عيش "سنگك"[1] المقرمش ودلوقتي تجاوبني بالشكل ده!

– مش عايز عيني تقع عليك لحد ما القيامة تقوم.

– ليه؟ هو أنا احتلت عليك؟

– بصراحة مفيش أدب، بالكلام ده اللّي قولتهولي هاكلمك تاني إزاي؟ ده لو حجر كان داب.

– انسى يا صاحبي.

– مينفعش، هو كل واحد هيتخانق ويتعارك معايا، في الآخر أنا هارد لك حسابك في يوم من الأيام.

– يا سيدي يا حبيبي أنا رفعت الراية البيضاء وكتبت عليها إني غلطت، عايز إيه تاني؟! قوم شوف التلج بيّض كل الأماكن.

– يا سيدي، مش أنا قلت إننا مالناش حظ. ما هي بتمطر نحس للإنسان سئ الحظ من الأرض والسما! يعني النهاردة مثلاً كنت عايز أروح أعدّي على كذا مكان. ويا للحظ النحس.

– ها يا عمي هتأجل ليه، يالاّ.

– هتكون معايا؟!

– أيوة هاكون معاك.

– بس أنا مش عمك!

– يا ريتك كنت، ساعتها كنت اشتكيتك لأبويا! دلوقتي تعالى بسرعة علشان العيش مايبردش ونتحسر. من كتر جوعي زيّ ما يكون ٢ ساموراى بيلعبوا بالسيف جوايا! اللعنة قوم بقى! اجري.

– مين فيه حيل للجري!

– خلاص اركب المقشة زيّ الساحرة العجوز وتعال.

– وحياتك سجادة سيدنا سليمان أفضل!

وبعد أن غسل فرهاد يديه ووجهه جلس على المائدة وهجم على الخبز والجبن.

– تتكسر إيدك، بقى لي فترة ما أكلتش عيش سخن ومقرمش.

– ده بس علشان خاطر صداقتنا القديمة ومحبتنا تغاضيت عن إهاناتك وسامحتك! ودلوقتي اتسمم علشان ماتتأخرش على القافلة!

---

[1] – نوع من الخبز توضع الحجارة الصغيرة في عجينه لينضج جيدا.

- من عيني، مستني إذن سيادتك.
- إنت معجون بكل أنواع الشر!
- إنت كمان إنسان لسانك سليط، لكن بالرغم من كل ده مبسوط منك!
- بعد إذنك، ده بس من رزالتك!
عندما وصل الإفطار لمنتصفه، قال شهريار لامزاً:-
- النهاردة لو عندك مجرفة هتتغنغ. كنت قدرت تكنس التلج عن كام بيت وتاخد أجرة تمام!
- مالكش دعوة، أنا عارف هاعمل إيه. ومحدش يقدر يكتب لي وصفة، مش عايز أيّ حاجة من حد.
- الله يبارك! اتغيرت من إمتى لإنسان نابغة كده!
- العبد لله اتولد نابغة من الأول. نابغة بالتمام والكمال! روح إنت فكر في نفسك!
- أنا كنت نابغة في الأول، لكن من ساعة ماصاحبتك وعين نبوغي جفت. إنت شيطان!
- هه افتري عليّ واستهزأ بيّ، وآخرتها هتاكل خشبها.
- شوف، كفاية كده، ويالاً مانتخانقش مع بعض تاني، ماشي؟
- ماشي.
- إذن خلّيك في حالك!
- من عيني.
نحى الصديقان الغضب جانباً ومرة أخرى عاد الصفاء والحميمية بينهما. انتهى الإفطار، وأخذ فرهاد الشال والقبعة وخرج من المنزل برفقة شهريار.
- أملي فيك يا رب.
قال شهريار ذلك وعزم التوجه إلى محل عمله. واتخذ فرهاد طريقه أيضاً وواصل السير. كان يخطو بحذر وسط الثلوج لكي - لا قدر الله - لا يسقط على الأرض. لم يكن قد ابتعد عن الشارع بعد عندما جذبت انتباهه محادثة بين رجلين.
- بالليل مابيكونش فيه أمان أصلاً في المناطق دي يا سيد مرتضى.
- أكنّه حصل حاجة تاني؟
- أيوة فداك! إمبارح نهبوا محل تاني برضه.
- ولاد الحرام! والتحقيق انتهى لإيه؟

- أبداً يا عم، قلبك طيب! كذا مرة أخبرنا قسم الشرطة علشان يبعتوا هنا ظابط لكن مين اللّي يسمع فداك! أحياناً كانت بتلف عربية دورية بالليل، وتراقب المناطق وتمشي.

- أنا كمان قلقان أوي، من ليلة ما جردوا دكان "حاجي" ماقدرتش أنام ليلة واحدة في راحة.

- معاك حق يا سيد مرتضى، آجلاً أم عاجلاً دورنا جاي.

- كنت باقول لازم ندوّر لنا على حارس ليلي. واحد يحرس المنطقة دي من بالليل لحد الصبح ويقفش الحرامية.

- أيوة فداك، أنا كنت فكرت في كده برضه. لكن الحارس الليلي ده هنلاقيه فين؟ شباب منطقتنا ماعندهمش العزيمة، وماحدش هيسيب النوم والراحة وسريره الدافي الناعم وييجي يحرس فلوسنا أنا وإنت، حتى ولو كان هينتفع من المسأله دي.

- لازم نغريهم.

- إزاي فداك؟!

- بالفلوس! نقترح أجر كبير. وناخد أجرته من تجار المنطقة.

- والله أنا مستعد أدفع نصيبي مقدماً لكن مين الشخص ده؟

ذهب فرهاد - الذي كان قد استرقَ السمع - مع سماع آخر جملهما إليهما مبتسماً، وكان كلا الرجلين منهمكين بالتباحث إلى جوار باب المحل. دخل فرهاد محل البقالة ومع رؤية السيد مرتضى لزبون، اقتطع حديثه وتحرك إليه، ووقف الشخص الثالث كما هو إلى جوار الباب وحكّ يديه اللتان كانتا قد احمرتا من البرد ببعضهما. في البداية اشترى فرهاد علبة سجائر، ثم تجرأ وخاطب الرجل قائلا:-

- آسف يا سيدي، لمّا كنت معدي سمعت كلامكم من غير قصد. فقلت لنفسي يمكن أقدر أحل مشكلتكم.

- إزاي؟

- لو مش غلطان إنتم بتدّوروا على غفير.

- مش على غفير، على حارس.

- وهتفرق إيه، ما هو الحارس برضه لازم يلف للحراسة في المناطق دي بالليل، صح؟

- أيوة صح، وبعدين؟

- أنا مستعد أشتغل عندكم.

- نظر الرجل لهيئته وسأله متحيراً:-

- حضرتك؟!

- أيوة أنا، فيه إيه؟! لو أجرتها كويسة مستعد أقبل الشغلانة دي.

ضحك الرجل واتجه إلى الباب وصاح:-

- يا سيد عباس اتفضل يا أخي.

دخل عباس ومسح مخاط أنفه بمنديله وقال:-

- إيه اللّي حصل فداك؟

- تعال يا سيد عباس، اللّي كنا بندور عليه في السما جالنا برجليه.

اقترب منهما عباس وقال:-

- إيه اللّي إنت بتقوله ده فداك؟ ماقهمتش!

- الأستاذ ده جه علشان الشغلانة إياها.

- شغلانة إيه فداك؟ بتقول ألغاز ليه؟

- يااااه، شئ غريب جداً! كنا من دقيقة فاتت بنتكلم عن إحضار واحد شجاع، جميل أهو ربنا بعته.

تفحص عباس فرهاد من رأسه حتى قدمه وبالعكس بحيرة وبعد ذلك سأله:-

- يعني حضرتك؟

ضحك فرهاد وأجاب:-

- أيوة فداك!

ضحك عباس وضرب بيده علي كتفه وقال:-

- أنا مبسوط منك أيها الشاب، لكن فداك إنت عارف إيه اللّي المفروض تعمله؟

- أيوة، المفروض إني أحرس المنطقة علشان الحرامية يهربوا.

- لكنها مش بالسهولة دي.

- أمّال إزاي؟

- الواحد لازم يبقى عنده قلب أسد.

- جميل وإحنا عندنا.

- وبعدين كمان لازم يفتح عينه وودنه كويس.

- وده كمان من عيني، إحنا هنبذل كل اللّي في وسعنا.

- الحرامية دول ناس جبارين.

- مايكونش حضرتك تعرفهم؟!

– لأ، لكن بالشكل ده ريحتها فاحت، كلهم أشداء فداك! وعددهم مش قليل، يعني أكتر من مجرد واحد أو اتنين.

– مش مهم، خدامك يقدر يتصدى لهم كلهم لوحده.

– اشتغلت في الشغلانة دي قبل كده؟

– لأ، بس اتخانقت كتير وعاشرت كل أنواع الأندال!

– الله يبارك في شجاعتك!

– بس قولولي أولاً المفروض أحرس إيه أكتر وفين؟ ثانياً هيوصلني أدّ إيه؟

أجاب السيد مرتضى هذه المرة:–

– النوعية دي من المشردين والأوباش بيهجموا على كل حاجة. من تجريد المحل لحد سرقة لوازم وإطارات العربيات وأجهزة الراديو. وزيّ ما يكونوا ختموا على منطقتنا! وإنت لازم تفتح عينك ودنك كويس علشان ...

تدخل عباس أثناء حديث مرتضى وأضاف:–

– علشان الحرامية مايعملوش مصايب، وأجرتك من عينينا.

– مش هيحصل تاني، بخصوص الشغل بادّي كلمة رجاله إني هاشمشم في كل مكان زيّ كلب الحراسة ومش هخلّي رجل الحرامية تهوّب المنطقة دي، طبعاً بشرط تعيين حدود مسئوليتي. لكن زمان قالوا الأخوة في محلها، والأول لازم يبقى معروف أنا هاتقدر بإيه. وعايز أعرف قيمتها تستاهل إني أخاطر بحياتي بسببها ولاّ لأ؟

– أصلاً قول إنت فداك، عايز أدّ إيه؟

حكّ فرهاد أنفه بإصبعه وقال:–

– الأحسن تقولوا إنتم، أنا مش طماع أوى وعايز أعرف كرمكم أدّ إيه؟

نظر عباس إلى مرتضى وقال:–

–٣٠٠٠٠ طومان شهرياً كويس فداك؟ يعني الليلة بألف طومان.

مكث فرهاد، وعبس بعدم رضا وأجاب:–

– بالرغم من إن الشغلانة مليانة خطر، لكن هاقبل علشان خاطركم.

– ربنا يطول عمرك، كنت عارف إن في الآخر هيظهر لنا فتوة. بالحق إنت من أهل المنطقة دي؟

– تقريباً، يعنى عايش في الشارع اللّي بعده. جينا هنا جديد.

– يعني هتكون قريب من بيتك.

- أيوة، لكن ماقلتوش المفروض أحرس كام شبر من أرض ربنا؟!

- أنا هابيّن لسيادتك. إنك تاخد من أول الشارع ده وتروح لحد نهايته! بالقطع مسافته مش كبيرة، وإنت شفت بنفسك إنه شارع فرعي لا ليه حواري خلفية ولا أزقة كتيرة.

- وهو كذلك، جهّز العقد وأنا هابصم!

ضرب عباس على كتفه مرة أخرى وقال ضاحكاً:-

- دمك خفيف فداك، مش لازم عقد، من الليلة دي الشغل تحت أمرك، وكمان شهر تعالى هنا وخد مرتبك.

- وهو كذلك، وهابدأ الشغل من الليلة دي. فيه مشكلة إني آخد مرتبي ليلة بليلة؟

- وهو كذلك موافق، كل ليلة تعدي تعالى الصبح وخد فلوسك. وبالليل تقدر تعمل لنفسك ركن تولّع فيه نار وتعمل شاي لكن لحد الصبح إنت مجبر تمشي وتروح هنا وهناك.

- عارفين يا سيدي، حفظت الدرس عن ظهر قلب!

- إذن روح مع السلامة. روح وورّيني هتعمل إيه.

خرج فرهاد من الدكان سعيداً وراضياً. اقترب عباس من الباب وعندما اطمئن أن فرهاد قد ابتعد توجه إلى مرتضى وسأله:-

- ينفع إننا وثقنا في الشاب ده؟

- ليه ماينفعش؟

- باقول يعني مايكونش هو نفسه من عصابة الحرامية؟

- لأ يا عم مش باين عليه. هناخده ونشوفه، وآجلاً أم عاجلاً هيفضح نفسه وساعتها هنقبض عليه بسرعة ونخلّيه يقرّ على أصحابه. ماتخافش يا سيد عباس، هو مش منهم. وإلاّ مكانش جه برجليه لحد المدبح!

- معاك حق فداك ولتكن مشيئة الله. أنا هامشي وأروح المحل، لازم نستفتح الصبح.

- الله يرحم أبوك مين اللّي هاييجي في التلج والعاصفة التلجية دي ويشتري عجلة؟

- كلامك سليم فداك، بس هو بيع العجل شغل؟ لازم أغير شغلتي، ده أكل عيشي اللّي أبويا الله يرحمه سابهولي، حسنا، أنا ماشي.

- مدد يا علي، روح مع السلامة.

لم يكن فرهاد يعير تزلج الأرض اهتماماً، كان يسير بسرعة وقلبه مليئ بالسعادة. وصل إلى دكان شهريار. وفتح الباب وظهر أمامه فجأة.

– سلام على وشك القمر يا بني!

– سلام، إنت؟

– أيوة إحنا، أمّال كنت عايز مين؟

– ماكنتش متوقعك وفاجئتني تماماً!

– إحنا كده!

– تعالى أقعد جنب الدفاية وادّفى.

– وحياتك أنا سخن نار!

– إزاي؟ مافهمتش؟

– ماعندكش خبر يا بطل! الشغل، لقيت شغل!

– الله يبارك! مايكونش الشغل كان ورا باب البيت وإحنا مش عارفين؟ ولاّ يمكن كان مرمّي في الحوارى!

جلس فرهاد إلى جواره وتلفت حوله:-

– في القبر ده لوحدك؟

– إيه يا حضرت، ماتستهزأش بمكان شغلي، قبر ده إيه، هنا محل وأنا اللّي باديره، مفهوم؟

– الشيطان بيقول إشحت واتأنزح!

– الشيطان غلط، والإنسان مش لازم يسمع كلام الشيطان. خلّيك مؤدب شوية يا بني.

– يووه، اصرف نظر عن كلامك لحد ما نتفق مع بعض، وماتكلمنيش بخشونة كده لأن صاحبك ماتخيلش عليه الحاجات دي.

– للأسف، نهايته ماقلتش لقيت شغل إزاي؟

– قوللي الأول لوحدك ولاّ لأ؟

– قبل تشريف جنابك كنت لوحدي ومن غير أي راس حمار!

– يا عم ورد على جمالك، يا ندل إحنا دلوقتي بقينا راس حمار؟

– لأ يا عم بعيد عن الحمار! أنا إمتى قلت إن حضرتك حمار؟ وهاتهين الحمار ليه، حضرتك ماتساويش حتى الحمار!

– تتعمي العين اللّي ماتقدرش تشوف جمالي وكمالي! إحنا مش اتفقنا مانتخانقش مع بعض؟

– دي مش خناقة، ده بس هزار!

– روح هزّر مع عمتك. خسارة أنا مبسوط أوي وماليش نفس للخناق، وإلاّ كنت فهمتك مكيال الزبادي فيه قشطة أدّ إيه!

– حسناً، اتكلم يا بويا يا حبيبي.

– أولاً أنا مش أبوك.

– إنت تطول!

– ثانياً، صاحبك هياخد مرتب، ومش أيّ مرتب، الليلة بألف طومان، فاهم؟ وشهرياً ٣٠٠٠٠ طومان! ده حتى المهندس ما بياخدش أدّهم!

– ده مغسل أيّ ترب اللّي المفروض هتاخد مكانه؟

– إكتم أنفاسك واسمع.

نهض فرهاد منفعلاً. وشبك يديه خلف ظهره وبدأ في السير. اتخذت هيئته فجأة حالة من الجدية، فقال شهريار بلمز:–

– ها يا أحمق أدّ إيه بتماطل! بقى الشبرين دول مكان للتمشية؟ زيّ ما يكون بيتمشى في سوق الشانزلزيه في باريس! من الآخر هتتكلم ولاّ لأ؟

– بافكر يا بني.

– بتفكر في إيه؟

– بافكر في الغنى، بافكر إن كمان كام شهر هأقدر أبدأ طريق العظمة وأبقى إنسان محترم.

ابتسم شهريار بسخرية وقال:–

– يا خويا ذوق الأول وبعدين قول إنه مش مملح! لو ماكنتش شفت أبوك كنت ادعيت شوية شوية إنك ملك. سمعت عن اللّي حصل لواحد صاحبنا؟

– مين ده؟

– أقعد وماتنططش زيّ القرد كده علشان أكلمك.

جلس فرهاد فوق مقعد بجانبه وأشعل سيجارة فأضاف شهريار:–

– كان فيه عبد الله عنده فرخة، في يوم راح للفرخة وشافها باضت بيضة، شال البيضة وراح بيته وحطها جنبه، وقعد يحسب إنه لو جمع بيض الفرخة كل يوم و...

قاطع فرهاد حديثه فجأة وقال:–

– باقيتها عارفه بنفسي ومش محتاج تقوله.

– جميل أهي حكايتك بقى زيّ حكاية العبد لله، دلوقتي إنت لسه لا ليك ولا عليك ويتفكر في اللّي جاي! ودلوقتي بدل الحساب من الأحسن تدخل في أصل الموضوع.

– أنا هابقى حارس منطقة.

– نعم؟ قلت إيه؟ حارس منطقة؟ وده معناه إيه؟

– يعني الإتفاق إني أقوم بالحراسة في شارع بالليل وأقبض على الحرامية. سمعت؟

– لا والله!

– يا عم، يبقى عندنا تعلب ونسأل عن البغل، هو الأربع إمتى؟ يا سيدي يا حبيبي ظهرت سرقة في منطقة، والحرامية الفجرة بييجوا بالليل بس وينفذوا خطتهم هناك! والإتفاق إني أروح وأقوم بالحراسة هناك علشان محدش يقدر ينطق في النواحي دي!

– عجيبة! أدّ إيه دي فكرة جديدة! فاهم حاجة من اللّي بتقوله ده؟ ماتكونش أجّرت البيت اللّي فوق؟ ويمكن كمان تكون بتسخر مني؟

– أعدمك لأ، حاشا وكلا!

– هو ده شغل؟ أكنّه الشغل خلص؟

– أنا لازم أقف على رجلي، من الآخر أأمن نفسي. لحد إمتى هاقدر أكون تابع ليك؟ لا يا صاحبي، لازم أثبت للكل إني أقدر أقوم باحتياجاتي.

– يا بني إنت كده هتشتغل شغلانة مش محسوب لها. والنوع ده من الشغل خطر!

– لا يا عم مفيهوش أي خطر، بقدرة ربنا عندي جسم يخلّيني لو كان حتى رستم[1] هيموت من الخوف! ولمّا بازعل شمر[2] مايقفش قدامي.

– شوف يا صاحبي، أنا مش عايز أبوّظ عليك فرحتك لكن مش عايز مصيبة تقع فوق دماغك.

---

[1] – المقصود هو رستم بن زال بطل أبطال إيران، من قوم زابلستان الذين يتمتعون بقوة تفوق البشر، خدم بعض ملوك الكيانيين (كيقباد، كيكاوس، كيخسرو)، قتل الشيطان الأبيض في مغارته بمازندران.

فرهنگ معين، جـ٥، ص٥٨٩.

[2] – المقصود هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلابي أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي –رضي الله عنه– وقد أرسله عبيد الله ابن زياد برأس الحسين بعد قتله إلى يزيد بن معاوية في الشام، وقد نال جزاءه عام ٦٦هـ / ٦٨٦م على يد المختار الثقفي.

للمزيد انظر: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٤، ط٥، القاهرة ١٩٩٨م، ص١٦١ وما بعدها.

– مش لازم تواسيني. أنا لحد دلوقتي كنت عايش من فلوس سيادتك لكن من هنا وجاي عايز أستعد للشغل واكسب عيشي بدراعي.

– مستعد أراهنك على الحكاية دى بألف طومان إنك مش هتنجح. أصلاً الكلام ده ما يمشيش مع فصيلة دمك!

– بقى عندك بعد نظر! عايز تبالغ؟

– لو الحرامية هجموا عليك هيقطعوك حتت وساعتها هاعمل ايه؟ عايز تلبّسني أسود عليك؟ لا، والله ما هاسيبك تشتغل الشغلانة دي. لسه بدري على ما أشوفك متعور.

– الأمر انتهى يا صاحبي! إتعمل العقد وبصمت. مش إنت اللّي دايماً بتقول إن الإنسان لازم يواجه المشاكل؟

– قلت، لكن ماقلتش إنك تروح ترمي نفسك فى البير بإيدك!

– من الآخر بالتجربة هتبان قيمتها. و١٠٠٠ طومان في الليلة مش قليل، يعني إحنا برضه مش هنسعى من غير فايدة، ولاّ يعني مش هنقدر نواجه شوية ناس أندال. أنا إنسان قروي اتربيت على العسل والقشطة وسمنة الخرفان، مش السمنة النباتي يا عزيزي!

– إنت أدرى بنفسك. كان كلام مننا.

– ماتزعلش أوي كده يا صاحبي. فكر فيها هتلاقي إن بعد كام شهر وضعنا هيتغير تماماً. وبعدين هنقدر إحنا الاتنين نأجر أوضة كويسة ومحترمة نقدر نتنفس جواها. ولو انبسطت من شغلي هاشغّلك معايا إنت كمان.

– يعني هاعمل إيه؟

– تشمشم من بعيد وساعة ماتشوف حاجة غريبة تنبح، علشان أشيل الشومة في الوقت المناسب.

– تسلم إيد حضرتك!

– خايف لا مايليقش بحضرتك! شايف شاي على ترابيزتك؟

– أيوة، هاصب لك دلوقتي.

– ويكون سخن، هه!

– من عيني يا سيدي، مفيش أوامر تاني؟

– ماترغيش كتير ويالاّ خلص شغلك بسرعة!

صب شهريار الشاي له وقال بسخرية:-

– أوامرك عامله زيّ محدثين النعمة اللّي حصلوا عليها مؤخرا!

رفع فرهاد المفك من فوق المنضدة وصوبه إلى صدر شهريار مهدداً وقال:-

- اخرس يا نجس! واركع حالاً!

- ارحمني أيها الشريف سحبت كلامي.

- ودلوقتي فيه حاجة، هات كبريت بسرعة وولع لي السيجارة.

- من عيني، حضرتك تأمر.

ارتشف فرهاد الشاي بهدوء وقال:-

- دلوقتي هاروح البيت أنام. ولمّا تيجي ماتعملش دوشة علشان ماقلقش في نومي، هه!

- سمعاً وطاعاً!

- أنا هاصحى بنفسي وهاكل أيّ حاجة. سيب لي نصيبي على جنب. الليلة دي لازم أمشي في البرد لحد الصبح وأتعقب الظلال. وبالألف طومان اللّي هاخدهم الصبح هاروح أشتري شوية حاجات.

- زيّ إيه مثلاً؟

- براد شاى وشوية حاجات كده أسلّي بيها نفسي بالليل.

- ماتنساش القهوة.

- قهوة؟ ماتقولش دي بتغمّ نفسي.

- لو تشرب القهوة بالليل بدل الشاي مش هييجي لك نوم.

- في البرد ومن غير سرير مين هييجي له نوم!

- فرهاد يا حبيبي تعالى وسيبك منها.

- وحياتك ما هيحصل، اتهوست تماماً! وعايز أختبر قوتي. ما هو في الزمن ده لو عندك قوة تبقى حرفة! والإيد الفاضية عدو ليك! فلازم تجيب فلوس.

- ولو جت مرة مصيبة فوق دماغك، هيكون إيه؟

- ماتخافش يا سيدي، أنا مابفكرش في الموت بالسرعة دي. صحيح في النهاية الموت لابد منه في يوم من الأيام، فإيه أحسن من إن الإنسان يموت بشجاعة!

- النوع ده من الموت أصلاً مايشرفش، إيه الفايدة من الموت في سبيل لا شيء!

- تعدمني اتكلم بصراحة، إنت مستعد تبدل مكانك معايا؟

- ربنا مايجيب اليوم ده! أنا باحب روحي، وعايز أعيش حياتي وأتمتع بشبابي ألف مرة. صحيح إن الموت حق لكن لو كنت أعرف إني هاموت في يوم من الأيام ماكنتش جيت للدنيا أبداً!

- على أيّ حال أنا وعدت ورهنت شنبي.

- شنب ايه؟ طب ياﻻّ اوعد إنه لو ظهر لك شغل أفضل بعد كده هتخلع ايدك من الشغلانة دي.

- لو دخلها كويس مفيش كلام. حسنا إحنا ماشيين بقى. هاروح أنام علشان الليلة دي عندي شغل كتير.

- روح مع السلامة.

- ماتنساش اللّي قلته، ماتصحنيش لحد ما أصحى بنفسي.

- من عيني فاكر، قوم امشي، اتعطلت عن شغلي وحياتي.

- مع السلامة.

- مع السلامة.

نهض فرهاد وخرج من الباب، وغمغم شهريار وهو مشغولاً بعمله:-

- بايّنه اتجنن! زيّ ما تكون البرودة جمدت مخه! هو برضه صديق وإحنا اللّي بنختار لنفسنا!...

«٦»

كانت ليلة شديدة البرودة. وكانت نقط السحاب تُرى في جميع نواحي السماء، ولا يوجد أثر للقمر أو نجومها. كان فرهاد قد لفّ معطف شهريار المستعمل حول نفسه، وأنزل قبعته الصوف حتى أعلى الحاجب وهو يسير على جانب الرصيف. كان كل ما حوله واضحاً وأخذ يراقب النواحي.

كانت البرودة تضايقه وأطراف أصابع قدمه مخدرة وفاقدة للشعور. كان قد أشعل ناراً في ركن ليدفئ نفسه أحياناً ويستمر في السير مرة أخرى. وبناء على توصية السيد مرتضى، علق صفارة في رقبته لكي يدوّي بها في أثناء الإحساس بالخطر حتى يسرع الجيران لمساعدته. كذلك، كان يقبض على قطعة غليظة من الخشب كسلاح وهو يجول بنظره في النواحي.

في تلك الليلة كان معظم أهالي المنطقة والمناطق المجاورة يعلمون أن ثمّة شاباً رشيداً وشجاعاً قد تولى حراسة ومراقبة الشارع وأموالهم خارج منازلهم. البعض كان مستريح البال والبعض كان متوجساً ومتشائماً في انتظار وقت السحر لكي يرون ماذا سيكون رد فعل اللصوص مع وجود حارس ليلي.

كانت الساعة تقارب الواحدة صباحاً عندما دخلت سيارة الشارع. وخفق قلب فرهاد باضطراب مع رؤية السيارة. فتحرك صوب السيارة وهو يضغط على هراوته بيده. عندما اقترب منها وقف أمامها تماماً وسدّ الطريق على السائق. فتوقف السائق مع رؤيته وأنزل الزجاج.

اتجه فرهاد – الذي كان نور السيارة يؤذي عينيه – ناحية السائق ووقف بجانبه. فسأله الشاب الجالس خلف عجلة القيادة:–

– إيه اللّي حصل يا أستاذ؟ إيه الحكاية؟

تفحصه فرهاد بدقة وأجاب:–

– أولاً سلام، ثانياً اسمح لي أعرف إنت ابن المنطقة دي ولاّ لأ؟

نظر إليه السائق بضيق وعبوس وأجاب:–

– أيوة، فيه إيه؟

قال فرهاد وهو لا يزال يتأمله بريبة:–

– أنا حارس المنطقة دي ومهمتي إني أفتّش المترددين المرتاب فيهم. أكنّه حضرتك ماعندكش خبر؟

– لأ ماعنديش خبر.

– حضرتك عادة بترجع البيت كل ليلة متأخر بالشكل ده؟

– لأ مش كل ليلة، الليلة دي بس.

– إزاي؟

– مفيش إزاي، كنت راجع من السفر.

– طيب يا أخي كنت قلت كده من بدري. دلوقتي اتفضل امشي. وسامحني إنك اتعطلت.

ابتسم السائق وقال بسخرية في أثناء التحرك:–

– من الأفضل إنك تاخد في الاعتبار كلمة سر.

– كلمة سر؟

– أيوة، حاجة كده علشان المرور. وقطعاً كلمة السر لازم تتغير كل ليلة. بالشكل ده ترتاح أكتر!

هزّ فرهاد يده إليه وقال:–

– اقتراح كويس، هافكر فيه.

تحرك الرجل وما هي إلاّ لحظات حتى انعطف داخل أحد الأزقة، وعاد فرهاد للسير مرة أخرى. لم يسترح دقيقة واحدة حتى وقت السحر، وجاب الشارع باستمرار. عندما بزغ الفجر وبدأ تردد الأهالي في الشارع، تحرك فرهاد صوب مقهى كانت موجودة في نهاية نفس الشارع.

لم يكن المقهى قد بدأ العمل بعد. وكان القهوجي قد أشعل غلايته تواً عندما دخل فرهاد، ألقى التحية وأغلق الباب خلفه. ردّ القهوجي تحيته وقال:–

– جيت بدري شوية، الشاي لسه ماجهزش.

– مش مهم، ماجيتش علشان شرب الشاي. أقدر أقعد هنا كام دقيقة وادفى؟ مش هتطول كتير.

– تعالى اقعد. تعالى ودفي نفسك.

جلس فرهاد فوق أحد المقاعد، وجذب القهوجي المدفأة ناحيته وذهب هو وراء عمله. أدفأ فرهاد يديه وشعر أن عينيه تحترقان من عدم النوم. وعندما استقرت حرارة المدفأة اللذيذة في جسده وكاد أن يغلبه النعاس، نهض وخرج من هناك بعد أن شكر القهوجي. طوى المسافة سائراً حتى دكان السيد مرتضى. لم يكن مرتضى قد أتى بعد وكان محله مغلقاً.

سار في تلك النواحي فترة. وكان النعاس كما لو كان قد تغلب منه وكانت طاقته قد نفذت، لكنه لم يكن مستعداً لمغادرة ذلك المكان من أجل الحصول على أجرته. كان يعلم أنه إذا ذهب إلى المنزل سينام في الفراش حتى الليل بسبب الإرهاق وعدم النوم. وبين التردد ما بين الذهاب والبقاء ظهر السيد مرتضى من بعيد. ومع رؤيه فرهاد أسرع خطاه ووصل إليه.

- سلام يا بطل، صباح الخير.
- السلام منّا يا سيد مرتضى.
- إزيك؟ ربنا يقويك!
- كويس، شكراً.

رفع مرتضى باب المحل، وفتح قفل الباب وقال:-
- اتفضل، أكيد سقعان أوي.
- أيوة، الليلة كانت برد أوي.

دخل كل منهما المحل. وسأل مرتضى:-
- إيه أخبار ليلة امبارح؟ مفيش أيّ حاجة؟
- لحسن الحظ ماحصلش حاجة. اتمشيت لحد الصبح وراقبت المنطقة كويس. حتى الحشرة مكانش عندها الجرأة على الطيران.
- الله يبارك لك، كنت عارف إنك إنسان كفء. أمّال ماروّحتش البيت ترتاح ليه؟
- والله ... جيت لو ينفع يعني آخد أجرتي. إنت عارف يا سيد مرتضى، حالتي مش ولابد.
- أيوة عارف، الأمان من قلة الفلوس. وهو كذلك دلوقتي هامدّ لك إيدي الاتنين. تسمح.

أخرج مرتضى من جيبه بعض الأوراق المالية. عد خمس ورقات فئة المائتي طومان ووضعها في يد فرهاد وقال:-
- يالاّ آدي فلوسك. حلال عليك.
- تسلم إيد حضرتك، وربنا يبارك لك. بعد إذن حضرتك!
- يا الله، أشوفك على خير.

عاد فرهاد إلى المنزل سعيداً ومسروراً، وهو يضغط على المال في قبضته. كان شهريار لايزال نائماً وكان المنبه الذي اشتراه مؤخراً يدق أعلى رأسه. وضع فرهاد الصفارة وعصاته جانباً، وجلس على الأرض. خلع جواربه من قدميه ودسّ قدميه الباردة المتجمدة أسفل البطانية. وبسبب نقص الوقود، كانت مدفأتهم مطفأة معظم الوقت فقرر أن يشتري بعض الوقود في أول فرصة.

دسّ نفسه أسفل البطانية وأغلق عينيه. وغلبه النوم أسرع مما كان يتوقع. بعد نصف الساعة، استيقظ شهريار مع صوت جرس الساعة. وعندما وقعت عيناه على فرهاد الذي كان يشخر بصوت مرتفع هدأ باله إلى حد ما. تناول إفطاراً خفيفاً واتجه إلى محل عمله دون أن يزعج نوم وراحة

رفيق حجرته. كانت الساعة الثانية بعد الظهر عندما عاد شهريار من العمل ووجد فرهاد مستغرقاً في النوم كما هو. كان منهمكاً في تجهيز الغذاء عندما فتح فرهاد عينيه وتأمله.

- سلام يا سيدي، نوم العافية!

حكّ فرهاد عينيه وقال:-

- سلام. الساعة كام؟

- الساعة بقت ٢ بعد الظهر.

- رجعت إمتى؟

- بعد إذن سيادتك من دقايق. كنت باطبخ الغدا هتاكل؟

تثاءب فرهاد بصوت عال وسأل:-

- هيكون إيه؟

- بيض مقلي، أكلة أرستقراطية جداً!

- معرفش، جعان وعايز أنام.

- كفاية نوم بقى، قوم اتغدى وبعدين نام تاني.

أزاح فرهاد البطانية وخرج من الفراش. وضع سترته حول كتفيه وذهب إلى الحمام. عندما عاد كان شهريار قد أعد المائدة فجلس إلى جواره، وقال بعد تثاؤب طويل:-

- الأوضه باردة أوي، الواحد هيتجمد في البيت ده.

- مش باردة للدرجة دي. برودة امبارح هي اللّي لسه في جسمك. صحيح إيه أخبار امبارح؟ قطّعت كام حرامي حتت؟

- الحمد لله كانت ليلة هادئة، ومحصلش أيّ حوادث. لمّا صاحبك يبقى حارس كل المكان يبقى في أمن وأمان!

- أيوة، اللعنة على اللّي ينكر كده!

كان فرهاد - الذي كان جائعاً بشدة - يبتلع الطعام بسرعة. وعندما كان يبتلع آخر لقمة قال:-

- النهاردة لازم تبذل مجهود. أنا مبقاش فيّ نفس أمشي. امبارح مشيت بعمري كله. ورجلي فقفقت من البرد والتعب.

- أعمل إيه؟

- هاديلك فلوس واشتري كام جالون جاز. البرودة بتنزل المخروبة دي من كل حتة.

- أيوة، ما هو ده موسم الريح الباردة اللّي بيقولوا عليه.

– اشتري كمية من الجاز علشان نرتاح لحد آخر الشتا.

– زيّ ما يكون كده وضعك اتحسن!

– أنا فعلاً مبسوط النهاردة. الصبح ساعة ما ريحة الفلوس وصلت مناخيري حالي اتبدل والتعب مشي من جسمي. شايف فلوس الغنى؟

– أيوة بس مش لازم تصرف بكرم حاتمي. حافظ على فلوسك علشان أيام المصايب والنحس.

– أتمنى من ربنا إن المصايب ماتهّوبش ناحيتنا تاني. وطالما الحرامية موجودين صاحبك هيتنغنغ! فاليعيش الحرامية!

عندما شبع فرهاد تماماً تنحّى جانباً، وتمدد أسفل البطانية مرة أخرى، وقال:–

– أنا بجد هاعسكر هنا لحد إنت ما ترجع بايد مليانة.

– دلوقتي هاروح أجهز الجاز الأول وبعدين هارجع الشغل.

– على كيفك. بالحق، خد الفلوس من جيب جاكتتي.

– وهو كذلك، هاخد.

– إذن مع السلامة لحد بالليل. افتكر وصحي صاحبك الساعة ١٠ أو ١١. أحسن لا قدر الله أفضل نايم.

– لأ اطمّن.

ما هي إلاّ لحظات حتى ذهب شهريار إلى محل بائع الوقود واشترى بضعة جالونات من الوقود وعاد إلى المنزل. كان فرهاد نائماً على ظهره وقد علا صوت شخيره. أفرغ وقود أحد الصفائح في المدفأة دون إحداث ضوضاء وبعد إشعال المدفأة وتنظيم الحجرة، ذهب إلى الدكان. مساءً عندما عاد من العمل وبعكس اعتقاده، رأى فرهاد قد جلس بجوار المدفأة ومنهمكاً في إعداد الطعام.

– سلام.

– سلام. إنت صحيت؟ افتكرتك بتحلم بسبعة ملوك!

– نمت ساعتين أو ثلاثة لكن صحيت مرة واحدة، وعملت كل اللّي يتعمل ومجاليش نوم تاني. فلقيت إن من الأحسن أقوم وأعمل حاجة مفيدة.

– بتعمل إيه؟

– عجة بطاطس، إيه الأخبار؟

– أنا لسه مادقتش لكن هاقبلها منك.

جلس شهريار إلى جوار المدفأة، وعزم على فرهاد بسيجارة وأشعل سيجارة ثانية لنفسه وقال:–

– الأوضة بقت دافية على الأخر.

– أيوة، شايف أدّ ايه فيها راحة! الشاي بيجهز دلوقتي. خلّيني أصب لك.

– تسلم إيدك.

صب فرهاد كوبين من الشاى وأضاف:–

– ماتقولش إني عايز أدلع عليك! لكن أسناني بتوجعني أوي.

– أسنانك بتوجعك؟!

– أيوة، ونفس الأسنان دي كانت سبب صحياني من النوم.

– حاجة مش مهمة لازم السقعة لفحت وشك.

– ممكن. وجايز برضه يكون تسوس الأسنان. عندى كام سنة كده مسوسة.

– لازم تروح لدكتور. إنت المفروض تهتم بسلامة أسنانك.

– ومين اللّي فيه حيل.

– بكرة لمّا تبقى من غير أسنان ولثتك تفضى، ساعتها هتعرف قيمة أسنانك كويس. لكن ساعتها مش هيبقى منه فايدة.

نهض فرهاد وأخرج من جيب سترته قرصاً مسكناً وألقاه في حلقه وابتلعه برشفة شاي.

– ممكن الألم يهدأ بالحباية دي. ولو ماتحسنش هاضطر أروح للدكتور.

شرب شهريار شايه أيضاً وأخذ كتاباً في يده وانهمك في القراءة. رفع فرهاد الأكواب وذهب إلى الحمام وغسلهم أسفل الصنبور، وعندما عاد قال مهمهماً بغضب:–

– راسك في الكتاب تاني؟

– إيه؟ هو عندي شغل؟

– لأ يا سيدي، كنت عايز نرغي مع بعض شوية. صبري نفد خالص.

– اتكلم إنت وأنا هاسمع.

– كده ماينفعش، يا إما تقرا الكتاب يا إما تسمع كلامي. أصلاً سيبك إحنا صرفنا نظر عن الاستفادة من الكلام.

– إمسك إنت كمان كتاب في إيدك وانشغل بالقراءة. وأوعدك شوية شوية هتتبسط من القراءة.

رفع فرهاد واحداً من الكتب وبناءً على توصية شهريار تصفح بضع صفحات منه لكن ألم الأسنان كان يشتته. فوضع الكتاب في ركن وأشعل سيجارة.

– إيه اللّي حصل؟

- أبداً يا سيدي، بس قراءة الكتب ماجتش معانا!

- ليه؟

- أسناني مش هتسكت. ألمها بيزيد شوية بشوية!

انهمك شهريار في القراءة وتمدد فرهاد إلى جوار المدفأة، وقرب وجهه من الحرارة. وبعد نصف ساعة نظر إلى الساعة وقال:-

- يالاّ نتعشى أنا جعت.

- وهو كذلك حضّر السفرة.

بسط فرهاد المائدة وانشغل كل منهما بالطعام. كان فرهاد يبتلع طعامه متسرعاً ويتألم في أثناء تناول الطعام. فقال شهريار الذي رآه على ذلك الحال:-

- من الأحسن تصرف نظر عن المرواح الليلة. ألم الأسنان ممكن يضايقك.

- إزاي؟! بأيّ شكل لازم أستعد لشغلي. وعملت تخطيط كامل للألف طومان بتوع بكرة.

- الصحة أهم من الفلوس. والإنسان المريض مايقدرش يشتغل.

- مضطر أروح. كرامتي هتضيع. يا سلام راجل ووعده! شوية ألم في الأسنان مش لازم يتعملوا حجة!

- والله الشغلانة دي مضيعة للوقت بس! العالم كله عارف إن الشغل ده الشر راقد جواه.

- إيه اللّي بتقوله ده يا شهريار، وفين بيدوا الواحد عيش ببلاش! شغلي إيه عيبه دلوقتي؟ ليلة واحدة من غير نوم ماتستاهلش ١٠٠٠ طومان؟

- ده شغل برضه؟ أيام وهتغطس في السرير زيّ الميت!

- يبقى تقول لي أعمل إيه؟

- روح دوّر على شغلانة كويسة.

- وفين الشغل، هه؟ فين؟

- الشغل مش هييجي لحد عندك، لازم إنت تروح له، روح اتعلم حاجة يكون لها فايدة وتنفعك يا عديم المخ!

- أيّ مكان أروحه لازم الأول أبدأ من إني أكون صبي.

- وأكنّه ده فيه مشكلة؟ دي حاجة تقلل من شأنك؟

- لأ، لكن المعدة التعبانة دي هاشبعها إزاي؟

تنهد شهريار وقال:-

– ماعرفش والله، يمكن يكون معاك حق. والله قلبي بيتحرق علشانك، امبارح لحد ما صحيت كنت قلقان عليك، قلت مايكونش طبوا على راسك وقضوا عليك.

– جميل! مايكونش إحنا ورق بنجر! أنا مش عاجز بالدرجة دي برضه علشان ماقدرش أدافع عن نفسي. آه يا أسناني! علشان خاطر ربنا ماتتكلمش تاني لأني هاموت من الألم.

لم ينطق شهريار ثانية وبعد تناول العشاء، غسل الأطباق وجلس إلى جوار المدفأة. كان الوقت حوالي منتصف الليل عندما خرج فرهاد من المنزل. وهذه المرة أيضاً ارتدى معطف شهريار. كان الشارع خالياً ولا يُرى أقل أثر للمرور فيه. أخفى فرهاد ذقنه أسفل ياقة المعطف وطاف النواحي مراقباً.

كان الهواء بارداً كالليلة الماضية، فأشعل ناراً ووقف إلى جوارها. كان يبدأ في السير مع أقل صوت مريب ويراقب جميع الأماكن. تلك الليلة أيضاً لم يقع فيها أية حادثة حتى الصباح، والمشكلة التي كانت تؤرقه فقط هي ألم أسنانه الشديد الذي كان يسلبه الهدوء. وفي الصباح وقبل العودة إلى المنزل، أخذ أجرته من مرتضى واتجه إلى المنزل.

كانت أسنانه قد بثرت وبدى الجانب الأيسر من وجهه متورماً. وضع النقود فوق المدفأة وتمدد إلى جوارها ووضع البطانية عليه غير آبه بشهريار الذي كان نائماً. لم يكن قد استقر في مكانه تماماً حتى استغرقه النوم.

فزع من النوم ظهراً إثر ألم أسنانه. تقلب فترة في الفراش من ذلك الجنب إلى ذاك لكنه لم يستطع أن يتحمل الألم. فجلس إلى جوار المدفأة وقرب وجهه منها. وكانت الحرارة تساهم في تخفيف الألم. كان يتأوه على ذاك النحو عندما فتح شهريار الباب ودخل:-

– إيه اللّي حصل؟ بتعيط ليه!

– آه هاموت يا شهريار. الألم اللعين ده تعبني أوي.

– قوم أوديك للدكتور.

– لأ، مش قادر أتحرك من مكاني.

– وشك مورم.

– أيوة، بايني هاموت.

– شُفتك الصبح بتتوجع في نومك، فافتكرتك بتحلم.

– لأ، حلم إيه، أصلاً قدرت أنام! عانيت امبارح لحد الصبح. وكان فاضل شوية وأصوت في الشارع. الهوا اللّي لفح وشي زود ألمه.

- معاك حباية؟

- لأ ممعاييش.

- هاروح اشتري لك. أقعد لحد ما أرجع.

- أيوة، ربنا يخلّيك، روح بايني هاموت!

خرج شهريار على عجل من المنزل وعاد بعد ربع ساعة بشريط به عشرة أقراص. ابتلع فرهاد اثنين من الأقراص دفعة واحدة وقال:-

- تسلم إيدك، ربنا يسهل وألمها يهدأ بسرعة.

- تعالى سخن الفوطة دي وحطها على وشك. الحرارة هتحسنه بسرعة. وخلّي بالك ماتتحرقش!

- هات، تسلم إيدك.

- هاقوم أجهز السفرة وناكل حاجة.

- كل إنت، أنا مش هاقدر آكل أيّ حاجة من الألم ده.

- نتغدى و هاخدك للدكتور.

- لأ، مش هاروح للدكتور.

- ماتفكرش في فلوسه يا بني، فكر في صحتك.

- مافكرتش في فلوسه، أنا معايا فلوس.

- أمّال إيه؟

- لو أقول ماتضحكش عليّ؟

- لأ، و هاضحك ليه؟

- باخاف من الدكاترة، يعني عايز الصراحة باخاف من الحقن!

- بقى ربنا مايخنقكش! خلّيك بطلنا! مين شاف راجل بيخاف من الحقن؟

- لو تقول لي حارب غول جبار هاحارب، لكني مش مستعد أخلع سنة واحدة!

وضع شهريار المائدة وفتح غطاء علبة لوبيا محفوظة وقال:-

- تعالى كل لقمة، طعمها حلو أوي.

- لأ مش هاكل، كل إنت، بالهنا والشفا.

- هاسيب لك نايبك على جنب، إذا حبيت كله بعدين.

قال شهريار بعد إكمال طعامه:-

- أنا لازم أمشي.

- على فين؟

- الشغل.

- بسرعة كده ليه؟

- النهاردة عندي شوية طلبات، ولازم أروح أكمّل الشغل.

- بتقدر تفهم في شغل الرداوي إزاي؟ أكيد شغلانة معقدة.

- إتعلمتها من أبويا. هو ربنا يرحمه كان بيشتغل كده. في صغري وقفت مساعد ليه واتعلمت أصول المهنة. كنت باتمنى لمّا أكبر أذاكر وأبقى محامي. وعمري ما فكرت لحظة إني في يوم من الأيام هاواصل شغلانة أبويا. لمّا جيت طهران، شفت إن الشغلانة دي بس اللّي أنا عارف خباياها. والأسطى بتاعي كمان ساعدني كتير. وبثقتة فيّ والإطمئنان ليّ قدرت أتعلم حاجات كتيرة.

ارتدى شهريار ملابسه بعد حديثه هذا وألقى التحية على فرهاد ومضى. انشغل فرهاد طوال اليوم بألم أسنانه وفي المساء ذهب مرة أخرى إلى عمله. ومثل الليلتين السابقتين، طاف بالشارع باستمرار وأحياناً كان يقف أمام النار ويدفئ وجهه ويديه.

انقضت ساعتان أو ثلاث من بعد منتصف الليل ووصل ألم أسنانه إلى ذروته. جلس إلى جوار النار وقرب وجهه من الحرارة. وما هي إلاّ لحظات حتى ثقلت عيناه وانطبقتا على بعضهما. على بعد مائتي ياردة منه ثمّة ظلال مريبة كانت تتحرك في هدوء. لكن فرهاد لم يكن لديه علم عما يجري في المكان لأنه كان غارقاً في النوم. وكان شخص يرقب أول الشارع المظلم بكشافات مطفأة، وسائق جالس خلف عجلة قيادة سيارة ساكنة في انتظار إشارة رفقائه. عبر ثلاثة شبان الرصيف على أطراف أصابعهم وكمنوا في كنف حائط. خاطب واحد منهم الشخصين الآخرين بصوت منخفض وقال:-

- هنعمل إيه دلوقتي في الغول الضخم ده؟

نظر آخر ناحية فرهاد الذي كان مقرفصاً إلى جوار النار ولا ينتبه لما حوله وأجاب هامساً:-

- مش مهم، زيّ ما كون غرقان في النوم.

- ولو صحي إيه العمل؟

- اشتغلوا إنتم. ولو صحي هنطب عليه ونعرّفه مقامه. مش هيقدر يتصدر لنا لوحده.

- وهو كذلك، إذن خلّي بالك إنت منّا.

- وهو كذلك، روحوا شوفوا شغلكم. لكن خلّوا بالكم وماتعملوش دوشة.

انشغل الاثنان في العمل، وراقب الشخص الثالث فرهاد من بعيد، وكذلك كان يتابع أعمال صديقيه. فتح الشابان باب أحد المحال بعد محاولات شديدة ودخلا. كان فرهاد منهمكاً في النعاس غير مضطرب الخاطر. وما هي إلاّ نصف ساعة حتى أفرغ الشابان محتويات الدكان للخارج. ولم يبق سوى إغلاق الباب حتى ينتهى العمل بالتوفيق، عندما فزع فرهاد من النوم نتيجة الحرارة الزائدة عن الحد.

لم يكن قد بقي شيء سوى أن تصبح ملابسه طعاماً لشعلات النار فنهض ونفض ملابسه، تفحص المنطقة من حوله، واستعد للسير بقلق، لم يكن يتخيل أن يغلبه النوم وغضب من استسلامه. ومع اقتراب الشبان من بعيد شاهدوه، فأخفى كل من الثلاثة نفسه في زاوية، وراقبوه في الظلام.

كان فرهاد يخطو بثقة ولم يكن قد ورد حتى إلى ذهنه أن حادثة وقعت ما بين نومه واستيقاظه. توجه أحد السارقين للآخر وقال:-

- باينّه جاي ناحيتنا.

- أيوة شايفه.

- هنعمل إيه معاه؟

- إهدأ.

- باينّه بيقرب. ولو عينه وقعت على باب المحل هيفهم كل حاجة. أنا خايف أوي.

- هسس، اخرس ممكن يسمع صوتك. لمّا يقرّب مننا هنهجم عليه إحنا التلاتة ونقطّعه حتت.

سار فرهاد على الرصيف حسبما اتفق ومن نفس المكان تقدم مباشرة لنهاية الشارع. لا يزال لم يرتب في شيء ولم يكن قد شاهد أي وضع غير عادي، لكنه كان يرصد النواحي بدقة وبنظرة ثاقبة. عندما وصل إلى بداية نفس الحارة، خرج ثلاثة شبان أقوياء البنية من قلب الظلام وهجموا عليه.

لم يجد فرهاد - الذي كان قد فوجئ تماماً - فرصة ليطلق صفارته، فرفع العصا وهبط بها علي عضد واحد منهم، لكن الشخصين الآخرين هجما عليه وألقياه أرضاً، وأخذ الثلاثة يلكمونه ويركلونه في الظلام وضربوه بكل ما لديهم من قوة. حاول فرهاد أن يدافع عن نفسه لكنه كان تحت قوتهم كعصفور أسير الصياد.

حينما وقع فرهاد في عرض الرصيف مدهوشاً، تركه الشبان وركبوا السيارة وهربوا من تلك المنطقة. عندما خرج أحد الجيران - الذي كان قد سمع الجلبة - من منزله، وجد نفسه مواجهاً

لجسد فرهاد الغارق في الدماء والفاقد للوعي. ومع رؤية الرجل لتلك الحالة جذب الصفارة من رقبة فرهاد، ونفخ فيها بكل قوته. وما هي إلاّ دقائق حتى اكتظ الشارع بالناس.

كانت الساعة الثامنة صباحاً، ارتدى شهريار ملابسه، وهمّ بالخروج من المنزل عندما انفتح الباب فجأة، وثمّة رجلان غريبان كانا قد أمسكا بساعدي فرهاد من الجانبين وأدخلاه المنزل ورأسه ووجهه ملفوفان بالشاش، فصرخ شهريار مع رؤية فرهاد بهذا المنظر المرعب، وجاء بجانبه وقال:-

- إيه اللّي حصل يا فرهاد؟ إيه المصيبة اللّي جت على دماغك؟

نظر إليه فرهاد من خلال عينيه المتورمتين وأخرج آهة من حلقه. أنام الرجلان فرهاد على أرضية الحجرة وبعد شرح مختصر لشهريار الذي كان يتأملهما بذهول ودهشه، خرجا من المنزل.

جثى شهريار على ركبتيه إلى جواره، وقال مواسياً وهو ينظر إليه بأسف وتأثر:-

- شفت البلوة اللّي جبتها لنفسك؟ مبقاش فاضل حتة سليمة في جسمك، حتى المغسل مش هيرضى يبص لك. قلت لك ١٠٠ مرة خلّيك عاقل وسيبك من الشغلانة دي لكن أكنّه مأثرش فيك؟

قال فرهاد متأوهاً:-

- يا رب أموت، كل حتة فيّ بتتوجع. يا رب الحقني.

كفّ شهريار عن التوبيخ، وخرج من المنزل بسرعة. وعندما عاد، كان معه بعض الكومبوت، وكان فرهاد واقعاً على الأرض على نفس النحو ويتأوه، ففتح شهريار إحدى علب الكومبوت، وصب ماءها في حلقه بملعقة، ارتشف فرهاد ماء الكومبوت بمشقة، وشعر بأن الروح قد رُدّت له. بعد ذلك أغلق عينيه ونام.

كان الوقت ظهراً تقريباً عندما جاء السيد مرتضى والسيد عباس لعيادة فرهاد. وكان شهريار قد جلس في ركن يتأملهما بضيق. جلس عباس إلى جوار فرهاد وقال:-

- شوف ولاد الحرام قطّعوا الراجل حتت إزاي! الملعونين.

هزّ مرتضى رأسه وقال:-

- ماكنتش أتصور إن ده يحصل، شايف المسكين حصل له إيه!

- أيوة، يتيم الأم!

كسر شهريار الصمت وقال:-

- ليه محدش جه يساعده؟ ليه خلّتوه يشتغل هناك؟ لو كان الراجل مات مين كان هينفعه؟

قال عباس في الرد عليه:-

– وإحنا إيه اللّي عرفنا إن ده هيحصل فداك؟ ودلوقتي شوية ذنب برضه على الأستاذ فرهاد، لو كان استخدم صفارته ساعتها، كان الناس خرجوا وعرّفوا الحرامية مقامهم.

أضاف مرتضى مواصلة لكلام صديقه:–

– إحنا قلنا للأستاذ فرهاد من أولها إن الشغلانة دي خطر لكن هو وافق بنفسه. وإحنا برضه شفنا إن عنده جرأة، فقلنا إن الحرامية ممكن يعملوا حساب لضخامة بنيته ويتخفوا.

ابتسم عباس بسخرية وقال:–

– كان لازم نلاقي حل علشان الحرامية فداك.

نهض شهريار بضيق وخرج من الحجرة مولياً ظهره لهما. وألقى مرتضى وعباس التحية على فرهاد بعد مواساته وتركاه. دخل شهريار الحجرة بعد خروجهما، وألقى نظرة لوم على فرهاد وقال:–

– دول بقى من الناس العاقلين اللّي عملتلهم حساب، شفت يا بني يا طيب، زمان قالوا ابكي على شاهد القبر اللّي الميت جواه! العيب منك إنك بتثق في الكل، قرّبت تلبسنا إسود!

لم يكن لدى فرهاد مقدرة على الرد من شدة الألم. هو أيضاً كان قد حزن في داخله من أسلوب اللامبالاة والاستهانة من عباس ومرتضى لكن في مثل تلك الظروف لم يصدر منه عمل. وبعد يومين طابت جروحه إلى حد ما وبدأ الالم يهدأ. جلس فرهاد – الذي كان قد استرد عافيته – أمام شهريار وشرح ما حدث.

– مين كان يتصور إن ٣ عمالقة يطبّوا على راسي! أصلاً ماستوعبتش إزاي ده حصل! زيّ ما تكون السما انشقت مرة واحدة ونزلولي على الأرض.

– مش إنت اللّي كنت بتقول يحيا الحرامية! حسنا هنيالك بالحرامية. إنت إزاي ماشفتهمش؟ سمعت إنهم أشطّوا محل العبد لله، يعني أكنّك كنت نايم وماشفتش حاجة؟

هزّ فرهاد رأسه، وصرح بخجل:–

– وهو فيه سر عليك أهو زيّ ما بتقول كده.

– إيه؟ يعني النوم كان واخدك؟ غريبة جداً!

– هه، بتفهم ولاّ ما بتفهمش! غفلت حاجة بسيطة. صدقني عيني كانت نايمه لكن إدراكي وحواسي كانوا صاحيين على الآخر.

– أمّال ماسمعتش الدوشة إزاي؟

- المسافة كانت بعيدة، ولو كانوا عملوا دوشة أنا ماكنتش هاسمع أيّ حاجة من المسافة دي. ويمكن برضه كانوا بيراقبوني وشافوا إني كنت غفلان شوية! أكيد عملوا عملتهم في الوقت ده.

- أمّال إنت اتعاركت معاهم إزاي؟

- والله عايز الحق النار هي اللّي فزعتني من النوم. بنطلوني كان قرب يتحرق. ورجلي اتلفحت بالنار فنطيت من مكاني. بعدها فهمت إن النوم أخدني. قلقت ولمت نفسي من جوايا إن ليه النوم أخدني في الشغل. بعدين مشيت وبدأت أفتش الحارة والشارع. كنت فاكر إن كل المكان في أمن وأمان، ومكانش فيه أيّ دوشة. حتى الحشرة برضه مكانتش بتطير. ومرة واحدة شفت ٣ رجالة اشداء هجموا عليّ زيّ قوم التتار! كان منظرهم زيّ يأجوج ومأجوج! في الأول اتصديت لهم تماماً! ودافعت عن نفسي لدرجة إنهم انقطعوا في جلدهم وهربوا. وفجأة رجلي اتكعبلت فوقعت على الأرض. فهمّ طبّوا على دماغي تاني زي القضا المستعجل، ووقعوني في اليوم ده اللّي إنت شايفه. والله لو ماكنتش وقعت على الأرض كانوا عرفوا مقامهم! هنعمل إيه النحس تاني!

ابتسم شهريار بسخرية وقال:-

- ماتكدبش كدب مبالغ فيه بالشكل ده يا بني!

- كدب إيه؟ إنت لسه ماعرفتش صاحبك. تفتكر إني سبتهم يضربوا براحتهم ويقطعوني حتت!

- هتنسج حيل علي تاني! لازم يدولك لقب ملك النصابين. إنت لازم تروح تلعب بعين الجمل، إنت فج بالغلطات الكتيرة دي!

- دلوقتي ماتصدقش كلامي. مش مهم أصلاً تصدق ولاّ ماتصدقش.

- أنا سمعتك لمّا جيت بتقول إنهم طبوا عليك وبهدلوك. بقى أصدق ديل الديك ولاّ حلفانك بالعباس!

- وإمتى كان السمع زيّ الشوفان! إنت ماكنتش هناك علشان تشوف أنا دافعت عن نفسي إزاي! صدقني همّ دلوقتي حالتهم أسوأ مني! جايز رقبتهم، عضم إيديهم، رجليهم أو أيّ حاجة انكسرت فيهم!

- أيوة، مش بعيد. لكن إنت كمان اتبهدلت على الآخر!

- أيوة يا خويا عارف. حالتي مش كويسة خالص.

- يا سيدي الصفرا اللّي عندك هتروح بلمونة وتغلط وتتخانق مع حد! روح بصّ لنفسك في المراية، بقيت زيّ الميت اللّي طلع من التربة! ارحم شبابك شوية.

- اللّي حصل بقى، حادثة مكانتش على البال. بتتكلم بأسلوب زيّ ما أكون أنا عدو نفسي.

- ماعرفش أقولك إيه. ما هو لمّا يغيب العقل، تتعذب الروح! صحيح مين اللّي نجدك؟

– ماعرفش، مش فاكر أيّ حاجة. ساعة مافتحت عيني لقيتني في مستوصف والممرضات ملتفين حواليّ. شخصين ولا تلاته من أهل المنطقة ودوني للدكتور. نفس اللّي إنت شفتهم دول.

– كفاية رغي بقى، ودلوقتي ارتاح لحد ما حالتك تتحسن. حقيقي لازم ترتاح كام يوم. وروح أشكر ربنا إن مانكسرش فيك حاجة ومابقيتش مشلول!

– أيوة، لكن مفيش ولا حتة سليمة في جسمي. أصلاً تعب أسناني راح عن بالي خالص. كنت محظوظ جداً إني ماتصابتش بعاهة.

– ما تقول تاني سوء الحظ! ده من حسن حظ سيادتك إن ما لاقيتش عاهة. علشان تبقى نفسك، وجنان الفتونة ده مايطيرش مخك.

أمضى فرهاد خمسة أيام في فراش المرض متوجعاً. ثم تحسن بعدها إلى حد ما بالرغم من أنه لا تزال آثار وعلامات الزرقة والتورم موجودة على رأسه ووجهه وأعضاء جسده. وبعد عشرة أيام كاملة عاد إلى طبيعته تماماً وخرج للبحث عن عمل مرة أخرى، ذهب إلى إسماعيل مرة أو مرتين. لكنه هو أيضاً لم يكن بمقدرته أن يجد له عملاً. وبعد بحث متواصل، عاد فرهاد في النهاية إلي المنزل متعباً وعاجزاً.

في نفس الليلة خطرت فكرة بباله. قاوم نفسه بشدة للحظات، وفي النهاية اتخذ القرار النهائي. وأثناء النوم قال لشهريار:–

– قررت أرجع البلد بكرة.

سأل شهريار متحيراً:–

– البلد؟ يعني عايز تروح وتفضل هناك؟

أجاب فرهاد مبتسماً:–

– لأ يا عم مش هافضل، هاروح يمكن أقدر أجهّز فلوس.

– فلوس؟ من مين؟

– من أبويا مراد! أبويا لازم يديني بأيّ شكل، ويبعتني طهران بايد مليانة. عايز أعمل مشروع.

– مشروع من أيّ نوع؟

– خلّي فلوسه تتجمع الأول وبعدين أفهمك. جات لي فكرة جديدة لو حصلت حياتي هتتنغنغ!

– وتفتكر مرواحك هيجيب نتيجة؟

– لازم أجرّب.

– هتفضل في البلد كام يوم؟

- مش هافضل كتير، يوم ولاّ يومين وارجع. بس ....

صمت فرهاد و نظر إلى شهريار بمظنة:-

- بلعت كلامك ليه؟ بس إيه؟

- كنت عايزك تعمل فيّ معروف لكن مكسوف أتكلم.

- قول اللّي جواك يا بطل!

- كنت باقول لو يعني تديني حاجة كده، محتاج مصاريف علشان السفر، ولمّا أرجع هاردهم لك.

- ودي مفيهاش كسوف، عايز أدّ إيه؟

- عارف إنك في زنقة إنت كمان، فأىّ حاجة مش مهم. وهاتصرف في الرجوع بس عايز فلوس بسيطة علشان الذهاب. إنت عارف إن مفيش ولا حتى نكلة واحدة في جيبي، ولو كان معايا ماكنتش استلفت منك.

قام شهريار على الفور، أضاء المصباح، وأخرج من جيبه عدداً من العملات الورقية. أحصاهم، واحتفظ بعملة أو اثنين لنفسه ووضع الباقي فوق المدفأة، وبعد إطفاء المصباح عاد قرب فرهاد:-

- حطتهم فوق، خدهم الصبح.

- تسلم إيدك، والله أنا خدامك.

- هتتحرك إمتى؟

- هاروح بأيّ وسيلة علشان أوصل هناك بالليل. مش عايز حد ياخد خبر عن رجوعي.

- ماتكونش خايف لسكينة الحادبة تمسكك متلبّس؟!

- أيوة والله، ده أنا لو ظهرت هناك ممكن تؤذيني من غير سبب. على أيّ حال هاتحرك بكرة قرب الظهر علشان أوصل هناك بالليل. إدعي لي أرجع بإيد مليانة.

- نهايته ماقولتش إيه نوع المشروع اللّي عايز تعمله؟

- خلّيك صبور ربنا يخلّيك، وهتفهم وقتها.

- ماتكونش رايح تعيش في البلد، ساعتها هاموت من الحزن والوحدة!

- ماتخافش يا سيدي، هارجع بسرعة.

في تلك الليلة نام فرهاد مطمئن البال. وظهر اليوم التالى ألقى التحية على شهريار وتحرك ناحية موقف السيارات. استقل الأتوبيس حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، وجلس على المقعد المخصص له، واستغرق في النوم معظم المسافة، كانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساءً عندما

وصل الأتوبيس إلى مقصده. نزل فرهاد، وسار مسافة لكي يزيل ألم قدميه التي كانت قد تخدرت نتيجة الجلوس المتواصل. وبعد ذلك أوصلته ركوبة إلى القرية.

ترجّل وسط الطريق الرئيسي وانعطف في طريق غير ممهد وواصل حركته مترجلاً. كان الطريق مغطى بالثلج وكانت قدما فرهاد تنغرس في الطين مراراً داخل ذلك الحذاء المستعمل والمثقوب. وبعد حوالي نصف الساعة من السير، وصل في النهاية إلى باب منزلهم. لم يكن يسمع أيّ حركة أو ضوضاء، وكانت مصابيح جميع منازل المنطقة مطفأة وكان واضحاً أن سكان القرية نائمون. وقف فترة إلى جوار الباب وتفقد ما بداخل المنزل من أعلى السور. لم يكن أيّ نور مضاء بالخارج، وفي النهاية طرق مطرقة الباب.

وقف فترة، وأمعن السمع فلم يسمع أيّ صوت، ومرة أخرى طرق الباب بشدة عن المرة السابقة. وما هي إلاّ لحظات حتى وصل إلى أذنه صوت غليظ لمفصلة باب حجرة. نظّف طين حذائه على حافة حجرية وتعلقت عيناه بالباب. كان هناك صوت أقدام يقترب، وما هي إلاّ دقائق حتى سمع صوت أمه الرقيق الناعس:-

- مين؟

- افتحي يا امه، أنا، فرهاد.

دار الباب الخشبي على عقبيه، وظهرت طلعة أمه العطوفة المتغضنة تحمل مصباحاً في يدها. رفعت الأم المصباح وتطلعت إلى وجه فرهاد متحيرة، وكأنها لم تصدق مجيئه، تفحصته ببصرها الضعيف وارتسمت ابتسامة على شفتيها.

- إنت فرهاد؟

-أيوة يا امه أنا.

- أدخل يا بني.

دخل فرهاد وأغلق الباب خلفه وأخذ أمه في أحضانه وأغرقت العجوز وجهه بالقبلات.

- سلام يا امه.

- سلام يا بني، أخيراً جيت؟

- أيوة يا امه جيت. إزي حالك؟ كنت نايمه؟ صحيتك صح؟

- نمنا من ساعة ولاّ اتنين فاتوا، يالاّ ندخل، عند الباب ساقعة.

- ندخل يا امه، إنت كمان تلجتي.

أخذ فرهاد بساعد أمه ودخلا معاً. ثبّتت العجوز المصباح فوق مكان مرتفع وتأملت فرهاد بشغف وشوق. تطلع فرهاد حوله؛ نفس الحجرة الحقيرة، نفس الأسّرة، كان أبوه وأخته وأخوه نائمين. وضع فرهاد يده المتجمدة فوق نار المدفأة وجلس في نفس المكان على الأرض، خلع جواربه المبللة ووضعها في ركن وجلست أمه أيضاً إلى جواره وسألته بحنان:-

- أكلت؟

- أيوة، أكلت حاجة كده في الطريق.

تنهدت العجوز ولاطفت شعر ابنها بيدها وقالت:-

- أخيراً جيت بعد سنتين! ماكنتش بتيجي لنا ليه في المدة دي؟ وليه ماكنتش بتقول لنا أخبارك؟ عيني ابيضت على الباب، كنت باستنى بالليل والنهار إن الباب ده يتفتح وإنت تدخل منه.

- سامحيني يا امه، والله كنت مشغول أوي. ماتعرفيش أنا تعبت أدّ ايه في السنتين دول، لكن قلبي كان دايماً معاكم.

- جيت علشان تخلّيك معانا؟

- لأ، لازم أرجع طهران، جيت بس أشوفكم. قلبي كان ملهوف عليكم أوي.

تفحصته أمه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وسألت:-

- بتعمل ايه هناك؟ بتشتغل؟

- قبل كده كنت باشتغل لكن دلوقتي... نامي يا امه، الوقت اتأخر دلوقتي، والصبح هاحكي لك.

- أدّ ايه خسيت يا فرهاد! تكونش تعبان؟

- لأ يا امه، إنت عارفه إني إنسان شديد، وأهي عيشة. وبصراحة عيش المدينة ماييناسبنيش، زيّ ما يكون دقيقه معمول من الجير، لا ليه طعم ولا قوة!

قامت الأم وقالت:-

- تعال نام مكاني.

- أمّال إنت هتنامي فين؟

- هاجهّز لنفسي فرشة في الركن ده. نام إنت، جيت من سفر بعيد وتعبان. نام يا بني.

خلع فرهاد سترته ووضعها أعلى رأسه ودخل الفراش. بسطت الأم أيضاً فراشاً لها وذهبت للنوم.

- بالحق أبويا مراد إزيه؟ والعيال عاملين ايه؟

- كلهم كويسين، لمّا يعرفوا الصبح إنك رجعت هينبسطوا أوي.

– أبويا لسه بيرعى؟

– لأ، دلوقتي أديله سنة قاعد في البيت.

– ليه يا امه؟

– عيان، عنده قرحة في المعدة. الدكتور قال لازم يعمل عملية لكن أبوك مرضيش. بيقول مصاريفها كتيرة، وإنت عارف إن حالتنا مش أدّ كده. ومافضلناش حاجة إلاّ شوية الخرفان والمعيز.

– أمّال مين اللّي بيشتغل في الأرض؟

– السنة اللّي فاتت أجرنا عامل ودبرنا مصاريفنا لكن السنة دي معاناش فلوس نأجر عامل. ماتعرفش إن عمك وعيلته مشيوا من البلد؟

– لأ ماعرفتش! راحوا فين؟

– دي قصته طويلة، وإنت تعبان، سيبك والصبح هاقول لك.

– لأ يا امه مش تعبان، قولي سامعك.

تنهدت العجوز وواصلت بهدوء:–

– خلال المدة اللّي ماكنتش موجود فيها حصلت حوادث كتيرة. نرجس بنت عمك، المسكينة في الأول تعبت أوي ووقعت، كل الدوا والعلاج اللّي عملوه وماقامتش، وفي الآخر كل الدكاتره قالوا إن جالها سلطان!

– سلطان لأ يا امه، سرطان.

– إش عرفني يا حبيب أمك، القصد قالوا إن عندها اللّي ما يتسمى ده، ربنا يرحمها، دي كانت بنت! طيبة وذكية، وكانت سمحة وبشوشة، كان نفسي أجوزها بنفسي.

– بتقولي إيه يا امه؟ ربنا يرحمها؟! أكنّه نرجس ماتت؟

– أيوة يا بني السنة اللّي فاتت بعد المرض ده قعدت بس خمس شهور، وبعدها ماتت.

– يا ربي! بتقولي العجب؟ زعلت أوي. مسكينة نرجس، والله أصلاً ماعرفتش.

– عارفه يا حبيب أمك، إحنا اللّي ماكناش نعرف حاجة عنك علشان نعرفك، البنت تعبت في عز شبابها وماتت، وماتعرفش عيلة عمك جرى لها إيه! بعد اللّي حصل عمك قال إن مراته وعياله مش قادرين يفضلوا في البلد، مرات عمك كانت ليل ونهار عند التربة، ومكانتش بتفارق تربة بنتها لحظة واحدة. حالتها كانت سيئة وكانوا بيقولوا إنها هتتجنن من حرقتها على بنتها، عمك باع بيته وأرضه وأخدهم ورحلوا لمكان ما يعرفهوش حد.

– ودلوقتي بيخبوا مكانهم الجديد ليه؟ هم مارتكبوش جريمة!

– إش عرفني يا حبيبي، الكلام كتير. الناس بيقولوا إن عمك قتل بنته، والمسكين ده برضه ماقدرش يستحمل.

– يعني إيه يا امه، أنا مافهمتش بتقولي إيه؟

– خلّيني أقول لك خلاصتها. تعرف ابن مش هادى؟

– ابن مش هادى؟ مين فيهم؟ تكونيش بتتكلمي عن يعقوب؟

– أيوة، الملعون، هو بعينه.

– عمل إيه؟

– كل النار دي طالعة من قبره ابن الحرام ده، كان بيزنّ على عمك لازم تجوزني بنتك. على أساس كلام إن نرجس كانت عايزاه برضه، لكن عمك ماوافقش. قال إنه ولد مفلس، وعاطل، ومرة اتجوز ست وطلقها. كان بيقول إنه هايميّل بخت بنتي، وإنت ماتقولش نرجس كانت موافقة، دي وقفت في وش أبوها وقالت يا إما تجوزني يعقوب يا إما مش هتجوز أصلاً. كنا كل ما نقول لها إن الولد دهماينفعكيش مكانش بيأثر فيها، لحد ما جه يوم عرفوا إنها كانت عايزه تهرب مع الواد ونقطة الشرطة مسكتهم. وقالوا لعمك، فعمك أخد نرجس وحبسها في الإصطبل، ضربها وجوعها أسبوع واحد بس. وبعدها أخد نرجس للبيت، لكن نرجس اللّي كانت تعبت في الأسبوع ده مارجعتش سليمة تاني. وعلى كده تعبت ورا تعب لحد ما جالها السلطان، والدكاترة كانوا بيترددوا عليها، ولمّا ماتت الكل قال لعمك إنت اللّي قتلتها، إنت كنت السبب في موتها.

– لأ يا امه الكلام ده كله كلام فارغ، السرطان مالوش علاقة بضربها وحبسها، المسكينة كانت تعبانة من قبلها لكن محدش كان يعرف.

تنهدت العجوز وقالت:–

– السيد "معلم" كان بيقول كده للناس برضه لكن محدش كان بياخد بكلامه. حتى مرات عمك كانت بتقول لجوزها إنت اللّي قتلت بنتي، كان أحسن تتجوز يعقوب ويميّل بختها لكن ماتحرقش عليها.

– قدر عجيب! يعني بسبب الشائعات دي عمي المسكين ساب داره!

– أيوة يا حبيب أمك. مسكينة نرجس، الولد ابن الحرام ده كان واكل عقلها.

– ويعقوب بيعمل إيه دلوقتي؟ أكيد لسه حزين على نرجس؟

– يا سيدي فين العمل، دايماً نصاب ومحتال. بعد شهر ولاّ اتنين من موت نرجس اتجوز واحدة من البلد اللّي جنبنا. نام دلوقتي.

– مش جاي لي نوم يا امه، خصوصاً بعد الحاجات اللّي سمعتها دي، طيرت النوم من عيني. جواد وپنفشه عاملين إيه؟

– جواد بيشتغل. ولولاه كنا شحاتين.

– بيشتغل إيه؟

– بيشتغل في مصنع أسمنت، وپنفشه هتتجوز.

– كويس مبروك؟! هتتجوز مين؟

– ابن عباس شك.

– مين فيهم؟

– كاظم.

– كاظم؟ ولد كويس، أعرفه، واتفقتوا على الجواز إمتى؟

– مش معروف، على الله. بنجهزها، حالتنا مش ولابد، معناش أيّ حاجة نديها لها تاخدها، عيلة العريس قالوا إحنا مش عايزين جهاز لكن پنفشه بتقول إذا ماتجهزتش مش هاتجوز.

– بتتكلم صح يا امه، بكرة في بيت الناس لازم هيتسمع كلام كتير من الصغير والكبير.

– عارفه يا بني يا حبيبي، لكن هنجيب منين؟ ده شوية كراكيب البيت والخلقان دول مش مكفينا.

تنهد فرهاد وقال:–

– في الآخر لازم يكون فيه حل. بالشكل ده ماينفعش إن البنت تتستر في بيت. وفي الآخر إيه؟ مش هينفع السنة دي يبقى السنة الجاية، لازم هتتجوز برضه.

– قول إنت نعمل إيه؟

– أبويا مراد لازم يلاقي حل، لو يبيع الأرض هيجيب مصاريف العملية ويدبّر برضه جهاز البنت المسكينة دي.

– أنا كمان قلت له لكن أبوك بيقول إن دلوقتي مش موسم بيع. ومفيش مشترين، فمضطرين نستنى للصيف يمكن تُفرج.

– نامي يا امه، إنت تعبانة ولازم تقومي الصبح بدري، ربنا كريم. في النهاية هنلاقي لها حل.

– اتوكل على الله.

استغرقت الأم والابن في الفكر في صمت، العجوز استغرقها النوم سريعاً جداً، لكن فرهاد لم يستطع النوم بالرغم من محاولاته. جاء ليقترض نقوداً من أبيه أو أمه، لكنه رأى حالهم لا يتخير عنه. كان قلبه يحترق من أجلهم ولا يستطيع أن يفعل شيئاً. في النهاية أطبق هو أيضاً جفونه ونام.

استيقظ في الصباح الباكر على ضجّة الطيور والديكة. كانت الأم وبنفشه قد أنهتا أعمال المنزل في التو. وكان الأب جالساً في زاوية يدخن النرجيلة. قبّل فرهاد وجه أبيه واستفسر عن أحوال بنفشه أيضاً وبعد تناول الإفطار جلس إلى جوار الأب.

نظر الأب مراد إلى ابنه نظرة عتاب وقال بلهجة شاكية:-

- مشيت وماسبتلناش خبر عنك، ماقلتش همّ ميتين ولاّ عايشين؟ وعملتك ابني الكبير اللّي يكون عكازي فانحنى وسطي من فراقه.

نكس فرهاد رأسه وأجاب بخجل:-

- معاك حق يا ابه مراد، لكن أنا برضه كنت ورا قدري. لقمة العيش، مكان للنومة، ومكان أمان الواحد يقدر يمدد رجليه جواه.

- أكنّه هنا مفيش لقمة عيش، ومكان للنومة ولا مكان أمان؟

- ما كنت قاعد هنا إيه اللّي حصل؟ الزراعة مكانتش تناسبني، والرعي برضه مش شغلانة.

- كان نفسي تزرع في أرضنا، أنا عاجز برجلي الاتنين ومابقيتش قادر أشتغل. وجواد زيك برضه الزراعة مش في دماغه. لو كنتم إنتم الاتنين الإخوات ساندتم بعض وعمرتوا المزرعة كان كل شئ اتغير.

- يا ابه مراد إنت نفسك اشتغلت عمرك كله في الأرض وشفت النتيجة، إيه اللّي جنيته؟ أنا وجواد زيك برضه. أنا مش عايز أضيع عمري وشبابي هنا وأخرتها أتشلّ ومراتي وعيالى يفضلوا جعانين. الأرض دي مش هييجي لنا منها حاجة. يالاّ وافق وبيع الأرض. وبفلوسها تقدر تعالج نفسك وتبعت بنتك لبيت العدل برضه.

- محدش هيشتري الأرض بقيمتها، وفلوسها مش هتكون بالدرجة اللّي تشتري كفن لميت! لكن لو اشتغلت فيها على الأقل هتشبع معدتنا.

- يا ابه مراد، قلت لك إني مش بتاع زراعة، ولو ربنا أراد عندي خطط لمستقبلي. بصراحة أنا تعبت أوي في السنتين دول. لو بس كان فيه شوية حظ من نصيبي كان زمان أموري مترتبة وناجحة، ودلوقتي جيت هنا علشان آخد منكم مساعدة. ماكنتش أعرف إن حالكم أسوأ من حالي.

أخذ العجوز نفساً من نرجيلته وسأل:-

- عايز مساعدة إيه؟

- عايز أبدأ مشروع، ومحتاج لرأس مال صغير علشان أبدأ شغلي لكني اخترت توقيت سيء لطلب المساعدة.

- شايف إننا في زنقة، ساعة ما أمك قالت إنك رجعت، افتكرتك ناوي تفضل معانا وتشتغل في المكان ده، لكن دلوقتي شايف إن فكرة المشيان في دماغك. أمّال إحنا نعمل إيه؟ ولاّ هو الإنسان لمّا يعجّز لازم يترمي بعيد؟!

- يا ابه مراد إنتم تعبتم علشانا كتير، وأنا عمري ما هنسى. وأوعدك وعد شرف إن لو في يوم حالي اتيسر ووضعي اتحسن هاعوضكم. هاخدكم كلكم عندي وأهيئ لكم حياة كويسة.

- إن شاء الله يا بني، إن شاء الله.

جلست العجوز إلى جوار ابنها وقالت بلهجة حزينة:-

- وشي إسودّ يا بني، ربنا يعلم إني مش محوشة ولا حتى نكلة واحدة وإلاّ ماكنتش خلّيتك تمشي من هنا بإيد فاضيه.

ثم اتجهت لزوجها وأضافت:-

- ابه مراد عايز تبعت ابنك بإيد فاضية؟ يعني بالله عليك مايتبسطش؟

- قولي يا ستي إنت أعمل إيه؟

- إديه كام خروف ومعزة ياخدهم يبيعهم. إحنا مانملكش حاجة، وده حل برضه، مفيش غيره.

أخذ الرجل المسنّ بضعة أنفاس من نرجيلته وتطلع في صمت إلى بنفشه التي كانت جالسة وتستمع في صمت.

- يالاّ شيلي النرجيله دي.

- وهو كذلك هاشيلها. برضه ماقلتش هتعمل إيه؟

- صبي لي شاي وماتتكلميش كتير، خلّيني أفكر.

وضعت العجوز كوب الشاي أمامه وتعلقت عيون الثلاثة بفم الأب مراد، فتح العجوز فمه بعد فترة صمت طويلة وقال:-

- وهو كذلك، لو كام خروف على معزة هيبدأو لك شغلك يبقى مفيش كلام، خدهم وبيعهم. وأنا بنفسي هادلّك على اللّي يشتريهم.

غمر فرهاد يد والده بالقبلات بسعادة، وقال:-

- ابه مراد أوعدك إني هاعوضك. ادعي لي بس إن شغلي يمشي وساعتها هتشوف أنا هاعمل إيه علشانكم.

في ظهر نفس اليوم فصل فرهاد بضعة رؤوس من الماعز والخرفان من قطيع أبيه الصغير وباعهم لواحد من أهالي القرية وعاد إلى لمنزل. كان سعيداً ونشطاً ودائماً ما كان يقبّل وجه أمه ويتعلق برقبتها.

– وحياتك يا امه لمّا جيت البلد كنت دايماً قلقان لا قدّر الله سكينة الحادبة توصل فجأة وتظبطنى متلبّس. صحيح إنت ماعندكيش أخبار عنها؟

– باشوفها أحياناً.

– ماتجوزتش؟

– لأ المسكينة. لمّا مشيت كانت دايماً بتفوت عليّ علشان تعرف أخبارك، استنتك كتير. ولسه لحد دلوقتي برضه لمّا بتشوفني بتسأل عليك.

– قولي لها تسيبني في حالي، وقولي لها إني اتجوزت وعندي عيّل كمان. خلّيها ما تفكرش فينا، وأنا هاجيب لك عروسة شكلها حلو.

قرر فرهاد العودة. فتناول عشاءه وألقى التحية على والده ووالدته وقبّل وجه أخته وقال لها:–

– ماتزعليش يا أختي، كمان كام شهر وأنا هادبر لك جهازك بنفسي. لازم آجي وأخدك معايا المدينة. إنت قيمتك أكبر من إنك تفضلي في البلد وتعفني.

أمسكت بنفشه بالقرآن فوق رأسه ثم أفرغت كأس الماء خلفه على الأرض، وودعته بابتسامتها. وأخرج فرهاد قدمه من عتبة الباب بعالم من الرجاء والأمل، وتوجه إلى المدينة. قصد طهران ليلاً بالأتوبيس وهذه المرة كان يأمل أن يستطيع، وبأيّ نحو كان، أن يضع خططه في حيز التنفيذ.

«٧»

كان ظهر الجمعة، وبمجرد وصول فرهاد – الذي لم يكن قد أغمض عينيه في الأتوبيس حتى للحظات الليلة الماضية – للمنزل ذهب مباشرة للفراش، واستغرق في النوم بملابسه. حوالي الظهر، كان شهريار يطهو طعام الغذاء عندما استيقظ فرهاد، غسل وجهه وجلس بجانب شهريار.

– إيه أخبار سفريتك؟ كانت كويسة؟

– كانت تقصاك.

– رجعت بسرعة أوي، افتكرتك هتقعد في بيت أبوك وتستقر!

– وحياتك لا كان فيه استقرار ولا راحة! بمجرد إني فضّيت جيب أبويا هربت وجيت طهران. خفت لو قعدت أكتر من كده أبويا يندم على هديته. بموتك، كان زعلان على الآخر، افتكرني هافضل هناك واشتغل بالزراعة.

– من حقه إنك كنت سمعت كلامه وفضلت. تفتكر بيوزعوا هنا عيش وحلاوة! طهران مفيش منها فايدة!

– وحياة حبايبك ما يحصل، وحياتي أنا مش بتاع الكلام ده. أفضّل أموت من الجوع هنا ولا أهوّبش البلد. دلوقتي اندمجت مع الناس، أصلاً ييجي للعيل المرفه ده إنه يتعفن في البلد ويموت؟! شايف إني مابتكلمش حتى بلهجة القرويين!

– كل واحد له وجهة نظر، جميل، ودلوقتي أخدت أدّ إيه؟

– مش كتير، كلهم ٧٠٠٠ طومان. بعت كام خروف على كام معزة ومشيت وجيت. كنت قلقان امبارح في الأتوبيس طول الوقت أحسن لا قدّر الله حرامي يطبّ عليّ ويفضّي جيبي. إيدي كانت على الفلوس لحد الصبح، وكنت لامسهم. ماتعرفش أدّ إيه فيها سعادة. ضغط دمي علي وسخنت على الآخر.

– دلوقتي جه وقته تقول لي إيه الفكرة اللّي جت في دماغك الفاضي ده، عايز تعمل إيه بالفلوس دي؟

– بصراحة، عايز أبيع سجاير.

– إيه؟ تبيع سجاير؟

– أيوة، وماله؟ استغربت ليه؟

- أبداً، جميل كمل.

- مبقاش فيه حاجة تتكمل، من بكرة هاروح أشتري كام خرطوشة سجاير وأروح أفرش في ركن. فكر أدّ إيه المكسب اللّي فيها! حتماً كام شهر كمان وأبقى غني على الآخر. متهيألى إني هابقى محظوظ المرة دي وهانجح.

- إن شاء الله!

- وبتقولها ضعيفة كده ليه إن شاء الله؟ شوف يا أستاذ شهريار يا حلو إنت! ماحبش تحبطني وأنا لسّه باقول بسم الله. إنت لازم تشجعني علشان أنجح.

- ماعنديش كلام، هاشجعك. الله يبارك لك يا سي فرهاد، ومبروك عليك الشغل الجديد!

- اتريق على نفسك، طب خلّينى أشرح لك.

- لا تبيّن ولا تشرح. أنا عايز من ربنا إنك تنجح وترفع راسك لكن مفيش منها فايدة برضه.

- محدش يطلب منك رأي.

- ماتزعلش، ويالاّ اطفح غداك.

جلس فرهاد إلى المائدة، وبعد تناول بضع لقيمات قال:-

- لو شغلي مشي عايز أروح آخد بايد أبويا وأمي وأجيبهم معايا.

- أدّ إيه دي فكرة جميلة! آل ما يسمحولوش بدخول البلد ويسأل على بيت العمدة!

- اخرس واسمع. مينفعش إحنا نقول حاجة وإنت ماتتحشرش! يا قرد إنت مش فاهم!

- سامحني، واتفضل كمل.

- أيوة كنت قلت، هأجر لهم بيت وأجيبهم هنا. المساكين حالتهم صعبة أوي، أختي المفروض تتجوز لكن إيه العمل، ممعاهمش فلوس يجهزوها كويس. قلبي بيتحرق علشانها. وأبويا كمان عيّان ولازم يعمل عملية لكن فين الفلوس؟

- وإنت كنت عارف ده وبالرغم من كده رحت واحتلت على المساكين دول وأخدت فلوسهم؟

- احتيال إيه؟ أقسم بالله لمّا أصلّح حالي هاعوضهم، يعني فكرك هاسيبهم كده في أمان الله؟!

- المعزة ماتموتش ده الربيع جاي والشمام بييجي مع الخيار!

- دلوقتي هنشوف.

تناول فرهاد طعامه مسرعاً، ونهض. كان يرتدي ملابسه حينما سأله شهريار:-

- واخد الشال والكتاب على فين؟

- عايز أروح أشمشم الأخبار وأشوف الأوضاع أخبارها إيه؟ لازم أفوت على كام سمسار واتفق معاهم. شفت واحد قبل كده واتكلمت معاه، والاتفاق إنه يديني شوية سجاير علشان ابدأ شغلي، وكان قال إن بيع الكوبونات أحسن من ده كله، ولقمة العيش الكويسة فيه، فلو حصل يبقى بعد كده أبيع كوبونات برضه.

- ربنا يخلّي نهايتك على خير، روح وريّني هتعمل إيه.

- ربنا يعزّك، باى باى!

- في داهية، أدّ إيه بتتكلم كتير.

خرج فرهاد من المنزل، وانشغل شهريار بجمع الصحون وغسلها. صباح اليوم التالي بدأ فرهاد العمل في بيع السجائر. كان يعمل بجدية من الصباح الباكر وحتى آخر الليل ولا يبالي بالجوع أو البرد. وخلال أسبوع واحد حقق أرباحاً مرتفعة نسبياً. والآن علاوة على السجائر كان قد أضاف بيع الجرائد والكوبونات إلى عمله. وقرر أن يؤجّر حانوتاً صغيراً في المستقبل، ويوسّع عمله. ومساءً عندما يعود إلى المنزل، كان يجلس في زاوية، ويُحصي نقوده ويجعلها رزماً وينظر إليها مستمتعاً.

- شايف يا شهريار، مش قلت لك إن شغلي هيمشي، يالاّ خلّي معاك رزمتين الفلوس دول لبعدين.

- لو ممعاكش بعدين.

- لأ يا عزيزي، الحساب حساب يا أخويا الكبير، والدين لازم يترد.

- بقيت إنسان كويس على الآخر!

- أيوة أنا كده، دلوقتي شفت مكانهم! خلّيني آخد دكان وساعتها هاتشوف هاعمل إيه. آخر الأسبوع نفسه هاديلك فلوس علشان تروح وتشتري شوية لوازم للبيت، مش عايز أعيش زيّ الشحاتين تاني. شوية شوية لازم نشتري سجادة وتليفزيون والحاجات اللّي من النوع ده وناخد بالنا من نفسنا شوية، نفسي أعيش زيّ أهل المدينة؛ ألبس هدوم أنيقة، أنام في مكان دافي وناعم وآكل بيتزا!

أدار شهريار رأسه للجانب الآخر حتى لا يرى فرهاد ابتسامته الساخرة. كان فرهاد يطمع، ويشتد طموحه يوماً بعد يوم وكان قد أحرز تقدماً أيضاً في عمله، ووفّر مالاً على سبيل الادخار. ذات ليلة عندما كان يجمع فرشته لكي يعود للمنزل توقفت سيارة أمامه، وجذب السائق الكباحة اليدوية، ونزل وجاء إلى جواره مباشرة وسأل:-

- عندك سجاير؟

- عايز إيه؟

- "وينستون"، عايز علبة.

- دلوقتي هاديلك.

كان للرجل هيئة مهندمة وأخرج فرهاد - الذي كان قد سُرّ من رؤية هذا المشتري الثري - من طيات فرشته علبة سجائر وأعطاها للشاب. تأمل المشتري فرهاد بدقة وتطلع إليه فترة متفكراً، وسأله فجأة بلهجة مليئة بالإشتياق:-

- آه يا بني، إنت؟!

نظر إليه فرهاد متحيراً، ولم ير أيّ علامة على وجهه تعرفه به، كان لا يزال غارقاً في الحيرة والتعجب حينما ضرب الشاب بيده على كتفه وقال:-

- عارفني يا فرهاد؟ نسيت بلدياتك بسرعة كده!

تأمله فرهاد بدقة اكثر وقال:-

- سامحني، للأسف ماعرفتش حضرتك.

- الولد العجيب الأمهق! أنا سيف الله، ابن "اقدس" هانم. مافتكرتش؟ لمّا كنا في البلد كنت زميلي في نفس الصف. فاكر رشيد؟

انفرجت أسارير فرهاد فجأة، وضغط على ساعده بسرور وقال:-

- سيف الله إزيك؟ اتغيرت لدرجة إني أصلاً ماعرفتكش، ما شاء الله، إيه العظمة دي!

- لكن إنت أصلاً ماتغيرتش، شفت عرفتك كويس.

- أيوة، زيّ ما يكون ميّة وهوا طهران كانوا مناسبين لك، كل اللّي مايعرفكش يفتكرك ابن فلان عضو مجلس الشعب! ورّيني يا عبقري جبت العظمة والوجاهة دي منين؟ وساكن في طهران بقالك كام سنة؟

- خمس سنين، وإنت؟

- سنتين.

- بتشتغل إيه؟

- زيّ ما إنت شايف، باتاجر. وإنت؟ أكيد عندك مشروع مليان دخل غناك بعد فقر بالشكل ده؟!

- هه دنيا، نهايته بندوّر عجلة الحياة بأيّ شكل وبنكرّس نفسنا لخدمة خلق الله. وإنت عامل إيه، مبسوط في شغلك؟

- مبسوط ولاّ مش مبسوط، أهو أحسن من البطالة. بقى لي سنتين في طهران بادوّر هنا وهناك وماخدتش حاجة، وأخيراً بقى لي شغل عليه القيمة. صحيح إيه أخبار البلد؟ أمك وأسرتك إزيّهم؟

- عايز الحق من ساعة ماحطيت رجلي في طهران معنديش أيّ خبر عنهم.

- يعني في الخمس سنين دول مارحتش حتى مرة واحدة تطل عليهم؟

- لأ ماقدرتش. وإنت عايش فين دلوقتي؟ بيتك فين؟ وعايش مع مين؟

- بيتي مش بعيد كتير عن هنا، تمشي ربع ساعة وتوصل. عايش مع واحد من أصحابي. ولد كويس، من العيال دول بتوع الجنوب الكويسين.

- أنا عايش لوحدي. أجرّت شقة، مكانها مش بطال. هاديلك العنوان وتعالى لي علشان نقعد في أقرب فرصة ونرغي مع بعض.

- وهو كذلك، أكيد هاجي.

سجل سيف الله عنوانه فوق قصاصة ورق وأعطاها لفرهاد:-

- قبل ماتيجي اتصل، كتبت لك تليفوني.

- ربنا يخلّيك.

- بالمناسبة محدش يعرفني هنا باسم سيف الله، الكل بيقولولي كامران! وإنت تقدر تقول لي كامي.

وضع سيف الله يده في جيبه وأخرج عملات ورقية لكي يدفع ثمن السجائر، فرفض فرهاد أخذها وقال:-

- ماينفعش يا أستاذ سيف الله، آسف يا أستاذ كامي، المرة دي خلّيك ضيفي، ماتغلاش عليك.

- وحياة حبايبك إن وافقت، الصداقة صداقة، والشغل شغل. فلو مأخدتش هازعل منك.

أخذ فرهاد النقود ووضعها في جيبه. وسأله كامران:-

- كنت خلصت؟

- أيوة، لازم أروّح البيت. وقفت من الصبح لحد دلوقتي هنا على رجل واحدة.

- يالاّ نمشي، وأنا هاوصلك.

- لأ مش عايز أتعبك.

- تعب إيه، ماتكونش خايف أعرف عنوانك وأجيلك مرة؟

- إيه الكلام اللّي بتقوله ده! إذا كان كده خلاص يالاّ نمشي.

جمع فرهاد أدواته، واستقل السيارة. جلس سيف الله أو السيد كامي أيضاً خلف عجلة القيادة وتحرك.

- حسناً، المفروض أمشي منين؟

- امشي عدل لحد الميدان وبعدها حوّد يمين، مش بعيد أوي.

- مش مهم، لو كان على جبل قاف[1] هاوصلك، بعد ٥ سنين وفي النهاية واحد بلدياتي يقابلني وأكنّه هاسيبك بالسهولة دي!

- خدامك يا كامي، وربنا يخلّي كل إنسان كويس.

عندما وصلا لمقصدهما قال فرهاد:-

- ربنا يخلّيك يا كامي، العربية مش هتمشي قدام عن كده، خُد فرملة هنا علشان صاحبك ينزل.

- وصلنا؟

- أيوة، شايف الحارة الضيقة دي؟

- أيوة شفتها.

- تدخل الحارة وتحوّد يمين هيكون هناك زقاق سد، في نفس الزقاق الأوضة الخرابة بتاعتنا. يافطتها رقم ١٨، خدامك بيته هناك!

- وهو كذلك، جايز أعدي عليك بعدين.

- جايز لأ، قول أكيد. صحيح طالما جيت لحد هنا ياﻻّ ندخل شوية، ونشرب شاى سادة مع بعض.

- ربنا يخلّيك، اتاخرت ولازم أمشي، مرة تانية.

- خلاص ربنا يزيدك عزّة، ربنا يخلّيك.

فتح فرهاد باب السيارة ونزل. أخرج عدته ومد يده إليه

- مع السلامة.

- إلي اللقاء، أكيد اتصل بيَّ.

- من عيني، سعيدة.

- مع السلامة.

رجعت السيارة للخلف وابتعدت، وعاد فرهاد إلى المنزل سعيداً ومسروراً. وكان شهريار في انتظاره:-

- أقدّم سلامي لصاحب الفخامة!

اتجه شهريار إليه بابتسامة وقال:-

---

[1] - جبل قاف: ورد اسمه في القرآن الكريم، ويعتبره بعض المفسرين أنه جبل أسطوري محيط بالكرة الأرضية، ويقول البعض إن الفاصل بين ارتفاع هذا الجبل وبين عنان السماء مقدار طول شخص، ويرى البعض أنه يوجد خلف هذا الجبل عوالم ومخلوقات لا يعلم عددها إلا الله، وأن الشمس تشرق وتغرب من هذا الجبل.

فرهنگ معين، جـ٦، ص١٤٣٢.

- سلام، تسلم. أحوال التاجر بتاعنا إيه، أحوالك عال؟!

وضع فرهاد فرشته في ركن، وحكّ يديه ببعضهما وقال:-

- عال عال والله! الأفضل أصلاً إني أقول سعيد سعيد!

- الله يبارك لك، رجعت الليلة دي متأخر شوية!

جلس فرهاد بجانبه، وأدفأ يديه على نار المدفأة وأجاب:-

- كنت ناوي آجي بدري، لكن واحد بلدياتي غني قابلني وأسعدني بمقابلته.

- واحد بلدياتك؟!

- أيوة، من ولاد الحتة القدام في البلد. يلعن أبوه ده أدّ إيه سحنته اتغيرت! في الأول ما عرفتوش لكن هو عرفني كويس. وساعة ما عرّفني بنفسه ماكنتش مصدق إن ده نفسه سيف الله ريقوي بتاعنا! علشان هو نفسه بقى إنسان عليه القيمة. كان راكب عربية "پيكان"[1] تساوي ألفين تومان! ودلوقتي غيّر اسمه وبقى كامران!

- وبلدياتك المحترم ده بيشتغل إيه؟

- في الحقيقة مافهمتش شغلته يعني ماوضّحش، لكن باين إن شغلته فلوسها كتيرة أوي وإلاّ مكانش هو ده سيف الله اللّي أنا عارفه، اللّي ماعندوش آه علشان يتاجر بالنواح.

- ماتغتبش الناس من ورا ظهرهم، اتعشيت؟

- لأ ما أكلتش. خلّيني الأول أشوف حساباتي وبعدين أدوّر على معدتي! يا كافر دي ريحة الفلوس لمّا بتملا مناخيري مايبقاش عندي نفس.

في تلك الليلة، إلى أن ذهب فرهاد للفراش كان لا يزال يتحدث عن سيف الله وأسرته:-

- أبوه مات في طفولته، أمه كانت بتشتغل خياطة في البلد، وكانت مضطرة ترعى ٦ عيال كبار وصغيرين، وكانت بتجيب مصاريفهم كلهم من مكنة الخياطة القديمة دي. رشيد، أخو سيف الله كان معايا في نفس الفصل. كان مصاحب كل العيال، لكن ما كناش بنتفق مع بعض، دايماً كنا بنتنطط على أكتاف بعض ونهدد بعض، كان عيّل شقي ومالوش زيّ. أفتكر كويس في يوم، من سوء الحظ أنا ورشيد وقعنا في بعض، هو اللّي كان بيتخانق كتير ماقدرش يحكّ ظهري في الأرض، رفعته بضربة واحدة ودقّيته في الأرض زيّ البطيخة، العيال اتريقوا عليه ورشيد راح البيت وهو مطاطي راسه، بعدها بيومين لمّا كنا راجعين من المدرسة كعبلني، واستهزأ بيّ قدام العيال وقال: يا عيال

---

[1] - نوع من السيارات إيرانية الصنع.

فرهنگ معاصر، ص١٩١.

البنطلون المتبعتر ده بتاع أبوه، أمه لحد دلوقتي جابته بيتنا كذا مرة علشان أمي تصغرّهوله علشان يبقى على مقاسه!

القصد إنه قال وقال والعيال يهقهقوا. شفت إني لو ماردتش عليه هيبجّح، فجريت علشان أضربه علقة لكنه فر وهرب، ومرة واحدة مسكته من قفاه ووقعته على الأرض. ونويت أضربه باللكمية في دقنه، فاتنصّح وحدف شوية تراب من الأرض في عيني، أنا برضه ماخفتش وضربته بحجر مدبب كان تحت رجلي على دماغه. راسه انشقت زيّ الشمامة والدم جري! لقيت إن الأوضاع ساءت! فاستلفت رجلين على رجلي وهربت!

بالليل أمه جت بيتنا، ونوّحت وصرخت أوي، وكانت بتشتم، كانت عايزه تخنقني، فأبويا قال لها إنه هيعاقبني بنفسه. وبعدها برضه كان مُجبر مع كل الفقر ده إنه يديها أيّ حاجة تعوض خسارة دوا العلاج ويمشّيها. وفي الليلة دي انضربت علقة محترمة من أبويا. تاني يوم سيف الله ده بقى اللّي كان في الوقت ده أكبر مني بكام سنة، جه قُدام المدرسة وساعة ماخرجت، رزعني كام كف تمام على ودني عقلى طار من دماغي وعيني ضلمت. أنا بقى اللّي قوتي ماتجيش فيه حاجة بدأت الجري وفي أثناء هروبي قعدت أشتمه.

رحت البيت وأنا باتكعبل، ومن الخوف استخبيت في الصندرة. وخفت لا قدّر الله ييجي المكان ده ويضربني تاني، القصد إن السنة دي كانت آخر سنة رحت فيها المدرسة، بعدها سبت التعليم ورحت ورا الغنم. والليلة دي وبعد كل السنين دي شفت سيف الله تاني، لكن ده فين وسيف الله ابن أقدس هانم فين؟! ماعرفش سيء الأصل ده وصل بأيّ حيلة.

– نام دلوقتي يا فرهاد، خايف نفضل نايمين للصبح.

– بتقاطعني تاني! خلّيك مكاني، يعني ليّ مين أشكي له همي!

– ما هو لو أنا مامنعتكش هتبقى عايز ترغي لحدّ ما القيامة تقوم.

– خلاص أنا هاتخرس، تصبح على خير.

أعطاه فرهاد ظهره واستغرقه النوم سريعاً. انقضت أشهر على هذا المنوال. وذهب الشتاء وحل الربيع. وازدهر عمل فرهاد في أيام النوروز[1]، وكان قد وفر مبلغاً من المال وقرر أن يرسله لأبيه

[1] – عيد النوروز: من أشهر الأعياد الوطنية الفارسية، ونوروز اسم مركب من (نو) بمعنى "جديد" و (روز) بمعنى "يوم" أي اليوم الذي تبدأ به السنة الجديدة، وهو بداية فصل الربيع، وأول أيام شهر "فروردين" أول شهور السنة الإيرانية الشمسية، ويوافق يوم الحادي والعشرين من مارس في السنة الميلادية.

انظر: على دواني، نهضت روحانيون ايران، جـ١٠، مشهد، بدون تاريخ، ص٢٩٥. وأيضا: طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، (بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – جـ ١٧، ١٩٩٣م).

وأمه. ذات يوم وفي النهاية تجرأ واتصل بكامران وبعد الاستئذان اتخذ الطريق لمنزله. بعد قليل من البحث وفي النهاية، وجد شقته، وضغط جرس الباب.

ضغط كامران على زر الإنتركم، وفتح الباب. صعد فرهاد الدرج عدواً وحينما وصل الطابق الثاني كان كامران في انتظاره على عتبة المنزل.

– سلام، شرّفت.

– سلام يا كامي يا حبيبي، إزيك؟

– أنا كويس، وإنت إزيك؟ اتفضل.

– لوحدك؟

– أيوة اتفضل، ماعندناش حد غريب، أنا وإنت.

دخل فرهاد، واصطحبه كامران إلى غرفة الاستقبال.

– كويس، عجيبة افتكرتنا؟ افتكرتك نسيتني!

– لا يا عم، وحياة حبايبك كام مرة نويت آجي لكني كنت مشغول أوي. شغل الناس لا له جمعة ولا أجازة.

– واقف ليه أقعد البيت بيتك.

– ربنا يخلّيك، كنت عايز آجي أعيّد عليك لكن كنت مشغول أوي ومكانش عندي فرصة.

– مبدئياً أنا ماكنتش في العيد في طهران.

– رحت البلد؟

– لأ يا عم، رحت مع جماعة أصدقاء للشمال.

– الشمال؟ وانبسطت؟

– كانت نقصاك، قضينا كام يوم في فيلا واحد من الأصدقاء وانبسطنا على الآخر.

– الجو هناك عامل إيه؟

– مكانش حلو أوي. الكام يوم اللّي كنا فيهم هناك يا إما الجو مغيم يا إما ممطر، يوم بس ماناوينا نرجع الشمس طلعت، ومكانش ليها فايدة لكن انبسطنا على الآخر. وموجود في الفيلا دي من لبن العصفور لحد روح البني آدم، ومكانش له لازمه نخرج لّلهو.

– دايماً تكون مبسوط، حسنا إزيك؟

– كويس، خلّيني أجيب لك فاكهة.

- ماتتعبش نفسك.

- مفيش تعب، هارجع حالاً.

ترك كامران فرهاد بمفرده بضع دقائق وفي أثناء غيابه تأمل فرهاد ما حوله بدقة. كانت شقة صغيرة وأنيقة وتبدو جديدة، كان فرهاد مشغولاً بالتأمل على هذا النحو عندما عاد كامران بصينية شاي وفاكهة.

- تعبت نفسك أوي، تعالى أقعد نرغي مع بعض شوية.

- جاي، أصبر دقيقة واحدة.

أدار كامران جهاز التسجيل، ثم جلس على مقعد إلى جوار فرهاد، عزم عليه بسيجارة ووضع سيجارة أخرى في فمه وأشعلها بقداحة. نفث فرهاد بضعة أنفاس من سيجارته وقال وهو يتأمل ما حوله:-

- عندك بيت جديد وجميل!

أجاب كامران مبتسماً:-

- مايغلاش عليك.

- الوحدة مابتزهقكش؟

- لأ، عند شغل بالدرجة اللّي تخلّيني أصلاً ماحسّش بالوحدة.

- نهايته ماقلتش بتشتغل إيه؟ وشغلتك إيه؟

بينما كان كامران يتملص من إعطاء إجابة صريحة، ارتشف شايه وأجاب بابتسامة:-

- قلت إن، باخدع خلق الله!

- هو ده الرد؟! وبتخدعهم إزاي؟

- كل صنعة لها أصول. ساعة ما أدوات العمل تيجي في إيدك، باقيتها سهل.

- كويس طب علّمنا.

- وبيع السجاير عيبه إيه علشان تبقى عايز تغير شغلتك؟

- والله علشان الفلوس، عايز أجيب أكتر، عايز أعمل لنفسي عظمة زيك، أشتري بيت، ويبقى عندي عربية، من الآخر عايز أغيّر حياتي تماماً.

- صحيح عامل إيه مع صاحبك في الأوضة؟

– متفقين مع بعض. قلت إنه ولد كويس أوي، يا ريتك كنت شفته، قلت له تعالى نروح مع بعض لكنه مجاش. وده مش لأنه عايز يتدلل، لأ هو أصلاً مش بتاع الكلام ده. متواضع جداً، ومنزوي علي نفسه، لا بيروح مع حد ولا بييجي.

– شغلته إيه؟

– بيصلح رداوي. المحل مش بتاعه، المسكين منكوب حرب، فقد كل عيلته في "خرمهشر"، ودلوقتي مالوش حد.

– له في الهلس ولاّ لأ؟

– هلس؟ قصدك إيه؟

– قصدي الشعوذة والمكر والخداع!

– لا يا عم الله يرحم أبوك، ده إنسان بسيط، لا محتال ولا غشاش، أصلاً الشعوذة مش في طبعه، وما عدا السيجارة مفيهوش أيّ عيب. ده مخلّي نفسه فيلسوف!

– إزاي؟

– راسه دايماً في الكتاب، يقرأ ويتكلم.

– يعني بيقول كلام له معاني؟

– لأ يا بويا كلامه لا له معاني ولا دياوله! هو بس مستقيم أوي، ويحب ينصح الناس.

– ده لازم إنسان مثير للاهتمام!

– أيوة، أوي.

– لكن أنا واحد ماستحملش قرف النوع ده من الناس، وبازهق من الناس الوعظة، همّ بس يعرفوا يوعظوا ومايعملوش حاجة مفيدة.

– جميل كل واحد له طباعه، هو بقى من النوعية دي، كلامه مثير للاهتمام، ومابيجرحش حد، المسكين من سوء الحظ إنه عاش وسط الناس دي. نهايته، ماقلتلناش بتشتغل إيه؟

– نفسك أوي تعرف؟

– أكيد نفسي.

– باشتغل في مطبعة، ارتحت دلوقتي؟

– مطبعة؟

– أيوة.

– إذن لازم شغلانة كويسة، وإلاّ مكانتش تخلّي الواحد يقدر بتعليمه البسيط إنه يعلا بالشكل ده.

- ده بيتوقف على الشخص نفسه. لو إنت ذكي طريق العظمة هيتفتح لك، بس لازم الواحد يكون شجاع.

- إحنا شجعان لكن الشغل الكويس مابيجيلناش. صحيح تقدر تشغلّني هناك؟

تطلع إليه كامران لحظات من خلف دخان السيجارة، عندئذ ضحك وأجاب:-

- في قعدة تانية أشوفك، وأرد عليك. لازم أسأل، واستفسر.

- ضروري اعمل كده.

- ساعتها هتكون مضطر تسيب شغلك.

- مش مهم، لو دخله هيكون أكبر من بيع السجاير والكوبونات المتهربة هاسيبها. عايز شغلانة راقية، شغلانة من غير وجع دماغ لكن مليانة دخل وثروة!

- وهو كذلك يا صاحبي، هاشوف هاقدر أعملك إيه.

- ربنا يخلّيك.

مكث فرهاد لدى كامران بضع ساعات ثم قام لإلقاء التحية:-

- حسنا إحنا لازم نمشي.

- مش هتفضل معايا لحد بالليل؟

- لأ مرة تانية، أنا هيبقى لي أوقات كتيرة معاك.

- وأنا كمان برضه!

- إذن فعلا مع السلامة.

- في رعاية الله. وماتنساش اتصل بيّ بعد كام يوم.

- وهو كذلك أكيد.

وبعد أن ترك كامران، عاد فرهاد إلى المنزل بسيارة أجرة. وليلاً شرح لشهريار كل محادثاتهما.

- الاتفاق إنه يحاول يجيب لي شغلانة في المطبعة.

- والله بالكلام اللّي إنت قلته عن صاحبك، أنا رأيي إنه إنسان غامض.

- غامض! لأ يا عم مش زيّ ما إنت بتقول كده.

- خايف إنه يكون شخص مخالف للقانون، ويفاجأك بحاجة ماتكونش على البال.

- إنت متشائم أوي، مش باين عليه إنه بتاع الكلام ده.

- مش دايماً وش الناس بيبيّن حقيقتهم، فاكر بهروز؟

– أيوة عارف، لكن كلهم مش زيّ بعض.

– يا رب، دلوقتي ولاّ بعدين هيبان.

– إنت بنفسك كنت بتقول دايماً لازم يتعمل مع الناس علاقات اجتماعية.

– أيوة، لكن مش مع أيّ حد، مش عايزك تقاسي، أنا شاكك في صاحبك المجهول ده.

– وإنت مابتشكّش في مين! ثانياً، أنا مش ناوي أتردد عليه، هو بس ساعة ما يثبّت إيدي في مكان هاروح والزق في حرفتي. أنا لازم أنجح، ولو سيف الله ريقو قدر أكيد أنا كمان هاقدر.

حلّق فرهاد تلك الليلة وليال أخر مع آماله البعيدة. وذات يوم كان في عمله عندما جاءه فجأة رجال البلدية وصادروا كل نقوده بتهمة إشغال الطريق، وأخذوها. قاوم فرهاد – الذي رأى رأس ماله في خطر – وتعارك مع المسئولين لكنه لم يستطع مواجهة المسئولين من أن يحول دون أخذ نقوده. لذا عاد إلى المنزل بيد خالية وحمل من الغم والقلق على كتفيه.

كان مكتئباً وقلقاً وجلس في ركن، وبكى من شدة الحزن بكاءً مريراً، كان قد فقد كل رأس ماله. وحتى الليل أخذ يضرب رأسه في الباب والحائط كالمجانين، ويلعن حظه السيء. حتى شهريار لم يستطع أيضاً أن يخفّف من همه وحزنه.

– مالك يا فرهاد! هتموت نفسك كده، يا عم الدنيا مانتهتش!

– بتقول إيه يا شهريار، بقيت منحوس وفقير. ده كل اللّي اشتغلته، فقدت كل حاجة، اترعشت في برد الشتاء واتحرمت من النوم والأكل علشان أقدر أجمع مبلغ بسيط، وشفت أخرتها كله اتبخر وراح في الهوا! اللعنة على أبو الحظ.

– دلوقتي ماتزعلش نفسك بالشكل ده. حقيقي ماعجزناش.

– مبقاش فاضل لي أيّ حاجة. كل اللّي حوشته أخدته من ٣ أيام واشتريت سجاير، ويا ريت إيدي كانت انكسرت ومارتكبتش الحماقة دي، يا ريتني كنت ركنت شوية فلوس لنفسي على جنب. يا رب أنا ليه منحوس بالدرجة دي، ودايماً سوء حظ، ونحس ورا نحس، إيه الجرم اللّي عملته؟ وبافشل كتير كده ليه؟

– اهدأ شوية يا فرهاد، خايف آخرتها يجيلك سكتة، وتوقّع نفسك في مشقة. اللّي حصل حصل، زعلان ليه؟ روح أشكر ربنا إن عندك جسم سليم، وتقدر من تاني تاكل لقمتك بإيدك. وأنا برضه ما متّش، وفي الآخر قليل أو كتير هنعيش مع بعض بأيّ شكل.

وقف فرهاد أمامه بملامح متجهمة وقال بفظاظة:–

- روح إنت لوجه الله، وماتفكرش فيّ، وبطّل بقى تضايقني وخلّيني أتحرق بألمي. طب قول إنت، فيه إنسان في الدنيا منحوس أكتر مني؟ إيه الحياة دي؟ أنا ليه حظي وحش كده؟ روح يا شهريار، روح أنا خايف نحسي يتنقل لك، وجايز المرض ده يعديك إنت كمان، أنا إنسان شؤم، ومش عايزك تتحرق بناري.

- ماتقولش كلام فارغ يا بني تكونش اتجننت؟

- أيوة، أيوة. اتجننت، هتقول إيه؟

- إنت متضايق دلوقتي، وهاعذرك. أنا كمان آسف ليك لكن حسناً مفيش حاجة تتعمل، خلّينا لمّا تهدأ نفكر مع بعض.

كان فرهاد يدخن باستمرار وهو يغمغم لاعناً الأرض والزمان، ولم يهدأ أو يستقر لحظة واحدة. أمضى الليلة كلها في حزن، وفي الصباح سقط متعباً في ركن وذهب في النوم على هذا الوضع. عاد شهريار من العمل ظهراً مبكراً عن المعتاد، وكان فرهاد نائماً، فأعد هو الطعام في هدوء، كان منهمكاً في طهيه حينما فتح فرهاد عينيه الناعستين، ونظر إليه من طرف عينيه. قال شهريار مبتسماً:-

- سلام، صح النوم!

نظر إليه فرهاد بحزن ولم يجب.

- قوم يا بطل، قوم، ده وقت المعركة! ولازم يروح لحرب المعدة.

أعطاه فرهاد ظهره بغضب، وغلبه النوم. قهقه شهريار واستطرد قائلاً:-

- مش عايز تدوق حاجة من طبيخ إيدي؟ هتندم هه!

وعندما لم يتلق إجابة انشغل بعمله، وبعد ذلك بسط المائدة وانهمك في تناول الطعام. كانت رائحة الطعام الشهية قد أثارت معدة فرهاد الخالية والجائعة، فأراد أن ينهض عدة مرات، ويجلس على المائدة ولكنه قاوم، وفي النهاية لم يستطع أن يسيطر على نفسه، فنهض، وبعد غسيل يديه ووجهه لحق بشهريار. فقال شهريار مازحاً:-

- جميل جميل! شايف عملت إيه! تسلم إيدى! هه يا بني، فكّ حواجبك، واضحك يا بني اضحك علشان الدنيا تضحك في وشك.

- سيبني يا شهريار، أصلاً ماعنديش مرارة للهزار، الدنيا سودا في عيني، هاموت من الغم اللّي جوايا.

- إنساه يا صاحبي، لو زعلت من هنا لحد ١٠٠ سنة فلوسك مش هترجع. الحياة لازم تبدأ من جديد.

- بإيه؟ إيدي فاضية، وما فاضلّليش ولا نكلة.

- مش مهم، إبدأ من الأول وأنا برضه هادعمك.

- علشان يطبّوا عليّ تاني ويفقروني؟ وأقع تاني وماقدرش أقوم؟ لأ يا صاحبي مش إحنا.

- أمّال عايز تعمل إيه؟

- ماعرفش لكن لازم أتحمل المسئولية، المرة دي هاروح لكامران، يمكن هو يقدر يلاقي لي شغلانة.

تطلع إليه شهريار، ولم يقل شيئاً، كان يعلم أن نصائحه لن تجدي في فرهاد، وبعد أن تناول فرهاد طعامه، ارتدى ملابسه، وخرج من المنزل. تسكع فترة في الشوارع، ثم دخل محلاً لكي يتصل من هناك بكامران تليفونياً.

طلب الرقم ولم يرد عليه أيّ شخص، تردد عدة مرات وطلب الرقم مجدداً، وفي النهاية خرج من المحل، وسار فترة في الأزقة والحواري دون هدف. وليلاً قبل أن يعود للمنزل، اتصل مرة أخرى بمنزل كامران، وهذه المرة أيضاً لم يرد أحد على التليفون. فقرر أن يرجئ الاتصال التالي لوقت آخر،. وفي نفس اللحظة تحرك في اتجاه المنزل مباشرة.

بعد يومين من الجلوس في المنزل، نجح في أن يتصل بكامران تليفونياً، ودعاه كامران في نفس الوقت إلى منزله. وبدون أن يضيع فرهاد الوقت استقل تاكسياً، ووصل إليه وشرح له كل ما حدث له دون نقصان. هزّ كامران - الذي كان يستمع لحديثه بتركيز - رأسه بأسف وقال:-

- في الحقيقة يا صاحبي إنت إنسان حظه وحش.

- شفت، صدقت دلوقتي؟ لو رحت ناحية البحر، ميّة البحر هتنشف!

- دلوقتي ناوي تعمل إيه؟

- ماعرفش والله، غرزت في الطين زي الحمار!

- إنت ماكنتش تعرف ديتها، كنت لازم ترشيهم كويس علشان يتجاهلوا سجايرك.

- فعلاً اقترحت على واحد منهم لكنه ماسمعش. واترجيت بكل حاجة إن يا سيدي يا حبيبي أنا باشتغل، ودي مش سرقة، وأكنّه مأثرش فيهم. وحطوا كل فرشتي في العربية وخدوا بعضهم ومشيوا، شوية من تجار الحتة جم يؤيدوني لكن مانفعش.

- على أيّ حال اللّي حصل حصل، التاجر اللّي وسط الناس لازم يبقى مركز أوي ويكون مفتح عينه حواليه كويس.

أشعل فرهاد سيجارة وقال:-

- حصيلة شقايا عدة شهور اتبخر، وراح في الهوا.

- يا ريت كان عندك بعد نظر شوية، وكنت شلت فلوس لأيام الفقر.

- وإيه اللّي عرّفني إن ده هيحصل، وإن مصيبة هتنزل على راسي من السما فجأة، لو كنت أعرف ماكنتش فرشت أصلاً في اليوم ده. صحيح، إنت قدرت تلاقي لي شغلانة؟

حكّ كامران أنفه بأظفره وأجاب بعد فترة قصيرة:-

- ارتاح الليلة، وبكرة هاخدك مكان شغلي.

- لأ مش هازعجك الليلة، ولازم أرجع البيت.

- خايف ماترتحش في بيتي؟

- لأ وحياتك، مش عايز أزعجك.

- مفيش إزعاج، الليلة دي نكون مع بعض، وماتعملش تكليف معايا تاني. تحب أتصل يجيبوا لنا العشا من المطعم ولاّ نخرج إحنا ناكل بنفسنا؟

- مطعم ليه؟ أنا باشبع بلقمة وجبنة.

- هتعمل تكليف تاني؟ قوم، قوم نروح ناكل، منّا نشم لنا شوية هوا ومنّا نملا بطننا بالأكل، ونفرّج عن نفسنا، جو المطعم أحسن.

استعد الاثنان للتحرك. ارتدى كامران ملابسه وفي أثناء الخروج من الحجرة قال:-

- الليلة دي الساعة ١١ هاقابل واحد من الأصدقاء، عايزك إنت كمان تبقى معايا، متعلّق بشغلنا.

- أنا في خدمتك، لو مفيش مشاكل في رأيك أنا ماعنديش كلام.

أوصد كامران الباب ونزلا الدرج معاً. وفي الشارع، اتجه كامران ناحية سيارته لكي يفتح بابها، وبمجرد أن مد المفتاح تجاه باب السيارة، أحاط به اثنان من رجال الشرطة. وبدون أن يهلع كامران سأل:-

- أيّ خدمة؟

- إحنا عندنا أمر نجيبك قسم الشرطة، وبالمناسبة بيتك لازم يتفتش.

- ممكن لو سمحت بأيّ تهمة؟ يعني أنا عملت إيه؟

- هتعرف بعدين، وامشي معانا من غير وجع دماغ.

اقترب الشرطي الآخر من فرهاد، وقيد يديه، فرهاد الذي كان متحيراً ومضطرباً كان ينظر إلى كامران أحياناً وإلى الشرطيين أحياناً، واستسلم هو أيضاً دون مقاومة. ودخل الجميع شقة كامران، وخلال دقائق انقلبت الشقة تماماً. فتّش الشرطيان بدقة وتوجس في جميع أرجاء المنزل.

كان فرهاد وكامران قد أحتفظ بهما كل منهما بعيد عن الآخر. وطوال هذه الفترة، كان فرهاد قلقاً وكامران هادئاً، واحتفظ بابتسامة سمجة على شفتيه، وهو متطلع إلى تحركات رجال الشرطة ولم يقل شيئا.

بعد ساعة من البحث المتواصل، في النهاية صدر أمر بوقف التفتيش من قبل مأمور يبدو أنه أعلى رتبة من الآخرين، وتوجه إلى كامران وخاطبه:-

- اتحركوا.

أزاح فرهاد يد الشرطي باعتراض وقال:-

- وأنا لازم آجي ليه؟

- ماتتكلمش واتحرك.

- علشان إيه؟ أنا ماعملتش حاجة.

- هيبان بعدين عملت ولاّ لأ، اتحرك بسرعة.

نظر فرهاد إلى كامران لكنه لم يبد أيّ رد فعل، فسار باستسلام برفقة رجال الشرطة. وخارج المبنى استقلوا سيارة الشرطة. طوال المسافة، كان كامران قد التزم الصمت لكن فرهاد كان يعترض باستمرار.

- إنتم واخدنّي ليه؟ والله أنا ماعملتش حاجة. قولولي إيه الحكاية؟

قال الشرطي الجالس بجانبه بغلظة:-

- اخرس وماتبرطمش كده، أيّ كلام عندك تقدر تقوله في القسم.

اتجه فرهاد لكامران وسأله برجاء:-

- كامي يا حبيبي إيه الحكاية؟ دول أخدونا ليه؟

نكس كامران رأسه وقال:-

- أسكت، همّ مالهومش دعوة بيك.

- أمّال قيدوني ليه؟ وعايزين يودوني القسم ليه؟ إنت عملت إيه؟

- قلت لك أسكت! واستحمل شوية يا راجل!

كان قلب فرهاد منقبضاً وكان مدهوشاً، ورد إلى ذهنه أن يهرب لكنه كان يعلم أن المحاولة على أيّ وجه هي عديمة الفائدة، فمن ناحية كان مقيداً من يده ومن ناحية أخرى كان محاطاً بواسطة الشرطيين. ما هي إلاّ نصف ساعة حتى أدخلوهما مبنى مقر الشرطة وبعد التفتيش الذاتي تم وضع كل منهما منفصلاً في حجرة، كانت اللحظات تنقضي ببطء وفرهاد الذي كان الجوع يؤلمه كان يلتف حول نفسه كثعبان جريح، وكان خائفاً من نهايته.

لساعتين أو ثلاث لم يأت أحد إليه ولم يبال أحد بصيحات اعتراضه. وفي أثناء ما كان في قمة الضيق والضغط العصبي، جاءه شرطيّ. وعبرا الممر وسأله فرهاد:-

- سيدي ممكن أروح الحمام؟ تعبان أوي ومش قادر أمسك نفسي.

لم يهتم الشرطي بكلامه في البداية لكن عندما تعدى توسل فرهاد الحد، سمح له أن يذهب للحمام. وما هي إلاّ دقائق وكان فرهاد يجلس متعباً واهناً أمام ضابط المباحث، ويجيب على أسئلته:-

- بقى لك أدّ إيه على علاقة بسيف الله المعروف بكامران؟

- والله يا سيدي الرئيس أنا كنت عارف سيف الله من الطفولة. كنا مع بعض في نفس البلد، وكان عايش في البلد لحد كام سنة فاتوا، لكن بعد كده ماشفتوش لحد حوالي من شهر تقريباً، يمكن أقل أو أكتر، مش فاكر التاريخ، شفته. أو يعني في الحقيقة هو اللّي شافني. كان آخر الليل، وكنت بالمّ فرشتي لمّا جه واشترى مني سجاير، وبعدها عرفني وعرفّني بنفسه. وأخد عنواني وادّاني عنوانه علشان أروح أزوره.

- قابلته كام مرة؟

- كلهم مرتين.

- أحسن لك تقول الحقيقة، الكدب هيخلّي وضعك أسوأ.

- أقسم بالله باقول الحق. وحياة سيدنا علي أنا ماكدبتش على حضرتك في ولا كلمة.

- كويس كمل.

- أيوة كنت باقول إن المرة الأولى كانت بعد العيد، لمّا رحت بيته وقعدت معاه ساعة ولاّ اتنين وبعدين رجعت بيتي.

- والمرات اللّي بعد كده؟

- أنا قلت إني رحت بيته مرتين اتنين بس. تاني مرة كانت في الليلة دي اللّي حصل فيها الموقف ده.

– إنت كنت عارف هو بيشتغل إيه؟

– أيوة، كان قال لي إنه بيشتغل في مطبعة.

نظر سيادة النقيب إليه نظرة العاقل للسفيه، وقال وهو يبتسم بسخرية:–

– غريبة! مطبعة؟

– أيوة، هو بنفسه قال كده. وكان الاتفاق إنه يلاقي لي شغل. من كام يوم رجالة البلدية الكفرة طبّوا وأخدوا معاهم كل مالي بتهمة إشغال الطريق، كنت تايه وعاجز، فقلت لنفسي دلوقتي أنا فقدت كل مالي فأحسن لي أروح لبلدياتي. لأني كنت شفت وضعه المتأزم أوي، وخلال الخمس سنين اللّي جه فيهم طهران بقى صاحب عظمة وجاه على الآخر! رحت واتكلمت معاه، وقال لي هاعرّفك، والليلة دي قال لي هاخدك بكرة لمكان شغلي. زيّ ما يكون كان دوّر لي على شغلانة. خرجنا من البيت علشان نروح نتعشى لمّا طبّ علينا العساكر ومسكونا. والله حتى ماتعشيناش، ودلوقتي جعان على الآخر!

– وإنت مافكرتش إن عامل مطبعة دخله أدّ إيه علشان يقدر يترقى مرة واحدة كده؟

– والله هاقول إيه؟ حضرتك عايز الحق، فكرت في الموضوع ده كذا مرة، لكن قلت لنفسي أكيد هو ذكي، وأكيد عنده حظ، ما هو الكل مش منحوس ومشئوم زيّي. كل ما أمسك في شغلانة أفشل، خايف لمّا أموت حتى الأرض ترفضني!

– على أيّ حال لحد ما يبان صحة الأقوال لازم نستضيفك شوية.

– وأنا هاقدر أثبت لسعادتك إزاي إني مش مذنب، في الوقت اللّي أنا لسه ماعرفش ذنبي إيه وإيه الجرم اللّي ارتكبته؟ أنا حتى ماعرفش إيه هي تهمة سيف الله ومقبوض عليه ليه؟

– لو عندك حظ وسيف الله اعترف بكل حاجة وقال إن إنت مالكش دور في مخططاته ومالكش ذنب، هتخرج بسرعة.

بعد ساعات من تحقيق طويل ومجهد، أعيد فرهاد إلى زنزانته مجدداً. جلس في ركن، واحتضن ركبتيه بحزن، وغرق في التفكير. كان قد أمضى ليلة متعبة ومضنية وفجأة تذكر كلام شهريار، فهو لم يكن له وجهة نظر طيبة تجاه كامران، وكان يعلم أنه شخص غامض ومريب. كان فرهاد قد أدرك الآن أن شهريار كان محقاً ولا يجب أن يثق في أيّ شخص. وبالرغم من أنه لا يزال لا يعلم أيّ جرم ارتكبه كامران، وما هو ذنبه، إلاّ أنه كان متأكداً من أنه قد قام بأعمال غير قانونية.

كان قد عانى بشدة في تلك الليلة حتى حل الصباح، وفي منتصف النهار أحضروه للتحقيق للمرة الثانية. أعيدت عليه نفس الأسئلة دفعة واحدة، وأجاب هو أيضاً نفس الإجابات، وعندما عاد إلى

زنزانته ضعيفاً واهناً على الأقل كان يعرف هذه المرة أيّ جرائم كان قد ارتكبها كامران. كان متهماً بتزوير وثائق حكومية رسمية، وثائق من قبيل تزوير بطاقة شخصية، كارنيه وغيره. كان فرهاد خائفاً جداً ومرعوباً تماماً، فلو ثبت جرم كامران، وورّط فرهاد معه بالكذب، وذكر أنه شريك في جرمه يكون قد قُرئت عليه الفاتحة.

والآن مع العلم بهذا الموضوع، كان قلقه واضطرابه قد تضاعفا، فلعن حظه ونصيبه مائة مرة. لماذا وضعته يد القدر في طريق كامران، لم يكن يعلم كيف يجب أن يثبت براءته، ويخرج من هذا الفخ المرعب. كان يتمنى لو ملك جناحاً، وطار من هذا القفص وهرب إلى الصحراء، كان غائصاً في دوامة اضطرابه ولا يصدر منه فعل سوى التحسر والتأوه.

حُبس في مقر الشرطة ثلاثة أيام، وبعد ذلك حولوه إلى السجن. كان لا يعلم شيئاً عن مصيره، ولا يدري شيئاً عن كامران، ولم يكن يعلم إلى أين جره عمله. فمنذ القبض عليه حتى تلك اللحظة لم يكن قد رأى كامران ثانية، كان وضعه أفضل في مكان التحفظ عليه لكنه كان مغتماً ومحزوناً حتى أنه لم يكن يتحدث مع أيّ شخص، ولا يأكل بشكل جيد، وكان كل عمله هو الحزن والتدخين.

بعد عشرة أيام ونهاية لليأس والقلق صدر الحكم بإطلاق سراحه. عندما أبلغوه الحكم شُل لسانه لدقائق، ولم يملك القدرة علي الحركة. لم يكن يصدق أنهم أفرجوا عنه، وبعد لحظات عندما وضع قدمه على الطريق انهمر الدمع بغزارة من عينيه، تطلع إلى السماء لدقائق، وأخذ بضعة أنفاس عميقة. كان يعتقد أن الحرية بالنسبة له هي أعظم وأسمى نعم الحياة، تأمل باب السجن الحديدي بنفور وانزعاج، وتمنى من قلبه ألاّ يقع في هذه الأماكن أبداً. زاد من سرعة خطواته لكي يهرب من تلك المنطقة بأسرع ما يمكن، استقل تاكسياً وعاد إلى المنزل، كان شهريار في العمل كالمعتاد، وكان المنزل نظيفاً ومرتباً كالمعتاد. ولم يكن قد تغير أيّ شئ في غيابه، فخلع ملابسه وسخن لنفسه شاياً وبعد ذلك استعد لإعداد الغذاء. كان قلبه قد اشتاق لشهريار وكان يدعو الله أن يراه بأسرع ما يمكن.

كانت الساعة حوالي الواحدة عندما دار المفتاح في قفل الباب، ودخل شهريار الحجرة بهدوء. قفز فرهاد أمامه فجأة، واحتضنه وهو يجهش بالبكاء. فقد شهريار - الذي لم يكن يتوقع مثل هذه الحركة – توازنه، ووقع على الأرض، وأغرق فرهاد – الذي كان منفعلاً – وجهه بالقبلات.

– ربنا مايخنقكش يا بني، إنت خوفتني على الآخر.

– ربنا يخلّيك يا شهريار يا حبيبي، خلّيني أبوسك. ماتعرفش قلبي كان مشتاق لك أدّ إيه.

- قوم وماتدلّعش، تكونش رجعت من قندهار؟ إنت كنت في أيّ قبر المدة دي؟ وغبت مرة واحدة كده ليه؟ ارفع جسمك المكعبر ده أحسن هاتخنق.

نحّى فرهاد بنفسه وأضاف شهريار:-

- مفيش أيّ خبر إنت كنت فين؟ تسيبني من غير خبر وتمشي وبعدين تظهر فجأة، وتهجم على روحي زيّ المجانين!

تنهد فرهاد وقال:-

- ربنا مايورّيش لحد. ماتعرفش عانيت أدّ إيه في الفترة دي.

- كنت فين؟ رحت بلدك؟ ماكنتش قادر تديني خبر وبعدين تمشي؟ مافكرتش إني هاقلق عليك؟

- أقول لك إيه يا شهريار يا عزيزي، لو اتكلمنا اللسان يتحرق ولو داريت نخاع العضم يتحرق.

- ماتكونش رحت البلد وسكينة الحادبة قفشتك، وحطت طوق اللعنة حوالين رقبتك؟

- يا ريت كان حصل اللّي بتقوله ده. تعرف، كنت محبوس، وخرجت حالاً.

- إيه؟ محبوس؟ إنت اتجننت؟

- لا والله صدقني، باقول الحق، أفرجوا عني النهاردة الصبح.

- إيه اللّي بتقوله ده يا بني! تكونش حلمت؟

- دلوقتي إزاي هيصدقني! يا سيدي يا حبيبي كنت واقع في السجن، مابتفهمش؟ اتحبست بعد إذن حضرتك ١٣ يوم وكنت باشرب مية ساقعة!

- علشان إيه؟ بأيّ تهمة؟ كنت عملت إيه؟

- ولا حاجة.

- ولا حاجة؟! إنت قلت وأنا صدقت. أكنّه بيحصل إنهم يسجنوا الواحد بتهمة إنه ماعملش حاجة؟ أقعد واحكي لي إيه اللّي حصل؟

أخبر فرهاد شهريار بما حدث له خلال الأسبوعين الأخيرين دون نقصان، وأضاف في النهاية:-

- القصد إنه بعد كل النحس ده ماعرفش عرفوا منين إني مش مذنب، وأفرجوا عني. تصدق أصلاً مكانش عندي أمل إنهم يفرجوا عني بالسرعة دي، ربنا كان رايد إني أنجو.

- حكاية غريبة! يعني قلبي مكانش قلقان من غير سبب، مرة ولاّ مرتين شفت أحلام مقلقة، وافتكرت إنها طقّت في دماغك ورحت البلد. وكنت زعلان منك أوي علشان مشيت من غير ما تودعني، لو كنت اديتني خبر أكيد كنت هاجي أزورك.

– ماسمحوليش أتصل بحد في الفترة دي، ربنا يلعن كامران ده، مخلاش حاجة علشان يخرب بيتي، عديم الأصل!

– أنا كنت عارف من الأول إن الراجل ده فيه حاجة غلط في شغله.

– كنت بفكر دايماً فيك وفي كلامك هناك، ووعدت نفسي إن من هنا وجاي هاسمع كلامك في أيّ حاجة تقولها.

– دلوقتي بتقول كده، خلّي كده كام يوم يعدوا وساعتها هتنسى كل حاجة، الإنسان بينسى المصاعب بسرعة، وإنت إنسان عنيد ومابتتعظش من الحاجات دي، مش كده!

– دلوقتي هتشوف. من دلوقتي وبعد كده مش هاشرب حتى المية من غير إذنك. أنا فهمت دلوقتي إنك فيك حاجة لله!

– الله يبارك لك بقيت إنسان بيفهم!

– ماتعرفش يا شهريار أدّ إيه الحرية لها فرحة! ده أنا كنت عفنت في الزنزانة، وبالرغم من إن كل اللّي حواليا كان مليان بالمساجين، لكني كنت حاسس إني وحيد وشريد. قلت للكل إني مش مذنب، لكن محدش كان بيصدق كلامي.

– ماسمعتش اللّي بيقولوا الكافر بيحسب الكل على دينه!

– أيوة حقيقي زيّ ما بتقول كده. تصدق أنا زيّ ما أكون عجّزت ٥ سنين.

– لأ يا عم، لسه جسمك سليم ومعافى برضه!

–ماتبصش لمظهري يا بني! بقيت زيّ تفاحة واكلها الدود!

– ماتفكرش في اللّي حصل. الحمد لله إنك عقلت وفهمت اللّي بيدور حواليك.

– تبت عن إني أثق في أيّ حد تاني، حتى في أمي. كامران ابن الحرام ده كان قرب يعمل مننا محترفين سوابق! كويس إن ورقه انكشف بسرعة، وإلاّ كنت أكيد هافضل في السجن لآخر العمر. صحيح أنا جهزت غدا علشانك.

– جميل جميل بتتكلم بجد؟

– أعدمك!

– في الحقيقة الغدا ده هيتاكل، إذن اتحرك وحضّر السفرة بسرعة لأن قلبي هيموت عليه!

– وهو كذلك، مدد يا علي.

«٨»

ذات يوم صباحاً وفي أثناء تناول الإفطار عرض فرهاد موضوعاً.

– تعرف يا شهريار، قررت أرجع البلد.

ابتلع شهريار لقمته وسأله:–

– حلمت بإيه تاني؟ أكيد المرة دي عايز تروح تعمل مزاد على بيت أبوك وترجع؟

– لأ ناوي أروح، وأفضل معاهم على طول.

– إيه؟ على طول؟

– أيوة، لازم أروح هناك، تعبت بقى من الفقر والتشرد، بقى لي أسبوعين باخبط على الباب ده والباب ده يمكن الشغل يتوجد لكن محصلش، الفقر والنحس ضيعوا أماني، المفروض أستحمل الوضع ده لحد إمتى؟ والمفروض أبقى عالة عليك لحد إمتى؟

– فرهاد، إنت أكيد عرفتني كويس في الفترة دي، عمري مافرقت بيني وبينك، ومافكرتش فيك أبداً على إنك متطفل وعالة عليّ.

– كتر خيرك، ومتشكر لأنك استحملت طبعي الشؤم لحد دلوقتي. إنت حقيقي صديق كويس، لكن أنا كده وصلت لآخر الخط. يوم مادخلت طهران، فكرت في نفسي إني خلال سنة ولاّ اتنين هاقدر بالسعي والجهد إني أغتني على الآخر، وأوصل لكل آمالي العريضة، لكن للأسف محصلش، وصلت للسراب بدل الميّه. وعلى رأي المثل سماع صوت الطبلة حلو من بعيد! إحنا كنا بنسمع حاجات عن طهران من بعيد، وكنا فاكرين إن "علي أباد" مدينة! وحياة اللّي بتحبهم ماحصلش، إن شاالله أموت لو كنت فضلت في البلد كان حالي أحسن دلوقتي، كنت اشتغلت في أرض أبويا، وعملت فلوس، لكن دلوقتي مضطر من الفقر إني أجمع أعقاب السجاير من الشارع .

- كل الحاجات اللّي قلتها صح، وموافق عليها كلها، لكن المرواح خالي اليد بالشكل ده هو اللّي مش صح.

– وإية الحل؟

– حلها إنك ترجع تلاقي شغلانة كويسة. جايز ماتقدرش تحقق ثروة وفلوس، لكن على الأقل تقدر تؤمن مصاريفك وماتحتاجش لحد. إحنا لازم نرضى بأقل حاجة في الحياة، ومانعترضش.

قام فرهاد من على المائدة، وجلس في ركن، وقال وهو يشعل سيجارة:–

- مشكلتي إن مفيش شغل ليّ، لا أنا متعلم ولا عارف صنعة أو حرفة، ده على الأقل لو كنت أعرف أبقى مغسل كنت رحت واتوظفت على طول في بهشت زهرا[1]! شايف حتى الشغلانة دي برضه مانفعش فيها.

ارتشف شهريار آخر رشفة من شايه، وقال وهو يجمع المائدة:-

- والله مش عارف أقولك إيه، أنا وإنت لازم نتحد مع بعض، ونشكر ربنا على لقمة العيش والجبنة اللّي بنلاقيها، قلت دايماً وهاقول تاني برضه، من دلوقتي ولحد ١٠ سنين جايين لو ما لاقيتش شغل أنا عارف واجبي، وهو إني أتولى حياة نفرين وماتكلمش. أصلاً باعتقد إني باصرف على أخويا. إنت عارف بنفسك إني فقدت كل الناس اللّي ليّ، وسعادتي هي إنت والكام كتاب المستعملين دول، فلو إنت مشيت أنا بجد هازعل، هو إحنا يعني بناكل إيه؟ ومصاريفنا مش حمل للدرجة دي برضه علشان ماقدرش عليها، ورزقنا على الله.

جلس شهريار أمامه، وأشعل سيجارة وأضاف:-

- أنا مش عايز أمنع مرواحك أو أغير رأيك، وكل المقدمة الطويلة دي علشان تعرف إني بحبك زيّ أخويا، وإني مابعملش فرق بيني وبينك.

ابتسم فرهاد، وأجاب:-

- ربنا يخليك، عمري ما هانسى محبتك، وباتمنى من ربنا إنك تنجح دايماً في حياتك وماتمدش إيدك لحد.

- نهايته، قررت إيه؟

- والله لسه على رأيي، أعتقد لو مشيت هيكون كده أحسن بكتير. ومعايا عنوانك، وفي أيّ وقت يكون فيه فرصة أكيد هاكتب لك جواب.

- وهو كذلك مفيش كلام. أتمنى لك النجاح في أيّ مكان تكون فيه.

قام فرهاد وارتدى معطفه، فسأله شهريار:-

- عايز تروح فين؟

- هاروح الموقف علشان أقطع تذكرة لأتوبيس بكرة الصبح.

- أصبر أنا كمان جاي معاك.

---

[1] - بهشت زهرا: اسم جبانة شهيرة في طهران.
فرهنگ بزرگ، جـ١، ص٤٢٣.

- وهو كذلك تعالى، مبسوط إن آخر جمعة هنكون مع بعض، بصراحة ولو مش هتضحك عليّ ولا تستهزأ بيّ عايز أمشي، وأودع طهران عديمة الوفا. وصدقني لو قبعتي وقعت الناحية دي مش هاجي حتى علشان أشيلها.

- ده إنت زعلان من المدينة دي بشكل وحش!

- وليه لأ؟ دلوقتي مضطر أودع أحلامي، أنا بيني وبين السعادة أميال، ومفيش مكان ليّ أنا وأمثالي في المدينة السايبة دي.

- مش لازم تيأس، ونصيحة ودية مني ليك، ما تفقدش أملك أبداً، وإلاّ مش هتقدر تملك أيّ حافز للعيشة والحياة.

- وهو كذلك كل اللّي إنت تقوله، وهاحاول أرضى بحالي.

استعد فرهاد وشهريار للتحرك، وخرجا من المنزل. كانا يتقدمان سائرين على هذا النحو عندما أثار اهتمام فرهاد موقف ما، فعند منعطف أول الحارة، كانت سيارة نصف نقل محملة بأثاث منزل قد توقفت. وثمة رجل مسن وعجوز يبدو أنهما أصحاب الحمولة، كانا يعانيان بشدة وصعوبة في أثناء حمل ونقل الأثاث من داخل الشاحنة إلى فناء المنزل الذي كان بابه مفتوحاً. كان الرجل المسن والعجوز يذهبان متعبين لاهثين إلى داخل الفناء، وبعد وضع أثاثهما في ركن، يستأنفان الحمل والنقل مرة ثانية.

فقال فرهاد بقلب قد امتلأ بالشفقة لشهريار:-

- نفسي أساعدهم أوي، صح ولاّ رأيك إيه؟

- أنا كمان موافق، نروح وأنا كمان هاساعدك.

ذهب فرهاد إليهما، وطلب منهما بأدب أن يسمحا له وصديقه أن يساعداهما. وافق الرجل المسن بسرور وهو يتمتم بالدعاء، ولمّا كان قد تعب وعجز تماماً، وقف في زاوية، واستند إلى الحائط وسمح لفرهاد وشهريار أن يشمرا أكمام الهمة ويساعداه. انهمك فرهاد وشهريار بسرعة ودقة، ونقلا لوازم الرجل المسن والعجوز البسيطة إلى داخل الفناء. واستدارت السيارة النصف نقل بعد إخلاء حملها، وأخذ الأجرة وابتعدت.

نفض كلا الصديقين تراب ملابسهما، وتقدم الرجل المسن لشكرهما وقال:-

- ربنا يقويكم، إلهي يديكم طول العمر لأنكم ساعدتوني أنا الراجل العجوز، إلهي ما تعجزوا أبداً.

خفض شهريار رأسة بتواضع وقال:-

- إحنا معملناش حاجة يا والدي، ده واجب علينا.

وأضاف فرهاد تعقيباً على كلام صديقه:-

- بصراحة مكانش ورانا حاجة فقلنا نعمل خدمة، وعلى أيّ حال إحنا بقينا جيران وحضرتك زيّ والدنا.

- من غير شك يا بني، ودلوقتي بعد تعبكم ده كله على الأقل اتفضلوا نشرب شاى سادة مع بعض أو كوباية ميّه ساقعة تطري زوركم.

قال شهريار مبتسماً:-

- كتر خيرك يا والدي، هنشربه في مرة ثانية، ودلوقتي لازم نمشي علشان حضرتك تكمل شغلك.

قال فرهاد دون تردد:-

- لو مفيهاش مضايقة كنت عايز أشرب كوباية ميّه.

قال الرجل ببشاشة:-

- من عيني، يالاّ ندخل، مايصحّش هنا قدام الباب.

ذهب فرهاد ناحية باب الفناء، ووقف على عتبته ونكس رأسه، وسمع صوت الرجل المسن وهو ينادي:-

- حميدة، حميدة.

أجابه صوت فتاة رقيق وجميل:-

- نعم يا بابا.

- هاتي يا بنتي شفشق ميّه لضيفنا.

- حالاً يا بابا، جايه.

أمسك الرجل المسن صرة، وتحرك صوب الحجرة. في تلك الأثناء خاطب صوت نسائي فرهاد وقال:-

- اتفضل يا أستاذ.

رفع فرهاد رأسه، ونظر لصاحبة الصوت، لكن فجأة ذبلت الابتسامة على شفتيه وحل محلها الحيرة والإعجاب. فالفتاة التي وقفت أمامه كانت في غاية الشباب والجمال، وكان الحسن يبدو على وجهها، حتى أن فرهاد لم يستطع أن يتمالك نفسه أمام كل هذا الجمال الطاغي، وأحس في نفس اللحظة أن عاصفة هبت في قلبه. فاحمرّ وجه الفتاة من نظرته الطويلة المفاجئة، وبينما كانت تعض بأسنانها على شفتيها أعطته الكوب، ونظرت إلى الأرض.

ارتشف فرهاد الماء رشفة رشفة، لكنه شعر أن شيئاً ما كان قد سد طريق حلقه. ولم يكن حال شهريار أقل منه، فقد اضطرب هو أيضاً مع رؤية الفتاة وجمال طلعتها، وأحس بأنه قد نشأ نوع من الانجذاب العاطفي بينه وبين الفتاة. كان كل منهما يتأملها، وأعطى فرهاد الكوب الخالي للفتاة وقال:-

- ممكن كوباية تانيه لو سمحت.

- أيوة من عيني.

شرب فرهاد كوباً ثانياً وثالثاً، وسألت حميدة مبتسمة:-

- أصب لحضرتك تاني؟

- لأ لأ، تسلم إيدك كفاية كده.

- وحضرتك؟ أصب لحضرتك ميّه؟

استرد شهريار جأشة فجأة، وخفض نظره، وقال بتلعثم:-

- لأ... لأ ... متشكر... مش عطشان ...

أحس شهريار أن ضربات قلبه قد اشتدت، وأن عموده الفقرى يتدغدغ. كل منهما ألقى التحية على حميدة بوجه مشتعل وملامح متغيرة ومضيا من الحارة، كان كل منهما حائراً مفكراً، ولا يبوح أيّ منهما بإحساسه للآخر. فقد كان شهريار في صراع مع قلبه، ورأى فرهاد أنه لا يملك المقدرة على الرحيل، هو الذي كان من ساعة مضت عزم على الرحيل بإصرار، والآن يرى أنه قد فقد رغبته فجأة، ورغب في البقاء.

فقد سلبت عيون حميدة الآخاذة ووجهها الجذاب قلبه، وضاع منه اختيار الحياة، وكانت روحه في تلاطم، ولم يكن يعلم كيف يواجه تلك المشكلة. فلو قال لشهريار أنه انصرف عن قراره سيكون قطعاً موضعاً للسخرية، ويتهمه بعدم الإرادة، لذا قرر أن يتذرع بحيلة. وكذا انفعل شهريار بشدة أيضاً، فلأول مرة يرتعش قلبه من رؤية فتاة، شيء لم يكن يرد حتى في خياله.

كان كل منهما يعاني في خضمّ الحياة إلى حد ما من المشاكل الاقتصادية التي معها لم يستطيعا أبداً أن يفكرا في مسألة الزواج والحب، ولم تحتل امرأة مكاناً في أفكارهما وأحلامهما، لكن الآن فكل منهما أصبح أسيراً لعشق غير متوقع، وسعى كل منهما أن يخفي إحساسه.

لزم فرهاد الصمت حتى قرب موقف السيارات، ولم يكن يرغب في أن يدرك شهريار ضعفه، ومن ناحية أخرى فهو لا يملك حجة للبقاء. في النهاية، ترك شهريار في ركن ووقف هو في صف قطع التذاكر، وما هي إلاّ دقائق حتى عاد، وقال:-

– يالاّ نمشي.

– إيه اللّي حصل، حجزت؟

– لأ ماحجزتش.

– ليه؟

– مفيش أصلاً تذاكر لبكرة، كل التذاكر محجوزة من قبل كده.

– طب كنت حجزت لبعد بكرة.

– كنت عايز أحجز لكن صبي البائع قال إن كل التذاكر محجوزة لآخر الأسبوع من قبل كده، نمشي دلوقتي، ولحد الأسبوع الجاي ربنا كبير. إنت نفسك كنت بتقول دايماً من العمود ده للعمود ده بتفرج. يمكن اقدر في الكام يوم دول أدبر شغلانة نافعة، يالاّ نروّح البيت، ماعرفش حسيت مرة واحدة بالكسل ليه، زيّ ما أكون أخدت برد.

– أخدت برد؟

– أيوة، دماغي مصدّع، أفتكر إني لو استريح هابقى كويس.

ولأول مرة تمنى شهريار من أعماق قلبه أن يتركه فرهاد وحيداً مع أفكاره وأحلامه، ويذهب للقرية لفترة، كم كان يتمنى أن يكون وحيداً ليفكر في مشكلته. استقل فرهاد – الذي لم يكن يعلم شيئاً عن مشاعره تاكسياً – وجذب شهريار وراءه، وأغلق الباب. وطوال المسافة حاول أن يخفي مشاعره، لذا أمضى الوقت في حديث لا معنى له، وأخذ يثرثر حتى قرب المنزل.

وصلا إلى المنزل، ووضع فرهاد الوسادة تحت رأسه بحجة الصداع، وحاول النوم، لكنه كان يخطط في ذهنه كيف وبأي طريقة يقترب من أسرة الفتاة، ويتواصل معهم؛ لكي يتمكن بعدها من أن يتزوج بحميدة، ويعقد نكاحه عليها. جلس شهريار أيضاً في ركن بعيداً عن فرهاد، وأمسك الكتاب، وانشغل بقراءته. ولأول مرة كان ينظر إلى سطوره فقط دون أن ينتبه لموضوع أو محتوى الكتاب، وكانت أفكاره تسير في مكان آخر.

كان شهريار ينسج في رأسه أيضاً أفكاراً مشابهة لأفكار فرهاد، وكان يتمنى أن يذهب لخطبة حميدة يوماً ما، ويعقد زواجه عليها. من ناحيته لم يكن يوجد مانع لزواجهما، ولو وافقت أسرة الفتاة والأهم من الجميع الفتاة نفسها، سيبدأ هو على الفور ويعد للزواج.

في تلك الدقائق كان فرهاد يفكر في نفسه كيف يستطيع أن يكسب ثقة والد الفتاة ووالدتها إليه، وخلف تلك الأفكار كان يفكر في ذلك الموضوع المهم والأساسي، وهو في حالة موافقة الفتاة

ووالدها ووالدتها، كيف سيجهز لوازم الزواج، ويجد لنفسه عملاً لكي يستطيع أن يوفر حياة مريحة وهادئة لزوجته.

كان يبدو من ظاهر الأمر أن أسرة حميدة فقيرة مادياً، وليس لديها الإمكانات الكافية، فاطمأن فرهاد من هذه الناحية، وتأكد من أن بسبب كونهم في هذا المستوى أيضاً فإنه في حالة طلب خطبته من حميدة، لن يحملوه كثيراً ولن يشترطوا شروطاً قاسية.

في ذلك اليوم كان شهريار وفرهاد يتظاهران بالحديث مع بعضهما لكن في الباطن، كانت نار حارقة قد تشبثت في قلبيهما، وأمضيا طوال النهار في سيرة حميدة. وليلاً أيضاً عندما ذهبا للفراش أعطى كل منهما للآخر ظهره، وهو يأمل في وصالها وغاصا في أحلامهما.

مع بداية النهار، تناول شهريار إفطاراً بسيطاً، وبدون أن يوقظ فرهاد من النوم اتجه إلى عمله. استيقظ فرهاد من النوم قبل الظهر بساعة، تناول بعض الخبز والجبن، وأشعل سيجارة، وانهمك في التفكير أثناء تدخين سيجارته. الآن لابد أن يغتنم الفرصة ويجد عملاً.

ارتدى ملابسه، ومشط رأسه أمام المرآة، وملّس بيده على شعره، أطفأ عقب سيجارته وخرج من المنزل. وحينما وصل أمام منزل حميدة أحس أن قدميه لا تساعدانه على السير وأن قلبه يرتعد في صدره، اقترب أكثر، ورفع يده ليضغط الجرس. ظلت يده فوق إطار الجرس، وسيطر التردد عليه، فلو انفتح الباب فبأيّ حجة يستطيع أن يتذرع؟

هبطت يده دون وعي، وتحرك دون لحظة تردد، وابتعد بسرعة. وحينما وصل إلى الشارع اشترى علبة سجائر، وإحدى صحف الصباح من كشك لبيع الجرائد. وقف في ركن، وقرأ صفحة الوظائف الخالية بدقة. العمل الذي كان يوافق اهتماماته لم يكن مدرجاً في الإعلانات، فتنهد وطوى الجريدة، ووضعها تحت إبطه، وواصل طريقه. وبعد لحظات وجد نفسه أمام محل إسماعيل لبيع السجاجيد. ففتح الباب ودخل.

كان إسماعيل مشغولاً بالحديث إلى رجل، وبمجرد أن وقعت عيناه على فرهاد ابتسم وقال:-

- سلام يا فرهاد، إزيك يا بني؟

- بلطفك مش بطال.

وقف فرهاد أمامه، ووضع الجريدة فوق المنضدة وأضاف:-

- كنت معدّي من الناحية دي فقلت آجي أقدم الطاعة، وآخد الإذن.

- ده من ذوقك، اتفضل أقعد.

نهض الشخص الثالث الذى حضر هناك قبل دخول فرهاد، وخرج بعد أن ألقى التحية. جلس فرهاد مكانه على المقعد، وسأله اسماعيل:-

- قول لي، إيه الأخبار؟

- أبداً، سلامتك.

- بقى لي فترة كبيرة ماعرفش عنك حاجة، إيه اللّي حصل؟ نسيتنا؟

- إحنا في أيّ مكان بنكون تحت رعاية حضرتك يا سيد أسمال، والله كنت مشغول على الآخر الفترة دي.

- إزيّ أحوالك؟ بتشتغل ولاّ لأ؟

- اشتغلت قبل كده، وكانت حالتي كويسة، لكن اتنحست تاني.

- كنت بتشتغل إيه؟

- بيّاع سجاير، لكن بتوع البلدية طبوا وجمعوا فرشتي وأخدوها، ومن ساعتها لحد دلوقتي بقيت عاطل تاني.

- غريبة! يعني دلوقتي خالي شغل؟

- أيوة، لسوء الحظ وكل ما أروح مكان أرجع بإيد فاضية، أنا ماعرفش الحظ الندل ده إمتى ناوى يخبط على باب بيتي؟

- ما تزعلش، وربنا كبير.

- مازعلش إزاي يا سيد اسمال؟ والله من كتر ما مليت قلبى بالحزن والهم، ورم القلب المسكين ده زيّ الطبلة! ليّ واحد صاحبي، مايتخيرش عن حضرتك إنسان كويس، دلوقتي بقى له سنتين متحمل مصاريف عدم شغلي، ومن خجلي مابقيتش قادر أبصّ في عينه. وعايز بأيّ شكل كان ألاقي شغلانة لنفسي. والمرة دي ماتفرقش هيكون إيه، حتى لو كان حفر بير هاوافق، وحياة ربنا يا سيد اسمال لو تقدر ماتبخلش عليّ، والله ماهتنطط من الفرع ده للفرع ده تاني، وأوعدك إني هاطاطي راسي والزق في الشغل زىّ العيّل اللّي بيلزق في أمه.

فكر إسماعيل لحظات، وقال:-

- والله هاقول إيه، اديني مهلة علشان أرجع ألاقيلك شغلانة مناسبة في أول فرصة.

- أنا مستعجل جداً يا سيد اسمال، أيّ شغل كان هاشتغل، أيّ شغل.

- خلّيك صبور يا بني يا حبيبي، الحكاية ماتنفعش تخلص بالسرعة دي.

- حضرتك ماتقدرش تجيب لي شغلانة في نفس المحل؟ مستعد أكنس وأمسح بس يشغلوني.

- كان ليّ صهري هناك وهو اللّي كان واسطتي، لكن هو دلوقتي اشترى محل من فترة وبيشتغل لحساب نفسه. ما هو لو كنت فضلت هناك، واتعلمت أصول الصنعة كان زمانك دلوقتي بقى لك شأن.

- وإيه اللّي عرفني يا سيد اسمال، كنت غبي.

- إبقى عدى عليّ، وهاحاول أعمل حاجة.

- أعدي عليك إمتى؟

- ٣ أو ٤ أيام كده، وكله بأمر الله.

- ربنا يخلّيك يا سيد اسمال، هارد لك الجميل.

- قمت ليه؟ أقعد أصب لك شاي.

- تسلم إيدك لازم أمشي، مع السلامة.

- شرّفت، أشوفك على خير. صحيح مش هتاخد الجرنال بتاعك!

- لأ، خلّيه مع حضرتك.

بعد خروج فرهاد من المحل جاب الشوارع والمحال ليضيع ساعات للبحث عن عمل. وفي النهاية، اشترى جريدة أخرى دون طائل، واتخذ طريقه صوب المنزل. وفي أثناء دخوله كان شهريار جالساً في ركن، ويدخن سيجارة. وكان وجهه الدائم البشاشة على خلاف عهده مكسواً بهالة من الحزن والغم.

ومع رؤية فرهاد، استجمع جأشه واتجه إليه بابتسامة.

- سلام.

- سلام.

- رحت فين؟

- بادوّر على شغل.

- شغل؟ يعني قررت تفضل؟

- أيوة هافضل. وإنت مالك؟ زيّ ما تكون مش فايق؟ إنت عيان؟

- لأ بس تعبان شوية.

- باين، لونك مخطوف، وشكلك مبهوت!

- رحت فين؟

- أماكن كتيرة، رحت دكان السيد اسمال، ووعد إنه يشوف لي شغل.

- الراجل ده يعرف بس يوعد، ماتدّيش لنفسك أمل من غير فايدة.

- أنا هافضل وراه.

- اشتريت جرنال؟

- أيوة، يمكن يكون فيه حاجة مفيدة .

- هات أبصّ فيه.

- خده إقراه، هاروح أحط شوية ميّة على راسي ووشي، عندنا غدا إيه؟

- أنا ماليش نفس أوي، لكن فيه حاجة علشانك.

- هارجع حالاً.

ذهب فرهاد إلى الفناء، وتصفح شهريار الجريدة، وألقى نظرة على المقالات. قضيا تلك الليلة دون أيّ حديث خاص، ومع بداية النهار، استأنف فرهاد بحثه مرة أخرى. راجع بعض المحال، وطلب عملاً، لكن كانوا يجيبونه بالنفي. ومع اقتراب الظهر حينما كان متوجهاً إلى المنزل، رأى شهريار بالمصادفة على رأس الشارع وهو يعبر الرصيف بهدوء.

صاح فرهاد من على نفس المسافة، وناداه. وقف شهريار عند سماع صوته، وعاد إليه، وزاد فرهاد من سرعة خطواته، ووصل إليه.

- سلام.

- سلام. كنت فين؟

- أهو، ورا سوء الحظ.

- لقيت شغل؟

- لأ يا عم، شغل إيه؟ دوّرت في كل حتة، وماتيسرليش حاجة، اتفو على ده الحظ! تديني سيجارة؟

- أيوة، وماديكش ليه!

أعطاه شهريار سيجارة وأشعلها له.

- تسلم إيدك، وإنت؟ مش هتدخن؟

- مش عايز أدخن على معدة فاضية، ما أكلتش في الفطار كويس.

وبينما كانا يتقدمان مترجلين وقعت عين شهريار على حميدة من بعيد فجأة، كانت حميدة قد وقفت على رأس الحارة، وتتحدث مع شابين، وهي تتطلع فيما حولها بدقة وبمجرد أن وقعت عيناها على شهريار وفرهاد، رفعت يدها، وهوت صفعتها على وجه أحد الشابين. التفت فرهاد لشهريار وقال:-

- زيّ ما يكون كده ولاد الحرام دول بيضايقوا بنت الناس.

وقبل أن يدرك شهريار، ألقى فرهاد سيجارته في ركن، ووصل إليهم مسرعاً، وأمسك بخناق أحدهما وهو يسب ويلعن بصوت عال، وسحقه في الحائط بإحكام.

- بتضايق حريم الناس ليه يا عديم الإنسانية؟ أكنّ معندكش شرف.

أمسك شهريار أيضاً بخناق الشخص الآخر وضربه، وفي لمح البصر نشب العراك واحتدم الصراع. فر الشابان - اللذان كانا قد فوجئا بكثير من اللكمات والركلات ممن حولهما - وهربا من التهلكة.

ووجه فرهاد - الذي أراد أن يذهب خلفهما - برفض شهريار:-

- سيبهم. انزاحوا بشرهم، ومشيوا.

- سيبني أروح أخلص حسابهم، الأندال!

- يالاّ نمشي، اتأدبوا بما فيه الكفاية.

كانت حميدة قد وقفت في ركن بوجه شاحب وهي تتأملهما، فاقترب فرهاد، وألقى التحية وسأل:-

- كانوا ضايقوكي يا أختي؟

خفضت حميدة نظرها للأرض وأجابت:-

- أيوة، خفت أوي في الأول، لكن ساعة ماشفتكم من بعيد فهمت إن الخوف مالوش مكان ولازم أدافع عن نفسي.

كانت وجنة فرهاد مجروحة قليلاً وسال الدم من أنفه. فقالت حميدة بانزعاج:-

- يااه، إنشالله أموت، حضرتك اتعورت؟

- مفيش حاجة مهمة.

- على أيّ حال متشكرة جداً لكم إنتم الاتنين لإنكم ساعدتوني إني أخلص من إيد الاتنين السفلة دول.

- العفو يا أختي، إحنا معملناش حاجة.

سار الثلاثة، وعندما وصلت حميدة أمام منزلها، ضغطت جرس الباب وقالت:-

- لو سمحتم تدخلوا وتغسلوا وشكم.

أجاب شهريار:-

- مفيش داعي، مش عايزين نضايقكم.

في نفس اللحظة فتح أبو حميدة الباب، وأخبرت حميدة والدها بشكل مفصل بكل ما جرى من مضايقة الشابين، ووصول فرهاد وشهريار فجأة، فنظر إليهما الرجل المسن نظرة ممتنة وقال:-

- ربنا يطول عمركم يا ولاد، ربنا يحفظكم لأبوكم وأمكم، باين إنكم ولاد أصل، يالله اتفضلوا، اتفضلوا البيت بيتكم.

استسلم فرهاد وشهريار تحت إلحاح الرجل المسن، ودخلا المنزل. ذهبت حميدة إلى الحجرة وأرشدهما الرجل المسن إلى الحمام. فغسل فرهاد وجهه بالماء، وعدل شهريار هندامه أيضاً. أعطاهما الرجل المنشفة التي أحضرتها حميدة وقال:-

- تشرفوني أنا الراجل العجوز، وتتغدوا معانا.

- كتر خيرك يا والدي، مرة ثانية.

جذب الرجل المسن يد شهريار وقال:-

- أنا مابعملش تكليف مع ولادي. يالاّ ندخل.

نظر شهريار إلى فرهاد، وأحس أن فرهاد لا يستاء من أن يقبل دعوة الرجل المسن لهذا رافق الرجل المسن دون اعتراض. وقال الاثنان يا الله، ودخلا الحجرة، رحبت بهما والدة حميدة التي كانت قد عقدت عباءتها على وسطها، وجلس الجميع على الأرض، وقال الرجل المسن:-

- ربنا بعتكوا إنتم الاتنين علشان تساعدوني أنا وأسرتي في كل الأحوال، دايماً قبل كده كنت بازعل إن ماعنديش ولد، لكن دلوقتي ربنا اداني ولدين مرة واحدة.

قال فرهاد بمجاملة:-

- العفو يا حاج، إحنا خدامينك.

توجه الرجل المسن لزوجته وسأل:-

- عندنا إيه على الغدا؟ ولادي أكيد جعانين، هاتي كل اللّي عندنا.

وضعت حميدة ووالدتها المائدة، ووضعتا عليها الأطباق. وما هي إلاّ دقائق حتى التف الجميع حول المائدة، وتناولوا بشهية "الدمبختكي"[1] الذي كانت قد طبخته والدة حميدة. كان فرهاد يتناول طعامه بهدوء، وبين الحين والآخر يختلس النظر إلى حميدة، وعندما انتبه في النهاية أن حميدة تنظر إليه أيضاً، سعد قلبه.

---

[1] - نوع من الأطعمة الإيرانية يطهى من الأرز والبصل المحمر والبرغل وأحيانا يضاف إليه بعض الحبوب الأخرى كالعدس واللوبيا ويقدم ساخنا.

فرهنگ معاصر، ص٤٢٥.

كان الرجل المسن يتحدث بلا انقطاع، وهو يحكي عن ماضيه:-

- ماتشوفونيش دلوقتي، زمان كان ليّ شنة ورنة، كنت شاب وقوى، وكنت باقف قدام المشاكل زيّ سد الإسكندر، مكانتش حاجة تعصى عليّ، لكن للأسف، دلوقتي بقيت راجل عجوز ومهكع وماقدرش أعمل حاجة، دلوقتي حتى مباقدرش أشيل حمل وزنه ٢ كيلو لوحدي. مضطر أقعد في ركن، وأعد الثواني على وصول الموت. أيوة يا ولادي يا حبايبي، اعرفوا قيمة شبابكم، لو الشباب راح مايرجعش تاني ...

بعد تناول الطعام والشاي، شكر شهريار الرجل المسن وقام، وقام فرهاد - الذي كان يتمنى أن يبقى أكثر من ذلك - مضطراً، وبعد شكر والد حميدة ووالدتها خرج من منزلهم برفقة شهريار. وما أن ودع شهريار فرهاد حتى توجه إلى عمله، بينما عاد فرهاد إلى منزله حيث لم يكن لديه عمل محدد. نام ساعة أو ساعتين، وبعد ذلك جال في الشوارع فترة للبحث عن عمل، وكالمعتاد توجه ليلاً إلى المنزل خالي الوفاض ويائساً.

في تلك الليلة، كان كل من الصديقين غائصاً في بحر أفكاره، ولم يكن لديهما رغبة في الحديث. وصباح اليوم التالي، اختلى فرهاد بنفسه فترة، وقرر عندئذ أن يبوح بأسرار قلبه لحميدة بأيّ شكل كان.

خرج من المنزل، وسار فترة في نواحي منزل الرجل العجوز، وصعد الحارة وهبطها. مضت ساعتان وأخذ ييأس تدريجياً، وعندما قصد العودة خرجت حميدة فجأة من المنزل مرتدية العباءة، وفي يدها سلة من الخوص.

ابتعد فرهاد بسرعة، ووصل إلى أول الشارع، كان يريد أن تعتقد أن لقاءه عن طريق الصدفة. وعندما ظهرت حميدة في المقابل، تحرك إليها بهدوء، وحينما وصل أمامها ألقى التحية بأدب، وطلب من حميدة أن تعطيه بضع دقائق من وقتها. نظرت حميدة - التي تحيرت تماماً - إليه وأجابته بالإيجاب، قال لها فرهاد بشكل مختصر أنه مهتم بها، وقرر أنه في حالة موافقتها سيطلب خطبتها سريعاً من والدها ووالدتها.

تطلعت إليه حميدة فترة في صمت، وبعد ذلك فتحت فمها للحديث وقالت:-

- سامحني إني هاتكلم بصراحه كده، أنا اتحسّرت سنين في بيت أبويا، واتحرمت من كل حاجة، ونفسي اتجوز براجل يأمّني من جميع النواحي، مش عايزه أعاني سوء الحظ في بيت جوزي زيّ بيت أبويا، وأربي ولادي على الفقر والحرمان. عايزه زوج يقدر يغرقني فلوس ومجوهرات،

ويشتري لي بيت وعربية، فلو حضرتك عايزني أكون مراتك لازم يكون عندك شغلانة كويسة دخلها كبير، وتوفر لي حياة مثالية، في الحالة دي أنا وأبويا وأمي هنوافق من غير كلام.

استأذنت حميدة بعد قول هذا الكلام، وابتعدت عن فرهاد. ظل فرهاد لفترة كشخص أصابوه بصدمة، وهو ينظر إلى حصى الشارع وليس لديه أيّ مقدرة على الحركة. كان من ناحية يتمنى لو أظهرت حميدة ميلاً للزواج به، ومن ناحية أخرى كان يفكر في نفسه كيف يستطيع أن يحصل على مال وثروة، وأن يحقق رغباتها، فبالحالة التي هو عليها علم أن من المستبعد أن ينجح في أمره. فأين هو من المال والثروة؟ وقرر بأيّ شكل كان وبأيّ نحو ممكن أن يحقق أمله.

أمضى طوال ذلك اليوم واليوم الذي يليه مع أحلامه، فمن أجل الثراء يوجد طريق واحد فقط، والهاجس الذي كان قد تملكه لم يكن يتأتّى في أيّ عقل أو منطق، واصل الليل بالنهار بهذه الأفكار، وصباحاً ذهب إلى كامران بعزم راسخ. فتح له كامران الباب بوجه ناعس وحملق به متحيراً.

– سلام، إنت؟!

– أيوة، ماكنتش منتظر تشوفني؟

– لو عايز الحق، لأ.

– مش ناوي تعزم عليّ أدخل؟

– آسف، أنا أصلاً مش مركز، أدخل...

دخل فرهاد، ونظر حوله. كانت الحجرة مزدحمة ومبعثرة، وثمة أطعمة باقية فوق المنضدة من الليل، وأطباق مستعملة قد احتشدت. ابتسم كامران وقال:–

- أعذرني إن المكان هنا ملخبط ومكركب، كان عندي ضيف ليلة امبارح لحد وقت متأخر ومقدرتش أرتب البيت.

– مش مهم، ارتاح. مضايقك؟

– لأ يا عم إيه الكلام ده. اسمح لي لحظة واحدة، راجع حالاً.

استرخى فرهاد فوق مقعد مريح، وعاد كامران بعد أن عدل هيئته. عزم عليه بسيجارة ووضع سيجارة أخرى في فمه وقال:–

– جميل إيه الأخبار؟ إيه اللّي حصل فكّرك بينا؟ ماكنتش أتصور إنك هتبقى عايز تشوفني بعد الحادثة إياها.

– بصراحه كنت باعاني على الآخر، دي إرادة ربنا إنهم أفرجوا عني. وإنت عملت إيه؟

– أنا خرجت أسرع منك، همّ مكانش عندهم أيّ دليل ضدي، وكانوا مضطرين يسيبوني وبالمناسبة كان ليّ واسطة جامدة خلص بنفسه الحكاية غيابي. كويس، إيه ألأخبار؟ بتشتغل إيه؟

– حالتي كرب أوي.

– إزاي؟

– من غير شغل ولا فلوس.

– أقدر أعمل لك إيه؟

– أنا عايزك تتصرف بشهامة، وتخلّيني شريكك في الشغل.

– شريك؟! بتهزر؟!

- وحياتك أبداً، وحياتي باتكلم بجد. عارف إن المشاركة لازم لها فلوس، لكن إنت عارف حالي إيه.

– عايز تشاركني في أيّ شغل؟

– في أيّ شغل إنت فيه، مش هتفرق عندي لقمة العيش أجيبها منين، عايز أبقى غني وبس.

– إزاي فكرت كده؟

– محتاج لفلوس، فلوس كتير. عايز أتجوز وأرتب حالي.

– يعني حبيت؟

– أيوة وإيه ذنبي! بنت جميلة جداً. حتة ست! واتعلقت بيها أوي.

– وهي؟ هي عايزاك؟

– أيوة، لكن حطت لي شروط.

– شروط إيه؟

– قالت هتكون مستعدة تكون مراتي في حالة إني أبقى غني على الآخر.

– هي أكيد من أسرة معروفة؟

- لأ يا عم، مش بالشكل ده أصلاً، حالتها أسوأ مني وعلشان كده عايزة ترتبط بزوج غني.

– غريبة!

– القصد يا صاحبي إني هيأت نفسي أحارب المشاكل، عايز أمتلك ثروة كبيره بأيّ شكل، وإنت لازم تساعدني.

– ما تاخدش الحكاية دي ببساطة أوي برضه، لو اتمسكت هتنتهي، وهتبقى مضطر تشرب ميّة ساقعة ورا القضبان لكام سنة، وتتحسّر على الحرية.

– أنا مش عبيط للدرجة دي يا صاحبي، لو إنت ساعدتني وعلمتني أصول وفنون الصنعة أوعدك إني هانفذ شغلي كويس، وطالما إنت قدرت أكيد أنا برضه هاقدر. هاعمل أيّ حاجة علشان أنعم بوصال الحبيبة معايا، وتكون في بيتي، وهارمى نفسي في ميتها ونارها علشان أغتني.

– وهو كذلك يا صاحبي العزيز، من هنا ورايح إنت شريكي، لكن فيه شرط واحد برضه.

– شرط إيه؟ ما هي الأيام دي الكل بيتشرطوا على الواحد!

– شرطها هو إن أيّ حاجة أقولها تنفذها من غير كلام، وماتستفسرش عن أيّ حاجة وماتخطيش خطوة بنفسك من غير مشورة.

– دي كل حاجة؟

– أيوة، هو كده.

مد فرهاد يده إليه، وقال:–

– يالاّ يا صاحبي إيدك على كده!

خبط كامران بإحكام على كف يده، وقال ضاحكاً:–

– يعني وافقت؟

– أيوة، موافق.

– مبروك!

– وهنبدأ شغلنا إمتى؟

– في أيّ وقت إنت تحب.

– يبقى النهاردة، أنا مستعجل جداً، وماقدرش أضيّع الفرصة.

– وهو كذلك، النهاردة.

قهقه كامران بشكل منفر، ونهض. أطفأ سيجارته في منفضة السجائر، وأضاف:–

– تفطر؟

– شكراً.

– خلاص أقعد لحد ما أروح أجهز الفطار.

– أنا كمان هاجي معاك لو مفيش مشاكل.

– لأ، تعالى.

دخل كامران المطبخ، ووضع البراد أسفل الصنبور، وبعد ذلك أشعل الموقد، ووضع البراد فوقه وقال:–

- درسنا الأول إن بقك لازم يتقفل، ومش لازم أيّ حد حتى أعز أصدقائك يعرف إنت بتشتغل إيه ولاّ بتروح فين ولاّ بتتعامل مع مين.

- أيوة، واخد بالي.

- مش لازم تثق في أيّ حد حتى في أمك كمان، وحتى مراتك مش لازم تفهم إنت بتشتغل إيه، ولاّ بتجيب الفلوس منين.

- من عيني، وريّح بالك.

- دلوقتي الدرس التاني، لو انكشفت في أيّ وقت واتمسكت، مش لازم تحت أيّ ظروف تبلّغ عن أصحابك أو تجيب اسمهم على لسانك، ولو حتى كانوا عايزين يعدموك.

- وده كمان من عيني.

- اسمع كويس يا فرهاد، لو ضعفت وبلغت عن أصحابك هتكون حفرت قبرك بإيدك، لكن لو بقك بقى محكوم ومقفول أولاً همّ هيبعتولك فلوس من بره السجن علشان تعيش مرتاح، وكمان يقدروا يخرجوك ويخلصوك منه، القصد إنك لو قمت بالشغل ده لازم تركز كويس، وإلاّ تبعد نفسك من دلوقتي وما تدوّرش على وجع الدماغ.

- يا عم إنت هتفضل تنصح كده على طول؟ اتكلم عن دخلها ولو مرة واحدة، عن البنكنوت المتين اللّي ماتصرفش قبل كده!

- لمّا تتعلم دروسك كويس وتبقي أسطى هنتكلم عنه، آل لسه مبقاش عنب وعايز يبقى زبيب!

سخن كامران الشاي، ونظف فرهاد المنضدة، وبسط المفرش، ووضع الأواني القذرة داخل غسالة الأطباق. جلس الاثنان على المنضدة، وتناولا الإفطار معاً، وكانا يتبادلان الحديث في أثناء الطعام.

بعد انتهاء الإفطار، ارتدى كامران ملابسه، وقال:-

- جاهز؟

- أيوة، جاهز من البداية.

- إذن يالاّ نمشي.

- نمشي يا صاحبي، قلبي بيقول لي إن المرة دي الحظ معايا.

خرج الاثنان من المنزل، واستقلا السيارة وتحركا ...

لاحظ شهريار لبضعة أيام أنه قد طرأ تغيير على سلوك وتصرفات فرهاد، كان فرهاد يخرج من المنزل صباحاً، ويعود في وقت متأخر ليلاً. وطوال المدة التي كان يمكثها في المنزل قلما كان يتحدث، وكثيراً ما كان ينطوي على نفسه.

وعلى الرغم من أن فضول شهريار قد أثير بشدة إلاّ إنه لم يحاول أن يسأله، وكان منتظراً أن يوضح فرهاد بنفسه سبب تغيير سلوكه. لم يخفيا هو وفرهاد أيّ موضوع عن بعضهما أبداً، وكان موضوع حميدة هو المسألة الوحيدة التي لم تطرح بينهما، وقرر فرهاد أن ينفصل عن شهريار بسرعة وأن يهيئ لنفسه حياة مستقلة، لذا لم يكن يرى ضرورة في أن يستشيره بخصوص أعماله.

انقضت عدة أشهر على هذا المنوال، وخلال هذه المدة كان فرهاد قد تحدث مع حميدة مرة أو مرتين سراً، أما شهريار كان كما لو ختم الصمت شفتيه، وكان يقاوم نفسه بخصوص هذا الشأن، كان يريد أن يتحدث مع والد حميدة، ويخطب ابنته، لكنه لم ير في نفسه مثل هذه الجرأة.

فمن ناحية لم يكن وضعه المالي يسمح له بذلك، ومن ناحية أخرى كان يتهيب الرجل المسن. ففكر في نفسه أنه من الأفضل أن يتشاور في الموضوع مع فرهاد، ويرسله كواسطة إلى منزل حميدة، وكان على يقين من أن فرهاد سينفذ هذا العمل بلياقة أكثر، وكان يأمل أن يجيبه الرجل المسن بالموافقة.

غادر فرهاد – الذي انشغل بعمله جداً – طهران لمدة أسبوعين برفقة كامران، وخلال ذلك كان شهريار – الذي أصبح وحيداً تماماً – يقضي معظم أوقات فراغه في منزل الرجل المسن. أكثر الأيام كان يذهب إلى هناك بحجج، ويجلس إلى جوار الرجل المسن لساعات، ويستمع إلى حديثه. في النهاية تجرأ ذات يوم، وطلب من الشيخ أن يعطف عليه وأن يتعامل معه بأبوة، ويوافق على زواجه من ابنته.

قبل الرجل المسن طلبه في بادئ الأمر بسرور، لكنه علم أن الموافقة النهائية متعلقة برضا ابنته. وفي نفس اللحظة استدعى ابنته إليه، وعرض عليها طلب شهريار في حضوره، بعد ذلك تركهما منفردين مع بعضهما وخرج من الحجرة. عرضت حميدة مطالبها بهدوء تام، وكررت أيضاً نفس الأشياء التي كانت قد قالتها لفرهاد دون أن توضح أدنى إشارة لطلب فرهاد خطبتها.

كان شهريار يستمع إلى حديثها في صمت وقد نكس رأسه، وتجنب النظر إلى عيني حميدة. لم يكن يدور في مخيلته أن تطلب حميدة مثل تلك الحياة، وتطلب منه أشياءً غير ممكنة وغير معقولة، لكن حميدة كانت ثابتة على رأيها بحزم وإصرار، وأنها ستوافق على الزواج به في حالة إذا أعد شهريار حياة مرفهة ومثالية لها.

عندما غادر شهريار منزل الرجل المسن كان مشتتاً، وقد نسى الدنيا بما فيها. كان الحزن يجثم على قفصه الصدري بثقل جبل، فكيف يستطيع بدخله اليسير أن يهيئ حياة مثالية لحميدة؟ وكان على يقين من أنه بهذا الدخل اليسير لن يتمكن حتى لآخر العمر من أن يمتلك سيارة خاصة. وفي رأيه كان يدرك أن طلب حميدة غير منطقي، ومن ناحية أخرى كان قد تعلق بها بدرجة لن يكون قادراً معها على التغاضي عن هذا الزواج.

كان يشعر أن الدنيا بدون حميدة سجن، وكان على استعداد للتضحية بروحه من أجلها، كان يعتبر حبها مقدساً، ويتمنى أن يفعل أيّ شيء لإرضاء حميدة، انشغل بإحساسه لعدة أيام وذهب لمنزل حميدة مرة أخرى، وتحدث معها. حاول أن يفهمها أنه غير قادر في الظروف الحالية على أن يلبي طلبها، لكنه مستعد أن يبذل قصارى جهده من أجلها، وألاّ يقصر في أي مسعى، وأن يوفر لها حياة بسيطة وعادية وأن يسعدها.

طوال ذلك الوقت رسمت حميدة ابتسامة ساخرة على شفتيها، واستمعت لحديثه في صمت. وكلما دلل شهريار وبرهن أنه هو ومن في مثل ظروفه لن يكونوا قادرين أبداً على أن يحصلوا من طريق مشروع على مثل هذه الثروة الضخمة، لم يؤثر في حميدة، وأجابته بفتور أنه إذا لم يكن قادراً على أن ينفذ شروطها، فمن الأفضل أن يصرف نظر عن فكرة الزواج بها.

عاد شهريار لمنزله يائساً محبطاً، واختلى بنفسه لساعات. كان حائراً من طموح تلك الفتاة، وأحياناً كان يشك في تعقلها وحكمتها. فالفتاة التي لا تتمتع بالجاه والمال كيف يمكنها أن تتوقع أن يذعن رجل من العلّية الأشراف للزواج بها؟ ... وبعد ساعات من التفكير اهتدى إلى أنه ربما بمرور الوقت والزيارات المتكررة والدلائل والبراهين يستطيع أن يقنع حميدة، وينال رضاها.

انقضى أسبوعان، وعاد فرهاد برفقة كامران إلى طهران. وفي أول فرصة جاء فرهاد إلى المنزل المشترك بينه وبين شهريار، وجلس الصديقان بعد أسبوعين متجاورين لتبادل الحوار بينهما:-

- سفريتك كانت كويسة؟

- كانت نقصاك، الواحد لمّا بيكون مع كامران إزاي تكون وحشة!

- أكنّك شفت كامران؟

- قصدك إيه إني شفته؟ أنا باشتغل معاه.

- إيه؟ بتشتغل مع كامران ؟

- جميل! إيه اللّي حصل يا بني! أكنّك ماتعرفش؟

- لا والله وهاعرف منين؟ إنت ماقلتليش حاجة.

- ماقلتلكش؟ كنت فاكر إني قلت لك. أصلاً مش مهم، أديني قلت لك دلوقتي، أنا وكامي بقينا شركا.

- وإنت بتشتغل إيه؟ على حد علمي إن كامران ده إنسان بطال وسبب لك متاعب مرة، دلوقتي إزاي إنت بتتعامل مع الراجل ده، عجيبة والله!

- سيبك من اللّي فات، المهم إني هاقدر أبقى غني بمساعده كامي.

- وتفتكر إنها تستاهل تعبها؟

- بالنسبة لي مش مهم إيه اللّي يحصل لي، أكنّي لحد دلوقتي عانيت شوية؟ وصادفت قليل من سوء الحظ؟ لمّا جيت آكل عيش من عرق جبيني وما أمشيش في طريق غلط، قابلت سوء الحظ وفشلت. أنا ماقدرش أعيش بالشكل ده لآخر عمري.

تطلع إليه شهريار، وقال بدهشة:-

- اتغيرت كتير عن أول ماعرفنا بعض، وكل ما بنتقدم باحس إنك بتتغير، وبتبقى إنسان تاني.

- بالعكس تماماً، أنا وصلت لمرحلة البلوغ الفكري تماماً، وأقدر أميز الطريق من البئر، إنت من جوالك مضطر تقرفص بأفكارك اللّي عفى عليها الزمن دي ورا الترابيزة لحد آخر عمرك، وتشتغل بالمفك التعبان. لا يا أخي إحنا مش بتوع الكلام ده، هو صاحبك ناوي يعيش كام سنة؟ وعندي فرصة للحياة كام سنة؟ أنا برضه لازم أعمل لنفسي حياة، ويبقى لي زوجة وأسرة، ما ينفعش تبقى سايبة بالشكل ده.

أشعل فرهاد سيجارة، وأخذ منها نفساً عميقاً، ونفث دخانها لأعلى. أسند رأسه للحائط، وقال وهو يضع قدميه فوق بعضهما:-.

- فيه كلام كتير متراكم في القلب التعبان ده، ونفسي أخرجه وأخفف عن نفسي، من شهر واحد الوضع كان يفرق، ساعتها كنت عايز بس الفلوس علشان نفسي، لكن دلوقتي لأ! دلوقتي عايز أترقى لأن قلبي انشغل. فهمت؟

هز شهريار رأسه وقال :-

- لأ مش فاهم!

- اللعنة! مش فاهم ليه؟ أنا باتكلم بوضوح، قصدي إني حبيـــت، بقيت متيم، بقيت مجنون. فهمت دلوقتي؟ كويس، والإنسان العاشق المتيم المجنون ولو كان رستم بطل القصص برضه هيبقى ولا حاجة من غير الفلوس! مفهوم يا أخي؟!

- قصدك إن إنت عايز الفلوس والثروة علشان البنت دي مش علشان نفسك؟

- أيوة، بالظبط كده، هي بنفسها عايزة كده .
- باينَّنا بنتشارك الألم في حكاية واحدة.
- إزاي؟
- يعني العبد لله زيّ سيادتك، شبكت قلبي مع واحدة برضه، لكن الموضوع مش بالسهولة دي.
- أمّال إزاي؟
- البنت متوقعه إني أبني لها قصر.
- كل البنات صنف واحد.
- لكن أنا ماقدرش أكون مليونير في ليلة.
- صحيح، لكن تقدر تلاقي مخرج من النكبة دي.
- إزاي؟
- سهلة، لازم تشتغل وتمشي ورا الغنى.
- أنا مش عايز آكل لقمة العيش من طريق حرام.
- خلاص جوع لحد آخر عمرك .
- وأجوع ليه؟ لو شديت حيلي، ولقيت لنفسي شغلانة ولاّ اتنين لنص الوقت يمكن وضعنا يتهز شوية و...
- أيوة، ونبقى مليونيرات في ليلة!
- مليونيرات لأ، لكن ... أصلاً سيبك، الكلام في الموضوع ده مالوش معنى.
- دلوقتي بقى افتح سفرة قلبك، وطلع كل اللّي جواه، وقول عشقت مين وإزاي؟
- مين وإزاي مش مهم، المهم إن البنت المقصودة طايره لفوق أوي.
- زيّ العقاب؟!
- أعلى منه.
- أكيد بتتدلل بفلوس وثروة أبوها.
- بالعكس، حالتهم ماتتوصفش، يعني أسوأ منّا برضه، وإنت شفت بنفسك.
- إزاي؟ بتتكلم عن مين؟!
- عن البنت إياها.
- بتقفل عينك وتنجم؟ حلوة دي اللّي أنا أعرفها بنفسي، لكن بنت مين؟
- خايف من كده، خايف أقول لك وتتريق عليّ.

- علشان إيه؟

- علشان الحاجات اللّي طلبتها مني، بالنسبة لظروف حياتها حاجة نكتة أوي.

- بتمطّ في الموضوع كده ليه؟ خنقتني يا راجل!

- **شوف يا فرهاد، تعالى واعمل لي حاجة.**

- أعمل إيه؟

- ماعرفش، أصلاً ماعرفش أقول لك إيه. اتجننت خالص، لأ مفيش فايدة من الطريق ده برضه، الأحسن تنساها.

- يا عم إنت بتلعب بيّ؟ قول كلمة وخلَصني، البنت من أيّ نوع؟ واتعرفت عليها فين؟

- **هنا.**

- هنا؟ يعني في البيت ده؟

- لأ يا أهبل، قصدي في المنطقة، وإنت كمان تعرفها. الراجل العجوز اللّي ساعدناه في نقل عزاله، فاكره؟

قطب فرهاد جبينه، وقال:-

- أيوة، كويس؟

- تعرف إن له بنت؟

- تكونش بتتكلم عن حميدة؟

- أيوة هي بعينها، هي دي اللّي عذبتني، هي دي اللّي حرمتني من النوم والراحة.

قفز فرهاد فجأة من مكانه، وقال بحدة:-

- إيه؟ إيه اللّي بتقوله ده؟

- والله باقول الحق، من أول لحظة شفتها بقيت مجنونها. إنت عارفني، أنا أصلاً مش بتاع الكلام ده، ماعرفش إيه اللّي حصل وبقيت عاشق لها مرة واحدة، أبوها وأمها ماعندهمش مانع، لكن هي ...

- إنت اتكلمت معاهم؟

- أيوة، رحت أخطبها. أمها وأبوها وافقوا، لكن حميدة حطت لي شروط تطيّر العقل من دماغ الواحد!

شعر فرهاد أن رعشة قد سرت ببدنه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، فقام بضيق وطوى الحجرة طولاً وعرضاً سائراً وهو يأخذ أنفاساً متواصلة من سيجارته. أضاف شهريار الذي لم يكن على علم بما يموج بداخله:-

- البنت بتقول هاتجوز واحد يكون عنده فلوس وثروة، فلوس وثروة كبيرة، فهمت؟!

- يعني اتكلمت معاها؟!

- أيوة اتكلمت معاها.

- مقالتلكش إن ...

- إن إيه؟

صمت فرهاد وأجاب بعد قليل:-

- ولا حاجة، مش مهم.

ذهب فرهاد إلى الباب دون كلام، وخرج من هناك. جرى شهريار خلفه، وصاح:-

- رايح فين يا فرهاد؟ كنت باقضفض معاك. الجاهل اتجنن تاني وطار!

سمع فرهاد صوته، لكنه زاد من سرعة قدميه دون اهتمام، وغاب عن عيون شهريار. كان مضطرباً ومشتتاً لدرجة أنه لم يستطع أن يسيطر على غضبه، وعندما وصل إلى باب منزل الرجل المسن كان قد تصبب عرقاً من فرط غضبه، وانتفخت أوداجه. طرق الباب وفتحت حميدة الباب بنفسها، وألقت التحية عليه مبتسمة، وبدون أن يجيب فرهاد تحيتها سألها بلهجة حادة:-

- إنت كنت وعدتيني إني لو بقيت غني هتتجوزيني، مش كده؟ مش كده؟

نظرت إليه حميدة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، وأجابت:-

- أيوة، فيه إيه؟ ماتكونش بقيت غني بالسرعة دي؟

- أمّال قولتي لشهريار نفس الكلام اللّي قولتيهولي ليه؟ ووعدتيه بالجواز ليه؟ ما قولتيلوش ليه إن أنا عايزك، وطلبتك للخطوبة قبله؟

قطبت حميدة جبينها، وأجابت بفتور:-

- مش فاهمة إنت بتقول إيه؟ أنا ماديتش أيّ وعد لك أو له، أنا باقول نفس الكلام لكل اللّي عايزين يخطبوني، وأصلاً هي دي شروطي، والشخص اللّي يقدر يتجوزني هو اللّي يكون عنده فلوس وأملاك كتيرة. إنت أو شهريار أو أيّ شخص تاني، بالنسبة لي مش هتفرق، فهمت؟

- إنت مالكيش حق تلعبي بمشاعري، مالكيش حق تدي موافقة لراجل تاني، أصلاً مالكيش حق تتكلمى مع أيّ راجل غيرى.

– يا محترم من الأحسن إنك تمشي وتروح لحالك، ولمّا تغتني وتقدر تجهز لي الحاجات اللّي طلبتها منك، باب بيتنا هيتفتح في وشك، وغير كده لو سمحت ماتسببش إزعاج.

أغلقت حميدة الباب بعد هذا الكلام، وذهبت. حدق فرهاد بعصبية وضيق إلى الباب المغلق، فلم يكن منتظراً مثل هذه المقابلة على الإطلاق. إلى تلك اللحظة كان يعتقد أنه الرجل الوحيد موضع اهتمام هذه الفتاة، وكان مستعداً من أجلها أن يذعن لكل خسة وذلة، لكنه رأى الآن أن حميدة تفكر في أحلامها فقط.

وقف مكانه لفترة، ثم سلك طريقه، ومضى. سار لساعات في الشوارع دون هدف وأخذ يفكر ويخطط، لم يكن مستعداً أن يخلي الميدان بهذه السهولة، وكم كان متأثراً من هذه الحادثة. كان يشعر أنه إنسان سيئ الحظ حتى في الحب أيضاً، فلماذا يجب أن يكون أعز أصدقائه عاشق لمحبوبته أيضاً؟ اشتعلت النار في كيانه وكانت تزيد من غضبه وأنينه في كل لحظة.

بعد ساعات من السير وتدخين سيجارة عقب سيجارة، دار بخاطره أنه لابد وأن يتصل بكامران، فاتصل به من كشك تليفون عمومي. كان مضطرب الخاطر ومشوشاً حتى أن أكثر كلامه كان شبيهاً بالهذيان، وكان صوته مرتعداً وباكياً.

أدرك كامران بفراسته أنه يعاني مشكلة نفسية شديدة، لذا تحدث إليه بمجاملة، تحدث فرهاد – الذي كان قلبه مليئاً بالألم – وشرح كل ما حدث باختصار، فدعاه كامران إليه. استقل فرهاد تاكسياً من نفس المكان، واتجه لمنزل كامران مباشرة.

ربت كامران على كتفه، وقال:-

– تعالى أقعد علشان أثناء الأكل نركز مع بعض ونفكر في مشكلتك.

جلس فرهاد في ركن وأجاب بحزن:-

– مش جعان، من المغرب لحد دلوقتي كنت باتمشى وأدخن، زوري نشف ورجلي فققت.

– ماتضايقش نفسك من غير فايدة، كل مشكلة لها حل، نتعشى الأول وبعدين نتكلم.

أعد كامران مفرش العشاء بسرعة، وانشغلا، هو بشهية وفرهاد بعدم رغبة في تناول الطعام. بعد الطعام أشعل فرهاد سيجارة، وبينما كان ينظر إلى شاشة التليفزيون قال:-

– ساعة مافهمت الحكاية والله وسطي انكسر، ماكنتش فاكر إن حميدة عجبت شهريار. هو أصلاً مش بتاع الكلام ده، الإنسان اللّي دايماً راسه في الكتاب ويعرف بس يوعظ، ماله هو بالحب والعشق!

ضحك كامران بصوت عال، وقال:-

- ليه؟ وهو المسكين ده مالوش قلب؟ هو يعني كل اللّي يبقى مثقف مش لازم يحب ويتجوز؟

- إنت ماتعرفهوش، لو سابوه وسط ١٠٠ ست مكانش هيبص حتّى لواحدة منهم. لمّا كنا بنمشي في الشارع مع بعض، ولا مرة بص لواحدة ولا اتكلم بخصوص الستات والجواز والحاجات اللّي من النوع ده.

- ودلوقتي أهو نفس الإنسان المؤدب والمستحي خطف خطيبة حضرتك!

- لا يا كامي، المسكين ده معاليهوش أيّ ذنب، المسكين ميعرفش بحبي برضه علشان يخدعني، ولو كان يعرف مكانش اعترف بكل حاجة بالصراحة دي. شهريار الخيانة مش في طبعه.

- إنت ساذج أوي يا بني! لكن صاحبك عكسك غدار جداً لأنه ماتفضحش.

- قصدك إيه؟

- هو أكيد شم خبر إنك عايز حميدة، وحب يجرب حظه برضه.

- لا يا كامي يا حبيبي هو مش كده.

- حلو، دلوقتي اعتبرنا إن كلامك صح، ناوي تعمل له إيه؟

- إنت تقول إيه؟ وجهة نظرك إيه؟

- آاااه، دلوقتي وصلنا لأصل الموضوع، يا صديقي العزيز الحب يعني قمار، فهمت؟

- أيوة.

- الله يبارك لك، في لعبة القمار دايماً فيه طرف فايز وطرف خسران، ومالهاش تالت. فهمت؟!

- أيوة فهمت، كمل.

- وإنت مش عايز تكون الخسران مش كده؟

- معروف إني مش عايز.

- إذن لازم تحارب علشان تفوز.

- أحارب مين؟

سحق كامران عود الكبريت بين أسنانه، وتفحصه باحتقار، وقال:-

- سؤال غريب؟ طبعاً معروف إنك لازم تحارب المنافس، وتزيحه من الميدان.

انهمك فرهاد في التفكير، ورفع كامران صينية الشاي، وذهب إلى المطبخ. وعندما عاد بأكواب الشاي كان فرهاد مشغولاً بالتفكير، وضع كامران كوبه أمامه، ونظر فرهاد إلى عيونه وقال:-

– تعرف يا كامي، أنا معجب بشهريار، يعني باعتبر نفسي مديون له، في كل فشلي كان هو الشخص الوحيد اللّي ساندني ودعمني أحسن لا قدر الله أتكعبل وأقع. اتحمل عني المتاعب زيّ أخويا، وفي أيّ وقت كنت أبقى من غير فلوس كان بيحشي جيبي فلوس.

– أيوة قلت الكلام ده ١٠٠ مرة لحد دلوقتي. طب وبعدين؟ يعني علشان إنت مديون له مستعد تتخلى عن حبك؟ عايز تعمل شهم؟

– قصدي مش كده، أنا لو حد استندل معايا مستحيل أتغاضى، واصرف نظر، لكن مابنساش الحسنة برضة .

– مفيش قدامك أكتر من طريقين، يا إما تسيبك من الارتباط بالبنت دي، وتصرف نظر عن الجواز منها، وتخلّي صاحبك يفوز، يا إما تقف وتاخد حقك.

ارتشف فرهاد رشفة من شايه، وقال:–

– المهم في رأيي هو البنت، لو هي اختارتني كل حاجة هتتحل، وأنا مش هابقى مضطر أقف في وش صديقي.

– شوف يا بلدياتي، أنا مش عايز أجيب سيرة بنت الناس بالسوء أو أنتقدها، ومع إني ماشفتهاش وماعرفهاش، لكن بالشكل اللّي إنت قلته واللّي أنا فهمته، إنها هتختار الشخص الأغنى.

رشف فرهاد رشفة شاي أخرى من كوبه، وقال وهو يومئ برأسه:–

– أيوة، موافق على كده. وعلشان كده مش عايز اصطدم بشهريار، المسكين اللّي بيصلح الرداوي ده، بدخله التافه ده عمره ماهيقدر ينجح في الجواز من حميدة.

عزم كامران على فرهاد بسيجارة، وأشعل سيجارة لنفسه، وأجاب:–

– أيوة، الطريق دلوقتي مفتوح قدامك أوسع، وبالشغل اللّي إنت بتعمله تقدر في خلال سنة ولاّ اتنين توصل لكل حاجة.

– سنة ولاّ اتنين كتير أوي، البنت جميلة جداً، خايف يظهر لي منافس، وفي الآخر فيه واحد تاني يفوز في لعبة القمار دي.

– إنت ماعندكش حل غير إنك لازم تتقدم خطوة بخطوة، وقطعاً علشان توصل للهدف أسرع فيه طرق تانيه موجودة برضه.

– طريق زيّ إيه مثلاً؟

– تقدر تبدأ في تجارة المخدرات.

– بتسخر مني؟

– لأ، باتكلم بجد.

– لكن دي شغلانة خطيرة.

– ما شغلنا اللّي إحنا بنعمله خطر، مش كده؟

– أيوة، لكن خطره أقل من تهريب المخدرات، لو اتمسكت هاتعدم، لكن الشغل اللّي أنا وإنت بننفذه دلوقتي ممكن يبقى فيه حبس كام سنة بس.

– خلّينا أصلاً مانخرجش عن الموضوع الأصلي، رأيي إنك لازم تقابل شهريار، وتقول له إن البنت خطيبتي ومن الأفضل إنك تنسحب. فلو وافق هيبقى أحسن، لكن لو رفض ساعتها لازم تتمحلس له، وتحتال عليه.

– يعني أروح أقول له انسحب وسيبها لي؟

– سيبت إيه يا راجل يا محترم؟ صدقة ومش عايز تاخدها! البنت من حقك، إنت خطبتها الأول، أكنّه هو مستعد يفرط في حقه؟ وبعدين تبقى حماقة لو تبعد عن شهريار، الواحد مايسلمش القط مفتاح الكرار، لازم تراقب حبه علشان ما يتصلش بالبنت.

– يا عم باينّك خوفتني على الآخر.

– مش عايز أخوفك، لكن لازم تركز كويس. الصداقة في محلها، لكن ماتخلّيش حد يتقدم على حسابك.

– وهو كذلك من عيني، كل اللّي بتقوله.

– الله يبارك لك، لكن فيه اقتراح تاني.

– اتكلم، أطلب إنت الروح!

– تقدر تغوي البنت وأبوها وأمها.

– إزاي؟

– إذن اسمعني كويس، بعد فترة روح للبنت، وقول لها زيّ ما هاقول لك كده، إنت حبيتي أجهز لك بيت وحياة، قطعاً إنت مش بالصورة دي هتوافقي تماماً، لكن هاحاول أجتهد أكتر.

– بيت وحياة إيه؟ أنا لسه ما عملتش حاجة!

– ماتستعجلش، اسمع وشوف هاقول لك إيه، قول لها يالاّ نتخطب لبعض علشان أنا أقدر أجهز لك حياة أفضل ببال مرتاح، وقول لها أنا لازم أكون مطمّن من ناحيتك إنك مش هتتجوزي واحد تاني علشان أقدر أشتغل أفضل، وبعدين هاتها هنا.

– هنا؟ بيتك؟

- أيوة، إحنا لازم نتظاهر إن البيت والعيشة دي تخصك إنت.
- وتفتكر هتصدق؟
- لازم تلعب الدور كويس علشان تنخدع على الآخر وتصدق.
- لكن أنا مش عايز أخدع بنت الناس، وبعدها إيه اللَي يحصل؟ في النهاية هتفوح ريحة العملة السيئة دي في يوم من الأيام، وساعتها هافقدها للأبد.
- ماتقلقش، أوعدك إنك لو سمعت كلامي في خلال سنة ولاّ اتنين وضعك هيبقى أحسن مني.
- كمل، وبعدين أعمل إيه؟
- البنت لازم تيجي تشوف المكان هنا، ومانشرش الحكاية لحد إنت نفسك ما تبقى صاحب بيت وشأن، بعدها تقدر تقول لها إنك بعت هنا وكلام من ده يعني، وهي مش هتطلب منك مستند أو حجة، هه إيه رأيك في خطتي؟

صمت فرهاد قليلاً، وأشعل سيجارة، وقال:-

- والله مش عارف أقول إيه، لو صدقت كلامي ساعتها ممكن تطلب مني دهب ومجوهرات علشان الخطوبة، وساعتها هاجيبهم منين؟
- دول عليّ. أنا هارتبها بشكل ما يخرّش الميّة. ليّ واحد صاحبي بيبيع دهب ومجوهرات تقليد، ومحله مليان من الحاجات دي، كل حاجته شغل إيطالي، ومفيش أيّ حد يقدر يميزهم عن بعض.
- يا عم، أنا مش عايز أنصب على زوجة المستقبل.
- علشان تبدأ الحكاية لازم تقفل بقها بأيّ شكل، وبعدين لمّا تغتني غيّر التقليد بدهب مدموغ من غير ما حد ينتبه، وبشكل هي نفسها ماتدركوش.
- الحكاية باينَها هتبقى بوليسية!
- لو مش حابب متعملش، ومش هاجبرك، وساعتها هتضطر تصرف نظر عن الجواز من البنت دي.
- إنت مصيبة أوي! بصراحة إنت غلبت الشيطان في الشر! قول لي اتعلمت المكر ده فين؟
- الحاجة يا حبيبي، الحاجة بتحرض الإنسان على أيّ شئ، الواحد لازم يشغَل عقله علشان يقدر ينقذ نفسه في الحياة دي. ودلوقتي قوم نروح ننام، وبكرة نقدر نتكلم بخصوص الحاجات دي تاني، أنا لازم أشوف حميدة هانم بتاعتك دي، وأوعدك إني هاملأ مخها بشوية كلام متذوق، وأخلّيها تتجوزك وهي مغمضة.

- ربنا يسهل، ويحصل بالشكل اللّي بتقوله ده. خايف ساعة ماتشوفها تفقد عقلك، وتبقى إنت كمان منافس ليّ.

- يا سيدي إنت لسه ماعرفتنيش، مفيش أيّ ست موجودة في الدنيا تقدر تخلّيني أركع، أنا ماليش تعامل مع الجنس اللطيف.

- والله لو أقنعتها تتجوزني، هافضل خدامك طول عمري.

- إيه الكلام ده، يا سلام أنا صاحبك. قوم نروح ننام.

- وهو كذلك، نروح ننام.

«٩»

قضى فرهاد هذه الليلة بمنزل كامران، وذهب معه صباحاً إلى محل عملهما. وفي عصر نفس اليوم ذهب فرهاد لرؤية شهريار.

- سلام يا بني، كنت فين؟

- سلام.

- اختفيت فين امبارح كده من غير سلام؟ استنيتك لحد نص الليل، افتكرتك لازم هترجع بالليل.

- كنت في بيت كامي.

- لحد الصبح؟

- أيوة، لحد الصبح.

- جميل! ما هو الجديد لمّا ييجي في السوق يبقى القديم وحش! كويس إنكم اتأقلمتم مع بعض!

- باشتغل معاه، هو حقيقي أستاذ، وأنا لازم اتعلم الشغل منه وأكون تحت أمره.

- ماقلتلش إنت بتشتغل إيه؟

جلس فرهاد إلى جوار شهريار على الأرض، ومدد قدميه، وعزم عليه بعلبة سجائره. فأخذ شهريار سيجارة، ووضع فرهاد أيضاً سيجارة في فمه، وأشعل عود ثقاب لشهريار وبعد أن أشعل سيجارته قال:-

- آسف يا صاحبي، ده موضوع سري.

- آااه، بقى كده؟ يبقى ظني صح.

نفث فرهاد دخان سيجارته في الهواء، وسأل:-

- ظن إيه؟

- إنك اتورطت في شغل بطال!

- وافرض إنه كده إيه اللّي فيها؟ في النهاية إحنا لازم ناكل عيش برضه.

قام شهريار، وصب كوبي شاى، واقترب من فرهاد وقال:-

- عارف إنك مابتحبش النصايح، وأنا ماقصدش أعمل كده، بس عايز أقول لك إنك غلطت. ماحبش أشوفك ورا قضبان السجن لأني بحبك، ولو عانيت من مشكلة هازعل.

- اطمّن لأن صاحبك مفتّح أوي!

- يعنى ممكن الراجل المحترم يرتكب أعمال مخالفة ومايتقبضش عليه في يوم من الأيام؟

- ماتخافش علي ياخويا!

– أذكى منك واتقبض عليهم، ودماغهم اتخبطت في الزنزانة.

– لو ناوي ترجع تتكلم في الحاجات دي تاني هاسيبك وأمشي، زمان قالوا موسى على دينه وعيسى برضه على دينه، ومابحبش حد يتدخل في أموري، فاهم؟

– أيوة ياخويا فاهم. جميل احكي.

– أقول إيه؟ معنديش حاجة أقولها، قول إنت، عامل إيه في حبك؟

– أبداً يا سيدي، ماقلت إن البنت طلبت منّا بيت وفيلا وعربية، إحنا اللّي إيدينا ما بتوصلش لبقنا، إلاّ بقى لو جالي ورث من أبويا، أو سرقت، أقدر أجهز الحاجات دي في ليلة!

– إذن صرفت نظر عنها؟

– ماصرفتش نظر، هو ينفع إن الإنسان ينسى الشخص اللّي بيحبه بسرعة كده.

– لكن إنت ماتقدرش على تحقيق شروطها.

– ربنا كبير برضه، هاصبر يمكن البنت تغير رأيها.

ارتشف فرهاد شايه، وقال بكياسة:–

– البنت حلوة أوي، وكتير عيونهم عليها.

– كتير؟ مين مثلاً؟

– مثلاً ... إيه اللّي عرّفني.

– أمّال بتتكلم على أيّ أساس؟

– على أساس بس إنها حلوة، وخايف حد تاني يسبقك، إنسان غني.

– كل شئ قسمة وزيّ ما يكون، لحد دلوقتي ماظهرلهاش حد، يبقى الأمل موجود. وأتمنى إن محدش يظهر في أيّ وقت.

وضع شهريار قطعة سكر في فمه، وشرب رشفة من شايه وأضاف:–

– حميدة لا حيلتها فلوس ولا أسرة عليها القيمة، والإنسان الأصيل الغني هياخد باله من النقط دي برضه، إحنا نفسنا مثلاً، يعني فيه دلوقتي شاب متميز، وله اسم ورسم يروح يتجوز من بنت مجهولة بملاية كل اللّي تملكه في الدنيا جمالها بس؟ أنا لحد دلوقتي ما شفتش وماسمعتش، ده تسمعه وتقراه في القصص، الجمال لا بيأكل ولا بيشرب.

– أيوة، ممكن يكون معاك حق.

– هتفضل الليلة دي معايا ولا عايز تروح لوليّ نعمتك!

– لأ لازم أروح.

- خلاص اتعشى معايا.

- ربنا يخلّيك، وعدت حد تاني قبلك.

- إنت كمان يا عم مظهرك بقى فوق! أكيد من هنا ورايح لو عايز اتصل بيك في أيّ وقت لازم آخد معاد من سكرتيرتك الخاصة الأول!

- لأ، علشان لسه بادئ شغلي فلازم أكون وراه، علشان مايقولوش ده مش جد في شغله ومستهتر!

- إحنا مافهمناش إنت بتشتغل إيه، لكن علشان خاطر ربنا أياً كان الشغل اللّي بتشتغله خلّي بالك من نفسك.

- مخلّي بالي ياخويا.

- بالشكل ده مش هتقدر تزورنا كتير!!

- أيوة، وممكن خلال كام يوم أأجر مكان تاني.

- خلاص وأنا كمان هافكر في بيت تاني.

- ليه؟ هو هنا عيبه إيه؟!

- مافيهوش عيب، أنا كمان عايز أترقى، فيها مشكلة دي؟!

قهقه فرهاد بصوت عال وقال:-

- لأ، إيه المشكلة اللّي فيها، لكن ماتنساش تديني العنوان في أيّ مكان تروحه.

- أكيد.

وبعد ساعة غادر فرهاد المكان، وذهب إلى منزل كامران مباشرة. وفي أثناء تناول العشاء، سأل كامران فرهاد الذي كان غارقاً في التفكير:-

- رحت شفت شهريار؟

- أيوة رحت.

- وقلت له الحكاية؟

-لأ، ماقلتش.

- ليه؟!

- ماقدرتش.

- ماقدرتش؟ ماقدرتش يعني إيه؟

- بيقولوا العين بتستحي من العين، ولقيت إن الكلام في الحاجات دي مالوش أيّ نتيجة غير إني أصغر نفسي، وبعدين حقيقي مفيش أيّ خطر بيهددني من ناحيته، يبقى خلّيه يسعد بقلبه.

– غريبة، إنت ولد ساذج!

– أنا بالي مرتاح من ناحية شهريار، هو مايقدرش يمثل ليّ مشكلة لأنه مايملكش حاجة وماحيلتوش فلوس، وعلشان كده حميدة عمرها ماهتختاره.

– على أيّ حال إنت أدرى.

– أنا بافكر إن من الأحسن ننفذ الخطة اللّي قلتها.

– خطة إيه؟

– اللّي قلتها دي، إني أجيب حميدة، وأوريها المكان هنا.

– جميل، لكن لازم تشوف الأول البنت مستعدة تمشي معاك وتيجي هنا، ولاّ لأ؟ ولازم تفهم غرضها، وتشوف برضه عندها حرية ولاّ بحدود؟

– عايز الحق ماعرفش.

– لو ماقدرتش تيجي لك، هات أبوها وأمها معاك. والأول لازم تعمل فنجري على الآخر وتهندس نفسك، علشان يبقى لك شكل الناس المحترمين، الإنسان الغني لازم يبقى له وضع محترم ومذوق. وبعدين تشترى صحبة ورد وعلبة حلويات، وتروح تخطبها.

– جميل، جميل أوي.

– بكرة الصبح هنطلع مهمة، أخدت شغلانة جديدة مليانة فلوس، وعايز نرجع من المهمة دي بايد مليانة.

– وأنا تحت أمرك.

– إذن الليلة دي ننام بدرى علشان بكرة عندنا شغل كتير.

– عايز أروح المطبخ أغسل أطباق العشا.

– سيبها خلّيها بعدين، دلوقتي لازم ننام بس. بكرة مضطرين نشتغل لساعات في السرداب إياه، أنا هاروح أنام.

– أنا كمان جاي.

ما هي إلاّ دقائق حتى ذهب فرهاد للفراش، وكان كامران قد استغرق في نوم عميق ويُسمع صوت شخيره. حاول هو أيضاً أن ينام، فأغمض عينيه، وأرخى عضلات جسده لكنه لم يستغرق في النوم. فقد كانت فكرة الزواج من حميدة تراوده، لذا لم يستطع أن ينام براحة. فكر في حميدة ومستقبلها فيما يقرب من ساعة حتى نام فجأة، ولم يشعر بشيء آخر.

انقضى أسبوع على هذا الموقف، لم يكن شهريار يعلم أيّ شيء عن فرهاد في أثناء تلك الفترة. وفي صباح أحد الأيام، بينما كان مشغولاً بإصلاح وتجهيز راديو كبير وقديم، انتابه فجأة إحساس بالدوار وحالة قيء، خرج من المحل على الفور، وجلس إلى جوار رصيف لحافة جدول ماء، وأفرغ كل ما كان في معدته في الجدول. وبعد لحظات دخل المحل بلون شاحب ووجهه غارق في العرق، مسح عرق وجهه بمنديل، وجلس على مقعد بلا حول و لا قوة.

بعد ربع الساعة تغير حاله مجدداً، ولم يفارقه الإحساس بالغثيان والقيء لحظة واحدة، فجرى خارج المحل مرة أخرى، وجلس على حافة الجدول. كان يشعر بألم شديد في معدته، وكان حلقه جافاً وفمه مراً. وعندما عاد إلى داخل المحل، قرر أن يذهب إلى المنزل للراحة، فارتدى سترته، وأغلق المحل، وسار في طريق المنزل.

توقف عدة مرات قبل المنزل، وركن للراحة، وعندما تمالك نفسه ثانية واصل سيره. كان يقترب من المنزل ببطء على هذا النحو وفجأة وقعت عينه على مشهد غريب؛ وقف لدقائق ونظر إلى الطريق المقابل، رأى حميدة تعبر الحارة كتفاً لكتف مع فرهاد، ودخلا الشارع وذهب الاثنان مباشرة تجاه سيارة "بيكان" كانت متوقفة على جانب الشارع وركبا، وبعد ذلك تحرك السائق الذي كان شاباً غير معروف بالسيارة، وابتعد.

وعلى الرغم من الحالة غير المساعدة التي كان عليها شهريار، إلاّ أنه أوقف بسرعة قائد سيارة أجرة، وطلب منه أن يتعقب السيارة المذكورة. انعطفت السيارتان اللتان لا تبعدان عن بعضهما كثيراً في بعض الشوارع، وكان شهريار يوصي السائق باستمرار:-

- ربنا يخلّيك ياخويا، خلّي بالك وماتّوهش عنهم.

- واخد بالي يا أستاذ.

- ومش لازم ياخدوا بالهم منّا برضه، وإلاّ ممكن يهربوا.

- وهو كذلك من عيني، ياخويا في النهاية ماقلتلناش إيه الحكاية؟ بايّنه هيبقى زيّ الأفلام السينمائية، مطاردة وهروب!

ابتسم شهريار الذي كان كل تركيزه وحواسه تتجه إلى السيارة التي تقل فرهاد وحميدة بسخرية، وقال:-

- أبداً يا عم، ماشي ورا صاحبي.

- صاحبك؟ ليه؟

- الندل خدع خطيبتي.

– آه، عديم المروءة! لازم يعرف حسابه، وطالما بالشكل ده أنا كمان هاساعدك بأيّ شكل عايزه.

– ربنا يخلّيك، عايز بس أفهم رايحين فين، والباقي عليّ. حالتي مش كويسة أوي وما عنديش طاقة لتحمل الصداع، ولازم أروح لدكتور.

ما هي إلاّ دقائق حتى توقفت سيارة كامران أمام باب الشقة، فنزل ركابها الثلاثة، ودخلوا الشقة، دفع شهريار أجرة السائق، ونزل ووقف منتظراً في ركن بنفس المنطقة. وابتعدت السيارة التي كانت تقله. أحس شهريار أن حالتة تسوء مرة أخرى، كان يتمنى من صميم قلبه أن يكون الآن بجوار حميدة وفرهاد، ويسمع ماذا يقولان لبعضهما.

كان قلبه مضطرباً باستمرار ولم يرفع عينه عن باب الشقة لحظة واحدة. كانت اللحظات تمضي ببطء، وشهريار يضرب يديه ببعضهما بحالة من العصبية والانفعال، ويجذ بأسنانه من الغيظ. ظل على هذا الوضع لساعة أو اثنين، وفي النهاية استقل تاكسياً وهو متعب ويائس وفي حالة من القلق، وعاد إلى منزله. كانت حالته سيئة لدرجة أنه لم يستطع أن يسيطر على نفسه، وفقد الوعي في نفس المكان وسط الحجرة.

عندما أوصل فرهاد حميدة إلى المنزل، قرر أن يمر على شهريار. ومع أنه لم يكن متيقناً من كونه موجوداً في المنزل في ذلك الوقت من النهار، وبالرغم من ذلك ثمة قوة لا إرادية جذبته لتلك الجهة. فتح باب المنزل وللوهلة الأولى لم يشاهد أيّ شيء غير عادي. كان الباب موارباً، فعلم أن شهريار في المنزل، فصاح من نفس المكان:–

– شهريار، إنت في البيت؟

تقدم بضعة خطوات ولم يجبه أحد، وفجأة رأى شهريار واقعاً على ظهره على الأرض، فجرى ناحيته. كان وجه وملابس شهريار غارقة بالقيء. هزه بقلق، وناداه باسمه بصوت عال، لكن شهريار كان غائباً عن الوعي تماماً. حمله من تحت إبطه، ورفعه على كتفه، وخرج بسرعة من المنزل.

كان كامران ينتظره خارج المنزل، ومع رؤية فرهاد الذى كان يحمل جسداً على كتفه نزل من السيارة، وسأل متحيراً:–

– إيه اللّي حصل؟ ومين الراجل ده؟

أشار فرهاد إلى باب السيارة، وقال:–

– افتح الباب، لازم نوديه المستوصف، حالته سيئة أوي.

فتح كامران باب السيارة رغماً عنه، ووضع فرهاد شهريار على الكرسي، وجلس بجانبه. جلس كامران على عجلة القيادة، وقال في أثناء سير السيارة:-

- هو ده شهريار؟

- أيوة هو.

- وإيه المصيبة اللّي جت على دماغه؟ إنت ضربته؟

- لأ يا عم، إيه الكلام ده؟ ساعة مارحت البيت شفته مغمي عليه في وسط الأوضه، وماعرفش إيه اللّي حصل له.

- افتكرتك قمت معاه بواجب، أدّ إيه هو موسخ نفسه! بعد كده لازم آخد العربية مغسلة العربيات، أكيد انتحر!

- لأ، ما أظنش، شهريار إنسان عاقل.

- وهنوديه فين دلوقتي؟ ما هو نعش ووقع على عاتقنا!

- ماعرفش، ماتعرفش مستوصف في النواحي دي؟

- ليه؟ لازم يكون فيه واحد في نفس الطريق.

- خلاص نوديه هناك. علشان خاطر ربنا بسرعة، خايف نتأخر.

- وهو كذلك، لكن ساعة مانوصل هناك أنا لازم أمشي لشغلانة مهمة، وماقدرش أتأخر، ممكن الزبون يطير من إيدي.

- روح إنت خلص شغلك، وأنا هاستنى معاه.

- خلاص، بس لازم تيجي بالليل.

- وهو كذلك، أشوفك بالليل.

وصل كامران إلى أقرب مستوصف بأقصى سرعة. أنزل فرهاد وشهريار، وذهب هو إلى عمله، ورفعه فرهاد على كتفه، وصعد درج المستوصف. شخّص الطبيب بعد فحص شهريار حالته على أنها تسمم، وأمر أن يجروا له غسيلاً للمعدة أولاً، ثم أرقدوه الفراش في إحدى حجرات المستوصف بعد أن أوصلوا محلولاً بوريد يده، وظل فرهاد على فراشه طوال الوقت.

وبعد ساعتين، استعاد شهريار وعيه تدريجياً. فتح عينيه ونظر حوله، فرأى فرهاد وقد جلس مبتسماً فوق فراشه.

- سلام يا بني إزيك؟ بقيت كويس؟ إنت خضتنا على الآخر!

نظر شهريار بعدم تصديق، وسأله:-

– أنا فين؟

– ماتقلقش، حالتك كانت سيئة فجبتك المستوصف، من حسن الحظ إن الخطر زال، بس لازم ترتاح كام ساعة.

غرق شهريار في التفكير، وتذكر كل شئ تدريجياً. الغثيان وحالة الدوار، خروجه من المحل، وبعدها رؤية حميدة وتعقبهم، والعودة للمنزل ثم ... أبعد شهريار نظره عن فرهاد وتطلع إلى نقطة ما، فقال فرهاد:–

– ماقلتليش ايه المصيبة اللّي جبتها على دماغك؟

– لقيتني حالتي إيه؟

– كنت فايت عليك فشفتك مغمي عليك وسط الأوضة، بصراحة في الأول خفت أوي، وكنت متلخبط على الآخر، والدكتور قال لو كنت جبتك متأخر عن كده ساعتين كان لا قدر الله أمرك انتهى.

– يعني إنت أنقذت حياتي؟!

– مايغلاش عليك يا صاحبي!

استغرق شهريار في التفكير، وكانت حالته لا تساعده على الحوار والمجادلة، فأغمض عينيه حتى يخفي الحزن الذي في نظرته. وظن فرهاد أنه قد نام، فذهب للطبيب المعالج لشهريار، وعلم أنه كان يعاني من حالة تسمم غذائي شديدة. وعندما عاد إلى فراش شهريار كان قد نام حقيقة هذه المرة، فجلس فرهاد فوق مقعد إلى جوار السرير، وتطلع إلى قطرات المحلول التي كانت تتساب في أوردة شهريار.

وبعد ساعتين، تم السماح لشهريار بالانصراف من المستوصف، واصطحبه فرهاد حتى المنزل، بسط له فراشاً، ووضعه في السرير بإلحاح، وانهمك هو في تنظيف الحجرة ثم خرج من المنزل، واشترى بعض علب الكومبوت من محل وعاد إلى المنزل، كان شهريار ينظر إلى السقف، وهو حزين ومغتم. وكلما حاول لم يستطع أن يتناسى موضوع حميدة.

جلس فرهاد إلى جواره، وسأله بعطف:–

– إزيك دلوقتي؟ لونك ووشك بقى أحسن.

ابتسم شهريار ابتسامة مريرة وأجاب:–

– مش بطال، متشكر.

– بكرة أكيد هتبقى أحسن.

- لو تحب تقدر تمشي، أنا مش هاضايقك.
- هامشي، أنا مش مستعجل، تحب افتح لك علبة كومبوت؟
- لأ متشكر، ماليش نفس آكل حاجة.
- كنت أكلت إيه خلاك تتسمم كده؟
- أفتكر إنه كان أكل من نفس البطاطس والبيض المسلوق، كان فاضل من كام يوم، وافتكرت إنه سليم وإلاّ ماكنتش أكلت.
- علي أيّ حال عدت على خير، حاول من هنا ورايح تاخد بالك من نفسك أكتر من كده، مش دايماً عزرائيل بيدي الإنسان فرصة للهروب! تحب أفضل معاك الليلة دي؟
- لأ مش هازعجك.
- إزعاج إيه! هاتعزم علي؟
- مابعزمش بس إنت شايف إن حالتي كويسة.
- متأكد إنك مش محتاج حاجة؟
- أيوة شكراً، روح إنت شوف أشغالك.
- أنا ماعنديش شغل في الوقت ده بالليل، بس هامشي علشان أنام وأقدر أقوم الصبح بدري، وبكرة أكيد هافوت عليك.

قام فرهاد، وبعد أن ألقى التحية خرج من هناك. كان شهريار يشعر أن غصة بكاء مؤلمة كانت تضغط على حلقه، الآن وقد أصبح وحيداً كان يؤلمه كثيراً تذكر ذلك الموقف، أشعل سيجارة، ووضعها بفمه وأسند رأسه إلى الحائط، وكان يفكر في نفسه، أيّ خطة هي في رأس فرهاد؟ ولماذا اصطحب حميدة معه لهذا المنزل المريب؟ ولماذا كان يجب أن ترافقه حميدة؟ وأيّ علاقة نشأت بين حميدة وفرهاد؟ وذلك الشخص الثالث، الشاب الذي تولى القيادة، ماذا كان ينفذ في الخطة في تلك الأثناء؟

أمضى شهريار طوال الليل في تخيلاته، وقرر أنه في أول لقاء مع فرهاد سيسمع الحقيقة من لسانه، وكان مضطراً أن يصبر للغد. وفي اليوم التالي لم يكن قد تحسن تماماً وذهب مضطرا إلى عمله، سمح له الحاج صاحب المحل أن يستريح في المنزل بعد الظهر وأعفاه من العمل. وحينما وصل إلى المنزل جال بفكره خاطر، وهو أن يذهب لرؤية حميدة ويتحدث معها بخصوص الأمس، لكنه انصرف عن قراره بعد قليل من التفكير.

لم يدم انتظاره طويلاً، فقد ظهر فرهاد عصراً، حاول أن يسيطر على أعصابه ويحتفظ بهدوئه. وبعد ساعة من الحوار وفي النهاية جذب خيط الحديث لواقعة اليوم السابق.

– شوف يا فرهاد، إنت امبارح أنقذت روحي، وفي الحقيقة أنا مديون لك بحياتي، لكن أنا أصلاً زعلان منك، إنت عملت عملة أنا أصلاً مانتظرتهاش منك.

نظر فرهاد إلى فمه متحيراً وسأله:–

– إيه اللّي حصل يا شهريار؟ قصدك إيه؟ أنا عملت إيه؟

– أنا كنت فاكر إننا أصحاب أوي مع بعض، وأنا بحبك زيّ أخويا وعلشان كده بحت لك بسر قلبي.

– أنا مش فاهم كلامك، ينفع تتكلم بوضوح أكتر؟

– أنا كنت قلت لك إني عايز حميدة، وهدفي إني أتجوزها، وإنت كنت عارف إن عيني عليها، صح؟

– أيوة، وبعدين؟

– أنا امبارح شفتك ركّبتها عربية وأخدتها لمكان، وأنا كنت وراكم بتاكسي لحد باب الشقة، ووقفت هناك كتير، لكن لمّا حالتي كانت سيئة روّحت البيت. أنا كنت عايز أعرف إيه المواضيع اللّي بينك وبين حميدة؟ وعلشان إيه تاخدها معاك البيت ده؟ وإيه الكلام اللّي دار بينكم؟ أصلاً عايز أعرف إنت لك إيه عند حميدة اللّي هي موضع اهتمامي؟

صمت شهريار، ونكس فرهاد رأسه، كان وجهه قد احمر من الخجل، واستقرت قطرات العرق على جبهته. وعندما طال الصمت سأله شهريار مجدداً:–

– مابتتكلمش ليه؟ قول لي إيه الحكاية؟ عايز أعرف إيه اللّي بيحصل حواليا، واللّي حواليا دول أيّ نوع من الناس!

أشعل فرهاد سجارة، وقال بهدوء وبلهجة فاترة:–

– الذنب ذنبي، كان لازم أقول لك الحكاية من الأول، لكن مكانش عندى الجرأة لكده. أنا من أول يوم شفت حميدة أثناء نقل العفش حبتها، ويمكن قبل منك، وبعد كده اتكلمت معاها، وهنا بقى حكاية غريبة ومضحكة؛ دي طلبت مني نفس الحاجات اللّي طلبتها منك! قالت لي عايزه بيت وعربية ومجوهرات. كويس، أنا كمان حاولت أكون نفس اللّي هي عايزاه، وعلشان كده رحت وشاركت كامران، وبعدين لمّا إنت قلت لي إنك معجب بيها، ما كونتش عارف في الحقيقة أقول لك إيه؟ ومكانش ليّ وش أقول إني باحبها، وطلبت منها الجواز.

أشعل شهريار سيجارة بيد مرتعشة، ووضعها بين شفتيه وقال:–

– مش قادر أصدق كلامك، يعني هي وعدتك إنت كمان بالجواز؟ ده مش ممكن! هي بنفسها قالت لي إنها قابلاني، وهي بنفسها قالت إنها هتصبر لحد ما أجهز لها الحاجات اللّي طلبتها.

– يا صاحبي العزيز للأسف قالت لي نفس الكلام برضه، قطعاً مش بشكل مباشر لكن قالت لي ضمنياً إنها هتستناني. أنا مش عايز أكدب على أعز صديق لي وأخدعك، ومستعد أواجهك وجها لوجه مع حميدة.

لم يعلم شهريار أيّ رد فعل يبديه، كان الغضب قد تملكه تماماً، وانتفخت أوداجه من الغيظ. كان يدخن سجائر باستمرار، وقد أخفى رأسه بين يديه ويفكر، وفجأة رفع رأسه وسأل:-

– أخدتها معاك فين امبارح؟ كان بيت مين ده؟

– بيتي، اشتريته جديد.

– بيتك؟ يعني عايز تقول إن خلال المدة القصيرة دي قدرت ظروفك تتحسن بالشكل ده وتشتري بيت؟

– أيوة إحنا كده! قلت لك تعالى اشتغل مساعد ليّ، لكن إنت ما وافقتش.

– لو ماكنتش عارفك كان ممكن أصدق كلامك، لكن دلوقتي مش عارف أقول لك إيه! دي حاجة ماتدخلش العقل!

– حميدة حقيقي صدقت كلامي.

– إزاي؟

– امبارح أخدتها أوريها بيتي، وعجبها المكان هناك على الآخر، وفهمت إنها مبسوطة، وإحنا دلوقتي متفقين لحد ما أقدر في أول فرصة اشتري عربية كمان والحاجات التانية.

– وقلت لها بتجيب الفلوس منين؟

– لأ ماقلتش، لكن ماعتقدش إنه مهم بالنسبة لها، أيّ إنسان عاقل هيعرف إن أيّ شاب تعليمه بسيط وفقير مايقدرش يبقى غني في يوم وليلة من طريق مستقيم، ويطلع سلالم الرقي بالسرعة دي، إلاّ إذا لجأ لأعمال مخالفة وغير قانونية.

– إنت مش خايف يتقبض عليك في يوم من الأيام، وتفقد كل حاجة ومن ضمنهم حميدة؟

– لأ مش خايف، إلاّ إذا كان فيه واحد عايز يستندل ويبلغ عني، في الحالة دي الوضع هيفرق.

– إطمّن الشخص ده مش أنا، وعلي أيّ حال أنا وإنت أكلنا عيش وملح مع بعض، وأنا مديون لك.

– إنت مش مديون لي بأيّ دين، ولو كنت أنقذت حياتك امبارح فده مقابل إنك عملتها معايا قبل كده، يعني خالصين. شوف يا شهريار عايزك تنسى حميدة، البنت دي ما تنفعكش.

- إنت تقدر تنساها؟

- لأ أبداً!

- إذن إزاي تنتظر مني أنساها؟ أنا مقارنة بيك، مهتم بيها أكتر منك كمان، طب إنت لو كنت مكاني كنت هاتعمل ايه في الظروف دي؟

مكث فرهاد ثم أجاب:-

- لكن حميدة إيه رأيها؟ دي رأيها مشروط.

- أيوة عارف.

- جميل، وهي في الوضع الحالي اختارتني، هتقول إيه في كده؟

- لسه مش باين، وأنا مش عايز أيأس.

- يعني إنت عايز تنافسني؟

- لو أقدر حتماً هاعمل كده.

- ليه؟ وعلشان إيه؟

- لأني بحبها، ولأني عايز أتجوزها.

- طب وأنا؟ أنا كمان مهتم بيها. أنا كمان عايزها تبقى مراتي.

- كل شئ قسمة ونصيب وزيّ ما يكون.

- قسمتنا بانت، كمان كام يوم وهاجيب لك دعوة فرحي بنفسي، وأتمنى إنك تشرفنا، يا صاحبي العزيز إنت معندكش أيّ فرصة.

- لحد الوقت ده ربنا كبير، ومع حدف تفاحة في الهوا لحد نزولها بتلف ١٠٠ لفة. ومحدش يعرف بكرة فيه إيه، يمكن أنام الليلة دي وألاقي كنز الصبح، ساعتها أنا اللّي يمكن أجيب لك دعوة فرحي!

نهض فرهاد بغضب، وأطفأ سيجارته بانفعال فى منفضة السجائر، وخرج من الباب دون إلقاء التحية. وقف أمام منزل حميدة للحظة عندما كان يمر من هناك، ونظر بتردد إلى الباب، بعد ذلك ابتسم بسخرية، وواصل طريقه. جلس شهريار بعد خروجه فترة هادئاً، وفكر في حديثه السابق مع فرهاد، كان يشعر أنه كان فظاً في مواجهته لكن كبرياءه لم يسمح له أن يجلس في صمت. كان فرهاد معه حق فهو ليس لديه أيّ فرصة للفوز.

في نفس الليلة ذهب شهريار لزيارة عائلة حميدة بعد شراء علبة حلوى، وألح الرجل المسن عليه كثيراً لتناول العشاء، وبعد العشاء جلس شهريار للتحدث مع حميدة في وجود العائلة.

- سمعت من فرهاد إنك رحت لبيته امبارح.

– أيوة، أكيد بعد إذن بابا وماما.

– كويس، وبيته أخباره إيه؟

– مش وحش، شقة صغيرة وكاملة من مجاميعه.

– زيّ ماتكون كده عجبتك؟!

– قلت إنها مش وحشة، صحيح أنا مش راضية تماماً، لكن فرهاد وعد، ولو وفى بوعده أكيد يتم رضائي بشكل أكبر.

– سمعت إنك وعدتيه بالجواز، واتفقتوا مع بعض على الخطوبة رسمي؟

– أيوة، مظبوط.

صمت شهريار، ونكس رأسه، فسألته حميدة:–

– إيه قصدك من الأسئلة دي؟

– ماليش قصد معين، كنت عايز بس آخد قراري بشكل أحسن.

– حضرتك كان ممكن تبقى مكانه، إنت ماحاولتش كتير.

– أنا ماقدرش أعمل أعمال مخالفة، ماتعودتش آكل عيش حرام.

– أعمال مخالفة! عيش حرام! قصدك إيه؟

– يعني إنت ماتعرفيش؟ ماخطرش حتى على بالك إن ممكن فرهاد يكون اغتنى من طريق مخالف؟

– شايفه إنك بتحارب ضد صاحبك؟ كنت فاكرة إنكم قريبين أوي من بعض!

– أيوة، لكن ده مش سبب إني أخبي الحقيقة.

– في رأيي مفيش فرق، وأنا مش مسئولة عن أعمال فرهاد وسلوكه.

– يعني الفلوس بس اللّي مهمة بالنسبة لك؟ مش مهم إن يكون جوزك في المستقبل مذنب؟ مش مهم إنه يكسب ثروته من طريق غير مشروع؟ مش مهم إيه اللّي هيحصل لك في المستقبل؟ وإن الناس يتكلموا عليكي إنتي وجوزك من وراكوا و...

– هو إنت ليك إنك تحقق معايا؟! أنا مش مجبرة إني أرد عليك، أنا حطيت شروط للجواز وعمري ماقلت للّي بيخطبني روح واعمل حاجات مخالفة وغير مشروعة، فإذا كنت تقدر تحقق الشروط دي فمن ناحيتي بسم الله، وغير كده مالكش شأن بتفاصيلها، الحياة الخاصة بكل شخص بتتعلق به شخصياً.

قامت حميدة، وغادرت الحجرة في حالة اعتراض، واستأذن شهريار – الذي كان قد تلقى إجابة لجميع أسئلته – الرجل المسن وامرأته وخرج. حتى والد حميدة ووالدتها لم يبديا رأياً في الموضوع،

كان كل شيء انتهى واتضح في رأي شهريار، وبالنسبة له فإن حميدة قد ماتت، وانتهت أحلام الزواج الجميلة.

كانت أولى خطواته في الأيام التالية أن يغير محل إقامته، وبعد يومين أو ثلاثة من البحث استأجر حجرة لا تبعد عن مكان عمله، فنقل متعلقاته إلى هناك سريعاً، وواصل حياته بعيدا عن الجميع. لم يكن راغباً حتى أن يرد اسم حميدة على لسانه، فقد سقطت هي ووالدها ووالدتها من نظر شهريار تماماً.

علم فرهاد عن طريق حميدة أن شهريار قد بدل منزله، لكنه لم يسع لإيجاده، ولم يذهب إليه لفترة. وكانت حميدة قد شرحت له كل تلك المحادثة، وكان فرهاد نافراً من صديقه الحميم، وظل لفترة يشعر حياله بالغضب والضيق.

كان يعتقد أن نهاية سوء حظه قد حلت، وأن أيام المستقبل السعيد في انتظاره، كان مشغولا بالعمل مع كامران، وقرر أنه سيعقد مراسم الخطبة خلال الأسبوع المقبل. وطبقاً للاتفاق المعقود مع كامران ذهب بصحبة حميدة ووالدتها من أجل شراء الجواهر إلى الصائغ المتفق عليه، واشترى الجواهر المختارة من قبل حميدة دون مجادلة.

أقيمت مراسم الخطبة في منزل كامران، ولم يكن هناك حضور باستثناء كامران ووالد حميدة ووالدتها. وتم تحديد تاريخ عقد القران والزفاف بعد ستة أشهر، وخطبت حميدة رسمياً لفرهاد، وسعى فرهاد – الذي كان لا يعرف رأسه من قدمه، ويعتقد نفسه رجلاً محظوظاً – بجدية كي يحسن دخله، ووعده كامران أيضاً أنه سيحقق أحلامه بسرعة.

والآن كلما ذهب فرهاد لرؤية أسرة خطيبته كان يحمل لهم معه علبة حلوى، باقة من الأزهار، وهدايا كثيرة وكان يستقبل بحفاوة من جانبهم، كان قد غير شكله وهيئته تماماً، فكان يرتدي أكثر الملابس شياكة وذوقاً واهتم بمظهره، وبالرغم من أنه كان له دخل كاف إلاّ أنه لم يكن قد وصل بعد إلى المستوى الذي يستطيع بمدخراته أن يشتري سيارة أو منزلاً، وكان يشعر بالقلق من هذه الناحية. كانت حميدة ستتزوج به في حالة ما كان له منزل وسيارة، وإذا أدركت أن المنزل يخص كامران وأن مجوهراتها زائفة فمن المؤكد أنها ستنفصل عنه.

كان كامران قد وعد فرهاد أنه سيصل في خلال فترة قصيرة إلى كل ما كان يداعب خياله، وكان فرهاد يثق بكلامه. كلاهما كانا يعملان ظاهرياً في أحد المطابع، وذلك المكان كان له سرداب لا يعلم شخص عن وجوده سوى الأفراد موضع الثقة، وكان السرداب يفتح عن طريق باب سري بالضغط على زر موجود في موضع خفي وغير مرئي، وكان فرهاد وكامران يقومان بتزوير

المستندات والشهادات والبطاقات الشخصية في ذلك السرداب. كانت المطبعة قد وضعت عدة مرات موضع شك وتفتيش المسؤلين، لكن لم يستطع أيّ شخص حتى تلك اللحظة أن يكشف سر السرداب أو يصل إليه. مر شهران من بداية خطوبة فرهاد، وذات يوم في أثناء ما كان هو داخل المطبعة، جاء اثنان من رجال الشرطة بملابس مدنية وكأنهما أصحاب عمل إلى داخل المطبعة، وما هي إلاّ لحظات حتى أدرك أحد الشرطيين أن فرهاد الذي كان قد حضر هنا قبل دقائق اختفى فجأة. قبل ذلك كان قد تم الإبلاغ عن السرداب عن طريق اتصال تليفوني من شخص مجهول، والشرطيان اللذان كانا متواجدين هناك الآن، كانا على علم تام بوجوده، فخرج الشرطيان على الفور، وما هي إلاّ دقائق حتى امتلأت المطبعة برجال الشرطة. في ذلك اليوم لم يحضر كامران إلى المكان، وواجه صاحب المطبعة رجال الشرطة بهدوء، وذكّرهم أنه لا يحدث أيّ عمل مخالف أو غير قانوني في مؤسسته، وأنهم يستطيعون أن يفتشوا المكان كله بهدوء. وبينما أحاط به رجال الشرطة وقيدوا يديه، تمكنوا من أن يجدوا الزر السري، وبالضغط عليه انفتح باب السرداب.

نزل أربعة من رجال الشرطة المسلحين الدرج في هدوء دون أية جلبة، ودخلوا السرداب، وكان صاحب المطبعة يشاهد ما يحدث بملامح شاحبة، وهكذا تبدل حاله، حيث لم يقو على الوقوف، وجلس على أحد المقاعد واهناً، ثم طلب منهم أن يشعلوا له سيجارة. لم يكن يتخيل مطلقاً أن يعرف رجال الشرطة مكان السرداب، والآن كان يعاني كما لو كان مصدوماً، ولم يقدر على التنفس، كان يتمنى فقط أن يتمكن محاميه من أن يساعده في هذه القضية. قبل عدة أيام، كان قد أخرج معظم الأوراق والوثائق الموجودة من السرداب، لكن فرهاد الآن منهمك بالعمل في السرداب، وأيقن صاحب المطبعة أنه وبهذه الوثائق البسيطة فإن أمره قد انتهى. كان فرهاد جالساً خلف جهاز غير منتبه بما حوله، وكان يعمل باطمئنان حتى أنه لم ينتبه لدخول رجال الشرطة. وفجأة سمع صوتاً من خلفه، كان الشرطي قد ألصق سلاحاً بظهره، وأمره بصوت حازم وجبري أن يرفع يديه، اضطرب فرهاد للحظات ولم يكن يعلم ماذا يجري حوله، فرفع يديه، وعندما لامس القيد يديه أدرك عندئذ أنه قد ألقي القبض عليه، فخرج مع رجال الشرطة من السرداب دون مقاومة. كان لا يزال في حالة الصدمة ومضطرباً تماماً. ركب هو وصاحب المطبعة سيارة الشرطة، ونقلوا إلى إدارة المباحث، وقام باقي رجال الشرطة بتفتيش بقية أقسام المطبعة، وتمت إحالة فرهاد منفرداً للتحقيق في إدارة المباحث، ولم يكن لديه خلاص إلاّ الإقرار والاعتراف، وكان لابد أن يعترف بالحقائق، لكنه على مدار التحقيق لم يذكر اسم كامران، وحاول أن يظل وفياً له، وتحمل جميع التهم بمفرده، وجعل نفسه المسئول عن كل الأمورعلى أمل أن يقدم كامران على إخراجه من السجن. كانت الوثائق الموجودة

دليل على إدانة فرهاد، وبعد أسبوع من التحقيق واستكمال ملفه نقلوه إلى السجن. لم يعلم مصير صاحب المطبعة، ولم يكن يعلم ماذا حدث له، وهل ذكر اسم كامران أم لا؟ انزوى في السجن حزيناً ومكتئباً، وكان يفكر فقط في حميدة. كان يشعر بالاضطراب على خطيبته، ولم يكن لديه أية وسيلة للاتصال. وحتى بداية محاكمته وتحديد حالته لم يملك حق الاتصال بخارج السجن، ولم يكن يسمح لأيّ شخص بمقابلته، كان فرهاد يعيش في حالة نفسية سيئة جداً، وكان تحمل جو السجن بالنسبة له عسيراً جداً، لم يكن يعلم ماذا سيحل به، وإلى أين سينتهي به مستقبله؟ كانت تهمته كبيرة ويحتمل أن يحبس سنين خلف قضبان السجن، ولم يكن متأكداً أن تظل حميدة وفية له خلال هذة الفترة وتنتظره، كان يخشى أن يفقد الخاطب المتوفر به شروط حميدة. لم تبتعد هذة الأفكار المؤلمة عن ذهنه لحظة واحدة، فهو من الناحية الفسيولوجية يمتلك جسداً قوياً، لكنه كما لو كان قد تحلل وضعفت بنيته تحت تأثير الظروف، حتى أن أيّ شخص سيدرك من الوهلة الأولي أنه قد ابتلي بمرض غامض.

كانت الأيام تمر عليه ببطء، وتؤلمه لحظات الحبس، كان منزعجاً من حبسه احتياطياً ويتمنى أن يصدر حكمه بأسرع ما يمكن، وأن تحدد فترة حبسه حتى يستطيع أن يتصل بحميدة وكامران. وكان لا يزال يأمل في مساعدة كامران، كامران دائماً ما كان يعده أنه في حالة القبض عليه سيكلف له محامياً، وسيحكم عليه بأقل مدة حبس، كان يعتقد أن كامران وشبكته يهتمون لوجوده، وأنهم لن يتركوه في مثل هذه الظروف، ولهذا السبب تحمل عبء المسئولية كلها، ولم يذكر اسم أيّ منهم، حتى يبادروا من خارج السجن لمساعدته، ويهيئون أدلة براءته.

«١٠»

مضت فترة لم يكن لدى شهريار أيّ خبر فيها عن فرهاد، فمنذ ذلك اليوم الذي كان قد تجادل فيه معه لم يذهب فرهاد إليه ثانية، وكانت بعض متعلقات فرهاد الشخصية لا تزال باقية لدى شهريار، وكان يعتقد أن فرهاد سيعود في النهاية إليه يوماً من أجل استعادتها. فهو لم يكن لديه علم عن مكان فرهاد، وكان أمله أن يكون في نفس المنزل الذي كان قد عرّف حميدة عليه ذات مرة، وانتظر فترة أخرى فربما يأتي فرهاد إليه بنفسه.

بعد فترة، وعندما رأى أن انتظار عودة فرهاد قد طال، ولم يأت قرر أن يذهب هو لرؤية فرهاد، كان لا يزال يتذكر ذلك العنوان. وذات يوم استقل تاكسياً، وذهب إلى نفس الشقة التي كان فرهاد قد ادعى أنها تخصه. وقف خلف الباب لفترة، ورن الجرس لكن لم يجبه أحد، تجول في تلك النواحي حوالي الساعة، ثم ذهب إلى الشقة مرة ثانية ورن الجرس، وعندما لم يسمع إجابة تيقن أنه لا يوجد شخص في المنزل كي يفتح الباب.

وخلال الأيام التالية عاد إلى الشقة المعنية عدة مرات أخرى في أوقات مختلفة، لكنه لم يوفق أبداً في إيجاد فرهاد، فكتب إليه ورقة وألقاها إلى الداخل من خلال عقب الباب، وفكر في نفسه أنه لابد وقد سافر فرهاد، وحين عودته سيرى ورقته بلا شك وسيأتي إليه.

بعد فترة ذهب إلى هناك مرة ثانية، وفي ذلك اليوم عندما ابتعد عن المنزل في حالة يأس، وكان ينتظر سيارة أجرة، فجأة رأى كامران برفقة حميدة يتحركان صوب المنزل في سيارة، لم يكن شهريار يعرف كامران جيداً وعدا تلك المرة التي كان قد رآه برفقة حميدة وفرهاد، لم يكن قد قابله حتى الآن لكنه خمن أن الشخص موضع النظر لابد وأن يكون هو كامران.

ركن كامران السيارة أمام منزله، ونزل بمفرده، ودخل شقته، في الوقت الذي كانت فيه حميدة جالسة في السيارة. وقف شهريار في زاوية، وانتظر حتى يخرج كامران من المنزل، كان سبب حيرته هو ماذا تفعل حميدة في سيارة كامران! وبعد ربع الساعة خرج كامران من المنزل بصرة كبيرة نسبياً، واتجه إلى سيارته.

وصل شهريار إليه بخطوات واسعة، وعندما وصل أمامه قال:-

- أستاذ كامران؟

نظر إليه كامران بتعجب، وقال بدون إظهار معرفة:-

- أيوة؟

- سلام يا أستاذ، إزي حالك؟

– الحمد لله، ماتعرّفتش على السيد المحترم؟!

– أعذرني إني ماعرّفتش نفسي، أنا صديق فرهاد، شهريار.

فكر كامران قليلاً، ثم قال ضاحكاً:–

– أيوة افتكرت، كنت مشتاق لرؤيتك، إزيك؟

– الحمد لله، مش بطال.

حاولت حميدة التي رأت شهريار أن تتجنب النظر إليه، وابتعد كامران – الذي شعر بأن حميدة مضطربة – عدة خطوات عن السيارة، ورافقه شهريار أيضاً، وقال كامران:–

– سمعت عنك كتير من فرهاد.

– من ذوق فرهاد، في الحقيقة بقى لي فترة معرفش عنه حاجة، الندل ده من يوم ما اغتنى مجاش ناحية أصحابه القدام، وفي الحقيقة حاجاته لسه عندي، وعايز أبعث له رسالة عن طريق حضرتك علشان ييجي ياخدها، طبعاً لو ده مايضايقش حضرتك.

خطا كامران خطوة هنا وخطوة هناك، وأجاب وهو يفكر:–

– أكنّ حضرتك ماعندكش خبر؟

– ماعنديش خبر عن إيه؟

نكس كامران رأسه، وبينما كان يحاول أن يتظاهر بحالة من الأسف، قال بلهجة مغتمة:–

– فرهاد ... في الحقيقة مسكوه.

كرر شهريار الذي لم يكن قد فهم مقصده:–

– مسكوه؟

– للأسف أيوة، ودلوقتي بقى له كام أسبوع مقبوض عليه.

– يا ربي، إيه اللّي باسمعه ده؟ لكن فين؟ وإزاي؟ هو كان عمل إيه؟

– بيقال إنه اتورط في أعمال مخالفة! يعني كان بيزور مستندات وأوراق رسمية.

– لكن أنا كنت سمعت إنه بيشتغل مع حضرتك.

عبس وجه كامران، وقال بضيق:–

– أفندم يا أستاذ، إيه الكلام ده؟

– صدقني باقول الحق، فرهاد كان قال إنه مشاركك فى شغل، وحتى كان قال إنه عايش معاك في شقة مشتركة.

– غلط! إيه الكلام ده يا أستاذ، مشاركة إيه؟ الكلام ده ممكن يجيب لي مشاكل، أنا إنسان شريف.

صمت شهريار، ونظر إلى عيني كامران بتفحص، كان لديه ثقه وإيمان تامين بأن كامران يكذب، وأضاف كامران:-

- هو جالي مرة ولاّ مرتين واستلف مني فلوس، وبعدها طلب مني ألاقي له شغلانة، وأنا عرّفته على شركة، شركة محترمة ولها وضعها، فراح فرهاد وبعدها جه قال لي إنه ماحبش شغله، أنا كمان ما دلّتهوش على مكان تاني، وبعدين هو بنفسه قال لي إنه لقى شغل في مطبعة، ده حتى مادانيش الفلوس اللّي عليه ليّ، والأسوأ من كده إنه ضحك على خطيبته.

- مافهمتش قصد سيادتك؟

- أقول لك ايه يا أستاذ، بجد دي حاجة تكسف، ورّى بيتي لخطيبته وادعى إنه اشترى المكان ده بنفسه وإنه يخصه، وبعد كده وافقت خطيبته على الجواز، واشترى لها مجوهرات مقلدة ومزيفة، وادعى بالشكل ده إنه اغتنى وقادر إنه يعمل فرح أبهة، من حسن الحظ إنه اتقبض عليه بسرعة، وحيله بانت وإلاّ مكانش معروف هيخدع مين تاني.

نظر شهريار إلى حميدة بذهول وسأل:-

- علشان كده خطيبته مشرفة هنا، في عربيتك!

قطب كامران جبينه وأجاب:-

- السيدة دى مابقتش خطيبة فرهاد، وهتبقى مراتي في المستقبل.

- مراتك؟!

- أيوة، استغربت ليه؟

- لأ ماستغربتش، دلوقتي اتضح لي حاجة!

- نعم يا أستاذ؟ مافهمتش بتقول ايه؟

- أعذرني ماقصدتش، دلوقتي أقدر أتصل بفرهاد إزاي؟ أخدوه فين؟

- معرفش، أفتكر في سجن القصر، لكن هاوصيك بشكل ودي إنك ماتروحش تقابله خالص، كده ممكن تجيب لنفسك وجع الدماغ، سمعت إن البوليس لسه بيدوّر على شركائه، وممكن لا قدر الله رجليك تتجر في المصيبة دي من غير ذنب ويتقبض عليك، ولحد ما تقدر تثبت إن مالكش ذنب، هتكون كام سنة ضاعت من عمرك.

- متشكر لنصيحتك، وهاقول لفرهاد أدّ ايه إنت حسن النية! وبتفكر فينا!

– ولو سمحت ماتذكرش اسمي، وأنا هاكذب صداقتي ومعرفتي به بأيّ طريقة، يا أستاذ أنا دلوقتي خاطب وهاتجوز بسرعة، فمش عايز لا قدر الله أقع في مشكلة، ما هو ما شربش الشربة واتحرق بقه!

– أيوة فاهم كويس، وأعذرني إني ضايقتك.

– العفو، ألأمر إحنا في الخدمة.

– ربنا يخلّيك، بعد إذنك.

– مع السلامة، وربنا يوفقك.

– وإنت كمان!

ابتعد شهريار عن ذلك المكان بسرعة، ولم ينظر حتى خلفه، ومن فرط الغضب بصق لعابه على الأرض، وسحق قبضتيه المعقودتين ببعضهما، كان يتمنى أن يحطم ذقن كامران بقبضته، وحاول كثيراً أن يسيطر على أعصابه. وكان واضحاً ومؤكداً له أن هذا الحساء قد طبخه كامران لفرهاد، وهو أيضاً الذي أرسله للسجن، واستولى على خطيبته.

أحس شهريار أنه منزعج من حميدة بشدة، فتاة سفيهة لأنها كانت تذعن لأيّ شيء من أجل المال، وباعت نفسها بثمن بخس من أجل المظاهر والمال والجواهر، ولهذا كان يشعر بالخجل لأنه استسلم لمحبة تلك الفتاة المنفلتة، وأحبها يوماً، وكان يعاني الندم من وجودها. مسكين فرهاد، لو كان يعلم أنه سيطعن بالخنجر من يد صديق سيء وندل، لما وثق به أبداً بتلك الدرجة، ولم ينخدع بحديثه.

أشعل شهريار سيجارة، وسار مفكراً، كان قلبه يحترق من أجل فرهاد، وكان مستعداً في هذه الظروف أن يفعل أيّ شيء لإنقاذه، لكنه تأكد أنه لا يوجد في مقدرته شيء، ولذلك قرر أن يفعل أقل عمل ممكن وهو أن يذهب لزيارته ويطيب خاطره. لم يكن يستطيع أن يترك فرهاد في مثل تلك الظروف، وألاّ يبالي أمام هذه المشكلة التي أمسكت بخناق صديقه.

كان متأثراً ومضطرباً من هذه الحادثة لبضعة أيام، ولم يستطع لحظة أن ينسى فرهاد، ليت فرهاد لم يرتكب هذه الحماقة الكبيرة، وكان دقق قبل اختيار الصديق جيداً، ليته أدرك لأيّ ورطة كان يجذبه كامران، ليته كان عاقلاً ولديه فطنة بالقدر الذي يدرك معه أن حميدة لن تكون الزوجة المثالية له، كان شهريار يعلم أن الألم لا يعالج بالتمني، وبناءً على ذلك حاول أن يأخذ تصريح زيارة لسجن القصر، لكنه علم أن فرهاد لا يزال ممنوعاً من الزيارات.

بعد شهرين من الحبس الاحتياطي تم استدعاء فرهاد للمحكمة، وحكم عليه القاضي بالسجن ثلاث سنوات، سمع فرهاد الحكم بهدوء، وعاد إلى السجن دون أيّ اعتراض، وكتم الغم بداخله، وسال دمع الحسرة من عينه، بالنسبة له لم يكن قلقاً كثيراً بما سيحدث له، وكيف يستطيع أن يقضي أيام السجن المضنية، بل كان اكتئابه وحزنه بسبب البعد عن حميدة. فقد كان عاجزاً عن رؤيتها، وكان يتمنى أن يهرب من السجن بأيّ طريقة، ويحظى بدقائق فقط للقائها.

وبعد أسبوع عندما أخبروه أن له زيارة، لم يسعه جلده من الفرحة، ففي النهاية انتهى الانتظار، وبادر كامران لمساعدته، كان يعبر الممر وهو يفكر أن كامران سيستطيع أن يهيئ وسيلة اتصاله بحميدة، وسعد لأنه سيستطيع أن يقابل حميدة بعد بضعة أيام أخرى. وعلى عكس توقعه، فقد كان الشخص الذى جاء لزيارته هو شهريار، ولم يدر فرهاد أيسعد للقائه أم يحزن؟ رفع سماعة الهاتف وألصقها بأذنه، كان صوت كل منهما حزيناً ومرتعشاً.

– سلام يا فرهاد، إزيك؟

– سلام يا شهريار، كويس؟

– أنا كويس، وإنت إزيك؟

– هه، مش بطال، وأديك شايف!

– ماكنتش أتمنى أشوفك هنا، في الحقيقة أنا متأسف.

– مش مهم، قسمتنا كده، أنا كنت قلت لك، إني إنسان قليل الحظ دايماً. جميل، وإنت إزيك؟ بتعمل ايه؟

– أبداً، باتصالح مع الحياة بأيّ شكل.

– يا بختك! أنا عمري ماقدرت أتصالح مع الحياة، كل الناس طلعوا سلالم المجد واحدة واحدة، لكن إحنا طلعنا كام سلمة مرة واحدة، فوقع السلم بينا لتحت. كويس، هو ده اللّي حصل!

– مش مهم يا فرهاد، إنت لسه عندك فرصة برضه، ومش هتفضل هنا للأبد، ولمّا تخرج تقدر تبدأ حياة جديدة، وتقدر تطلع سلّمة سلّمة وتوصل.

– هتقول شعارات تاني؟ حتى هنا كمان؟

– خلاص سيبنا من الكلام ده، كنت عايز أجيب لك حاجة لكن ماكنتش عارف إنت محتاج إيه، فجبت شوية فاكهة وسجاير، وأخدوها مني على الباب، وهيبعتوها لك بعد كده.

– تسلم إيدك، مش عايز أتعبك.

– مفيش تعب، ده واجبي، ودلوقتي قول لي محتاج لإيه علشان أجيبهولك لمّا آجي المرة الجاية.

– يعني هتيجي تزورني تاني؟

– أكيد، ليه لأ؟ أنا عمري ماهتخلى عنك، أنا مش ناكر للجميل زيك.

– أيوة عارف، وعندك حق في كل اللّي تقوله، ودلوقتي علشان قلت كده خلّيني أطلب منك معروف.

– اتكلم، أطلب بس روحي وأهديها لك.

– عايزك بأيّ شكل تقول لكامران وحميدة ييجوا يزوروني، هاكون ممنون لك.

تغير لون وجه شهريار لسماع هذا الكلام، كم كان مشمئزاً من سماع هذين الاسمين، فسيطر على نفسه بأيّ حال، وابتسم بهدوء، وأجاب:–

– هاقول لهم، لكن إيه الفايدة من كده؟

– إنت عارف بنفسك ومالوش لازمة الكلام، أنا ماقدرش أعيش ولو حتى لحظة واحدة من غير حميدة، كل لحظاتي هنا بأقضيها مع ذكرياتها، وإلاّ كان زماني مت من الوحدة. إحنا كنا اتخطبنا لبعض قريب، عرفت؟

– لأ معرفتش، مبروك.

– ربنا يخليك.

– طيب وكامران؟ عايز تشوفه ليه؟

– كامران يقدر يساعدني، يقدر يوكل لي محامي علشان أخرج في أسرع وقت.

– مين قال لك الكلام ده؟

– هو نفسه، كان وعدني إنه لو اتقبض عليّ في يوم من الأيام هيساعدني بأيّ تمن.

– دلوقتي حكمك صدر يعني توكيل محامي مالوش معنى!

– مش شغلك إنت، كفاية بس تقول له، وسيب الباقي عليه، أقدر أعارض في حكم المحكمة واطلب إعادة التحقيق، لكن كامران بس اللّي يعرف طريقها وخفاياها.

لم يكن شهريار قادراً على أن يقول له الحقائق، ولم يحبذ أن يجعله يائساً ومحبطاً في مثل هذه الظروف، ويضع الملح على جراحه، لهذا واصل دون أن يشير إلى لقائه بكامران وقال:–

– وهو كذلك، هاحاول ألاقيه.

– روح لحميدة، هي معاها عنوانه.

– وإنت تفتكر إن كامران لسه ماعرفش لغاية دلوقتي إنك اتسجنت؟

– أيوة أكيد يعرف، لكن كان اتفاقنا إن الإتصال الأول يكون من ناحيتي، علشان هو يطمّن إن مفيش خطر بيهدده.

- وهو كذلك، هاعمل كل حاجة بتقولها.
- متشكر، مش عارف أشكرك إزاي.
- مالوش لازمة الشكر، حسناً وقت الزيارة انتهى.
- عملت طيب إنك فت عليّ.
- ماقلتليش محتاج إيه أجيبه لك؟
- مش عايز أتعبك.
- مفيش تعب.
- لو يكون يبقى عايز فوطة وملابس داخلية وفرشة أسنان وصابونة.
- وهو كذلك هاجهزهم لك، والأسبوع الجاي هاجي لك، مع السلامة.
- ربنا يخلّيك، مع السلامة.

أمضى شهريار هذه الليلة وهو مستاء، كان قد وعد فرهاد أن يخبر حميدة وكامران، فكيف يستطيع أن ينجز هذه المهمة في الوقت الذي كذب فيه كامران محبته وصداقته فيما بينهما، والأهم من ذلك أنه كان قد استحوذ على خطيبته، فرسم شهريار خطة مع نفسه وعزم على أن ينفذها وأن يكتم الحقيقة عن فرهاد. فلم يكن يرضى أن يشعر فرهاد بالوحدة والحزن في مثل هذه الظروف وأن يفقد أمله.

وعلى مدار الأسبوع تباحث مع نفسه حتى يجد عذراً وحجة مقنعة لكي يجيب بهما على فرهاد، وفي النهاية ذهب لزيارة فرهاد عصر يوم الجمعة.

- متشكر إنك جيت يا شهريار، من الأسبوع اللّي فات لحد دلوقتي باعدّ كل لحظة علشان أشوفك.
- وانا كمان زيك. صحيح، الحاجات اللّي كنت طلبتها جبتها لك، سبتها على الباب، ولو محتاج لأيّ حاجة تانية قول.
- لأ متشكر، مش لازماني حاجة.
- جميل، قول لي عامل إيه؟
- مش بطال، وإنت إيه الأخبار عندك؟ رحت لحميدة وكامران؟ مايكونوش مستنيين بره؟
- لأ، أنا جيت لوحدي.
- ليه؟ ليه ماجوش معاك؟
- في الحقيقة حميدة مشغولة أوي، إنت عارف أبوها حالته وحشة، وسمعت إنه عيان أوي، وحميدة مضطرة تمرضه، وبتبعت لك سلام كتير.

- أكيد زعلانة أوي.

- أيوة!

- مابعتتليش أيّ كلام أو رسالة؟

- لأ، قالت يعني إنها زعلانة علشانك، وحقيقي هي أسفة من اللّي حصل.

ابتسم فرهاد ابتسامة رضا، وقال بسذاجة:-

- إذن فيه أمل، وأقدر اطمّن إنها هتفضل مستنياني.

- أيوة، هو كده.

- طب وكامران؟

- في الحقيقة ماقدرتش ألاقيه، رحت بيته كذا مرة، لكنه مكانش موجود، ممكن يكون مسافر.

- أيوة ممكن، يا خسارة، يا ريتك قدرت تقول له.

- هاحاول أروح أقابله تاني.

- متشكر لك، أنا في الحقيقة محتاج لوجود كامران.

هز شهريار رأسه ونظر إلى نقطة ما. في ذلك اليوم عندما ترك فرهاد كانت غصة البكاء قد التصقت بحلقه أثناء الطريق، وكان يتمنى من قلبه أن يبكي بصوت عال، ظل تحت تأثير الأفكار المؤلمة في محل عمله أيضاً حتى اليوم التالي، وشعر السيد "سبحاني" صاحب عمله أن شهريار بخلاف كل يوم ليس لديه صبر وجلد، فقلما كان يحضر إلى المحل، وكان قد سلم معظم الأعمال في يد شهريار، فجلس إلى جواره، وبدأ الكلام.

تحدث شهريار - الذي كان منقبض القلب ويحتاج لهذا الحديث - إليه لدقائق، وأزاح الحمل قليلاً بشرح الموضوع الذي كان يثقله منذ فترة مضت.

- يا حاج، قلبي مقبوض أوي، حضرتك ماتعرفش حالتي إيه.

- إيه اللّي حصل يا بني؟ اتكلم، قول علشان تخفف عن نفسك، قلب الإنسان زيّ السما بيغيم، فلمّا السما ماتمطرش بتتملي غيوم، لكن لمّا السحاب بيمطر ساعتها السما بتبقى صافية ومشمسة.

- والله يا حاج قلبي مكتئب حتى أكتر كمان من السما المغيمة، في رأيك يا حاج كل البنات زيّ بعض؟ كلهم معدومي الوفاء؟

ابتسم الحاج، وأجاب:-

- لأ يا بني، مش كلهم معدومي الوفاء، ومبدئياً الصفاء والإخلاص والوفاء في البنات أكتر من الصبيان، ودلوقتي إيه اللّي حصل؟ ماتكونش واحدة من الملاعين إياهم خدعتك؟

- للأسف هو كده يا حاج، وحكايتها بالتفصيل الشديد إن أنا وفرهاد صاحبي عشنا حياة كويسة لحد ظهور البنت دي، إحنا الاتنين كنا عايشين على الحلوة والمرة، وفرهاد كان كويس وطيب، هو كان إنسان بيتضايق دايماً من سلب الحقوق والظلم، مكانش بيرضى إن حد يفتري على حد أو ياخد حق مش حقه، وعلشان مبادئه دي قابل مشاكل كتيرة، بعد كده ظهرت البنت جارتنا، بنت جميلة جداً، لدرجة إن أنا وفرهاد حبيناها من غير مانقول لبعض على مشاعرنا.

- حكاية غريبة؟ وبعدين إيه اللّي حصل؟

- أبو البنت وأمها ناس فقراء ومظهرهم بسيط، والواحد مايجيش في باله إن بنتهم في راسها أفكار زيّ دي، البنت أصلاً حاجة تانية، بتختلف عن البنات اللّي في سنها فرق السما من الأرض، طموحة جداً بعكس كل البنات اللّي بيتمنوا يتجوزوا واحد عفيف وشريف ويقتنعوا بحياة بسيطة وعادية، دي بقى كانت عايزه فيلا وبيت وعربية ومجوهرات، لمّا أنا رحت أخطبها بصّت في عيني بكل وقاحة، وقالت أنا عمري ماهتجوز إنسان فقير علشان أفضل شحاتة لآخر عمري، ولو إنت عايزني لازم يبقى عندك ثروة كبيرة.

- حقّه، دي حاجات ماتسمعتش؟! وإنت ماقولتلهاش ظروفك؟

- أيوة، هي بنفسها كانت تعرف كويس أنا شغلتي إيه، ودخلي أدّ إيه لكن ده كان شرطها. المثير للاهتمام إن نفس الشروط دي حطتها لفرهاد اللّي كان راح خطبها! مسكين فرهاد، كان شاب له دايماً أفكار وتطلعات وكان بيفكر كويس، وقع في فخ البنت وعلشان يكسب رضاها، راح في أعمال مخالفة علشان يبقى غني، ويقدر يتجوزها! لحد ما نجح برضه وقدر يخطبها، حاولت كتير أمنعه من الشغلانة دي، ونصحته كتير، لكنه كان زيّ مايكون أعمى ومسلوب الإرادة، ومكانش أصلاً فيه حاجة مهمة عنده، واحد من أصحابه علّمه طريق الأعمال المخالفة، وكان السبب إن فرهاد يتقبض عليه ويتسجن.

- غريبة! إيه الحماقة دي؟ طب وهو إيه اللّي حصل لمبادئه؟

- معرفش يا حاج، كانت حاجة غريبة جداً، دلوقتي باقي الأكثر غرابة! لمّا فرهاد اتحبس، خطيبته اتخطبت لنفس النذل الأثيم اللّي كان ورط فرهاد.

ضرب الرجل المسن على ظهر يده متحيراً، وقال:-

- إيه اللّي بتقوله ده؟

- والله زيّ ما بقولك يا حاج، أنا شفتهم بنفسي مع بعض، والولد اعترف إنه خطبها.

- طب وفرهاد قال إيه؟

– المسكين ده معندوش خبر عن المصيبة دي، ماقدرتش أقول له الحقيقة، ووسطّني علشان أقول لخطيبته إنها تيجي تزوره في السجن، وكمان أقول لصاحبه إنه يخرجه بأيّ وسيلة.

– وماقولتلوش المصيبة دي ليه؟

– ماكونتش عايزه ييأس.

– ماهو بالشكل ده أسوأ، الأمل والعشم اللّي مش في محله أسوأ بكتير من إن الإنسان يواجه الحقيقة المرة.

– أيوة، حضرتك معاك حق.

– هو لازم يتعود شوية بشوية على الوضع ده، ويمكن الحكاية دي تبقى درس وعبرة له علشان ماينخدعش تاني، أنا مبسوط إنك مع كل اللّي حصل ده طهرك وصدقك ما تلوثش. بالشكل ده أنا استنتجت إن البنت دي مش هتلاقي خير في المستقبل، ومش باين أصلاً إنها إنسانة طبيعية.

– أيوة، أنا كمان موافق حضرتك في الرأي.

– لسه فيه ما يستوجب الشكر، وهو إنك بالحكمة والبصيرة ماجبتش لنفسك الأذى. الكرامة لو ضاعت ماتتعوضش بأيّ حاجة، إنت شاب طاهر وعفيف، وفي السنتين تلاته اللّي اشتغلت معايا فيهم عرفتك كويس، ولمّا إنت عايز تتجوز ليه ماقلتليش؟ لسه الوقت مافاتش، أنا هادوّر لك وألاقيلك بنت كويسة وشريفة تغير حياتك، وتبقى وش الخير عليك.

– متشكر يا حاج، لكن أنا فعلاً مش مستعد، في الظروف دي ماحلتيش حاجة فمش عايز أميّل بخت بنت الناس.

– إيه الكلام اللّي بتقوله ده، أنا مش شايف فيك أيّ عيب، وعارف إن مرتبك مش كفاية، علشان كده أنا بافكر، من فترة كنت عايز آخد قرار بخصوص التجارة، لكن كنت مستني فرصة، عايز لو ربنا وفق أبدل المكان ده بمحل بقالة.

– بقالة؟

– أيوة، مكانه مناسب، وفلوسه في إمكاني، وكان محتاج بس إنسان بتاع شغل وبيفهم، اللّي هو إنت.

– أنا؟!

– أيوة إنت. حياتي أنا وإنت مش هتتحسن بتصليح الرداوى، وإنت نفسك تعرف إن ماليش ابن علشان يساعدني، والوحيد اللّي كان حيلتي أستشهد في سبيل الله، والبقالة دخلها كبير. ومحتاجة لإنسان ذكي وماهر يتابع البضاعة، وأنا عجزت بقى على الأعمال اللّي من النوع ده لكن إنت تقدر.

– أيوة يا حاج، بس أنا مابفهمش كتير في الشغلانة دي.

- هتشتغل كام يوم، وهتتقن الشغل، أنا فكرت في الموضوع ده قبل كده، وأوعدك إن هيكون عندنا مشروع كويس، ولاّ إنت مش عايز تاخد بأسباب الرزق؟ وهي إيه الفرصة اللّي أفضل من كده؟

- والله أنا مش عارف أشكر حضرتك إزاي.

- مش عايزه شكر، إنت هتتفضل زيّ ابني، سلمت واحد وأخدت واحد تاني من ربنا.

- حضرتك طيب جداً يا حاج، راجل بجد.

- ده من أصلك، إذن إنت موافق على اقتراحي؟

- على كل اللّي حضرتك بتقوله.

- كويس أوي، يبقى نبدأ شغلنا بعد كام يوم، وفي الأول الشغل اللّي عندنا لازم نخلصه. ومن النهاردة ما تقبلش أيّ طلبات تانية، وهابلّغ الزباين إنهم ييجوا ياخدوا حاجتهم، بعد كده لازم نقلب المحل ونبدل الديكور، ولحد الوقت ده أنا كمان هارتب بضايع المحل، إنشاء الله لو ربنا أراد هنبدأ الشغل في خلال أسبوعين.

- على الله، اعتمد عليّ يا حاج، مش هاسيبك لوحدك.

منذ ذلك اليوم وفيما بعد انشغل شهريار والحاج بالعمل، وبدءا في إعداد المحل، وخلال أقل من شهر أصبح محل بيع المواد الغذائية مستعداً للعمل. كان شهريار يدير المكان بجدية واهتمام، وكان يقابل المشترين الذين ترددوا على هذا المكان مؤخراً بوجه بشوش، كانت الأمور غير مستقرة في البداية، ولكن بالتدريج ثبتت أقدام المشترين هناك، وسارت الأمور.

توقف شهريار الذي كان مشغولاً جداً بالعمل لفترة عن زيارته لفرهاد، وقرر بعد شهر أن يذهب لرؤيته. كان فرهاد قد ذبل كثيراً خلال هذه الفترة وكان منهاراً من الناحية المعنوية، وعندما رأى شهريار، بدأ الشكوى والعتاب:-

- افتكرتك نسيتني ومش هتيجي لي تاني، ما هي الأيام دي الكل نسيني، ومحدش بيهتم بحالي.

نكس شهريار رأسه وقال:-

- أنا آسف يا فرهاد، كنت مشغول جداً، وماقدرتش أعدي عليك أسرع من كده.

- مش مهم، ماحبش أزعج شغلك وحياتك، ولو مش حابب تقدر ماتجيش لزيارتي من هنا ورايح.

- حكاية الكلام ده مش كده، إنت متعرفش، أصلاً سيبك منه، قول لي إزي حالك؟

- حالي مش كويس أصلاً، باِبْتي هاعفن في بيت النسيان ده.

- إنت لازم تستحمل يا فرهاد، يعني ماعندكش حل تاني، ولو ماقدرتش تأقلم نفسك علي اللّي حواليك هتموت.

- أنا بايتني هاموت هنا من الغم والحزن، هاتجنن.

- ليه متوتر بالشكل ده؟ إنت غلطت، ولازم تدفع التمن، يبقى لازم تستحمل.

- عايز لكن مش قادر.

- أصبر يا راجل، على بال ما تغمض عينك ال٣ سنين هيخلصوا.

- أمّال إيه اللّي حصل لكامران؟ وحميدة ماجتش تزورني ليه؟

- أنا معنديش لك أخبار كويسة، وماكنتش عايز أضايقك، لكن مضطر أكلمك بوضوح وصراحة.

- قول إيه اللّي حصل؟

- كامران رجّع بيته لصاحب البيت، ومشي من هناك، ومحدش معاه عنوانه.

- بقى كده؟ خمنت إنه رجع في كلامه، طب وحميدة؟ أكيد هي كمان مش عايزه تشوفني؟

- للأسف همّ مشيوا من البيت ده، وأنا ماقدرتش أعرف عنوانهم.

صمت فرهاد، ونظر إلى الأرض بحزن، كانت شفتاه ترتعدان من الاضطراب، وقد تجمعت الدموع في عينيه.

- إمسك نفسك يا فرهاد، إنت لازم ترفع معنوياتك، حميدة مكانتش تنفعك، هي ما تنفعش أيّ إنسان طاهر وشريف، أمثالها مالهومش مستقبل كويس، همّ عبيد للفلوس وبس، والزعل والحسرة على البنت اللّي زيّ دي حماقة.

ألقى فرهاد التحية بوهن، وترك شهريار وحيداً، فخرج هو أيضاً من السجن، وذهب إلى عمله. خلال الأسابيع التالية، ذهب شهريار عدة مرات لزيارة فرهاد، ولكن فرهاد رفض رؤيته، وعاد شهريار دون أن يوفق في مقابلته، وعلم أن فرهاد لم يعد لديه رغبة في رؤيته ثانية، لذا حاول ألاّ يكون سبباً لحزنه وأن يتركه لحال سبيله.

كان كالمعتاد منهمكاً في عمله، ويدير المحل بجدارة. وبعد ثلاثة أشهر من افتتاح المحل، دعاه الحاج ذات يوم للعشاء في منزله.

- مراتى طبخت "شربة شعرية"، وقالت إنت كمان لازم تيجي.

- أنا متشكر لذوق حضرتك يا حاج وكمان الحاجة، والله مش عايز أزعجكم.

- إزعاج إيه، الليلة دي عايزين ناخد قرار بالنسبة لمستقبلك، ولو مش هتيجي كلنا هنزعل منك.

ونتيجة لإلحاح الحاج الزائد عن الحد لم يجد شهريار بداً سوى القبول، وفي نفس الليلة أغلق الاثنان المحل وذهبا للمنزل، استقبلتهما الحاجة ببشاشة وأجلست شهريار في الحجرة باحترام

وتكريم، وجاء وقت تناول العشاء وحاول الحاج أن يظهر منتهى الحفاوة، وكان لقاء الحاجة بشهريار كلقاء أم التقت ابناً عاد بعد شهور من السفر، وتحدث الحاج بخصوص هذا الشأن قائلاً:-

- من يوم ما استشهد ابننا وإحنا دايماً بنحس إن مكانه فاضي في البيت، ولمّا إنت قعدت دلوقتي معانا على سفرة واحدة، حاسين إن ابننا رجع تاني، وإن الأيام الحلوة اللّي فاتت بدأت من جديد.

تنهدت الحاجة وقالت:-

- ابني مهدي كان ولد طيب، كان راجل بجد، ماتعرفش أدّ إيه كانت أخلاقه كويسة.

سأل شهريار:-

- سيدي الحاج، إنتم كان عندكم ابن واحد بس؟

أخرج الحاج آهة حارقة من صدره، وقال في جوابه:-

**- أيوة يا بني، ربنا إدانا ٣ بنات جوزت اتنين منهم وفاضل الصغيرة، مهدي كان تاني ولادنا، اتولد بعد أخته.**

- ربنا يرحمه.

- ربنا يغفر لأمواتك، ما إنت كمان بتشاركنا الألم.

سألت الحاجة بفضول:-

- إزاي؟

اتجه الحاج بدلاً من شهريار إلى زوجه وأجاب:-

- شهريار كمان فقد كل عيلته، وكل أحبابه استشهدوا في قصف العدو.

هزت الحاجة رأسها وقالت بتأثر:-

- إلهي تعدمني يا بني، يعني إنت فاهم ألمنا كويس.

- أيوة يا حاجة، أنا فقدت أبويا وأمي وأختي وأخويا.

- ماتزعلش يا بني، لو قبلتنا مش هتكون وحيد من هنا وجاي، أنا والحاج زيّ أبوك وأمك.

- ربنا يخلّيكم لأولادكم، ربنا يحفظكم، أنا عمري ما هانسى عطفكم أبداً، أنا كمان عارف إن حضرتك وسيدي الحاج زيّ أبويا وأمي، و نفسي أخدمكم زيّ ابنكم.

- ربنا يحميك لنا، وتشوف الخير في النهاية.

بعد العشاء وتناول الشاي والفاكهة، جذب الحاج الحديث إلى الزواج وتكوين الأسرة وخاطب شهريار:-

– دلوقتي قبلتنا زيّ أبوك وأمك يبقى إذن إحنا من واجبنا إننا نساعد ابننا، ونختار له عروسة المستقبل.

أجاب شهريار بحياء:–

– يا حاج حضرتك عارف حالتي، لسه ماتيسرتش بالدرجة اللّي تخلّيني أقدر أفتح بيت.

– مكانش الاتفاق إنك تراجع كلام أبوك وتقاوح، سيبها على مسئوليتي.

– أنا متشكر لذوق حضرتك، لكن أيّ عيلة مستعدة تدي بنتها لشاب في ظروفي؟ وأيّ بنت مستعدة تعيش مع فقري واحتياجي؟

– يا بني، البنت اللّي هاخترها لك بتهتم بس بطهر وشرف جوزها، وإن جوزها يكون متدين ومؤمن، الفلوس والثروة مالهومش أهمية عندها، همّ برضه من مستوانا ومش من بتوع الصرف من غير حساب.

قال شهريار بخجل:–

– مش الأفضل تكلموا البنت دي وأسرتها عني الأول علشان تعرفوا رأيهم؟

– مبدئياً أنا عملت كده، وهمّ موافقين على رأيي، أنا ما أخدتش القرار من نفسي.

– وهو كذلك يا حاج، اللّي حضرتك تقوله.

– إذن موافق نروح نخطب؟

– أيوة، بعد إذن حضرتك.

– خلاص، قوم نروح.

سأل شهريار متحيراً:–

– دلوقتي حالاً؟

– أيوة قوم نروح، همّ مش بعيد أوي، همّ ساكنين في نفس الحوش، ويبقوا جيراننا.

– لكن ... بس ...

– مفيش لكن ولا بس، قوم يا بني، قوم خلّيك جريء، سلّم كل حاجة لربنا، وأنا كمان هأيدك.

ارتدت الحاجة عباءة صلاتها، وذهبت قبلهما لحجرة الجيران حتى تخبرهم بمجيئهم. وبعد ربع الساعة قال الحاج وشهريار يا الله ودخلا، وجاء لاستقبالهما زوج وزوجة شباب، وبعد عبارات التحية والسؤال عن الأحوال والترحيب، دعوهما للجلوس. مال الحاج على شهريار وقال هامساً:–

– الست والأستاذ دول يبقوا أخت العروسة وجوز أختها.

– طب أبوها وأمها؟

- هتشوفهم بعدين، حقيقي راحوا "شهرستان"، ولو فيه نصيب هنقول لهم.

عزمت أخت العروس بالشاي والفاكهة على الحاج ورفقائه، وجلس زوج أخت العروس إلى جوار الحاج، وكان يتحدث معه هو وشهريار، قضم الحاج قضمة من تفاحته، وخاطب المضيف:-

- يا أستاذ رسول، شهريار زيّ ابني، وحياة حجّي اللّي رحت له باحبه زيّ ابني، وعايز ابني يستقر ويفضل مصباح بيته منور على طول.

هز السيد رسول رأسه بعلامة التأييد وقال:-

- الله ينور قلبك ياحاج، إحنا خدامينكم، وحضرتك صاحب الأمر.

- متشكر يا بني، إنتم لازم تساعدونا وتشاركونا في العمل الخير ده.

- أنا قلت إن حضرتك صاحب الرأي في كل حاجة، الأمر أمر حضرتك، ورأينا برضه في إيدك.

- إذن قول للعروسة تجيب لنا الشاي.

- من عيني حالاً.

قام رسول، وخرج من الحجرة، واختلس الحاج النظر إلى شهريار. نكس شهريار رأسه، وقد تصبب عرقاً، واحمر وجهه من الخجل، فابتسم الحاج وقال بلطف:-

- فتح عينك كويس يا بني وبص للعروسة، زمان قالوا النظرة الأولى حلال، ودقق علشان بكرة مايبقاش عندك اعتراض، ومهما أقول عن طهارة البنت وأصلها فهو قليل، بنت متربية، وأنا متأكد إنها هتكون زوجة صالحة لك. قطعاً برغبتك، ولازم تاخد القرار من جواك، الحكاية عمر وحياة. ولو وافقت هنجهز قعدة علشان نتكلم في حضور الكبار، وبعدها ربنا كبير.

- يا سيدي الحاج البنت اللّي حضرتك تقبلها عمرها ما هتكون سيئة، أنا بس قلقان من مصاريف الجواز.

- ماتقلقش عليها أنا هاجهز كل حاجة، والاختيار في إيدي، ومش هخلّيها حمل عليك، وبعدين برضه كل أب من واجبه إنه يتكفل بمصاريف جواز ابنه.

- لكن يا سيدي الحاج أنا مش عايز مصاريفي تبقى إلزام على حضرتك.

- لو عايز تعمل تكليف بينّا تاني هازعل منك، الأول شوف ووافق على العروسة وبعدين نتكلم بخصوص باقي الحاجات.

في نفس اللحظة دخل رسول الحجرة، وجلس إلى جوار الحاج مبتسماً، وعزم بالفاكهة على شهريار الذي لم يكن يرفع رأسه من الخجل، وما هي إلاّ دقائق حتى دخلت فتاة جميلة حسنة القوام وقد توشحت بوشاح الصلاة الأبيض وتحمل صينية الشاي، وبصوت جميل ألقت التحية بهدوء

وتقدمت. قدمت الصينية للحاج ثم لشهريار، رفع شهريار الكوب من الصينية دون أن يرفع رأسه أو ينظر إليها وشكرها.

بعد أن قدمت الفتاة الشاي لجميع الضيوف جلست إلى جوار الحاجة، وخفضت رأسها. همس الحاج إلى شهريار وقال بلطف:-

- كان الاتفاق إنك تشوف لكن إنت أصلاً ما شفتش؟

- يا حاج أنا مكسوف أبص لها.

- ماتتكسفش بالشكل ده، اللّي مايتشفش ماينفعش يتقبل.

سأل الحاج الفتاة المعنية عن أخبارها فوجدها شهريار فرصة لكي يختلس النظر إليها. كانت الفتاة على حظ وافر من الجمال والحسن، وكانت نظرة واحدة كافية لكي يستحسنها شهريار، وعندما فهم الحاج رأي شهريار، استأذن كي تجلس الفتاة والشاب في نفس الجلسة يتجاذبان الحديث مع بعضهما، فخرج الباقون من الحجرة عدا الحاجة.

وبعد نصف الساعة دخل الجميع الحجرة بإشارة من الحاجة، وغادرت العروس الحجرة على الفور. وعلى ما يبدو كان كل شيء في توافق، وتم الاتفاق على أن تفكر العائلتان بخصوص هذا الارتباط، وأن يبلغ كل طرف الطرف الآخر في الجلسة القادمة، وودع الجميع أسرة العروس، وعادوا إلى حجرتهم.

تفحص الحاج وجه شهريار المبتسم المسرور وسأله:-

- ابني أخباره إيه؟

- هاقولك إيه يا حاج، حضرتك تعرف اللّي فيه الخير.

- ماتعملش تكليف معايا، مش أنا اللّي ناوي أبقى عريس، عجبتك ولاّ لأ؟ رضيت عن أخلاقها؟ وعرفت طلباتها؟

- بالنسبة ليّ مفيش مشكلة بس ...

- بس إيه؟!

- البنت دي علامها أكتر مني، هي حاصلة على الدبلوم وأنا ما أخدتوش و...

- سيبك من الكلام ده المهم أن يكون فيه بينكم تفاهم في الطباع، وبعدين مش مضطر تدي رد الليلة، روح وفكر كويس، وبعدين إحنا عندنا فرصة كام يوم على بال ما نرد عليهم.

صمت شهريار وبعد لحظات شكر الحاج وزوجته، وبعد أن ألقى التحية عاد إلى منزله. في تلك الليلة ظل شهريار مستيقظاً حتى وقت متأخر من الليل، وكان يفكر في"زهرة" ومستقبلهما. فقد كانت

زهرة من ذلك النوع الذي عبر عن نفسه بأنها لا تنتظر من زوجها سوى الأمانة والتدين، وترضى بالحد الأدنى من المعيشة.

شعر شهريار أنه قد وجد زوجته المثالية، وكانت محبة زهرة قد استقرت في قلبه، وكان يتمنى لو لم يكن فقيراً بهذه الدرجة، واستطاع أن يقيم عرساً مشرفاً، وكان يتمنى أن يشرّف زهرة بين الأصدقاء والمعارف، أمضى طوال الليل مع أحلامه وأفكاره الجميلة، وصباح اليوم التالي عندما ذهب إلى المحل، شعر الحاج أن معنوياته أفضل مقارنة بالأيام الماضية.

كان شهريار مسروراً وسعيداً، وتملأ البشاشة وجهه، وانتهى ذلك اليوم ولم يتكلم مع الحاج بأيّ حديث عن زهرة وعن رفض أو قبول الزواج، مضى يومان آخران، وفي النهاية طرح الحاج الموضوع في اليوم الرابع وسأله:-

- نهايته، ماقلتش لأبوك ناوي تقرر ايه؟

- أخبار عيلة البنت ايه؟ همّ رأيهم ايه؟

- همّ قالوا رأيهم، ماعندهمش كلام. كلهم موافقين.

- حتى البنت نفسها؟

- أيوة، حتى هي بنفسها.

- أنا معنديش كلام يا حاج، وحضرتك اعمل ترتيباتها.

- يعني إنت وافقت؟

- أيوة بعد إذن حضرتك.

- واثق تماماً؟ مش هتندم؟ وفكرت؟

- أيوة يا حاج هو أنا عيّل؟

- مش قصدي، عايز أقول إن إنت قبلتها فعلاً، ولاّ أخدت القرار لأنك محرج؟ مش عايزك تعمل كده علشان ترضيني أنا أو الحاجة.

- لا يا حاج أنا فعلاً موافق على زهرة، وافتكر إنها تقدر تسعدني، وأنا عن نفسي هاحاول أكون لها زوج كويس ومخلص ومش هابخل عليها بأيّ شيء في حياتنا.

ربت الحاج على كتفه، وابتسم ابتسامة رضا وقال:-

- تعيش يا بني، مفيش حد يستاهل زهرة أكتر منك. بكرة نروح السوق علشان نشتري لوازم الفرح.

– مش هتسألهم عن رأيهم؟ لسه ماعرفناش إيه الحاجات اللّي في بالهم؟ يعني الدهب والهدوم والحاجات اللّي من النوع ده.

– أنا عارف إيه اللّي لازم أعمله، وإيه اللّي لازمنا، دي مش أول مرة عايز أجوز فيها بنت.

– بنت ولا ابن؟

– الاتنين.

ثم ضحك الحاج، وأضاف:–

– أنا لازم أقول لك على سر، زهرة تبقى بنتي، كنت عارف كده؟

سأل شهريار متحيراً:–

– بنت حضرتك؟

– أيوة، هي في الحقيقة بنتي، بنتي الصغيرة.

– لكن حضرتك ... حضرتك كنت قلت إن ...

– حسناً كان فيه سبب إني ماقلتكش الحقيقة، أولاً ماكنتش عايزك تاخد قرار متسرع بسبب العيش والملح اللّي أكلتهم في بيتي، وتبقى تحت مسمى حق الضيافة، وبعدين قلت لنفسي يمكن إنتم الاتنين برضه ماتوافقوش على بعض، فماكنتش أحب إن حد فيكم يتحرج، وبالشكل ده إنت تقدر تقرر أفضل، يعني برغبتك إنت مش بالإجبار والإحراج.

– أنا مش عارف أقول إيه يا حاج، الحمد لله إنه جعل السعادة الكبيرة دي من نصيبي إني أتعرف على حضرتك، وأتمنى إني أكون جدير بكل المعروف ده.

– إنت تستحقها يا بني، وزهرة كمان بنت كويسة، هي كبرت في حضن أمها، دي حتى مانامتش ولا ليلة من غير وضوء، ومافوتتش الصلاة يوم. ربنا يخلّيكم لبعض وأتمنى لكم حظ سعيد إنتم الاتنين.

بعد ذلك اليوم اشترى الحاج وشهريار لوازم العقد والزواج بسرعة، وحدد الحاج يوماً يستبشرون به من التقويم السنوي. وفي الأسبوع التالي، تزوجت زهرة وشهريار في احتفال عادي وبسيط، وصارا زوجين رسمياً. خصص الحاج حجرتين من حجرات منزله للعروسين، وجهز لهما اللوازم التي هي من شأن كل عروس وعريس جدد، وبدءا زهرة وشهريار حياتهما المشتركة.

كان شهريار كالمعتاد يدير المحل بشكل جيد وفي كل الأحوال كان يعيش كابن حنون وعطوف في خدمة الحاج، وقد وجد زوجته نموذجاً كاملاً للمرأة الأصيلة المتربية، كانت امرأة عطوفة وربة منزل جديرة وزوجة حسنة الخلق وعفيفة وتتسم بالشهامة، وكان شهريار يعد نفسه رجلاً سعيداً.

كان يحكم في منزله بهدوء وصفاء قلما كان يرى في المنازل، انقضت شهور على هذا المنوال، وفي الشهر الرابع بعد الزواج، ذهب شهريار مرة أخرى لزيارة فرهاد، وبعكس توقعه، فقد جلس فرهاد بشوشاً ومبتسماً. رفع السماعة وانشغل بالسؤال عن الأحوال.

– غريبة إنك افتكرت فقير الفقرا؟!

– يا جاهل إنت مابتعبّرش الناس، جيت كذا مرة أقابلك لكن سيادتك كنت عامل زعلان!

– وحياتك ماكنتش زعلان بس نفسيتي كانت وحشه، أصلاً ماكنتش فاهم نفسي، وماكنتش طايق نفسي، يبقى إزاي أطيق حد تاني.

– وإزيك دلوقتي؟ شايف حالتك اتحسنت والدم جري في عروقك!!

– هنعمل إيه بقى، عيش السجن بيمري علينا، ولقيت المكان ده بيوترني، فرحت للشغل.

– شغل؟!

– أيوة، باشتغل في ورشة خياطة، بايتني هابقى أسطى وحياتك.

– شفت في النهاية الشغل جالك! ماتتبطرش تاني.

ضحك الاثنان من هذه المزحة، ووقع نظر فرهاد على الدبلة الذهب التي في إصبع شهريار، وسأله بتعجب:–

– إيه اللّي أنا شايفه ده؟

– بتتكلم عن دي؟ حاجة مش مهمة يا عم، دبلة الجواز.

– ماتكنش غبت عن عنينا ورحت هيّصت؟

– هه تقول ولاّ ماتقولش أهو هو كده، اتجوزت من ٤ شهور.

– ربنا يبارك لك! مبروك، يعني طفحت حلاوتها لوحدك؟

– لأ، كنت بافكر فيك برضه، ولمّا تخرج هتدوق الحلاوة، طبعاً جبت لك النهاردة شوية فاكهة وحلويات لكن ده مايتحسبش.

تنهد فرهاد، وتألق بريق الحسد في عينيه بشكل لم يخف عن عين شهريار الدقيقة، ولكي لا يكون سبباً لتكدر خاطره غير مجرى الحديث على الفور وسأله:–

– بيدولك مرتب؟

– الاتفاق إن شهر ولاّ اتنين كده وآخد أجرة، بس حقيقي باتعلم الصنعة.

- أتمنى لمّا تخرج تفتح ورشة خياطة، وساعتها هاديلك جواكتي وبناطيلي علشان تخيطها لي.

– يمكن ساعتها أصلاً ماتعبّرناش.

– ايه الكلام ده يا بني، قول لي محتاج لحاجة ولاّ لأ؟

– لأ رينا يخلّيك، مش محتاج لحاجة.

– من غير مجاملة؟

– من غير مجاملة.

– وهو كذلك. أنا هاعدي عليك تاني. بالقطع مش هاقدر آجي كل أسبوع، لكن هحاول أعدي عليك مرة كل شهر.

– هاكون متشكر.

ومع انتهاء وقت الزيارة ألقى شهريار التحية، وخرج وعاد فرهاد لقيده مغموماً ومحزوناً. تمدد على الفراش وأخد يفكر، كان يرتاب في كل شيء، اختفاء كامران، غيبة حميدة، كلام شهريار بخصوص حميدة، زواجه القريب الحدوث بفتاة والتي تيقن فرهاد أنها لن تكون شخصاً سوى حميدة، واستقر الشك وسوء الظن تدريجياً بروحه.

تذكر حديثه تلك الليلة مع شهريار، وكان شهريار قد دعاه للمنافسة بطريق غير مباشر، وقال له أنه لن يكف عن النضال حتى يصل إلى الفوز. ألاّ يكون شهريار هو الشخص الذي وشى به لدى الشرطة؟ وأيّ شخص سيستفيد من القبض عليه سوى شهريار؟ فقد كان يعد منافساً قوياً لشهريار، ولم يكن لدى شهريار خلاص سوى أن يزيح منافسه عن الطريق بالوشي به.

كان شك فرهاد يزداد تدريجياً، فكيف وجد شهريار – الذي حتى وقت قريب كان لديه إمكانات بسيطة – الفتاة موضع اهتمامه بهذه السرعة وتزوجها؟ وأية عائلة تصاهر شاباً في مثل ظروفه؟ وكيف استطاع شهريار – الذي ليس لديه آهة لكي يتاجر بالنواح – أن يتحمل نفقات الزواج؟ دارت آلاف الأسئلة التي ليس لها أجوبة في ذهن فرهاد المشوش والمضطرب.

قال في نفسه أيّ دور لعبه شهريار بذكاء أمامه، وهو الذي كان يعتبره صديقاً وفياً، كان غاضباً لدرجة أنه كان يجذ بأسنانه على شفتيه باستمرار، فهل أفكاره حقيقية وأنه كان سبب القبض عليه وخطف خطيبته من يده؟ لو كان ذلك فعلاً فلابد وأن يدفع شهريار ثمن خيانته، وقرر أنه في المستقبل، وبعد اتضاح الحقائق، سينتقم لنفسه من شهريار، ولكنه يجب أن يصبر حتى ذلك الوقت، وينتظر.

حتى لو أنكر شهريار الحقيقة ففرهاد لن يكون قادراً على تصديقه وتقبله، إنه كان يعتقد أن شهريار قد أخفى عليه ما حدث. وفي مقابلاتهما التالية والتي كانت تحدث أحياناً مرة شهرياً، لم يكن فرهاد يهتم بإظهار الفضول بخصوص زوجة شهريار، ولم يتحدث شهريار أيضاً في هذا

الموضوع. كان فرهاد يقضي فترة حبسه بصبر واستقامة، وكانت سنتان قد مرتا من فترة سجنه، وكان يأمل أن يخرج من السجن في العام التالي، ومؤخراً قلما كان يأتي شهريار لزيارته، وكان فرهاد يتطلع فقط للحظة خروجه.

وفي عيد النيروز من ذلك العام صدر عفو عام لعدد قليل من السجناء وكان يشمل فرهاد أيضاً، هو الذي كان قد بقي عام آخر على حبسه؛ عندما سمع هذا الخبر السعيد فرح حتى سال الدمع من عينيه. ومنذ لحظة إبلاغه بالحكم وحتى الأسبوع التالي عندما خرج من السجن لم يكن يفهم أحواله، وكانت اللحظات تطول عليه وكأنها سنة. وفي النهاية حلت اللحظة الموعودة، ووضع فرهاد قدمه على الشارع وتنفس هواء الشارع الطلق، ولم يكن لديه أيّ شيء في تلك اللحظة أعظم من الحرية.

خلال الشهور الأخيرة كان قد ادخر مقداراً من المال والآن يستطيع بهذا المبلغ أن يعيش لبضعة أيام. استقل سيارة أجرة من شارع " الدكتور شريعتي " وذهب إلى ميدان "انقلاب". وفي الميدان وقعت عيناه على فندق، فدخل على الفور واستأجر حجرة ليستريح لبضع ساعات، وفي أول فرصة ذهب إلى الحمام، ودلكه الدلاك جيدا، وحينما أصلح هيئته ذهب من الحمام إلى مطعم لتناول الغذاء، وبعد ذلك عاد إلى الفندق، وتمدد على الفراش، وأخذ يفكر، والآن لم يبق له سوى شيء واحد فقط وهو زيارة شهريار.

دفع حساب الفندق، واتجه بسيارة أجرة إلى دكان شهريار. وفي الوهلة الأولى لم ير محل إصلاح الأجهزة الصوتية في مكانه وبدلاً منه رأى محلاً لبيع المواد الغذائية، فتفحص النواحي متحيراً لعدة مرات، واعتقد أنه أخطأ الشارع فتفقد النواحي المجاورة، ورأى أنه من الأفضل أن يستفسر من محل بيع الأغذية للخروج من الحيرة. دخل ووقعت عيناه فجأة على شهريار ففغر فاه من الدهشة. وصاح شهريار الذي لم يتوقع رؤيته من الفرحة، وجرى إليه من خلف المنضدة، وأحاط يديه حول رقبته، وقبل وجنتيه.

– يآاه، يا بني إنت؟! أصلاً أنا مش مصدق! إنت فين، هنا؟ يا ربي يعني خرجت؟

– أيوة خرجت.

– الحمد لله، وخرجت إمتى؟

– النهاردة الصبح.

– وليه ماقلتليش علشان آجي أستقبلك؟

– أنا ماكنتش طايلك.

– أيوة صحيح، شايف اتلخبطت أدّ إيه! تعالى، تعالى أقعد هنا واحكي لي، أفرجوا عنك إزاي؟

اتجه فرهاد إلى مقعد، وجلس عليه وأجاب:-

- عفو عني، وأفرجوا عني سنة بدري.

- الحمد لله تاني، أنا سعيد جداً.

تطلع فرهاد حوله وسأل:-

- أمال محل الرداوي حصل له إيه؟

قال شهريار ضاحكاً:-

- الحكاية بالتفصيل الشديد إن الحاج قرر إنه يبدل المكان هنا بمحل بقالة، وأنا كمان وافقت أشتغل مساعد ليه.

- مبسوط؟

- كويس الحمد لله، إنت عارفني، أنا كنت دايماً إنسان قنوع ومازلت.

في نفس اللحظة دخل الحاج سبحاني المحل، فقام شهريار مع رؤيته، وقال بسرور:-

- كويس إن حضرتك جيت يا حاج، في الحقيقة خلّيني أقدم لك صديقي، فرهاد اللّي كنت باتكلم عنه دايماً.

سلم فرهاد على الحاج، وسلم عليه الحاج أيضاً وقال:-

- شهريار كان دايماً بيحكي لي عنك، وكنت مشتاق لرؤيتك، ومبسوط إنك خرجت.

- ربنا يخلّيك يا أستاذ، متشكر.

اتجه شهريار إلى الحاج مرة أخرى، وقال:-

- عايز أطلب منك طلب يا حاج.

- اتكلم يا بني، عايز إيه؟

- كنت عايز ومن فضلك إن حضرتك تقعد مكاني في المحل شوية، عايز أرحب بضيفي العزيز في البيت.

- طبعاً يا بني، روح وبالك مرتاح.

قال فرهاد - الذي كان منتظراً مثل تلك الدعوة وكان يتمنى أن يجلس مع شهريار للتحدث في مكان خالي - من باب المجاملة:-

- ماينفعش تزعج نفسك يا شهريار، أنا مرتاح هنا.

- إزعاج إيه، هنا مش كويس وإحنا نقدر ندردش مع بعض في البيت أفضل.

- مش عايز أزعج الزوجة والأولاد.

– مفيش أيّ إزعاج، مراتي هتتبسط لمّا تشوفك، صحيح إنت ماكنتش هنا لكن الكلام عنك كان دايماً في بيتنا. ومش عايزك تعمل تكليف معايا، بيتي هو بيتك، قوم نمشي.

كان فرهاد مسروراً من صميم قلبه، فالآن يستطيع أن يرى زوجة شهريار عن قرب، ويتضح له كل شيء. وقال شهريار الذي رأى تردده:–

– بايّنك هتتردد تاني؟ فيه إيه، ماتكونش مكسوف؟ امشي لأني عندي كلام كتير لك.

ألقى كل منهما التحية على الحاج وذهبا، لم يكن منزل شهريار يبعد عن المحل كثيراً لذا وصلا إلى الهدف في أقل من خمس دقائق، وضع شهريار مفتاحاً وفتح الباب، ووقف جانباً وقال:–

– اتفضل.

– لأ اتفضل إنت الأول.

– ماتعملش تكليف، اتفضل.

– ممكن يكون فيه حد مش محرم، فاتفضل إنت الأول.

– وهو كذلك. يا الله، إحنا جينا!

خطا شهريار لداخل الفناء، وتحرك فرهاد خلفه أيضاً. فتح شهريار باب الحجرة، واتجه إلى فرهاد وقال:–

– اتفضل، مفيش حد هنا تتكسف منه.

دخل فرهاد، وأعقبه شهريار، وجذبه وقال:–

– أقعد وخد راحتك.

وجلس هو إلى جواره وقال:–

– كويس يا فرهاد يا ورد، دلوقتي بقى احكي لي.

– أقول إيه؟

– قول كل اللّي مضايقك، صحيح، تدخن؟

– لأ يا أخي بطلته.

– بجد؟ وأنا كمان. بطلت السجاير من يوم ماتجوزت، المدام بتضايق من ريحة السجاير.

– صحيح؟ كويس أوي!

– جميل، دلوقتي بقى احكي.

نظر فرهاد في نواحي الحجرة وأجاب:–

– والله ماعنديش كلام كتير، السجن مفيهوش حاجه تتحكي، قول لي إنت بتعمل إيه؟

- وهو كذلك هاقول بس خلّيني أقول لهم يجيبوا لنا شاي الأول وبعدين نبدأ الكلام، عندي لك كلام كتير لدرجة إن دماغك هتصدع، لكن الشاي الأول.

- ماتتعبش نفسك، مش عايز.

- إنت ماكنتش بتاع مجاملات قبل كده! أكيد اتعلمت ده في السجن؟!

قام شهريار، وخرج من الحجرة، فتطلع فرهاد فيما حوله. كانت الحجرة ذات ديكورات بسيطة لكنها نظيفة ومرتبة جداً، فهل اقتنعت حميدة بمثل هذه الحياة البسيطة؟ بعد هذا الكلام، وهذه الشروط غير المعقولة!! ... ورنا إلى سمعه صوت بكاء طفل من إحدى الحجرات المجاورة وانقطع بعد لحظات.

وبعد دقائق عاد شهريار إلى الحجرة وهو يحتضن طفلة.

- دي بنتي الصغيرة "زهرا" هانم.

حدق فرهاد في الطفلة بدهشة وسأل:-

- بنتك بجد؟ أنا مش مصدق! بقى عندك بنت بالسرعة دي؟

- مش بدري أوي برضه، وباينّي هاعجز شوية بشوية.

كانت الطفلة الصغيرة قد ألصقت نفسها بصدر أبيها، وأبت النظر إلى فرهاد. فقال فرهاد:-

- أدّ ايه عندك طفلة جميلة! عندها كام شهر؟

- ١٤ شهر.

- أمّال ماقلتليش ليه قبل كده إن عندك طفلة؟

افتعل شهريار الجهل، وسأله بحيرة كاذبة:-

- يآاه، هو أنا ماقلتلكش؟! أكيد نسيت، ما هو الواحد في الكام دقيقة دول مايقدرش يتكلم عن الدنيا والناس!

تطلع فرهاد إلى وجه الطفلة بدقة، وأخطأ هذه المرة أيضاً في تقييم أفكاره، وسيطر عليه وهم بأن الطفلة لديها شبهاً شديداً بحميدة، وبناءً على ذلك تأكد له أن حميدة هي والدة هذه الطفلة.

في نفس اللحظة سمع صوت طرق على باب الحجرة، فوضع شهريار الطفلة أرضاً، وقام وذهب تجاه الباب. مد فرهاد رقبته فربما يرى حميدة من خلال الباب لكنه لم يشاهد شيئاً، فاعتقد أن حميدة أخفت نفسها خلف الباب عمداً لكي لا تُرى. عاد شهريار بصينية الشاي والفاكهة، ووضع الصينية أرضاً وقال:-

- يالاّ رحب بنفسك.

جذب فرهاد الكوب الذي كان قد عزم به عليه وقال:-

- سامحني إني جيت بإيدي فاضية.

- قصدك إيه؟ أكنّك اترددت في الزيارة علشان كنا مستنيين هدية؟!

- لأ، لكن بالشكل ده برضه مش حلو، لازم الأصول تتعمل، غلطتك إنك ما قلتليش إنك اتجوزت، وبقى عندك عيال كمان. كنت فاكر إنكم كاتبين الكتاب بس.

- مش مهم، وماتشغلش بالك بالحاجات دي.

- على أيّ حال لك عندي هدية.

- إيه الكلام ده يا فرهاد يا حبيبي إنت عندي قيمتك بالدنيا.

- مش عايز مراتك تفتكر إني إنسان بخيل وماعرفش الأصول، بالحق، مراتك مش هتشرف علشان أبارك لها؟

- أيوة، حقيقي عندها شغل، وهتشوفها بعدين، اشرب الشاى بتاعك ليبرد.

شرب فرهاد شايه وقرر ألاّ يقدم على أيّ خطوة هذه الليلة، وأن يرجيء الانتقام وتسوية الحسابات الشخصية لفرصة أفضل. وفي الوقت الذي كان قلبه حزيناً ومضطرباً، كان يبتسم من أجل حفظ مظهره، وبعد صمت طويل سأله شهريار:-

- جميل احكي بقى، ماقلتش أصلاً خططت إيه للمستقبل، وناوي تعمل إيه؟

تنهد فرهاد وأجاب:-

- معرفش، م فكرتش أصلاً في الموضوع ده.

- تقدر تفتح ورشة خياطة وتشتغل.

- الموضوع ده عايز فلوس وأنا ممعايش.

- دلوقتي إنت حر وعندك فرصة تفكر في مستقبلك، الأول لازم تدوّر لك على شغلانة تاكل منها عيش، وبعدين تشد حيلك وتتجوز.

- بتقول إيه؟ بإيد فاضية كده؟

- أنا برضه بدأت بإيد فاضية.

- إنت تفرق عني، أنا ماليش حظ.

- ده مالوش علاقه بالحظ، ده محتاج شوية همة، لمّا تتجوز حياتك هتتغير، الست بتجيب معاها النعمة والبركة، الست هتدى بيتك صفاء ونور.

- يا عم قلبك طيب! إحنا الحاجات دي المفروض نشوفها في الحلم!

– إنت لسه ماتغيرتش وأفكارك هي نفس الأفكار، الإنسان مش لازم ييأس أبداً.

– أنا ما يأستش لكن قلبي مليان من عدم المروءة، من الناس اللّي ظاهرياً بيحبوا الواحد لكن بيطعنوا بالخنجر من وراه، من الأندال دول اللّي بيتكلموا بالكدب عن الصداقة وما بيفكروش إلاّ في نفسهم ومصالحهم الشخصية وبس.

– عارف يا فرهاد يا حبيبي إن عندك حق تزعل، على أيّ حال حاول تنسى الماضي وارمي كل حاجة بعيد، وابدأ الحياة من جديد.

– لكن الوقت اتأخر أوي.

– يا عم! بتتكلم بأسلوب زيّ ماتكون كبرت ١٠٠ سنة، يا صاحبي إنت لسه في أول الطريق، صحيح إنت ارتكبت أخطاء في الماضي لكن الأخطاء دي تقدر تبقى تجربة لأيّ شخص، روح واتمسك بالحياة، وحاول تستفيد من الفرص الضايعة.

– مش هاقدر يا صديقي العزيز، مش هاقدر.

قطب شهريار جبينه وقال:–

– إيه! بيقول ماقدرش، ماتقدرش ليه؟ أعمى لا قدر الله؟ مشلول؟ عجزت؟ أنا مش فاهم!

– لا أعمى ولا مشلول أو عاجز، لكن فيه فكرة في دماغي مش بسطاني أوي.

– يعني إيه؟ قصدك إيه؟

– أنا لازم أنتقم.

– إنت مجنون يا بني، بعد تحمل كل المشقة دي، الكلام ده بعيد عنك! كويس إنك ذقت طعم السجن والحبس والوحدة.

– جاوبني، الإساءة لازم تترد بالإساءة.

– إنت اللّي أذيت نفسك بنفسك، الإنسان مش لازم يثق في كل شخص ومايسلمش مصيره له. إنت غلطت مرة وأخدت جزاءك ومع غلط تاني ممكن تضيّع كل الفرص.

– لو ماانتقمتش قلبي مش هيهدأ.

– مش لازم تسمع كلام قلبك، أنا مؤمن بحاجة واحدة، إن الإنسان دايماً بياخد جزاءه. شوف إنت أذيت قلب مين في الماضي؟ يمكن كنت عاق بأبيك وأمك؟ يمكن عملت حاجة تغضب ربنا وبتدفع التمن، الدنيا هي مكان تسديد الدين، البعض في الدنيا دي بيوصلوا لعقاب أعمالهم اللّي فاتت، والبعض بتبقى الدنيا لهم يا جنة يا نار. فلو بتظلم حد، لو بتخوف حد، لو بتاخد حق مش حقك لازم في النهاية هتكفر عنها بأيّ شكل لحد آخر عمرك، ولمّا تصرخ في ركن السجن يا ربي أنا عملت

إيه علشان أبتلي بالمصيبة دي؟ ربنا يقول لك، يا عبدي الجحود، إديتك فرصة لكنك ماعرفتش قيمتها وماشكرتش، فاكر لمّا عملت كذا وكذا... لكن إنت مش سامع صوت ربنا، لأنك لسة في غفلة.

تنهد فرهاد وقال:-

- مش عارف، يمكن يكون معاك حق.

في تلك الأثناء قال الحاج سبحاني يا الله ودخل الحجرة، وبدخوله انتهى حوار الصديقين ونهض كل منهما احتراماً له. سلم الحاج عليهما وأخرج شهريار الطفلة التي كانت قد نامت فوق ركبتيه من الحجرة، جلس الحاج إلى جوار فرهاد، وانهمك بالحديث إليه بمودة، استمر الحديث حتى وقت العشاء وألح شهريار على فرهاد كثيراً ليتناول العشاء عنده.

وقت إعداد المائدة، دخلت زهرة زوجة شهريار الحجرة ورحبت بفرهاد، وعندئذ أدرك فرهاد خطأه، فندم وخجل من أفكاره السيئة، حتى أنه كان قد فقد شهيته في أثناء تناول الطعام.

وبعد العشاء، ترك الحاج وابنته الاثنين بمفردهما، وفرهاد الذي كان منتظراً مثل تلك الفرصة ليعتذر لشهريار، احتضنه فجأة وأمطر وجهه بالقبلات، فسأله شهريار الذي فوجئ بتلك الحركة متحيراً:-

- إيه اللّي حصل؟ عملت كده ليه؟

- ربنا يخلّيك يا شهريار، سامحني إني أسأت الظن بيك، والله مكسوف منك.

- إيه اللّي حصل؟ بقيت بالشكل ده مرة واحدة كده ليه؟

- لو أقول لك ممكن تزعل مني، عارف، لحد قبل ما أشوف مراتك كنت بافكر فيك أفكار سيئة.

- أفكار زيّ إيه؟

- كنت فاكر إنك كدبت عليّ، واتجوزت حميدة!

ومع سماع ذلك الكلام، ضحك شهريار فجأة بشدة، وقهقه بصوت عال:-

- إيه اللّي بتقوله ده، إنت اتجننت؟ يعني من ساعتها لحد دلوقتي كنت باحكي لك قصة ليلى والمجنون!

- عارف إني غلطت، سامحني.

- مش مهم يا بني يا طيب، لكن كان من الأفضل لو قلت لي كده من الأول علشان أزيل قلقك بسرعة.

– عارف أنا متضايق أوي من كامران وحميدة، كامران الملعون ده كان وعدني إنه في حالة القبض عليّ هيساعدني ويخلصني، وعلشان كده أصلاً ماجبتش اسمه على لساني في إجراءات التحقيق علشان أبين له وفائي بوعدي، وبعدين عديت اللحظات علشان ييجي ويخلصني، ومن ناحية برضه حميدة ماجتش زارتني وإنت قلت لي إن الاتنين اختفوا. وبعد كام شهر إنت اتجوزت، فأيّ حد تاني لو كان مكاني كان هيسيء الظن.

– معاك حق، لكن إنت ليه لازم تفكر إني أكون حقير وندل للدرجة دي، وأبقى عايز أغدر بصاحبي؟ فكرت إني اتخليت عن الإنسانية؟!

– مش إنت كنت بتحب حميدة؟

– أيوة كنت زمان، لكن لحسن الحظ فهمت كنه البنت دي الخبيث، وخلصت نفسي.

ثم شرح شهريار كل ما جرى في لقائه مع كامران بالتفصيل لفرهاد:–

– لمّا شفت كامران كان بينكر أيّ صداقة ومعرفة بيك، في الحقيقة كرهت كل الناس، وفي يوم تاني رحت له، وفهمت إنه ساب البيت ومشي، وبعدين رحت في نفس الوقت لأبو حميدة وأمها، وقالوا لي إن حميدة اتجوزت كامران وراحوا يعيشوا في أول المدينة. وبعدين أبو حميدة وأمها اختفوا هم كمان بعد فترة فجأة، زيّ ما يكونوا غيروا سكنهم ومشيوا.

– حكاية غريبة؟! كنت بافكر في إيه ووصلت لإيه!

– أيوة يا صاحبي العزيز، كل النار دي طلعت من قبر كامران الملعون الله يحرق أبوه. هو اللّي خدع خطيبتك، ويمكن كمان يكون هو اللّي بلغ عنك.

– أنا نفسي كنت فكرت في الموضوع ده قبل كده، لمّا افتكرت إن يوم ما اتقبض عليّ كامران مكانش معانا، وكان المفروض في اليوم ده نبدأ الشغل مع بعض، لكن قبلها بيوم غير رأيه فجأة، وقال إنه عايز يروح لمأمورية وسلمني الشغل، أنا شكيت فيه لكن كان شكي فيك أكتر.

تنهد شهريار وقال:–

– جوازي كان حظ، لمّا الحاج قال لي إني أصاهره فكرت أنه بيتمهزأ بيّ، لكنه مكانش بيهزر. ربنا يحفظه، كان ليّ زيّ أب، وكل اللّي أنا فيه من خيره، الناس الطيبين اللّي زيه حقيقي وجودهم نادر.

وبعد نصف ساعة استعد فرهاد للانصراف.

– على أيّ حال يا شهريار يا حبيبي لازم تسامحنا. وأنا باتمنى لك التوفيق وأتمنى إنك تكون دايماً سعيد ومبسوط، فلو تسمح لي أستأذن.

– عايز تروح فين بالليل كده؟!

– عايز أروح الموقف، يمكن أقدر ألاقي أتوبيس.

– أتوبيس؟

– أيوة، عايز أرجع البلد عند عيلتي، القعاد هنا مالوش فايدة، هاروح وأجرب حظي في البلد، فيه شخص هناك مستنيني، شخص على خلاف مظهره القبيح، قلبه مليان بالصفاء والنور.

– قصدك مين؟

– عايز أروح وأتجوز من نفس سكينة الحادبة بتاعتنا، عايز أكون زوج كويس ومزارع.

ضمه شهريار لصدره بمحبة، وقال بينما كان يرافقه حتى الباب:–

– أتمنى لك التوفيق، وبالرغم من إن قلبي متضايق علشانك، لكن مبسوط إني أشوفك بتاخد بالأسباب.

– تقدر تتمنى إني أدوشك بمراتي وعيالي السنة الجاية.

– ده يبسطني يا فرهاد، وابقى اكتب لي جوابات، واحكي لي عن أخبارك.

– أكيد، وإنت كمان أشكر مراتك بالنيابة عني بسبب ترحيبها الليلة.

– وهو كذلك، صحيح معاك فلوس؟!

– متشكر، حالتي عال!

– مش عامل مجاملة؟

– معاك، أبداً. مع السلامة.

– ربنا معاك.

اختفى فرهاد في منعطف الحارة، ومسح شهريار في الوقت الذي كان يغلق فيه باب المنزل بظهر يده قطرة الدمع التي كانت قد تجمعت في عينه، وذهب إلى حجرته.

النهاية

# الملخص باللغة العربية

# ملخص البحث

هذا البحث يتضمن دراسة وترجمة لرواية "بازيجه / الدمية"، إحدى أعمال الكاتبة الإيرانية المعاصرة "نسرين ثامني"، صاحبة العديد من المؤلفات الأدبية في العصر الحديث.

ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أسباب أهمها هو موضوع الرواية، فهي رواية اجتماعية واقعية رصدت على مدار أحداثها صوراً حية من المجتمع الإيراني، وقامت بعرض زوايا من الحياة المعاصرة بعيوبها ومفاسدها، كما صورت الواقع برؤية شمولية، دون مبالغة أو تضخيم، وارتبطت واقعيتها بمحاولة تصوير عالم محدد من خلال أفراد محددين، لهم فكرهم المنطقي المتسق مع خصوصية الزمان والمكان، وكذلك كانت لغة الحوار من أشد العوامل التي جذبتني إليها فهي مكتوبة باللهجة العامية الطهرانية مما يعطي القارئ الفرصة لمعايشة الشخصيات، بالإضافة إلى أن القضايا التي عرضتها الكاتبة في الرواية هي قضايا اجتماعية معاصرة تعني بنقد المجتمع من أجل الإصلاح والنهضة والتقدم.

وقد قسمت البحث إلى قسمين، القسم الأول وهو الدراسة التي جاءت في بابين يحتويان على أربعة فصول، بالإضافة إلى الخاتمة، وجاء تقسيمها على النحو التالي:
الباب الأول وعنوانه: "عصر نسرين ثامني وسيرتها"، وقد تناول بالدراسة كل ما من شأنه أن يعرف بالكاتبة من خلال فصلين: الأول وعنوانه: "عصر نسرين ثامني"، تناولت فيه الظروف التي واكبت حياة الكاتبة، وذلك لاعتقادي بأن للبيئة المحيطة وظروف العصر دوراً أساسياً في تكوين شخصية المرء، وتحديد توجهاته الفكرية.

وتناول الفصل الثاني وعنوانه: "سيرة نسرين ثامني"، نشأة الكاتبة وثقافتها وأهم أعمالها، ولقد كان اهتمامي بالتعريف بالمؤلفة يرجع إلى أن العمل دائماً ما يكون مرآة تنعكس عليها شخصية الكاتب، فإذا ما اتضحت شخصيته اتضح كثير من جوانب العمل.

أما الباب الثاني فقد جاء تحت عنوان: "الدراسة التحليلية النقدية"، وفيه تم عرض دراسة شاملة للرواية من خلال فصلين:

الفصل الأول وعنوانه: "دراسة في الشكل"، وقد تناول عناصر البناء الفني للرواية، كالشخصية، والحبكة الفنية، والزمان والمكان، واللغة، وتم تطبيق هذه العناصر على رواية "بازيجه/الدمية" لإبراز مدى توافقها أو اختلافها مع العناصر المعروفة للرواية. وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: "دراسة في المضمون"، وتناول عرضاً وتحليلاً لبعض القضايا الاجتماعية التي عرضتها المؤلفة في الرواية من خلال منظورها الروائي الخاص.

وأخيراً أنهيت هذا القسم بخاتمة ذكرت فيها ما خلصت إليه في بحثي من أن الأحداث السياسية داخل إيران كان لها أكبر الأثر في تطور الحياة الأدبية، كما صاحب التحولات السياسية تحولات اجتماعية أثرت كثيراً على الحياة المعيشية للشعب الإيراني، كما أبرزت العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك اتضح أن رواية "بازيجه/الدمية" كانت شهادة على طبيعة الفترة التي تصورها مما يدل على أن كاتبتها كانت صاحبة رؤية ملتزمة إزاء الواقع الذي يصوره أدبها، فقد أحسنت في اختيار الشخصيات، والأماكن، والأفكار وحافظت على قدرة الاستطراد والتشويق من بداية الرواية إلى نهايتها.

وقد أنهيت البحث بالقسم الثاني الذي تضمن الترجمة العربية كاملة لرواية "بازيجه/الدمية".

# الملخص باللغة الإنجليزية

The research was divided into two sections; the first one is the study which comes into chapters that contain four parts in addition to the end. The first chapter is titled "Nasren Sameni age and her biography" which talks about the writer through two parts; the first one is about Nasren Sameni age which prescribes the circumstances the writer had because I think the surroundings and the circumstances of the age is a basic role in forming any person as well as his or her thoughts. The second part "Nasren Sameni biography" talks about her life, her culture and her important works.

I was interested to introduce the writer because the work is a mirror that reflects the writer personality so, if the writer personality is clear, many work will be clear.

Chapter two "critical analysis study" showed a complete study of the novel through two parts: the first part "study in the form" which has the technical building tools like the personality, plot, time, place and language and all these tools were applied in (Bazechah / The doll) novel. Part two which was "study in the conclusion" has an

analysis of some social issues which was introduced by the writer in the novel through her point of view.

At last, I finished this part by putting an end about what I had reached in the research which is that the political changes in Iran had affected the social life which affected the life of Iranian people and it also showed many of social and economic problems. Also it was clear that this novel is an image about the nature of that period; and showed that the writer of this novel has a clear vision about the reality that her literature shows as she had chosen her characters, places and ideas well, and also kept the ability of excitement from the beginning to the end of the novel.

The research was finished by part two which includes Arabic translation of the novel.

***Summary of the research***

This research includes a study and a translation of "Bazechah / The doll" novel, one of the works of the modern Iranian writer; Nasren Sameni the owner of many literary works in the modern age.

I have chosen this subject due to many reasons; the most important one is the subject of the novel as it is a social and realistic novel which prescribes live images from the Iranian society. Also, it viewed many parts of the modern life with its all disadvantages and corruptions; it also prescribes the reality in general without any exaggeration. Its reality is connected with the trial that prescribes definite word through individuals having their own logical thought which is balanced with time and place side.

The language of conversation was one of the strongest factors which attracted me as it was written in Tahranian colloquial accent which gives the chance to the reader to live with the characters in addition to the issues that the writer introduced in the novel was modern social ones that criticize the society because of reform, renaissance and progress.

*Menoufya University*
*Faculty of Arts*
*Department of Islamic Oriental Language*

# *"Bazechah / The Doll" Novel*

## *By the modern Iranian writer Nasren Thamny,*

Critical and Analysis Study with Arabic translation

to get the degree of Master

Studied by

***Dina Nabil Abd Allah Hosam Al Din***

Master student

Supervised by

***Dr/ Hewyda Ezzat Mohamed***

Ass. Prof. of Oriental language

Faculty of art-menoufya university

***Dr/Mostafa Mosa Sharaf***

lecturer of oriental language

Faculty of art-menoufya university

Menoufya University

2006